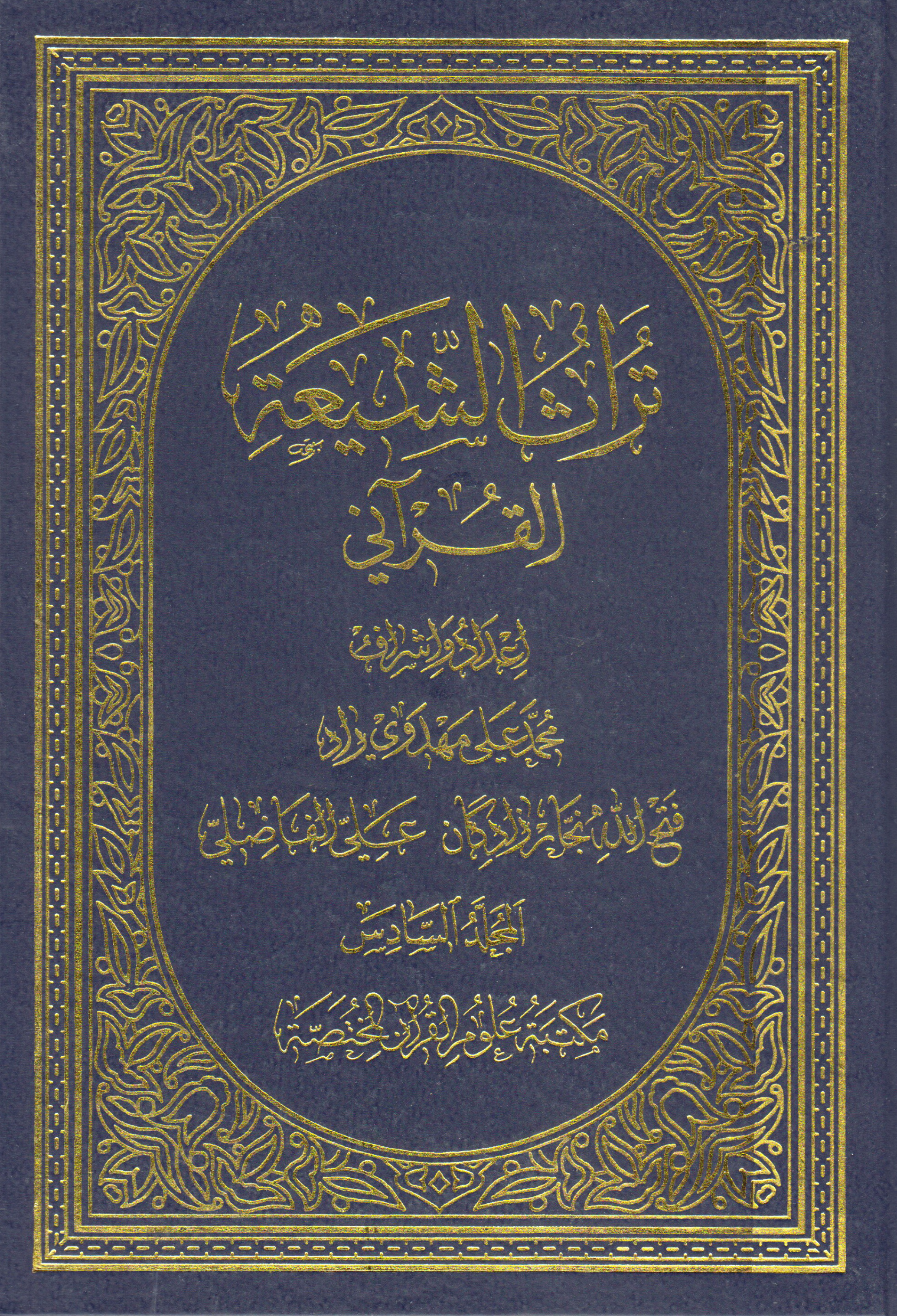

تراث الشيعة القرآني
إعداد وإشراف
محمد علي مهدوي راد
فتح الله نجارزادگان علي الفاضلي
المجلد السادس
مكتبة علوم القرآن المتخصصة


شبكة الفكر
alfeker.net
يا علي يا فاطمة


تراث الشيعة
القرآني


بسم الله الرحمن الرحيم



إعداد وإشراف

محمد علي مهدوي راد

فتح الله نجارزادگان علي الفاضلي

المجلد السادس

مكتبة التفسير وعلوم القرآن المختصة

تراث الشيعة القرآني
المجلّد السادس

إعداد وإشراف

محمّد علي مهدوي‌راد (عضو الهيئة العلمية بجامعة طهران)

فتح الله نجّـارزادگان (عضو الهيئة العلمية بجامعة طهران)

علي الفاضلي (باحث في الدراسات الإسلامية في الحوزة العلميّة في قم)

الناشر: مكتبة التفسير وعلوم القرآن

التابعة لمكتب آية الله العظمىٰ السيّد علي الحسيني السيستاني (مدّ ظلّه)

تنضيد الحروف والإخراج الفنّي: علي ملكوتي

المطبعة: .... الوفاء

الكمّية: .... ٢٠٠٠ نسخة

السعر: .... ٧٠٠٠٠ ريال

الطبعة .... الأولىٰ: ١٤٣٥ هـ. ق (١٣٩٢ هـ. ش)

شابك: ٤ ـ ١٣ ـ ٧١٠٠ ـ ٦٠٠ ـ ٩٧٨

ISBN: 978 - 600 - 7100 - 13 - 4

قم: شارع الشهيد فاطمي (دورشهر)

ـ الفرع ١٧ ـ الرقم ٢ ـ ☎ ٣٧٧٣٨٠٨١

الفهرس الإجمالي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

نحمد الله سبحانه على أن ما وفّقنا بلطفه العظيم لنشر المجلّد السادس من تراث الشيعة القرآني، والمشتمل على:

١ ـ رسالة في تفسير سورة الحمد لمحمّد تقي بن محمّد علي المراغي (م / بعد ١٢٥٠ هـ. ق) ومع أنّه كان قد كتبها في أوّل شبابه في سن العشرين إلّا أنّها مشتملة على أبحاث أدبية وتفسيرية وروائية رائعة، وهذه الرسالة تضاف إلى الكم الهائل ممّا ألّفه السلف الصالح في خصوص سورة الحمد، وتكشف أسراراً وحقائق من «الكنز» الذي هو من أسماء سورة الحمد، مع تبيين سرّ معادلتتها للقرآن حيث سمّي بالسبع المثاني وبواسطته سرّ تسميتتها أيضاً بـ«الوافية»، كلّ بأُسلوب أدبي رصين بيّن من خلاله بذهنه الوقّاد كثيراً من المعارف التفسيرية، وعندما يقوم بتبيين الجانب التطبيقي والجري العملي لـ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ تراه يركز بوضوح على شدّة ارتباط الآية بأهل البيت ومكانتهم وطريقتهم، وقد قام بتحقيق الرسالة فضيلة السيّد محمّد علي سادات الحسيني، وراجعها وقدّم لها فضيلة الدكتور الشيخ فتح الله نجارزادكان.

٢ ـ التفسير الوجيز للشيخ أحمد بن الحسن بن علي الحرّ العاملي (م / ١١٢٠ هـ. ق) وهو أخو الحرّ العاملي صاحب وسائل الشيعة، وبما أنّ النسخة الفريدة التي نعرفها للكتاب كان قد جاء خطأ فيها اسم صاحب الوسائل بدل المؤلّف؛ لذلك كان

الظنّ في البداية أنّ الكتاب لصاحب الوسائل، ولكن نتيجةً للجهود التي بذلها آية الله الشيخ رضا الأُستادي ومتابعته للموضوع عند آية الله العظمى السيّد موسى الشبيري الزنجاني الذي أشاربدوره إلى أنّه من المحتمل أن يكون هذا الكتاب لأحدٍ من بيت الحرّ العاملي ـ الذي قد اشتهر جماعة منهم بالعلم ـ لا لصاحب الوسائل؛ حيث يختلف أُسلوبه عن أُسلوب صاحب الوسائل، اتّضح أنّ المؤلّف الحقيقي للتفسير، هذا وقد ذكر سماحة الشيخ الأُستادي تمام التحقيق في مقالته التي نشرت في العدد ١٢٤، ص ١٦ ـ ٢٠ من مجلّة آينه پژوهش (مرآة التحقيق) وذكرنا خلاصة هذه المقالة في مقدّمة تحقيق التفسير أيضاً.

وهذا التفسير مشتمل على أوّل القرآن إلى الآية ٩٣ من سورة الأعراف، وقد استفاد من مصادر شتّى منها: مجمع البيان للطبرسي وأنوار التنزيل للبيضاوي وغيرهما، قائلاً في مقدّمته عن عمله هذا: «وأخذت من الأقوال أنبهها وأجلاها، ومن الروايات أشرفها وأعلاها ... وكتبت أكثرها على حواشي قرآني في مدّة من زماني، والآن شرعت في نقلها من المسودة إلى هذا الكتاب ...»، ويستفاد ممّا كتبه أنّه وخلافاً للمنهج الأخباري في التفسير يتابع أبحاثه العلمية وجهوده الفكرية في فهم الآيات، ويجعل القرآن هو الميزان في فهم الروايات والأخبار وتمحيصها.

وعلى أيّة حال فهذا التفسير يتناسب مع عصرنا الحالي لأُولئك الذين يرومون اختصار الطريق لفهم الآيات والروايات، ويتابعون قاعدة خير الكلام ما قلّ ودلّ.

وقد قام أوّلاً بتحقيقه فضيلة الأُستاذ العزيز حجّة الإسلام الشيخ علي الكرباسي حيث اهتمّ بأمر مقابلته للمخطوطة وتخريج بعض مصادره، ثمّ تابع عمله هذا فضيلة المحقّق الشيخ كاظم المحمودي وعرض هذا الكتاب على تفسير البيضاوي حيث كان الأساس لعمل المؤلّف وعلى مجمع البيان أيضاً، وتمكّن من تصحيح بعض ما وقع في النسخة من تصحيف، وقد أضاف الثاني في مقدّمته على التفسير أنّه

ربّما ذكر المؤّلف شيئاً ممّا لا يتلاءم مع مجمل أفكاره واتجاهاته أو الفهم القرآني فلعلّه أراد أن يعلّق عليه ثمّ نسي ذلك وغفل عنه، أو لم يلتفت إلى ذلك حين النقل لتسرّعه في النقل» وقد ذكرنا هذا هنا لبيان أنّ المحقّقين والمشـرفين عـلى هـذه الموسوعة كانوا على إلمام بأمثال هذه النقائص لكنّهم وحفظاً للتراث نشروه كما هو وربّما علّقوا على بعضها بما يتناسب.

هذا وحفظاً للتراث لم يتصرّف المحقّق النبيه في المتن وجاء نشره كما هو وربّما أشار إلى بعض الأُمور في الهامش.

هذا والله من وراء القصد، ولله الحمد أوّلاً وآخراً.

محمّد علي مهدوي راد

الفريدة العزيزة

الشيخ محمّد تقي بن محمّد علي المراغي الغروي
من أعلام القرن الثالث عشر الهجري

تحقيق

الدكتور الشيخ فتح الله نجارزادكان
عضو الهيئة العلمية بجامعة طهران ـ پرديس قم

والسيّد محمّدعلي سادات الحسيني
باحث في الدراسات الإسلامية بحوزة قم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة التحقيق

نبذة عن المؤلّف

مؤلّف هذه الرسالة «الفريدة العزيزة» هو الشيخ محمّد تقي بن محمّد علي المراغي الغروي من أعلام القرن الثالث عشر، ولد سنة ١٢٢٢ هـ تقريباً حيث ذكر في تأريخ كتابة هذه الرسالة: «إنّي لمّا بلغت من العمر العشرين أحببت لله أن أُحرّر أوراقاً في تركيب الفاتحة وتفسيرها...» وقد انتهى من كتابتها عام ١٢٤٢ هـ، وكان حيّاً عام ١٢٥٠ هـ حيث أرّخ فيها تملّكه لكتاب «الصراط المستقيم» للنباطي كما في الكرام البررة ١ / ٢٢٤: ٤٥٥.

وفي «فهرستواره دنا»[١] ذكر خمسة من آثاره:

١ ـ التراكيب المشكلة، بيّن المؤلّف فيه إعراب بعض الجمل الصعبة الواردة في الآيات والأحاديث والأشعار والأسجاع، تمريناً لطلّاب العلم الناشئين، تمّ تأليفه في رمضان عام ١٢٣٩ هـ، وتوجد نسخة منه بخطّ محمّد بن حسين الخراساني في مكتبة الفيض المهدوي بكرمانشاه عام ١٢٠٣ هـ وهذا التاريخ خطأ؛ لأنّ المؤلّف ـ

١. هذا الفهرست قد نشر سنة ١٣٨٩ هـ. ش بواسطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي ومن إعداد الشيخ مصطفى الدرايتي.

كما أسلفنا ـ قد ولد في سنة ١٢٢٢ هـ، ولعلّ ما كتب في تاريخ تأليف خطأ.

وفي «تراجم الرجال» للإشكوري ٦ / ٦١٦ ما يشبه هذه الترجمة وأنّه توفّي قبل سنة ١٢٤١ هـ.

وفي مجلّة تراثنا العدد التاسع ص ٤٦ نشرت مقالة في التعريف بالرسالة بعنوان تراكيب مشكلة، وفيها أنّه أتمّه عام ١٣٣٩ هـ، ولذلك فقد عدّ مؤلّفه من علماء القرن ١٤ الهجري وهو غير مؤلّف الفريدة العزيزة، وفي العدد ٦٢ من مجلّة تراثنا، ص ١٤٤ ذكر أيضاً بعنوان التراكيب المشكلة تأليف محمّد تقي بن محمّد علي بن حسين خان المراغي الغروي وأنّه أتمّه عام ١٢٣٩ هـ؛ وهو أيضاً شخص آخر.

٢ ـ رسالة القرض والرهن، توجد نسخة منها في مكتبة مدرسة السيّد الگلپايگاني برقم $\frac{٣٢}{١٤٩}$ وتاريخ كتابتها عام ١٢٥٣ هـ، انظر فهرس المكتبة ٦ / ٣٢٩٣.

٣ ـ اللؤلؤ والمرجان، في التراجم وبخطّ المؤلّف، توجد نسخة منه في مكتبة ملك بطهران برقم ٢٩٠٦ في ستّين ورقة، انظر فهرس المكتبة ١ / ٤٦٠.

٤ ـ مجمع الصيغ، أو صيغ العقود، رسالة فارسية في الفقه، وتوجد منها نسخة بخطّ المؤلّف في ١١٦ ورقة كما في الرقم ١٤٤٤٥ ـ ٣ من مكتبة مجلس الشورى الإسلامي بطهران، لاحظ الفهرس ٣٨ / ٥٨٣، وأُخرى فيها أيضاً برقم ١٧٦٨٥، وثالثة في مكتبة الإمام الصادق في مدينة أردكان من محافظة يزد، برقم ١٣٦ وهي بخطّ حسن پاشا بن لطفعلي بيگ المراغي في مائة ورقة، كتبت سنة ١٢٤٦ هـ، راجع فهرس المكتبة ١ / ١٢٢.

٤ ـ الفريدة العزيزة، وهي هذه الرسالة التي بين أيديكم في تفسير سورة الحمد، ولدينا منها نسختان: الأُولى نسخة مكتبة المجلس برقم ١٤٥٣١، وتوجد مصوّرتها

برقم ١١٩٩ في مكتبة مؤسّسة (كتابشناسي شيعه) في قم، والظاهر أنّها نسخة المؤلّف وقد جعلناها أصلاً لعملنا، والثانية في مكتبة الميبدي بكرمانشاه برقم ٧٧ كتبها علي بن فتحعلي ومغايراتها يسيرة.

نبذة عن الرسالة

وهذه الرسالة مع صغر حجمها تبيّن مكانة المؤلّف العلمية، وإحاطته كما ينبغي بمختلف العلوم وخاصّة الأدبية منها، واستقصاءه للبحث، مع أُسلوب منطقي رصين، ذاكراً الوجوه المختلفة لكلّ كلمة من جهة الصرف والنحو والمعنى مع النقد العلمي لها، واختيار الرأي المناسب منها.

وقد كتبها بأكملها وهو في سنّ العشرين من عمره في شهر رمضان من تلك السنة، معتمداً في تفسيره على الآيات والروايات والشواهد الأدبية ومصادر شتّى، وعند تعرّضه للآية ﴿إيّاك نعبد وإيّاك نستعين﴾ والآية ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ استعرض عشرات الأحاديث الناصّة على فضائل ومكانة أهل البيت وأنّ الصراط صراطهم.

وقال المؤلّف عن نفسه في المقدّمة بعد نبذة يسيرة من حمد الله والصلاة على نبيّه وآله الأطهار أنّه محمّد تقي بن محمّد علي المراغي وأنّه في رمضان في العشرين من عمره من سنة ١٢٤٢ هكان في المدرسة الطالبية في تبريز العاصمة، وعندما عطلت الدروس بسبب حلول شهر رمضان اشتغل بتأليف هذه الرسالة في تفسير سورة الحمد وذكر تراكيبها وجوانبها الأدبية، وسمّاها بالفريدة العزيزة.

ثمّ ذكر في المقدّمة بعدها أبحاثاً منها تحت عنوان (تبصرة) استدلّ بالآيات والروايات على أهمّية الصلاة، وحضور القلب فيها للمصلّي ولما يلفظه فيها.

وتحت عنوان (تذكرة) استطرد إلى فضائل وخواصّ سورة الحمد وأسمائها.

وفي عنوان (هداية) تطرّق إلى حكمة تقديم السورة على غيرها، وفاتحيتها للقرآن، ناصّاً على أنّ ذلك بسبب اشتمالها على جميع المفاهيم والمعارف القرآنية، مستنداً في ذلك إلى بعض الروايات.

ثمّ يتطرّق تفصيلاً إلى أسماء السورة وذكر وجوهها.

ثمّ يختم كلامه في المقدّمة وفي عنوان (فائدة) بالبحث الشامل عن جزئية البسملة للسورة وأنّها آية مستقلّة مستدلّاً بالإجماع والأخبار المستفيضة.

وقد بيّن المؤلّف أنّه يتطرّق إلى إعراب الآيات والأبحاث الصرفية والنحوية واللغوية فيها، فمثلاً حينما يتعرّض للفظ الجلالة يحاول الاستيعاب في البحث عنه في نشأته هل هو لفظ عربي أو عبري أو سرياني، مع ذكر الوجوه اللغوية فيه، وهل هو الاسم الأعظم أو لا.

وبعد انتهائه من تفسير لفظ الجلالة يتدرّج إلى تفسير ﴿الرحمن الرحيم﴾ وسرّ تقديم الرحمان على الرحيم.

وفي بحثه عن ﴿الحمد لله﴾ يتابع نفس الأُسلوب ذاكراً الفرق بين الحمد والشكر والمدح، ووجه ذكر الحمد بدلاً عن الشكر، وخصوصية (ال) الواردة على الحمد، وهل الجملة خبرية أو إنشائية.

وهكذا في ﴿ربّ العالمين﴾ له فيها أبحاث متنوّعة، وفي ﴿مالك يوم الدين﴾ زاد فيها البحث عن القراءات، وفي ﴿إيّاك نعبد وإيّاك نستعين﴾ ذكر فيها وجه الالتفات من الغيبة إلى الحضور مع الاهتمام بالجوانب الأدبية والمعنوية فيها.

ثمّ نقل حديثاً طويلاً من التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري في تفسير ﴿إيّاك نستعين﴾، وبما أنّ الحديث يتطرّق إلى ولاية علي والأئمّة الأطهار وفضيلة

شيعتهم ومحبّيهم قال المصنّف: «فلنذكر لك قطرة من بحار فضيلتهم، وشأن رتبتهم، وشمّة من مزيّة درجتهم، والأخبار الدالّة على تفضيل أُمّة محمّد ﷺ على سائر الأُمم، سيّما على كون شيعة علي وأولاده الطاهرين هم الناجون وعلى أفضليّتهم على جميع من سواهم»، ثمّ نقل عدّة أحاديث من مصادر شتّى في هذا المعنى.

وفي تفسير ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ ذكر أوّلاً وحسب أُسلوبه العام الأبحاث الأدبية، وأضاف: «الظاهر أنّ المراد من ذلك السبيل ... هم عبارة عن حيدر الكرّار ... والأئمّة الأبرار» ثمّ يستطرد بذكر عشرات الآيات النازلة في شأن أهل البيت عليهم السلام، والدالّة على أنّهم هم أئمّة الهدى وورثة الأنبياء، ثمّ يستخلص النتيجة من هذه الآيات قائلاً: «بيّن النبي ﷺ أمر الخلافة والولاية وعيّنه، وما أجمل الله تعالى في قرآنه فَصَّلَه ... في مواضع متعدّدة وأخبار لا يمكن حصرها ... لٰكن لا بدّ من ذكر بعضها ...» فذكر روايات عديدة من كتب أهل السنّة، مؤكّداً على المكانة الشامخة لأهل البيت عليهم السلام ولزوم متابعتهم.

وتحت عنوان «تتميم» يستعرض باختصار ما قدّمه مبسوطاً في تفسير هذه السورة، فيذكر لحسن الختام نصّ الحديث المنقول عن أمير المؤمنين ورسول الله ﷺ في آخر تفسير سورة الحمد من التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام والذي يستعرض فيه تفسير سورة الحمد باختصار، وبه يُنهي رسالته «الفريدة العزيزة».

هذا والحمد لله أوّلاً وآخراً.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله الذي أنعم علينا سوابغ النعماء وبوالغ[1] الآلاء وأكملَها بإرسال الأنبياء ونصب الخلفاء وإنزال الكتب من السماء وجعل كتابه العزيز، المنزل على سيّد الأصفياء، شفاء للأدواء وحفظاً من الأسواء وجلاءً للأصداء[2]، حمداً يتجاوز عن الحدّ والإحصاء ويرتفع عن التناهي والانقضاء، والصّلاة على محمّد أشرف الأنبياء وعترته المعصومين من الأرجاس الأئمّة الأجلّة النقباء، صلاة تملأ أقطار الأرض والسماء.

أمّا بعد، فيقول أقلّ المشتغلين عملاً وأنقصهم علماً وسعياً، بل أذلّ الخلائق قدراً وأحوجهم إلى ربّه مغفرة ورحمة «ابن محمّد علي المراغي محمّد تقي الغروي» مولداً وإن شاء الله تعالى مسكناً ومدفناً غفر الله له ولوالديه ولمن وجب حقّه عليه ولجميع المؤمنات والمؤمنين سيّما المعلّمين بالنبي وآله المعصومين: إنّي لما بلغت من العمر إلى العشرين وكنت في العامّ المأتي ذكره في آخر الكتاب في دار السلطنة تبريز في المدرسة المشهورة بـ«الطالبية» لعزم التحصيل ورجاء التوفيق من الربّ الجميل، الذي هو نعم الدليل وليس له كفو ولا عديل، وتعطّل الدروس بإقبال الشهر

١. بوالغ:
٢. أصداء:

المبارك الجليل، وكان علم التفسير أرفع العلوم قدراً وأعظمها شرفاً ويستنبط به الأحكام الشرعية والمسائل الفقهية من القرآن العزيز؛ أحببت لله أن أحرّر أوراقاً في تركيب الفاتحة وتفسيرها، وأردت في الله أن أُبيّن قطرة من بحار ما اشتمل هي عليه من المطالب والمآرب حتّى تتبيّن منها فرائد الأسرار ونفائس دُرر الأبكار وتوضح منها النكت ولطائف الأفكار التي كانت هي مشتملة عليها للأحبّاء الطالبين لها والأخلّاء الراغبين إليها من الصغار والكبار؛ فبعون الله عزّ وجلّ وحسن توفيقه أمليت هذه الرسالة وحرّرت هذه المقالة وسمّيت هذه الوجيزة بـ«الفريدة العزيزة» سائلاً من ربّ العباد أن يهدينا إلى سبيل الرشاد، ويوفّقنا لما يحبّ ويرضى، ويجعل ذلك ذخيرة وعدّة إلى يوم المعاد، ويغفر عثراتنا وزلّاتنا في يوم التناد[1]، ويثبّت أقدامنا عند مواقف الأشهاد، ويحشرنا في زمرة محمّد المرسل للهداية والإرشاد وآله الذين بيّنوا أحكام المبدء والمعاد، وأطلب منه الإمداد في كلّ الأُمور والموادّ بمحمّد وآله الأنجاب الأمجاد. والله المستعان وهو حسبي وعليه التكلان في جميع الأوان.

تبصرة

اعلم أنّ ما ينبغي لحال المصلّي، بل هو الأهمّ له أن يعتبر معاني الصلاة ويلاحظ ما يقرأ فيها من الفاتحة ونحوها ولا تكون قراءته مجرّد تحريك اللسان من غير ملاحظة المعاني المقصودة منها، ومن دون أن يشعر بمقاصد ما يتلفّظ به حتّى يكون حاله كحال الساهي أو المغمى عليه إذا تكلّم بشيء من دون خطور معناه بالبال،

١. إشارة إلى الآية ٣٢ من سورة غافر: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾.

والدليل على ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكارىٰ حَتّىٰ تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ﴾[١] وما تضمّنه الخبر الصحيح من أنّك «إذا قمت إلى الصلاة فعليك بالإقبال على صلاتك فإنّما يحسب لك منها ما أقبلت عليه»[٢] والأخبار الدالّة على ذلك متوافرة فقوله تبارك وتعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ﴾[٣] ناصّ على أنّ فلاح المصلّين بالخشوع في الصلاة، على أنّ الإمام أمر الأنام إلى تمام الخشوع والسجود والركوع وقوله عليه السلام: «أتمّوا ركوعَكم وسجودَكم وخشوعَكم»[٤] وأنّه نقل عنه عليه السلام أسوء[٥] سرقةِ من يسرق من الصلاة»[٦] حتّى ورد عن أئمّة الأنام في هذا المرام: «لا صلاةَ إلّا بِحضورِ القَلب»[٧].

فللعاقل أن لا يقوم إلى الصلاة متكاسلاً ولا متناعساً[٨] ولا متشاغلاً، أفما علمت

١. النساء (٤)، الآية ٤٣.
٢. الكافي، ج ٢، ص ٢٩٩.
٣. المؤمنون (٢٣)، الآية ١ ـ ٢.
٤. لم أعثر عليه في مصدر آخر.
٥. في المصدر كلمة «الناس» بعد «أسوء».
٦. وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٤٧٥، وانظر أيضاً: السنن الكبرى للبيهقي، ج ٢، ص ٣٨٥، وفيه «أسوأ الناس سرقة الذي يسرق صلاته» وفي الموطّأ، ج ١، ص ١٦٧: «وأسوأ السرقة الذي يسرق صلاته»، ومثله في مسند أحمد، ج ٣، ص ٥٦، والسنن للدارمي، ج ١، ص ٣٠٥، والمستدرك على الصحيحين، ج ١، ص ٢٢٩.
٧. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يقبلُ اللهُ صلاةَ عَبدٍ لا يحضُرُ قلبُهُ مع بدنه» المحاسن للبرقي، ج ١، ص ٤٠٦. وعن الإمام علي عليه السلام: «... وإنّما لِلعَبدِ مِن صلاته ما أقبلَ عليه منها بِقَلبه» الخصال للصدوق، ص ٦١٣. وقد وردت في ذلك أحاديث أُخر عن المعصومين. انظر: ميزان الحكمة، ج ٧، ص ٣١١٦، باب «دَور حضور القلب في قبول الصلاة».
٨. متناعس من «النعس»: فترتْ حواسُّه فقارب النوم. المفردات للراغب، ص ٨١٤، مادّة «ن. ع. س».

أنّ الله تبارك وتعالى ذمّ المنافقين بأنّهم يقيمون الصلاة وهم كسالى ﴿يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إلّا قَلِيلاً﴾[١] بل لا بدّ أن يصلّي خاشعاً له سبحانه لئلّا يكون العمل كجسدٍ بلا روح، وليستلزم خشوع الجوارح أيضاً؛ فلذلك قال النبي ﷺ للعابث في الصلاة «أنّه لو خَشَعَ قَلبُه لخشعت جوارحُه»[٢] وورد في الأخبار «أنّ عليّاً عليه السلام إذا قام إلى الصّلاة توجّه إلى جناب ذي الجلال حقَّ التوجّه والإقبالِ وتَغَيَّر لونُه وكان كأنّه ساقَ شجرة لا يتحرّكُ منه إلّا ما حركّتِ الرّيح منه»[٣] و«أن يكون المصلّي مودِّعاً وخائفاً بأن لا يَعودَ إليها»[٤] وملاحظاً بمعاني ما يقرأ فيها حتّى يتقبّل الله عزّ وجلّ طاعته منه ويغفر له لما رواه رئيس المحدّثين عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «مَن صَلّىٰ ركعَتين يَعلم ما يقولُ فيها انصرفَ وليس بينَه وبينَ اللهِ عزَّ وجلَّ ذنبٌ إلّا غَفَرَ له»[٥] جعلنا الله بكرمه ومنّه من الخاشعين له والخائفين منه.

---

١. النساء (٤)، الآية ١٤٢.

٢. الرسائل للشهيد الثاني، ص ١٢٤.

٣. الكافي، ج ٣، ص ٣٠٠؛ الرسائل للشهيد الثاني، ص ١٠٨ فنصّ الخبر هكذا: «كان علي بن الحسين صلوات الله عليهما إذا قام في الصلاة تغيّر لونه فإذا سجد لم يرفع رأسه حتّى يرفض عرقاً» وفي خبر آخر «كان علي بن الحسين صلوات الله عليهما إذا قام في الصلاة كأنّه ساق الشجرة لا يتحرّك منه شيء إلّا ما حرّكه الريح منه».

٤. أشار المؤلّف رحمه الله إلى رواية قد رواها الشيخ الصدوق في الأمالي، ص ٣٢٩؛ ٥٨٩ وفي ثواب الأعمال، ص ٣٥ عن أبي عبد الله عليه السلام: «إذا صلّيت صلاة فريضة فصلها لوقتها صلاة مودّع يخاف أن لا يعود إليها أبداً...».

٥. انظر: ثواب الأعمال للشيخ الصدوق، ص ٤٤ وفيه «ما يقول فيهما» وليس فيه «إلّا غفر له» وأيضاً: الكافي، ج ٣، ص ٢٦٦.

تذكرة

[فضائل وخواصّ فاتحة الكتاب]

إعلم أنّ الأنسب أن يبدأ على سبيل الاختصار بالأخبار الدالّة على ما احتوت عليه أُمّ القرآن [أي فاتحة الكتاب] من الفضائل والخواصّ؛ فلذا ذكرنا ذلك بالإجمال إذ لو شرعنا في بسطها لضاق علينا الأمر.

فمنها: ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال:

«إنّ الفاتحة وآية الكرسي والآيتين من سورة آل عمران [و]هما: ﴿شهد الله﴾ و ﴿قل اللّهمّ﴾ معلَّقاتٌ، بينهنّ وبينَ الله تعالى حجاب، قُلنَ: أتهبِطنا إلى الأرض وإلى من يَعصيك، فقالَ الله تعالى: حلفتُ لا يقرأكُنَّ أحدٌ من عبادي في عَقَبِ كلّ صلاة إلّا جعلتُ الجنّةَ مَثواه على ما كان منه، ولأُسكنَّنَه حضرةَ القدس ولأنظرُنَّ إليه كلَّ يومٍ سبعينَ نظرَة، ولأقضينَّ له كلَّ يومٍ سبعينَ حاجةً، أدناها المغفرة، ولأُعيذَنَّه من كلِّ عَدوٍّ، ولأنصرنَّه عليه»[1].

ومنها: ما ذكر في كتاب محمّد بن مسعود العيّاشي عن إسماعيل بن أبان يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجابر بن عبد الله الأنصاري:

«يا جابرُ، ألا أُعلِّمك أفضلَ سورةٍ أنزلَها الله في كتابِه، قال: فقال له جابر: بلى ـ بأبي أنت وأُمّي يا رسولَ الله ـ عَلِّمنيها، فقالَ: فَعَلَّمه الحمد، أُمُّ الكتاب قال: ثمّ قال له: يا جابر، ألا أُخبِرُك عنها قال: بلى ـ بأبي أنت وأُمّي ـ فأخبرني، قال: هي شفاءٌ

---

١. بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٢٦٩، الرقم ١٨؛ كنز العمّال، ج ٢، ص ٦٧٩ ـ ٦٨٠؛ الدرّ المنثور، ج ٢، ص ١٢.

مِن كلّ داء إلّا السّأم وهو الموت»[١].

ومنها: ما ذكره الشيخ أبو الحسين الخبازي المقري في كتابه في القراءة عن أُبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله:

«أيّما مسلم قرأ فاتحة الكتاب أُعطي مِنَ الأجر كأنّما قرأ ثُلثي القرآنَ وأُعطي من الأجر كأنّما تصدَّق على كلّ مؤمنٍ ومؤمنة»[٢].

ومنها: ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«إذا وضعتَ جنبَك عَلى الفِراش وقرأتَ فاتحةَ الكتاب و﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ فقد أمنتَ من كلّ شيء إلّا الموت»[٣].

وأيضاً قال صلى الله عليه وآله:

«من قرأ عندَ مَضجعِه أُمَّ القرآنِ، وآيةَ الكرسي، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وإنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الذي خَلَقَ السَّمٰواتِ والأَرْضَ ـ إلى قوله ـ إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٤]، وآخر الحشر ﴿لَوْ أَنْزَلْنا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾[٥] إلى آخره، وسورةَ الإخلاص، والمعوّذتين وَكَّلَ اللهُ تعالى مَلَكَين يَحفَظانِه مِن كلّ شيء حتّى يُصبح فإن ماتَ غَفرَ لَه»[٦].

ومنها: ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله «أنّه قال لأُبي بن كعب:

---

١. كتاب التفسير للعياشي، ج ١، ص ١٠١.
٢. انظر: بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٢٥٩.
٣. كنز العمّال، ج ١٥، ص ٣٣٥.
٤. الأعراف (٧)، الآية ٥٤ ـ ٥٦.
٥. الحشر (٥٩)، الآية ٢١.
٦. لم أعثر عليه في مصدر آخر.

يا أُبي، هل أُنبّئُك بسورةٍ لَمْ تنزلْ في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزَّبُور ولا في القرآن مثلَها؟ فقلتُ: بلى، قال عليه السلام: فاتحة الكتاب؛ إنّها السَّبعُ المثاني والقـرآنُ العظيم»[١].

ومنها: ما روي عن حذيفة بن اليمان من أنّ الرسول صلى الله عليه وآله قال:

«إنّ القومَ لَيَبعَثَ اللهُ عليهم العذابَ حَتماً مقضيّاً فيقرأ صَبي مـن صِـبيانِهم فـي الكتاب ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ فَيَسمَعُه اللهُ تعالى فيرفَع عَنهم ذلك العذابَ أربعينَ سنة»[٢].

هداية

[وجه تقديم سورة الحمد على سائر السور]

اعلم الظاهر أنّ الوجه الداعي والسبب المراعى لتقديم هذه السورة على الباقي، هو حصول النسبة الإجمالية والتفصيلية بينها وبين ما عداها لاشتمالها مجملاً على ما اشتمل الجميع مفصّلاً؛ إذ كلّ ما كان القـرآن مـحتوياً مـن التـمجيد والتـحميد والتسبيح والتهليل والتقديس والتكبير والشكر والثناء، كان مندرجاً في «ٱلْحَمْدُ».

وما كان فيه من ذكر الوحدانية وبيان الربوبية وصفات الجلال ونعوت الكمال، كان مندرجاً في لفظ الجلالة والربّ، وما كان فيه من ذكر الأنبياء والأولياء والسعداء والأشقياء والأرض والسماء وسائر المصنوعات من الأناسي والأجنّة والوحـوش

١. رواها أحمد في مسنده بالتفصيل، انظر: مسند أحمد بـن حـنبل، ج ٢، ص ٤١٣؛ السـنن الكبرى للنسائي، ج ٦، ص ٣٥١؛ صحيح ابن خزيمة، ج ١، ص ٢٥١؛ جامع البيان، ج ١٤، ص ٧٧. وبتفاوت يسير في تفسير الكشف والبيان للثعلبي، ج ٤، ص ٣٤٢.

٢. الكشف والبيان، ج ١، ص ٩٠.

والطيور والبهائم، مندرج في «ٱلْعَالَمِينَ».

وما كان فيه من الإرزاق والإنعام والإحسان والإكرام على الخاصّ والعامّ وإمهال الأنام، كان مندرجاً في «ٱلرَّحْمَٰنِ».

وما كان فيه من بسط الرحمة على الوَرىٰ والعفو عن المعاصي والخطأ، مندرج في «ٱلرَّحِيمِ»، وما كان فيه من إثبات القدرة والعظمة على الله تبارك وتعالى وتقدّسه عن الأضداد والأنداد، مندرج في الـ«مالِكِ».

وما كان فيه من ذكر القيامة والعذاب والثواب والحساب والميزان والصراط والعقوبات وأحوال الجنّة والدرجات وأهوال النار وشدائد الظلمات وغير ذلك، مندرج في «يَوْمِ الدِّينِ».

وما كان فيه من أحوال العبادات وكيفية الطاعات من الصلاة والصوم والحجّ والزكاة وغيرها، مندرج في «إيَّاكَ نَعْبُدُ».

وما فيه من طلب الإعانة والإغاثة والتوكّل والفتح والنصرة، مندرج في «إيَّاكَ نَسْتَعِينُ».

وما فيه من بيان الهداية والإرشاد والتوفيق والتفويض والاعتماد والدعاء والسؤال، مندرج في «ٱهْدِنَا».

وما فيه من بيان الحلال والحرام والشرائع والأحكام من الأوامر والنواهي للأنام، مندرج في «الصِّراطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ».

وما فيه من أحوال الأولياء والسعداء والسبب على كونهم من الناجين وفي أعلى درجات العليّين، مندرج في «صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ».

وما فيه من بيان أحوال أُمم السابقين وقصصهم من إصرارهم على المناهي،

وتوجّههم بالملاهي[١]، وتكفير النعماء، وقتل الأنبياء، وإنزال الغضب والعذاب عليهم من السماء، مندرج في «غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ».

وما كان فيه من أحوال بقية الجبابرة والأرامنة وسائر المشركين مندرج في «وَلَا ٱلضَّآلِّينَ».

فلمّا كانت الفاتحة محتوية ما في القرآن على سبيل الإجمال وكان الأولى تقديم المجمل على المفصّل؛ فلذا قدّمت أمام الجميع وهكذا الوجه في تقديم البسملة لاشتمالها إجمالاً على ما في الفاتحة جميعاً، وهذا هو السرّ في ذكر الباء قبل جميع الأشياء لكونها حاوية لجميع ما في البسملة كما ورد في الأخبار أنّ سيّد الأخيار عليّاً عليه السلام قال: «إنّ جميعَ أسرارِ اللهِ ومغيَّباتِه في الكتبِ السّماويّة، وجميعَ ما في الكتب السّماويّة في القرآن، وجميعَ ما في القرآن في قلب القرآن وهو السّورة المباركة يس، وجميعَ ما في القلب في فاتحة الكتاب، وجميع ما في الفاتحة في بسم الله، وجميع ما في بسم الله في باء بسم الله، وجميع ما في [باء] بسم الله في النقطة تحت الباء وأنا النقطة»[٢].

١. الملاهي بمعنى آلات اللهو واللعب.

٢. إحقاق الحق وإزهاق الباطل، للقاضي نور الله التستري، ج ٧، ص ٦٠٨، وفيه عن ينابيع المودّة (ج ١، ص ٢١٣) عن الدرّ المنظّم: «اعلم أنّ جميع أسرار الكتب السماوية في القرآن وجميع ما في القرآن في الفاتحة وجميع ما في الفاتحة في البسملة وجميع ما في البسملة في باء البسملة وجميع ما في باء البسملة في النقطة التي هي تحت الباء، قال الإمام علي (كرّم الله وجهه): أنا النقطة التي تحت الباء.

تكميل للمرام السابق

[أسماء سورة الحمد ومعانيها]

اعلم أنّ أسماء هذه السورة عشرة: «فاتحة الكتاب» و«أُمّ القرآن» و«السبع المثاني» و«الحمد» و«أساس القرآن» و«الشافية» و«الشفاء» و«الصلاة» و«الكنز» و«الوافية» بالفاء.

أمّا تسميتها «الفاتحة»؛ فلكون افتتاح الكتاب والابتداء به إنّما هو بها.

وأمّا «أُمّ القرآن»؛ لأنّه لمّا انحصر الابتداء به بذلك فكأنّها أصله.

وأمّا «السبع المثاني» أمّا السبع؛ إذ هي سبع آيات بالاتّفاق، وأمّا المثاني؛ فلأنّها نزلت مرّتين لتعظيم شأنها وتبجيل[1] رتبتها مرّة في المكّة ومرّة في المدينة، أو لأنّ كلماتها مثنىً مثنىً الرحمن الرحمن، الرحيم الرحيم، إيّاك إيّاك، صراط صراط، عليهم عليهم، أو لأنّ الثناء كان مثنىً فيها وهو الرحمن الرحيم، أو لأنّها منقسمة بين الربّ والمربوبين، فإنّ نصفها ثناء له ونصفها دعاء لهم، أو لأنّها وجبت بالاستقلال في كلّ صلاة مرّتين في كلّ ركعة مرّة واحدة، أو لأنّه تبارك وتعالى استثناها لأُمّة محمّد ﷺ وجعلها ذخيرة لهم دون الأُمم السابقة والقرون السالفة.

وأمّا سورة «الحمد»؛ فلكونها مبدوءة بحمد الله عزّ وجلّ.

وأمّا «أساس القرآن»؛ فلما بيّناه في الأُمّ.

وأمّا «الشافية والشفاء»؛ لقول النبي ﷺ: «هي شفاء لكلّ داء أو شفاء من كلّ سمّ»[2].

---

١. التبجيل هو التعظيم.

٢. الكشف والبيان، ج ١، ص ١٢٨ ـ ١٢٩؛ مفاتيح الغيب، ج ١، ص ١٧٦؛ تفسير القرطبي، ج

وأمّا سورة الصلاة؛ فلقوله عليه السلام: «لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب»[١].

وأمّا سورة «الكنز» فلأنّها كنز معاني ما في القرآن وحقيقته.

وأمّا «وافية»؛ فلكون مبانيها وافية لجميع معاني القرآن على الإجمال.

فائدة

[في جزئية البسملة]

اختلف المخالف والمؤالف في أنّ التسمية[٢] هل هي جزء من السورة، أي: أنّها تعدّ آية منها أم لا؟ فذهب الأوّل إلى الثاني والثاني إلى الأوّل، والحقّ هو الأوّل؛ للأخبار التي أوردها أهل الخلاف في هذا الباب.

منها: ما رواه أبو هريرة من أنّ الرسول صلى الله عليه وآله قال:

«فاتحة الكتاب سبع آيات أوّلهنّ بسم الله الرحمن الرحيم»[٣] مضافاً إلى إجماعنا وأخبارنا، فإنّها مستفيضة.

منها: ما روي أنّه سئل أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه عن بسم الله الرحمن الرحيم أهي من فاتحة الكتاب أم لا؟ فقال:

⇦١، ص ١١٢؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ١، ص ١٨.

١. الخلاف للشيخ الطوسي، ج ١، ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨؛ عوالي اللئالي لابن أبي جمهور الأحسائي، ج ١، ص ١٩٦؛ ج ٢، ص ٢١٨؛ ج ٣، ص ٨٢؛ سنن الدارمي، ج ١، ص ٢٨٣، باب لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب؛ سنن الترمذي، ج ١، ص ١٥٦، باب ما جاء أنّه لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب؛ السنن الكبرى للبيهقي، ج ٢، ص ٦٣؛ المصنّف، ابن أبي شيبة، ج ١، ص ٣٩٦، ح ١ ـ ٤.

٢. هكذا في النسختين، والأصحّ البسملة.

٣. الكشف والبيان، ج ١، ص ٨٩؛ مفاتيح الغيب (تفسير الكبير) للفخر الرازي، ج ١، ص ٧٣.

«نعم كان رسول الله ﷺ يقرأها ويعدّها آية منها ويقول: فاتحة الكتاب هي السبع المثاني فُضِّلتْ ببسم الله الرحمن الرحيم وهي الآية السابعة»[١].

ومنها: ما يدلّ على ذلك وعلى مزيّة شأن الفاتحة ورتبتها وهو أنّه روى [الصدوق بسنده] عن الحسن بن علي عليه السلام قال: قال أمير المومنين عليه السلام:

«إنّ بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة وهي سبع آيات تمامها ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ الله عزّ وجلّ قال لي: يا محمّد، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[٢] فأفرد الامتنان بفاتحة الكتاب وجعلها بإزاء القرآن العظيم، وإنّ فاتحة الكتاب أشرف ممّا في كنوز العرش، وإنّ الله تعالى خصّ بها محمّداً وشرّفه بها ولم يشرك معه فيها أحداً من الأنبياء ما خلا سليمان، فإنّه أعطاه منها البسملة ألا ترى أنّه يحكي عن بلقيس [عن سليمان] حين قالت: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾[٣]»[٤]، انتهى.

فالحاصل: أنّ البسملة آية من الفاتحة وهي سبع آيات بإجماع الأُمّة، وقوله عزّ وجلّ: ﴿صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ إلى آخر السورة آية واحدة، فمن نذر قراءة آية منها تبرء ذمّته بقراءة البسملة ولا تبرء بقراءة ﴿صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ عندنا.

وفي فضيلة التسمية والثواب في تلاوتها أخبار كثيرة، فمنها: ما رواه عبد الله بن

١. تفسير [المنسوب إلى] الإمام العسكري عليه السلام، ص ٥٩ وعنه في بحار الأنوار، ج ٨٢، ص ٦٠.
٢. الحجر (١٥)، الآية ٨٧.
٣. النمل (٢٧)، الآية ٢٩ ـ ٣٠.
٤. الأمالي للشيخ الصدوق، ص ٢٤٠، المجلس ٣٣، ح ٣؛ عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٢٧٠.

مسعود عن النبي ﷺ أنّه قال:

«من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله له بكلّ حرف أربعةَ آلاف حَسَنَة، ومَحىٰ عنه أربعةَ آلاف سيّئة، ورفع له أربعة آلاف درجة»[١].

ومنها: ما وري عن النبي ﷺ أنّه قال:

«من قال بسم الله الرحمن الرحيم بالإخلاص والاحترام والتعظيم بنى الله له في الجنّة سبعين ألفَ قَصر مِن ياقوتة حمراء، وفي كلّ قصر سبعين ألف بيت من لؤلؤ[ة] بيضاء، وفي كلّ بيت سبعين ألف سرير من زبرجد[ة] خضراء، وفوق كلّ سرير سبعين ألف فراش من سُنْدُسٍ وإستَبْرق وعليه زوجة من الحور العين مكتوب على خَدِّها الأيمن محمّد رسول الله ﷺ وعلى خَدِّها الأيسَر عليّ عليه السلام ولي الله وعلى جَبِينها الحسن عليه السلام وعلى ذِقْنِها الحسين عليه السلام وعلى شَفَتيها بسم الله الرحمن الرحيم»[٢].

ومنها: ما نقل عن ابن عبّاس أنّه قال:

«قال رسول الله ﷺ: من قال بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم، صرف الله تعالى عنه سبعين باباً من البلاء أوّلُها الهَمّ والغَمّ»[٣].

ومنها: ما رأيته في بعض الكتب وقد كانت منقولة عن النبي ﷺ أنّه قال:

«من كانت له حاجة مهمّة أو أصابه غمّ أو همّ أو شدّة أو محنّة فليكتب في قِرطاس بسم الله الرحمن الرحيم من العبد الضعيف الذليل إلى المولى الجليل ربّ

١. الدرّ المنثور، ج ١، ص ١٠.

٢. مدينة المعاجز للبحراني، ج ٢، ص ٣٦٦.

٣. المقنع للصدوق، ص ٥٤٢ مع تفاوت يسير. والمحاسن للبرقي، ج ١، ص ٤١؛ الكافي، ج ٨، ص ١٠٩. وفي أمالي الطوسي، ص ٤١٥ عن أبي عبد الله عليه السلام.

إنّي مسّني الضُرُّ وأنت أرحم الراحمين ثمّ يُلقي القِرطاس في الماء الجاري ويقول: اللّهمّ بحقّ محمّد وآل محمّد ﷺ اكشف عنّي غمّي وفرِّج عنّي همّي يا أكرمَ الأكرمين، فإنّ حاجته تَقْضي إن شاءَ الله تعالى»(١).

ومنها: ما ورد من أنّ عبد الله بن يحيى قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن تفسيرها، فقال:

«إنّ العبد إذا أراد أن يقرأ أو يعمل عملاً ويقول بسم الله الرحمن الرحيم، أي: بهذا الاسم أعملُ هذا العمل، فكلُّ أمرٍ يعمله يَبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم، فإنّه يُبارَك له فيه»(٢).

ومنها: ما روي عن أمير المومنين عليه السلام أنّه قال:

«حدّثني رسول الله ﷺ عن الله تبارك وتعالى أنّه قال: كلُّ أمر ذي بال لا يُذكَر باسم الله فيه فهو أبتر»(٣).

فَابتداؤُنا بالمقصود مستعيناً بالله المعبود.

﴿بسم﴾

اعلم أنّ الوجه والعلّة في تحريك «الباء» التي في بسم الله مع أنّ حقَّها السكونُ؛ لأنّها حرف وهي مبنيّة بالأصل، والأغلب في البناء السكون، إنّما هو لتعذّر الابتداء

---

١. قريب منه في المصباح للكفعمي، ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣، وفي الأمان من أخطار الأسفار للسيّد ابن طاوس، ص ١٢١ عن أبي عبد الله عليه السلام.

٢. تفسير [المنسوب إلى] الإمام العسكري عليه السلام، ص ٢٥ وعنه البرهان في تفسير القرآن للبحراني، ج ١، ص ١٠٥ و١٠٦.

٣. تفسير [المنسوب إلى] الإمام العسكري عليه السلام، ص ٢٥.

به، وأمّا كسرها مع أنّ حقّ الحروف المفردة الفتح؛ لكونها خفيفة كـ«سين» الاستقبال و«واو» العطف و«فائه» ونحو ذلك، فإنّما هو للاختصاص بلزوم كونها حرفاً وجارّة، وقيل: لأنّ [الكسر] يشابه حركتها مع حركة معمولها وهي الجرّ.

ويرد عليه أنّ «الكاف» مع أنّها جارّة كانت مفتوحة فلِمَ لَم تكن مكسورة حتّى يماثل حركتها مع حركة مدخولها.

وأُجيب عنه بأنّ «الباء» كانت مكسورة لحصول الامتياز بين الجارّين أحدهما قد يكون اسماً كـ«الكاف» والآخر ما كانت حرفاً دائماً ولا تكون اسماً قطّ كـ«الباء» كما أنّ «لام» الأمر و«لامَ» الإضافة الداخلة على المُظهر كانت مكسورة للفصل بينهما وبين «لام التأكيد».

فإن قيل: لأيّ وجه لم ينعكس الأمر؟ قلت: إنّ «الكاف» لها معنيان معنى الاسمية كالكاف في قولنا: «أكرمك وبك» ومعنى الحرفية كالكاف في «ذلك» فالذي يناسب لها أن تتحرّك بأخفّ الحركات.

وقيل: الجواب عن ذلك [بأنّ حرف «الباء» مكسورة] أنّ إيثار الكسر على باقي الحركات للفرق بين «الباء» العارضية والأصلية، نحو: برّ وبحر. ومنهم من قرأ بالفتح وهذه اللغة قليلة نادرة.

فإن قيل: لأيّ شيء عملت هذه الحروف الجرّ دون الرفع والنصب؟ قلت: إنّها لمّا كانت من خواصّ الأسماء ولوازمها، من جهة أنّ مدخولها مخبر عنه في المعنى ولا يخبر إلّا عن الأسماء، فلا يكون مدخولها إلّا الأسماء وبيان ذلك: أنّ قولك: «مررتُ بزيد» معناه أنّ زيداً ممرور به، فيلزم أن يعمل ما يكون مخصوصاً بها وهو الجرّ. ولا بدّ أن يكون لكلّ جارّ ومجرور وشبهه متعلّقاً؛ لأنّها موضوعة لجذب معنى وجلبه إلى مدخولها، فوجب أن يوجد هناك حدث حتّى تجذبه وتجرّه إلى

مجرورها وهو محذوف هنا، ومنهم من قال: إنّه مذكور وهو الحمد، وعلى هذا القول يرتفع النزاع المعلوم ويندفع الإيراد المشهور ولا يحتاج إلى تكلّف آخر وهو عبارة عن حصول التعارض بين الحديثين الواردين في باب الابتداء بالبَسمَلة والحَمْدَ لَه، فيكون كلاهما مبدوءاً به أمّا البَسملة فظاهر وأمّا التحميد فلابتدائه رتبةً ومعنىً؛ لتقدّم العامل على المعمول حقيقة؛ نعم يبقى شيء آخر وهو إعمال المصدر المحلّى باللام [وهو «الحمد» في المقام] في المعمول المقدّم وجواز هذا في الظروف بيّن لما سيقرّر كما في نحو قوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾[1] والظاهر أنّ حذف المتعلّق هنا مجمع عليه لكنّهم اختلفوا في أنّه ما هو؟ فالبصريون ذهبوا إلى أنّ المقدّر هو الاسم والكوفيون إلى أنّه الفعل، ويلزم على الأوّل كون المصدر المحذوف عاملاً، وهو غير سائغ؛ لانحطاط رتبته عن الفعل، وأُجيب عنه بأنّ عمله في الظروف وما يضارعها[2] لما فيه من رائحة الفعل لا من جهة أنّه محمول عليه؛ فلذا جوّزوا تقديمها عليه كما قيل في إعمال الحمد في البسملة وذلك كثير شائع.

واختلفوا أيضاً في أنّه هل يجب أن يكون مؤخّراً أم يجوز تقديمه وتأخيره كلاهما والأخير هو المعتمد عند النحاة والأوّل [وهو وجوب التأخير] هو المعتبر عند أئمّة التفسير وعلماء المعاني والبيان؛ ضرورة أنّ تقديم المعمول يكون أدلّ على الاختصاص كما في قوله عزّ وجلّ: ﴿بسم الله مجريها﴾ وقوله تبارك وتعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[3] مع أنّه أدخل في التعظيم أيضاً، فإنّ ذات الله تعالى أهمّ واسمه مقدّم على

---

١. الصافّات (٣٧)، الآية ١٠٢. والشاهد إعمال المصدر المحلّى باللام وهو «السَّعي» في المعمول المقدّم وهو «معه».

٢. أي: يشابهها.

٣. الفاتحة (١)، الآية ٥.

القراءة، وكيف لا يكون كذلك مع أنّ الفعل لا يتمّ إلّا بعد كونه مبدوءاً باسمه عزّ وجلّ للرواية السابقة[١] فإن قيل: لِمَ لَم يكن المتعلّق مؤخّراً في قوله عزّ وجلّ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾[٢]؟ قلت: إنّه لمّا كانت هذه السورة أوّل ما أنزل الله تعالى[٣] وكان الأمر بالقراءة أهمّ، فلذا كان التقديم أولىٰ. وأمّا تعيين العامل وتشخيصه فإنّما يتعيّن بحسب ما يقتضيه المقام فيقدّر في مقام الابتداء، أبتَدأُ، والقراءة أقرَأ والعمل، أعمَلُ والكتابة، أكتُب ونحو ذلك ويسمّى الجارّ والمجرور ظرفاً على سبيل المجاز إذ الحقيقي منحصر في [الظرف] المكاني والزماني وهو لا من قبيل الأوّل ولا الأخير ولمّا انجَرَّ الكلام إلى هذا المرام وهو كونه ظرفاً لزم أن نبيّن الفرق الحاصل بين [الظرف] المستقرّ واللَّغو حتّى يفهم ضمناً أنّ ما نحن فيه من أيّ الظرفين؟ فالظرف المستقرّ ـ بالفتح ـ لا يتحقّق إلّا بعد اجتماع أمرين: الأوّل: أن يكون متعلّقه مقدَّراً والثاني: أن يكون من أفعال العامّة كالحصول والكون وغير ذلك ولو فقد أحدهما كان الظرف لغواً، وهذا الفرق هو المشهور بين الجمهور، ومنهم من قال: إنّ الفرق بينهما إنّما هو في حذف المتعلّق وذِكْره وهو مذهب السيّد، ومنهم من قال: إنّ الظرف في «باء» الملابسة التي يقال لها المصاحبة ظرف مستقرّ وفي «باء» الاستعانة لغو، وجوَّز صاحب [كتاب] اللباب[٤] والرضي اللّغويّة في الأوّل أيضاً،

١. وهي رواية رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال: «كلّ أمرٍ ذي بال لا يُذكر باسم اللهِ فيه فهو أبتر». تفسير [المنسوب إلى] الإمام العسكري عليه السلام، ص ٢٥.

٢. العلق (٩٦)، الآية ١.

٣. انظر: مجمع البيان، ج ١٠، ص ٧٨٠. قال الطبرسي: «أكثر المفسّرين على أنّ هذه السورة أوّل ما نزل من القرآن وأوّل يوم نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله ...».

٤. وهو كتاب اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقا العكبري (م / ٦١٦ هـ) ولم أعثر على ما نقل المؤلّف عنه.

وتسمية ذلك الظرف بالمستقرّ لأجل استقرار العامل فيه وانفهامه منه بلا قرينة. والأصل «مستقرّ فيه»، حذف «فيه» تخفيفاً أو لتعلّقه بالاستقرار العامّ بخلاف اللّغو؛ إذ لا يفهم العامل منه إلّا بالقرينة الخارجية فكأنّه ملغاة. فعلى القولين أنّ الأوّل ممّا له محلّ من الإعراب فيقع خبراً وحالاً وصفة والثاني لا محلّ له منه؛ فلذا قيل: إنّ هذا الجارّ والمجرور معاً أو الأخير خاصّةً على اختلاف القولين، له محلّ من الإعراب؛ أمّا النصب على أنّه مفعول للمقدّر، أو الرفع على كونه خبراً للمبتدأ المحذوف وما روي عن الكسائي من كون «الباء» [في البسملة] زائدة والاسم مرفوع المحلّ على أنّه خبر لمبتدأ محذوف وكان التقدير أوّل ما أبتدأ به اسم الله تعالى، فهو أوهن من بيت العنكبوت؛ إذ لم توجد زيادة «الباء» في خبر المبتدأ أصلاً. و«الباء» إمّا للاستعانة كما في نحو: «كتبت بالقلم» أو المصاحبة كما في نحو: «دخلت بثياب السفر» فالمعنى أنّ باستعانة اسم الله عزّ وجلّ أبتدأ، أو بمصاحبة اسم الله أقرأ والأُولى [وهي الاستعانة] هو الأولى؛ لأنّها مُشعرة بأنّ ذكر ذلك الاسم عند ابتداء الأشياء، ذريعة إلى وقوعها على أكمل الوجه وأتمّها حتّى كأنّها لا يتأتّى بدون ذكره والثانية عارية عن ذلك الإشعار. والهمزة الثابتة في الاسم محذوفة من اللفظ والخطّ معاً أمّا الوجه في عدم التلفّظ فظاهر؛ لأنّها همزة وصل كابن وابنت وامرء واثنان وغيرها، وأمّا في عدم الكتابة لكثرة الاستعمال.

فإن قيل: ما الوجه في عدم حذف «همزة» قوله تعالى: ﴿إقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[1] مع أنّ هذه العلّة موجودة فيه أيضاً؟ قلت: إنّ الكثرة الحاصلة فيها في تلك الآية ليست كالكثرة الحاصلة في التّسمية.

---

١. العلق (٩٦)، الآية ١.

وإنّما قال: «بِسْمِ اللهِ» ولم يقل: بالله؛ لأنّ الاستعانة إنّما هي بذكر اسمه. وإنّما طُوِّلتْ «الباء» في الكتابة؛ لأنّ طول الهمزة المحذوفة أُعطيت لها عوضاً عنها. وقيل: للتفخيم في أوّل الكلام.

واختلفوا في اشتقاق «الاسم» فالبصريون قالوا: بأنّه مشتقّ من السموّ وهو العلوّ والرّفعة؛ لأنّه يرفع الإبهام عن المسمّى وأصله سُمْوِ بضمّ «الفاء» [أي: فاء الفعل وهي السين] وكسر «اللام» فحذفت عَجزه لكثرة الاستعمال ثمّ نقلت كسرة «اللام» إلى «العين» [أي: عين الفعل وهي الميم] وسكونها [أي: سكون العين] إلى «الفاء» فصار أوّلها ساكناً فأُدخلت عليه همزة الوصل؛ لتعذّر النطق بالساكن في أوّل المرتبة، ولأنّ من دِيدَنِ[1] العلماء أنّهم يبتدؤن بالمتحرّك ويقفون على الساكن، ويجمع على أسماء وأسامي، ويأتي تصغيره على وزن سميّ، ويجيء الاسم منه على وزن هدى، نحو سمى على لغةٍ، وفيه ستّة لغات كما ذكر في مقامه.

والكوفيون زعموا أنّه مشتقّ من السِّمة وهي العلامة؛ لأنّه علامة لإشعار المسمّى وأصله «وَسْم» حذف أوّله وعوّض عنه «همزة الوصل» لثقل إعلاله، والحقّ هو ما ذهب إليه البصريون؛ لأنّه لو كان مشتقّاً من الوسم للزم أن لا يصغّر على وزن سميّ بل على وزن وسيم؛ إذ التصغير يردّ الأشياء إلى أُصولها، فعدم الإتيان بهذا الطريق دالّ على بطلان مذهب الكوفيين.

﴿الله﴾

اعلم أنّ الأبحاث والتحقيقات المتعلّقة بهذا اللفظ كثيرة وقد أشرنا إلى بعضها إجمالاً في لطائف:

---

١. في نسخة «ب»: ديدان وهي العادة.

اللطيفة الأُولى ـ في كيفية كتابة هذا اللفظ: يجب إبقاء «لام التعريف» في الخطّ على ما هو الأصل كما في باقي الأسماء وكذا في التلفّظ، فحذف ألفه لفظاً لحن وتفسد الصلاة بذلك قطعاً، بل لا ينعقد به صريح اليمين شرعاً، وأمّا الوجه في حذف «الألف» قبل «الهاء» إمّا لأنّ أهل العرف يعدّون اجتماع الحروف المتماثلة في الصورة عند الكتابة كريهاً، أو لأنّه لو لم يحذف منه ذلك لشابه «اللات» في الكتابة. ومن اللطايف التي ذكرها القوم في تأليفاتهم في حروف هذا الاسم هي، أنّه بعد التصرّف فيه يبقى أربعة أحرف في التلفّظ «ألف» و«لامان» و«هاء» وأنّك لو أسقطت «الهمزة» بقي صورته ﴿لِلّٰهِ جُنُودُ السَّمٰاوٰاتِ وِالْأَرْضِ﴾[1] وإن تركت من الباقي «اللام» الأُولى بقي البقية على صورة ﴿لَهُ مٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَالْأَرْضِ﴾[2] ولو سقطت «اللام» الباقية بقي «الهاء» مضمومة على صورة ﴿قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ﴾[3] والواو الزائدة حصلت من إشباع الضمّة بدليل سقوطها في التثنية والجمع هُما، هُم.

أيّها العاقل الطالب والكامل الراغب أُنظر إلى لطافة هذا الاسم وتقدّسه عن النقصان وتأمّل في صمدية مسمّاه واتّصافه بالصفات العظمى والأسماء الحسنى والأفعال العليا من كمال القدرة والعظمة والجلال وتنزّهه عمّا يوهمه العميا من النقصان والزوال وتفكّر في ترفّعه عن التعطيل والقصور في إفاضة الجود والرحمة على الورى[4]. ألا ترى إلى ما نقل «أنّ فرعون قبل أن يدّعي الإلهية أمر أن يكتب بسم الله على بابه الخارج فلمّا ادّعى الإلهية وأرسل الله إليه موسى ودعاه فلم يَرَ به

---

١. الفتح (٤٨)، الآية ٧.

٢. البقرة (٢)، الآية ١١٦؛ النحل (١٦)، الآية ٥٢؛ الحشر (٥٩)، الآية ٢٤.

٣. الإخلاص (١١٢)، الآية ١.

٤. الوَرى: الخلق.

أثر الرشد وقال [موسى عليه السلام]: إلهي كم أدعوه ولا أرى به خيراً فقال الله تعالى وتقدّس: لعلّك تريد إهلاكه أنت تنظر إلى كفره وأنا أنظر إلى ما كتبه على بابه»[١]، انتهى. فالسِّرّ في ذلك هو أنّ من كتب هذه الكلمة على بابه الخارج كان آمناً من العذاب في ذلك البيت وإن كان كافراً فكيف يكون معذّباً من كتب ذلك على سويداء قلبه وكان ذلك كثيرَ ذكره من أوّل عمره إلى آخره مع إخراج غيره تعالى من القلب بالتوجّه إلى ذلك الجناب.

اللطيفة الثانية ـ في أنّه من أيّ لغة؛ عربي أم عبري أم سَرياني، وفي أنّه اسم أو صفة، جامد أو مشتقّ؛ اختلفت أقوال الفحول وآراء أرباب العقول، واضطربت أنظار علماء النقول وأفكار أصحاب الأبنية والأُصول في لفظ الجلالة كما تحيّرت أذهان العقلاء في مدلولها واضمحلّت أفكارهم في مفهومها فقيل: إنّه عبري وقيل: إنّه سرياني أصله «لاهاً» فعرّب بحذف «الألف» الأخيرة وإدخال «الألف واللام» عليه ثمّ أُدغم اللامين بالآخر فصار «الله» ومنهم من قال: إنّه عربي أصله «إله» حذفت الهمزة وعوّض عنها «الألف واللام» فصار ذلك ومن ثَمّ لم يجز إسقاطها حال النداء.

و«الإله» من أسماء الأجناس كالرجل والفرس فيصدق على كلّ معبود حقّاً كان أم باطلاً ثمّ غلّب على المعبود بحقّ كما غلّب النجم على الثريا والبيت على الكعبة والمدينة على شهر [مدينة] رسول الله صلى الله عليه وآله والسَّنَةُ على عام القحط. وأمّا «الله» بعد حذف الهمزة فمختصّ بالمعبود الحقّ ولا يصلح أصلاً أن يطلق على غيره ويوصف به سواه بل يصدق على الذات المخصوصة وتوصف به خاصّة.

واختلفوا أيضاً في أنّه اسم أو صفة، فالمنصور عند الجمهور من النحاة كالخليل

---

١. مفاتيح الغيب للرازي، ج ١، ص ١٦٨.

وأتباعه بل المشهور عند أكثر الأُصوليين والفقهاء هو أنّه جامد وعلم للذات المستجمعة والمقدّسة لوجوه:

منها: أنّه لو كان مشتقّاً لكان معناه كلّياً لا يمتنع صدقه على كثيرين فلا يكون قولنا لا إله إلّا الله مفيداً للوحدانية بل يستلزم إمّا أن يكون الاستثناء كذباً أو عن نفسه ولا موجباً للتوحيد ولا يدخل الكافر به في الإسلام، كما لا يدخل فيه بالإجماع لو قال: أشهد أن لا إله إلّا الرحيم وإلّا الملك.

وأورد عليه: أنّه لِمَ لا يجوز أن يكون أصله وصفاً ثمّ نقل إلى العلمية.

ومنها: أنّ العقل يقتضي أن تذكر الذات أوّلاً ثمّ الصفات نحو زيدٌ العالم ولذا يقال: الله الرحمن الرحيم ولا يقال بالعكس فإتيان الوصف للفظ الجلالة وأنّه لا يوصف به، دالّ على أنّه عَلَمٌ.

واعترض عليه: بأنّ هذا لا يدلّ على المطلوب لعدم استلزامه العَلَمية؛ إذ يمكن أن يكون اسم جنس أو صفة تقوم مقام العلم في كثير من الأحكام.

ومنها: أنّه سبحانه يُوصف بصفات مخصوصة عديدة فلا بدّ أن يكون له اسم خاصّ تجري عليه تلك الصفات.

وأُورد عليه الاعتراض السابق.

وأمّا القائلون بالاشتقاق فمستندهم أُمور: أحدها: قوله عزّ وجل: ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمٰوٰاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾[1]؛ إذ لو كان عَلَماً لم تُفِد الآية معنىً صحيحاً؛ لأنّ المعنى الجامد لا يصلح للتقييد بالظروف وغيرها بخلاف المعنى الوصفي؛ فإنّه لا يقال: زيد في البلد وعمرو في المجلس وإنّما يقال: هو العالم في البلد والواعظ في المجلس.

١. الأنعام (٦)، الآية ٣.

والجواب أنّ الاسم يمكن أن يلاحظ معه معنى الذي اشتهر مسمّاه بـه فـيصحّ التقيّد بالظروف كما في قمر وأسد على أنّهما مـتضمّنان مـعناً آخـر وهـو المـنير والمقبل، وأمّا لفظ الجلالة المذكور في الآية فإنّه لوحظ معنى المعبود بالحقّ لكونه لازماً لمسمّاه وهو مشتهر به.

والثاني: أنّه لمّا كانت الإشارة في حقّه تعالى ممتنعة كان العلم أيضاً ممتنعاً.

والثالث: أنّ وضع الأعلام إنّما هو للتميّز وهنا لا مشاركة فلا حاجة إلى ذلك.

والجواب عن الوجهين واضح؛ لأنّ وضع الأعلام لتعيّن الذات فلا حاجة فيه إلى الإشارة الحسّية، ولا يتوقّف وضعه على حصول الشركة.

والرابع: أنّ ذاته تعالى من حيث هي غير معقولة للبشر فلا يمكن أن يدلّ عليها بلفظ.

وأُورد عليه: ما ذكره بعض المحقّقين من أنّ أقصى ما يلزم منه عدم تمكّن البشر من وضع الاسم له جلّ وعلا ولذلك يثبت مدّعاكم، وقد صحّ أنّ أسماءه ـ جلّ شأنه ـ توقيفية كالأحكام فلِمَ لا يجوز أن يضع هو اسماً لذاته المستجمعة لجميع الصفات والكمالات والمقدّسة عن جميع العيوبات والمنزّهة عمّا يلائم المخلوقات، مع أنّ القول بعدم تمكّن البشر من وضع العَلَم محلّ كلام؛ لأنّه يكفي في وضع الاسم تعقّل المسمّى على وجه يمتاز عمّا عداه وهو هاهنا موجود فلأيّ شـيء لا يـمكن أن يجعل له عَلَماً؟

قال بعض الأفاضل: إنّ النزاع بين الفريقين يشبه أن يكون نزاعاً لفظياً غير مؤدّي إلى طائل؛ إذ القائلون بالاشتقاق متّفقون على أنّ الإله اسم جنس يطلق على كلّ معبود ثمّ غلب على المعبود بالحقّ كما مرّ آنفاً وأمّا الله بعد التصرّف فيه فمختصّ بالمعبود الحقّ لم يطلق على ما عداه ولم يفهم منه سواه وهذه خواصّ العِلم.

واختلف هؤلاء الفرقة في المشتقّ منه فمنهم: من قال: إنّ أصله أَلِهَ إلٰهةً بمعنى العبادة؛ لأنّ الذات الواجب الوجود هو المعبود المستجمع لجميع صفات الإلهية والمقدّس عن جميع النقائص الإمكانية التي لا تنبغي بها للذات الأحدية، وهذا هو المشهور عند الجمهور.

وقيل: إنّه مشتقّ من أَلَهتُ إلى فلان، أي: سكنتُ. وهذا المعنى لا يتحقّق أيضاً إلّا إلى ذلك الجناب إذ النفوس لا تسكن إلّا إليه ﴿أَلاٰ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبَ﴾[1]؛ لأنّه غاية الحركات وهو موضع الحاجات وإليه تنتهي الرغبات.

وقيل: من «الوَلَه» بمعنى ذهاب العقل؛ لأنّ هذا ثابت للذوات حقيقةً بالنسبة إلى جاعلَ النور والظلمات وبديع الأرض والسماوات، وكان أصله «وِلاه» فقلبت «الواو» همزة لاستثقال الكسرة عليها كما في أعاد وأشاح.

ويرد عليه: أنّ الجمع يأتي على آلِهة دون أُولِهة.

وقيل: مِن «لاه» وهو الارتفاع؛ لأنّه تعالى مرتفع عن شوب مشابهة المصنوعات ومتعال عن جميع النقائص والعيوبات، بل المناسبة منتفية برأسها بينه وبين الممكنات تعالى الله عن أن يحوم حول إدراكه فكر أو قياس وينال ذاته عقل أو وهم أو حواسّ.

وقيل: من «إله الشيء» إذا تحيّر فيه؛ لأنّ العقول متحيّرة بين الأقدام في معرفة ذاته وليس لهم إلّا الإقرار بوجود واجب الوجود المتّصف بالجمال والكمال، وإلّا الاعتراف بالعجز عن إدراك ذات ذي الجلال.

وقيل: من «لاهَ يَلُوه» إذا احتجب؛ لأنّه تبارك وتعالى كان محجوباً عن إدراك

١. الرعد (١٣)، الآية ٢٨.

الأبصار بل هو مدركها.

وقيل: من «أله الفصيل» إذا وَلَعَ بأُمّه؛ لأنّ العبيد يتضرّعون ويفزعون إليه في البليات كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾[1][2].

اللطيفة الثالثة ـ في أنّه [أي: لفظ الجلالة] الاسم الأعظم: اختلف الفضلاء القائلون بوجود الاسم الأعظم على وجوه: منهم من قال: هو «ذو الجلال والإكرام» متمسّكين بالروايات[3].

ومنهم من قال: إنّه «الحيّ القيّوم» لما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال:

«لمّا كان يوم بدرٍ قاتلت ثمّ جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أنظر إلى ما يصنع؟ قال: فجئت فإذاً هو ساجد يقول: يا حيّ يا قيّوم ولا يزيد على ذلك ثمّ رجعت إلى القتال ثمّ جئت وهو يقول ذلك فلا أزال أذهب وأرجع وأنظر إليه ولا يزيد على ذلك إلى أن فتح الله»[4].

وغير ذلك من الأخبار والروايات الدالّة على ذلك، بعضها صريحاً وبعضها ضمناً.

ومنهم من قال بأنّ اسم الأعظم غير منحصر في واحد واثنين بل إنّ الأسماء كلّها عظيمة ولا تفاوت بينهم. والنصوص الدالّة على أعظمية اسم من الآخر، تدفع هذا

---

١. الروم (٣٠)، الآية ٣٣.

٢. انظر: البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي، ج ١، ص ٢٨ و٢٩؛ المفردات، للراغب الإصفهاني، ص ٨٢؛ مفاتيح الغيب، ج ١، ص ١٦١؛ تفسير البيضاوي، ج ١، ص ٣٣؛ تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٢١.

٣. انظر: مفاتيح الغيب، ج ١، ص ١١٥ وتفسير القرآن الكريم لصدر المتألّهين، ج ٤، ص ٣٧.

٤. السنن الكبرى للنسائي، مع تفاوت يسير، ج ٦، ص ١٥٧، الرقم ١٠٤٤٧ ومسند أبي يعلى، ج ١، ص ٤٠٤؛ المستدرك للحاكم النيسابوري، ج ١، ص ٢٢٢؛ مجمع الزوائد للهيثمي، ج ١٠، ص ١٤٧.

القول. وما وردت من الأخبار والآثار الدالّة على تفضيل بعض الأسماء، وتخصيص بعض الآيات وكثرة الثواب في تلاوتها، المذكورة على ألسنة الرواة والمثبتة في كتب الأحاديث، المروية من الأسانيد العامّية والخاصّية المنسوبة إلى سادات الأمّة ورؤساء العصمة والإمامة وأهل بيت النبوّة والولاية عليهم السلام، أكثر من أن يُحصى؛ فلا مجال لإنكار ذلك.

ومنهم من قال: إنّ الأسماء العظيمة «لفظ الجلالة» وهو الحقّ؛ لأنّك بعدما علمت أنّه علم للذات الصمدية المستجمعة للصفات الثبوتية الكمالية والمبرّاة عن الصفات السلبية وهو دالّ على الذات المخصوصة الأحدية لا غير، وهذا المقام غير ثابت لاسم من الأسماء العظام؛ لعدم دلالته على ما دلّ عليه هذا الاسم إلّا على سبيل الالتزام. ويؤيّد هذا القول ما روي عن أسماء بنت زيد أنّها روت عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «الاسم الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وٰاحِدٌ لاٰ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ﴾[1] وفاتحة سورة آل عمران: ﴿اللهُ لاٰ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ ...﴾[2]»[3]، وعن بريدة «أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سمع رجلاً يقول: اللّهمّ إنّي أسألك بأنّي أشهد أن لا إله إلّا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فقال:

«والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسم الأعظم إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به

١. البقرة (٢)، الآية ١٦٣.
٢. آل عمران (٣)، الآية ٢.
٣. بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٢٢٦؛ سنن الدارمي، ج ٢، ص ٤٥٠؛ سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ١٢٦٧، الرقم ٣٨٥٥؛ سنن أبي داود، ج ١، ص ٣٣٥؛ سنن الترمذي، ج ٥، ص ١٧٩؛ المصنّف لابن أبي شيبة، ج ٧، ص ٥٧؛ ج ٨، ص ٣٠٨؛ مسند ابن راهويه، ج ٥، ص ١٨٣ ـ ١٨٤.

أعطى»[١].

ولا شكّ أنّ الاسم في الآيتين والحديث أصل والصفات مرتّبة عليه.

فالحاصل: أنّ شرافة اسم وعظمته على الآخر باعتبار شرافة مدلوله بأحد الدلالات الثلاثة، فمن تفكّر في مدلول لفظ الجلالة بحسب الدلالة المطابقة وهو الذات المستجمعة لجميع الصفات الجمالية والجلالية وعلم بأنّه لا يوجد في الأسماء اسم، له هذه الجامعية في الدلالة على جميع الصفات الكمالية إلّا هو حكم بأنّه الأعظم. والأقوال في هذا المرام ممّا لا يسعه المقام أن تذكر بالتفصيل والتّمام.

اللطيفة الرابعة ـ في أنّ هذا الاسم هل هو عين ذاته أو غيرها.

اعلم أنّهم اختلفوا في هذا المرام بأنّ الاسم هل هو غير المسمّى أو عينه؛ فذهب الأشاعرة إلى الأوّل والمعتزلة إلى الثاني، وأمّا المتأخّرون من نحارير أهل الكلام فقد تحيّروا في هذا المقام حتّى جزم بعضهم أنّ البحث فيه لفظي، بل إنّ الخلاف بلا ثمر والنزاع بلا أثر. والحقّ هو الأوّل؛ لأنّ الجاهل لا يشكّ ولا يرتاب في أنّ لفظ الأسد ليس حيواناً مفترساً ولا لفظ الأسود قابضاً للبصر ولا لفظ النار محرقاً ولا التلفّظ بالعسل والشكر يوجب الحلاوة فضلاً عن الفاضل الكامل فلذلك قال الفقهاء: إنّ من عبد الأسماء خاصّة فقد عبد غير الله عزّ وجلّ وكان كافراً ومن عبد الاسم والمعنى كليهما فقد عبد الاثنين وكان مشركاً ومن عبد الصور والأجسام الحاصلة

١. بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٢٢٤؛ المسند لأحمد بن حنبل، ج ٥، ص ٣٤٩؛ ٣٥٠؛ ٣٦٠؛ سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ١٢٦٧ ـ ١٢٦٨، الرقم ٣٨٥٧؛ سنن أبي داود، ج ١، ص ٣٣٥، الرقم ١٤٩٣؛ المستدرك للحاكم، ج ١، ص ٥٠٤؛ المصنّف لابن أبي شيبة، ج ٧، ص ٥٧، ج ٨، ص ٣٠٨؛ مسند ابن راهويه، ج ٥، ص ١٨٥؛ السنن الكبرى، ج ٤، ص ٣٩٥؛ صحيح ابن حبّان، ج ٣، ص ١٧٣ ـ ١٧٤.

في الوهم والخيال فقد كان زنديقاً. فلا بدّ للعابد أن يعبد المعنى بدلالة الاسم عليه ويعتقد به قلبه وينطق به لسانه في السرّ والعلن كما قال أبو جعفر عليه السلام:

«إنّ ذلك ديني ودين آبائي عليهم السلام»[1].

واستدلّ بعض الأشاعرة على إثبات هذا الأمر: بأنّ اللفظ عَرَضٌ ممكن والمسمّى قد يكون جوهراً بل واجباً.

واحتجّت المعتزلة بأمرين:

الأوّل: قوله تبارك وتعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ﴾[2].

وفيه: نظر؛ إذ كما يجب علينا أن ننزّه ذاته جلّت عظمته عن جميع صفات النقصان، فكذا يجب تقديس اسمه عن سوء الأدب.

والثاني: أنّ النكاح والطلاق يقعان شرعاً بالحمل على الأسماء.

وفيه: نظر؛ إذ المراد الذات التي يعبّر عنها بهذا اللفظ.

بصيرة

إعلم، أنّ لفظ الجلالة مجرور بإضافة الجارّ والمجرور إليه [في بسم الله] واختلفوا في أنّ المضاف إليه هل هو المضاف أو حرف جرّ المقدّر فالأوّل مذهب سيبويه والثاني الزجّاجي. وهذه الإضافة معنوية بمعنى «اللام»؛ لأنّ الإضافة في عرف النحاة كما حقّقوها، منحصرة في قسمين: معنوية ولفظية؛ إذ هي لا تخلو إمّا أن تفيد التعريف أو التخصيص أو لا. فالمفيد عبارة عن الأوّل وما لم يفد عبارة عن

---

١. لعلّه إشارة إلى ما نقله أبو شعبة الحراني في تحف العقول عن الإمام أبي جعفر عليه السلام، ص ٣٢٦.

٢. الرحمن (٥٥)، الآية ٧٨.

الثاني وهو مقصود في ثلاثة أماكن كما ذكره الجمهور أحدها: إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله لو كان بمعنى الحال والاستقبال نحو «ضارب عمرو الآن أو غداً».

وثانيها: إضافة اسم المفعول إلى ما كان نائباً مناب فاعله إذا كان بمعنيهما أيضاً نحو «معمول الدار غداً أو الآن».

وثالثها: إضافة الصفة المشبّهة إلى فاعله نحو «حَسَنُ الوجه». ومنهم من جعلها عبارة عن الأوليين وأخرج إضافة الأخيرة منها إذ اللفظية إضافة الصفة إلى معمولها، ومنهم من زاد على الثلاثة إضافة أفعل التفضيل أيضاً نحو «أفضل القوم» وقال بأنّها منحصرة في أربعة أنواع.

والمستفاد من هذا الكلام أنّ ما خلا هذه الأقسام يكون معنوياً.

فثَبَتَ أنّ إضافة الاسم إلى الله معنوية لا لفظية، ولأنّ الإضافة المعنوية التي هي الأصل فيها تنقسم على ثلاثة أقسام إمّا أن يكون بمعنى «اللام» أو «من» أو «في»، ضرورة أنّ المضاف إليه لا يخلو فيها إمّا أن يكون ظرفاً للمضاف أم لا فالأوّل متضمّن معنى «في» نحو «قتيل الطفّ» و«مكر الليل» وهذا القسم قليل. والثاني إمّا أن يمكن حمل المضاف إليه على المضاف أم لا فالأوّل يكون بمعنى «من» نحو «خاتم فضة» والثاني بمعنى «اللام» نحو «دار زيدٍ»، فالمضاف إليه فيما نحن فيه لمّا لم يكن ظرفاً ولا يجوز حمله على المضاف، تَعيَّن أنّه من قبيل الثالث لا من الأوّل ولا من الثاني.

فحاصل المرام في هذا المقام: أنّ الله عبارة عمّن يفزع ويتوجّه إليه عند الحوائج والمكاره والشدائد كلّ مخلوق، فهو المرجوّ لو انقطع الرجاء من جميع من عداه، والمدعوّ لو انقطعت الأسباب عن كلّ من سواه، كما يدلّ على ذلك ما قاله رجل للصادق عليه السلام: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله، دلّني على الله ما هو؟ فقد أكثر المجادلون عليّ

وحيَّروني فقال أبو عبد الله:

«هل ركبت سفينةً قطّ؟

قال: بلى فقال: هل كسرت بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تعينك؟

قال: بلى.

فقال: هل تعلّق قلبك هنالك أنّ شيئاً من الأشياء قادر على تخليصك من ورطتك؟

قال: بلى.

فقال: فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حين لا مُنجي وعلى الإغاثة حين لا مُغيث»[1]، انتهى.

﴿الرحمن الرحيم﴾

اختلفوا فيهما. فمنهم من قال: إنّهما صفتان مشبّهتان كالسَّلمان والسَّليم، مِنْ سِلْم. بُنيا من رَحِمَ بالكسر، فلمّا كانت الصفة المشبّهة لا تشتقّ إلّا من لازم فنقلناه إلى رَحُمَ بالضَّمّ فصار من الطبيعيات كَكَرُمَ ليصحّ الاشتقاق، وأنّ كليهما [أي الرحمن والرحيم] بمعنى واحدٍ وهو ذو الرحمة الكثيرة، والجمع بينهما إنّما هو للتأكيد والمبالغة.

ومنهم من قال: إنّهما مشتقّان ممّا قيل لكنّ مَعنَيْهما ليسا بواحد بل «الرّحمن» أبلغ وأشدّ مبالغة من «الرحيم»؛ لأنّ زيادة المباني توجب زيادة المعاني، كما في قَطَعَ وقَطَّعَ والعلّام والعليم وكُبَار وكُبّار؛ وذلك لأنّ الرحمة في قولنا يا «رحمن

---

١. التوحيد للصدوق، ص ٢٣١ وفي المصدر «تغنيك» بدل «تعنيك».

الدنيا» عبارة عن النِعَم الدنياويّة من الحواسّ الظاهرية والباطنية والعلوم والإدراكات ونحو ذلك ممّا ينتظم به أساس التَعيُّش، وذلك شامل للمؤمنين والكافرين والصالحين والطالحين والموافقين والمنافقين وفي قولنا يا «رحيمَ الآخرة» مختصّة بالطائفة الأُولى لا الأخيرة؛ لأنّها عبارة عن النِعَم الأبدية والسَّعادات السَّرمدية من التفضّلات الإلهية والشّفاعات إمّا من قِبَل الله تعالى أو بذريعة أنبيائه أو أوليائه أو من يتقرّب إليه من خُلَّص عِباده.

فالحاصل: أنّ «الرحمن» لفظهُ خاصّ لأنّه عبارة عن المنعم الحقيقي البالغ في الرَّحمة غايتها لا يصدق على غيره ولا يطلق على من عداه ومعناه عامّ لشموله على كِلتا الطائفتين و«الرحيم» عكسه، أي: كان لفظه عامّاً لصحّة إطلاقه على ما سواه ممّن يرحم، ومعناه خاصّاً لإختصاص الرَّحمة الأُخروية بالأُولى خاصّة وهي عبارة عن المغفرة مع ما ذكرناه لك. و«الرحمة» معناها لغةً، الإلطاف ورقّة القلب والإعطاف الذي يقتضي التفضّل والإحسان ومنه الرَّحِم لانعطاف الأُمّ على ما فيها.

وإنّما قدّم الرحمن مع أنّ القياس مقتضٍ؛ لأن يترقّى مِن الأدنى إلى الأعلى؛ لأنّ الرَّحمة الدنيويّة مقدّمة على الأُخروية ولأنّ هذا اللفظ لمّا كان لا يوصف به سوى الله عزّ وجلّ ولا يطلق على غيره صار كالعَلَم، ولو كان مجازاً فتقديم المختصّ أولى من المشترك، ولأنّه لمّا كان دالاًّ على أُصول النعم وجسامها وجلائلها، ذكر الصفة الأخيرة بعد ذلك حتّى يكون شاملاً لما عداها وخرج منها فيكون كالتتمّة لذلك الوصف.

وأمّا تخصيص البسملة بالوصفين من بين الصفات العظمى إنّما هو للتنبيه على

مضمون «سَبَقَتْ رحمتي غضبي»[١]، وأمّا تخصيصها بالأسماء الثلاثة إنّما هو ليحصل جميع مقاصد الإنسان؛ إذ له ثلاثة أشياء: قلب ونفس وروح، فكلّ واحد منها طالب لشيء أمّا «القلب» فهو طالب المعرفة والإيمان، وأمّا «النفس» فطالب للرزق والإحسان، وأمّا «الروح» فطالب العفو والغفران والجنّة والرضوان، فالمطالب الثلاثة حاصلة بهذه الأسماء، أو ليعلم الفطن العارف أنّ وجه الاستعانة بذكر اسمه في جميع الأعمال والأفعال والأقوال والأحوال، هو كونه واجب الوجود والمحمود المعبود الذي معطي النعم كلّها جليلها وحقيرها دنيوية كانت أو أُخروية، حتّى يتوجّه إلى جنابه حقّ التوجّه والإقبال، ويفوّض إليه مطالبه ومآربه ومشاغله، ويتوكّل عليه في جميعها، ويتمسّك بالحبل المتين. ويعتصم بالعروة الوثقى، ويشغل سرّه ونجواه بذكره ويقطع آماله عن الخلائق ويرغب إليه ولا يرغب عنه؛ إذ به يستغنى ولا يستغنى عنه وبقدرته تذلّ الصعاب وبلطفه تتسبّب الأسباب[٢] ومن فضله تمحى الذّنوب والخطيئات وإليه تنتهي الحاجات وعنده نيل الطّلبات وبطوله ترتفع الدرجات.

اللّهمّ اجعلنا من المفوّضين إليك والمتوكّلين عليك والسّالكين في مسالك اليقين والواصلين إلى الحقّ المبين والمحروسين من حيل الشيطان والمحفوظين من الخطأ في القول والعمل والإذعان والممهّدين لقواعد الدين والمروّجين لقوانين الهداة المهديين بحرمة أشرف الأوّلين والآخرين وعترته المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

---

١. وهو قوله عليه السلام: «يا من سبقت رحمته غضبه» انظر: الصحيفة السجّادية، ص ٣٤٥.

٢. كلامه مأخوذ من الدعاء السابع للصحيفة السجّادية حيث قال سيّد الساجدين عليه السلام: «ذَلّتْ لِقُدرتِك الصِّعاب وتَسبَّبَتْ بلُطفِكَ الأسباب».

أمّا «الألف واللام» الداخلة على هذين الوصفين [أي: الرحمن والرحيم] يمكن أن تكون بمعنى الذي بنيٰ، على ما قاله بعض النحويين من أنّ الألف واللام في جميع الصفات موصولة. وإعراب الاسمين: إمّا «الجرّ» على أنّهما صفة للمضاف إليه.

فإن قيل: كيف يكون «الرحمن» مجروراً مع أنّه غير منصرف؟

قلت: أوّلاً: لا نسلّم أنّه غير منصرف بل هذا أوّل النزاع الواقع بين النحاة في أنّ الشرط في فَعلان هل هو انتفاء فَعلانة أو وجود فَعلىٰ، ولو كان الثاني شرطاً كان منصرفاً وإن كان الشرط هو الأوّل ثبت مدّعاكم مع أنّه غير معلوم.

وثانياً: سلّمنا ذلك؛ لأنّه الأظهر إلحاقاً له بما هو الأغلب والأشهر في بابه لكن لا نسلّم أنّه لم يكن مجروراً أصلاً وأنّ الفتح علامة الكسر مطلقاً نعم، كان كذا ما لم يدخل عليه الألف واللام فإذا دخل كان بالكسر.

وقيل: إنّ «الرحمن» بدل لا نعت و«الرحيم» صفة له لا للمبدل منه إذ لا يجوز تقديم البدل على الصفة أو «الرفع» على أنّهما خبر مبتدأ محذوف وهو «هو» أو النصف[1] على أنّهما مفعولان للمقدّر وهو «أعني»، والوجهان كلاهما خلاف الأصل فيكونان في الأخيرين نعتين مقطوعين.

﴿الحَمدُ لِلّهِ﴾

الحمد له معنيان:

أحدهما: لغوي وهو الثناء على الجميل الاختياري نعمةً كان أو غيرها واحترزنا بالجميل عن الوصف على القبيح كوصف الشيطان بالرجيم والأُمراء بالبغي،

---

١. وكذا في النسختين والصحيح «النصب».

وبالاختيار عن غيره كوصف اللؤلؤ بالصفاء فخرج المدح عن التعريف، وبالترديد في المتعلّق، خرج الشكر عنه وإن كان يمكن أن يخرج عنه بذكر الثناء خاصّة أيضاً.

و[معنى] الآخر: عرفي وهو فعل مشعر عن تعظيم المُنعم من حيث إنّه كذا سواء كان بالقول أو بالعمل أو بالإذعان، وأمّا حمد الله سبحانه عزّ وجلّ على بعض صفاته فآئل[1] إلى أنّه بإزاء الآثار الصادرة عن تلك الذات الشريفة بالاختيار التي كانت عَيَّنها بناءً على ما هو الحقّ. و«الذمّ» نقيض الحمد و«الكفران» نقيض الشكر.

و«الشكر» له معنيان: أيضاً أحدهما: لغوي وهو الثناء على الجميل الاختياري في مقابلة النّعمة قولاً وعملاً واعتقاداً.

والثاني: اصطلاحي وهو صَرْف العبد جميع ما أنعم الله تعالى عليه فيما خلق لأجله، والمدح عبارة عن الثناء على الجميل مطلقاً ولم يثبت له اصطلاح أصلاً، فالثناء أعمّ من هذه الثلاثة ولكلّ واحدة منها فصول وخواصّ.

والمراد من الجميل الاختياري، الصفات الحسنة والأفعال الوجيهة والأعمال الطيّبة والأخلاق الجميلة التي تصدر عن فاعلها مع كونه مختاراً لا مضطرّاً في الصدور كشرارة النّار وحرارتها وصفاء اللؤلؤ وشفافيتها.

والمقصود من النعمة ما يستفاد من مفهومه التعدّي والمجاوزة إلى الغير كالإعطاء والإحسان والإنعام ونحو ذلك. والمطلوب من غيرها ما كان على خلاف ذلك كالعلم والقدرة والحسن والشجاعة وغيرها.

ولمّا علمت ما ذكرنا، فاعلم الفرق بين الصور المركّبة من هذه المعاني؛ أمّا الفرق

---

١. من آلَ، يؤول من «أول» بمعنى «رجوع».

بين الحمد اللغوي والشكر اللغوي فهو أعمّ من وجه؛ لأنّ الحمد من حيث المتعلّق عامّ إذ هو يعمّ النعمة وغيرها كما يقال حمدت زيداً على كرمه وعلمه ومن جهة المصدر خاصّ؛ لأنّه إنّما يكون باللسان فقط والشكر بعكس ذلك أي: ما كان مصدره عامّاً؛ لأنّ ذلك يمكن أن يصدر من اللسان والجنان والأركان ومتعلّقه خاصّاً؛ لأنّه لا يكون إلّا في مقابلة النعمة، وأمّا الفرق بين الحمد والشكر الاصطلاحيين فهو أعمّ مطلقاً؛ لأنّ الحمد أعمّ والشكر أخصّ. والنسبة بين الحمد اللغوي والحمد الاصطلاحي هي الأعمّ من وجه، وبين الحمد الاصطلاحي والشكر اللغوي هي التساوي. والفرق بين الحمد والمدح هو الأعمّ والأخصّ مطلقاً؛ لجواز أن يقال: مدحت اللؤلؤ على صفاتها ولا يقال: حمدت النار على شرارها وكذلك الفرق بينه وبين الشكر، بل النسبة في باقي الصور أعمّ أو أخصّ مطلقاً، ووجه إيثار الحمد على الشكر إنّما هو لكون الحمد عمدة في الشكر ومن شعبه؛ لأنّ الحمد أشيع للنعمة وأدلّ عليها لخفاء الاعتقاد ولتطرّق الاحتمال في أدب الجوارح؛ فلذا جعل رأس الشكر كما قال خير الأنام عليه الصلاة والسلام: «الحمد رأس الشكر، ما شَكَرَ اللهُ مَن لم يَحمده»[1] ولشموله للنِّعم السارية وغيرها ولكونه عامّاً للخصال التي كانت متجاوزة كالكرم مثلاً وما لا يتجاوز كالعلم مثلاً بخلاف الشكر؛ إذ هو مختصّ بالأُولى لا الأخيرة، وكان لله عزّ وجلّ من صفات الكمال ما لا يمكن حومه وحصره ومن جلائل النوال ما لا يضبط عدّه وقصره؛ فلذا كان الحمد أنسب، والسرّ في اختياره على المدح هو أنّه يعمّ الحي والميّت كليهما وكما يكون بعد الإحسان كذلك يكون قبله أيضاً، وأمّا الحمد فمختصّ بالأوّل فهو أولى لكونه دالّاً على أنّه

١. تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، ج ٢، ص ١٠٦؛ المصنّف لعبد الرزّاق الصنعاني، ج ١٠، ص ٤٢٤؛ الجامع الصغير، ج ١، ص ٥٩٢، الرقم ٣٨٣٥.

تعالى حي لا ميّت وأنّ الإحسان واصل إلينا ومستفيض علينا لا أنّه غير واصل إلينا.

وله وجه آخر يفهم من التعريف عند التدبّر وهو [أي الحمد لله] مرفوع بالابتداء والجارّ والمجرور خبره وهو مرفوع محلاً بالمبتدأ، وهذا المذهب هو المنصور عند الجمهور؛ لأنّ العمل للطلب والمبتدأ طالب للخبر فلذا عمل فيه، ومن قال بأنّ رافع الجزئين هو الابتداء فبطلانه أظهر من الشمس وأبين من الأمس؛ لأنّ أقوى العوامل لا يمكن أن يعمل رفعين من دون اتّباع فكيف بالأضعف، ومن قال إنّهما مترافعان أيضاً مردود للزوم إعمال الخبر في المرفوعين بدون اتّباع كما في نحو زيد قائم أبوه وهو فاسد لما بيّناه، ومن قال إنّ الابتداء والمبتدأ كليهما رافعان للخبر فهو مردود أيضاً غاية الردّ بل أفحش الأغلاط لعدم جواز اجتماع العاملين على معمول واحد كما هو المبرهن في باب التنازع. ومن القُرّاء من قرأ بضمّ اللام [في «لُلّه»] في الخبر، وهو إبراهيم بن عيله، لإتباعها بـ«الدال» [في الحمدُ] ومنهم من قرأ بكسر الدال، وهو الحسن البصري، لإتباعها باللام نحو الحمْدِ لله لأنّهما بمنزلة كلمة واحدة في الاستعمال معاً.

والعدول عن [الجملة] الفعلية إلى الاسمية إنّما هو للدلالة على دوامه وثباته له دون حدوثه، ثمّ نُقلت الجملة عن الخبرية إلى الإنشائية؛ لأنّ المقصود إيجاد الحمد وإنشائه لا أنّ المراد الإخبار بأنّه سوف يوجد، ومنهم من قال إنّ الحمد من قبيل الأوامر اللاتي وردت على صفة الإخبار نحو قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾[1] فالتقدير إحْمَدِ اللهَ عزّ وجلّ.

اعلم: أنّ «لام التعريف» عبارة عمّا يشار إلى ما كان معروفاً عند المخاطب فهي

١. البقرة (٢)، الآية ٢٢٨، فالتقدير: فالمطلّقات تَرَبَّصنَ بصيغة الأمر.

لا تخلو إمّا أن يكون المقصود منها الإشارة إلى نفس مفهوم اللفظ الذي دخلت عليه وتعيّنه وحضوره في الذهن مع قطع النظر عن الأفراد فهي «لام الجنس» كما في قولهم: الرجل خير من المرأة والفرس خير من الحمار وقولهم: الإنسان نوع والحيوان جنس، فإنّ المراد منها نفس الماهية والحقيقة من حيث هي هي الموجودة في الذهن، أو يكون المقصود، الإشارة إلى المفهوم باعتبار كونه في ضمن فرد معيّن معهود فهي «لام العهد الخارجي» وهي منقسمة على ثلاثة أقسام: لأنّها إمّا أن يشار بها إلى ما ذكر لفظه سابقاً كما في نحو قوله عزّ وجلّ: ﴿كَمِشْكَاةٍ... المِشكاةُ في زُجَاجَةٍ﴾[١] وتسمّى بالعهد الذكري، أو يشار إلى ما كان المتكلّم والمخاطب كلاهما عالمين به كما في نحو قولهم: ركب الأمير فتسمّى بالعهد العلمي؛ إذ الأمير عندهما منحصر في المرء معيّن، أو يشار إلى ما كان حاضراً كما في نحو قوله تبارك وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[٢] فتسمّى بالعهد الحضوري، أو يكون المقصود الإشارة إلى تلك الطبيعة مع كونها في ضمن فرد ما، فهي لام العهد الذهني كما في قولهم: «أُدخُل السوق وَاشْتَر اللَّحم» إذ ليست الحقيقة مطلوبة، لدلالة القرينة على ذلك وهي الدخول والاشتراء وكذلك العهد إذ المفروض أنّه لا عهد في الخارج، أو يكون المقصود الإشارة إلى تلك الماهية مع كونها في ضمن جميع الأفراد فتكون بمعنى الكلّ كما في نحو قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[٣].

والحاصل أنّ اسم الجنس المعرَّف باللام إمّا أن يطلق على نفس الحقيقة من غير نظر إلى المصداق أصلاً وهو تعريف الجنس ومثله عَلَم الجنس كأُسامة، وإمّا أن

---

١. النور (٢٤)، الآية ٣٥.

٢. المائدة (٥)، الآية ٣.

٣. العصر (١٠٣)، الآية ٢ ـ ٣.

يطلق على أفراد معيّنة من تلك الحقيقة وهو العهد الخارجي ومثله علم الشخص كزيد، وإمّا أن يطلق على أفراد غير معيّنة من تلك الماهية وهو العهد الذهني ومثله النكرة كرجل، وإمّا أن يطلق على جميع الأفراد وهو الاستغراق ومثله كلّ. واللام حقيقة في الحقيقة ومجاز في الباقي كما هو المحقّق في مقامه.

وبعد ما علمت جميع ما ذكرناه لك تفهم بأنّ «لام التعريف» الداخلة على هذا المبتدأ، أيُّ قسم من الأقسام؟ ونصرّحه لك أيضاً ونقول إنّ «لام التعريف» فيما نحن فيه يمكن أن تكون للاستغراق فتكون اللام إشارة إلى أنّ كلّ حمد من أيّ حامد صدر، استقرّ أو ثابت له؛ إذ الحمد كلّه له سبحانه؛ إذ ما من خير إلّا وهو مفيضه إمّا بواسطة أو بغير واسطة كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾[1] ويمكن أن تكون للجنس وحينئذٍ تدلّ على العموم التزاماً؛ لأنّ الحقيقة موجودة في ضمن جميع الأفراد فتكون إشارة إلى أنّ ماهية الحمد وحقيقته التي يعرفها كلّ أحد فهي تثبت أو مستقرّة له ويمكن أن تكون للعهد الذهني فتكون إشارة إلى أنّ الفرد الأكمل اللائق به ثابت له جلّ وعلا، والأوجه إيثار الجنس كما هو المختار عند صاحب الكشّاف[2]؛ لأنّ لام التعريف موضوعة للجنس فلا يفتقر فهم ذلك من اللفظ إلى قرينة دالّة عليه بخلاف الاستغراق ومع ذلك فهي دالّة على حصر الأفراد ضمناً وكناية وهي أبلغ من التصريح.

وإنّما قدّم الحمد مع أنّ الخبر هو الذات الواجب الوجود المستجمعة لجميع الصفات والكمالات المقدّسة عن جميع النواقص والعيوبات وذات الله تعالى أهمّ وأقدم على جميع الأشياء واسمه تعالى أنسب للتصدير؛ لأنّه لمّا تعارض هذا

---

١. النحل (١٦)، الآية ٥٣.

٢. الكشّاف للزمخشري، ج ١، ص ٩ و ١٠.

الاهتمام مع المقصود وهو إيجاد الحمد فتساقط كلاهما عن درجة الاعتبار فعمل بالأصل الذي هو عبارة عن تقديم المبتدأ على الخبر؛ لأنّ حقّ العامل التقديم على المعمول.

ومنهم من قال في وجه التقديم: إنّ الحمد أهمّ من جهة أنّ البلاغة في الكلام عبارة عن مطابقته لمقتضى المقام، فالمقام مقام الحمد لا مقام معرفة ذات الله تعالى ويرد عليه أنّ هذا الاهتمام عارض بسبب المقام والأهمّية في تقديم اسم الله عزّ وجلّ إنّما هو ذاتي والحَريّ أن يتقدّم الذاتي على العرضي ولو لم يتقدّم لا ينبغي أن يتأخّر أيضاً لئلّا يلزم الترجيح بلا مرجّح.

وأورد على هذا القائل أنّه يشكل بقوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ﴾[١] الآية، وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٢] إلى غير ذلك حيث قدّم اسم الله تعالى على الحمد في هذه الآيات مع أنّ المقام مقام الحمد.

والجواب: منع أنّ المقام في الآي المذكورة مقام الحمد بل مقام بيان استحقاقه تعالى واختصاصه بالحمد كما أشار إليه صاحب الكشّاف فيه[٣].

فإن قلت: إنّ اقتضاء المقام تقديم الحمد معارض بفوات الحصر المطلوب.

قلت: إنّ صاحب الكشّاف قد صرّح بوجود الاختصاص في الحمد لله كما في لله الحمد فلا مانع من التقديم مع وجود المقتضي أعني المقام.

وإنّما قرن الحمد باسم الله دون غيره من الأسماء الحسنى؛ لأنّه كما مرّ آنفاً اسم للذات الواجب الوجود المستجمعة لجميع صفات الكمال فيدلّ على أنّ استحقاقه

١. الجاثية (٤٥)، الآية ٣٦.

٢. الروم (٣٠)، الآية ١٨.

٣. راجع: الكشّاف للزمخشري، ج ١، ص ٨ و ٩ و ١٠.

لأن يحمد به، إنّما هو لاستجماعه لجميع المحاسن والصفات بخلاف غيره منها فإنّه يدلّ على أنّ كونه مستحقّاً له إنّما هو معناه المطابقي لا غير و«اللام» في الخبر للاختصاص.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

«الربّ» إمّا بمعنى التربية وهي «إبلاغ شيء وإصلاحه إلى كماله»[1] فيكون المصدر بمعنى اسم الفاعل كالبرّ بمعني البارّ، فالتقدير «مربّي العالمين»، فهذا من قبيل وصف الشيء بالمصدر للمبالغة نحو رجل عدل وزيد صوم، أو هو عبارة عن الخالق والمالك؛ لأنّه كان خالق للمصنوعات ومنشئهم من العدم ومربّياً للموجودات ومنعمهم من النعم من حيث يحتسبون ومن حيث لا يحتسبون ورازقهم ممّا يعلمون وممّا لا يعلمون، وهذا الوصف لا يمكن أن يطلق على غير الله تعالى مطلقاً؛ نَعَم يصدق مقيّداً وهو كثير شائع نحو ربّ الدار.

و«العالمين» جمع عالَم كما قيل، وهو اسم لما يعلم به كالخاتم لما يختم به، وهو عبارة عمّا سواه من الموجودات جوهراً أم عرضاً بسيطاً أم مركّباً عقلاً أم نفساً ملكاً أو فلكاً عنصراً أم جسماً جماداً أم نباتاً حيواناً أم إنساناً كما ورد في الأخبار «أنّ لله تعالى وتقدّس ثمانية عشر ألف عالَماً أصغرها هذه الدنيا وما فيها»[2].

وأمّا كونه مربيّاً لهذه العوالم؛ فلأنّه يدبّر فيها ما يشاء بقدرته بحسب استعداداتها ويمسكها من التساقط والمتهافت من التلاحق، ويمسك السماء أن تقع على الأرض

١. انظر: رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد الساجدين للسيّد علي خان الحسيني، ج ٢، ص ٣١٥. وفي تفسير البيضاوي: «الربّ في الأصل مصدر بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً» (ج ١، ص ٥١).

٢. لم أعثر عليه في المصادر.

إلّا بأمره، ويمسك الأرض أن تنخسف إلّا بإذنه[١]، ويفيض على بعضهم من رحمته وينزل عليه من بركته على حسب قابليته، فإنّه بعباده عطوف رؤوف خبير بصير يُعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحيّ من الميّت ويخرج الميّت من الحيّ ويرزق من يشاء بغير حساب ويميت الأحياء ويُحيي الموتى وهو حيّ لا يموت ويحيي الْأَرْضَ بَعْدَ موتها وكذلك تخرجون، فإنّه تعالى كما أنّه قادر على إنشاء الأشياء وإبداعها فكذلك يقدر على إفنائها وإهلاكها.

ووجه تسمية هذه الموجودات بالعالم إنّما هو من جهة أنّه يُعلم بها وجود الصانع المؤثّر؛ إذ أنّها لمّا كانت ممكنة ومحتاجة إلى مؤثّر ليرجّح طرف الوجود على العدم فتدلّ على وجود المؤثّر. وإنّما جمع ليعمّ جميع ما تحته من المصنوعات المختلفة والأجناس المتضادّة والأنواع المتفاوتة والأفراد المتغايرة. والإتيان على صيغة المذكّر إنّما هو لتغليب العقلاء منهم على غيرهم.

ومنهم من قال: بأنّ المراد من العالم هو الإنسان؛ لكونه محتوياً على نظير تلك العوالم؛ لأنّ فيه عقلاً وروحاً، والأحجب التسعة التي وقعت في رأسه بمنزلة الأفلاك، والحواسّ ظاهرة أو باطنة كالأملاك الموكّلين للتدبير في الأُمور، والبخارات المجتمعة في الدماغ بمنزلة كرة النار، والنفس ككرة الهواء، والمعدة

١. هذه العبارة مأخوذة من الرواية التي ذكرها الصدوق رحمه الله في عيون الأخبار (ج ١، ص ٢٨٤) عن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال الإمام: ربّ العالمين وهم الجماعات من كلّ مخلوق من الجمادات والحيوانات ... وأمّا الجمادات فهو يمسكها بقدرته ويمسك المتّصل منها أن يتهافت ويمسك المتهافت منها أن يتلاصق ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه ويمسك الأرض أن تنخسف إلّا بأمره إنّه بعباده لرؤوف رحيم.

ككرة الأرض، والكبد الذي هو مجمع الدم ومنه يجري إلى العروق ومنها إلى الأعضاء ككرة الماء، والعيون الجارية والأنهار الساكبة التي كانت مختلفة اللون والطعم واللذّة والرائحة الكائنة في الرؤوس والأبدان كالعيون والأنهار والآبار التي تجري على وجه الأرض وتسَكُّب فيها، والأشعار فيها كالأشجار فيها، والثقوب والمنافذ والعظام صغيرةً أو كبيرةً كالتّلال[١] والوَهاد[٢] والجبال، فالحاصل أنّ الإنسان يشتمل على نظير ما في العالم الأكبر ممّا تدلّ على وجود الخالق البارئ المصوِّر ويعلم به وجوده كما يُعلم بما في العالَم الأكبر وهذا هو المرام من قول الإمام أمير الأنام عليه السلام:

أتَحسَب أنّكَ جِـرْمٌ صـغيرٌ وفيكَ انطَوَى العالَم الأكبرُ[٣]

ومنهم من قال: إنّه ليس بجمع[٤] بل اسمه؛ لأنّ الجمع ما كان مدلوله زائداً على مدلول مفرده وهذا ليس كذلك.

وأمّا إعرابه بالجرّ، إمّا على أنّه عطف بيان للخبر أو صفة له فحينئذٍ لا بدّ أن يكون الربّ مصدراً لتفيد الإضافة التعريف؛ إذ إضافة اسم المشبّهة لا تفيده كما قيل بل تفيد التخفيف لأنّها لفظية لا معنوية كما بيّناه.

ومنهم من قرأ بالنصب إمّا على أنّه مفعول للمقدّر أو لكونه منادًا مضافاً وحرف

١. التلال: جمع التّل وهو ارتفاع من سطح الأض عن المناطق التي حوله يشبه الجبل لكنّه أصغر منه.
٢. الوَهاد: جمع وهدة وهو أسفل من سطح الأرض عن المناطق التي حوله؛ منخفض طبيعي على سطح الأرض.
٣. ديوان أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ص ١٧٥ وفيه: وتحسب أنّك...
٤. كذا في نسخة «ب» وهو الصحيح وفي نسخة «ألف»: بجميع.

النداء محذوف فيكون من قبيل قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذا ...﴾[1] ويمكن أن يكون مرفوعاً على أنّه خبر لمبتدأ محذوف.

واختلفوا في أنّ «نون الجمع» هل تكون مفتوحة أم مكسورة والحقّ هو الأوّل كما هو المشهور بين الجمهور ليحصل الفرق بين نون المثنى وبينه نصباً وجرّاً، فإن قيل: لِمَ لَمْ ينعكس ذلك؟

قلت: إنّ الجمع لمّا كان ثقيلاً بالكثرة لزم أن يتحرّك بما هو أخـفّ الحـركات. وكسرها قليل بل مختصّ بالضرورة كما ورد والفرق بين لفظيهما حاصل بكسر ما قبل العلامة في الأوّل وفتحه في الثاني في كلتا الحالتين.

﴿ٱلرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾

وكلاهما صفتان للخبر، والأوّل عبارة عن المشفق على الخلق والعاطف على ما مَلك بالرِّزق ماداموا حيّاً وإن كانوا عاصياً عليه، والثاني عبارة عمّن يرحم بـعباده المؤمنين لا الكافرين. وما بيّناه سابقاً من الإعراب والفرق ووجه التقديم ونحو ذلك يجري في هذا المقام أيضاً.

وتكرار هذين الوصفين للتنصيص على أنّ وجه الاستعانة باسم الله تعالى إنّما هو لكونه مُوجِداً ومُنعماً ومُشفقاً، وللإشعار بأنّ اعتناءه جلّ شأنه بالرحمة أشدّ وأكثر، وللتنبيه على مزية شأن هذين الوصفين على ما سواه من الأوصاف في هذا المقام.

---

١. يوسف (١٢)، الآية ٢٩.

﴿مالِكِ يَومِ الدِّينِ﴾

وهذا بناءً على قراءة عاصم والكسائي ويعقوب[١] والمالك، عبارة عمّن يتصرّف كيف شاء وأراد فيما يملكه؛ لأنّ الله تعالى كان متصرّفاً وحاكماً في يوم الحساب ولا يملك الحكم والقضاء في ذلك أحد من الحكّام والظُلّام، بل هو قادر على تقديمه عن وقته وتأخيره منها ويَعضُده قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلّهِ﴾[٢].

ومن القرّاء من قرأ «مَلِك»[٣] تعظيماً وتَبجيلاً، وهو من يتصرّف بالأمر في المأمورين والنهي في المنهيين ويؤيّده أُمور:

الأوّل: أنّها أنسب بالإضافة إلى يوم الدين كما يقال ملك العصر والزّمان. والثاني: أنّها أوفق لقوله عزّ وجلّ: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلّهِ الْوٰاحِدِ الْقَهّٰارِ﴾[٤]. والثالث: أنّها أشبه لما كان في خاتمة القرآن.

ومنهم من قرأ «مِلْك»[٥] على وزن الفعل.

ومنهم من قرأ «مَلْك»[٦] بفتح الفاء وسكون العين.

---

١. انظر: مجمع البيان، ج ١، ص ٢٣.
٢. الانفطار (٨٢)، الآية ١٩.
٣. وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عامر وغيرهم، انظر: جامع البيان للطبري، ج ١، ص ١٤٧.
٤. غافر (٤٠)، الآية ١٦.
٥. وهي قراءة الشعبي وعطية وأبي عثمان الهندي. انظر: الإملاء ما منّ به الرحمن للعكبري، ج ١، ص ٤.
٦. وهي قراءة أبي عمرو وأبي هريرة وعاصم الجحدري، انظر: تفسير القرطبي، ج ١، ص ١٢٩ والكشّاف للزمخشري، ج ١، ص ٩.

ومنهم من قرأ «مالكاً»[١] بالنصب منوّناً إمّا على الحال أو المدح.

ومنهم من قرأ «مالكٌ»[٢] بالرفع منوّناً على أنّه خبر مبتدأ محذوف.

ومنهم من قرأ «مَلِكَ ُ»[٣] بالرفع والنصب مضافاً.

والدين: لغة عبارة عن الجزاء كقولهم ديّنته بما صنع، أي: جزيتُه ومن ذلك قولهم: «كما تَدِينُ تُدان»[٤] وبيت الحماسة:

«وَلم يَبقَ سِوى العُدوان دنّاهم كما دانوا»[٥]

وقيل بمعنى الحساب[٦] نحو قوله عزّ وجلّ: ﴿ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[٧]، أي: الحساب المستقيم.

وبمعنى الخضوع والخشوع نحو قولهم: دانَتْ له الأخيارُ والأشرارُ، أي: خضعت.

وبمعنى العادة والدِيدان نحو قولهم: هذا دينُكم أبداً، أي: عادتكم.

وقيل: إنّ الدين عبارة عن الملّة النبوية[٨].

---

١. لم أجد قائله.

٢. وهي قراءة خلف ابن هشام وأبي عبيد وأبي حاتم، انظر: البحر المحيط، ج ١، ص ٢٠.

٣. وهي قراءة أنس بن مالك وأبي حيوة ريح بن يزيد وسعد بن أبي وقّاص وعائشة، انظر: الكشّاف للزمخشري، ج ١، ص ٢٠

٤. الكشّاف للزمخشري، ج ١، ص ٩. وقال ابن منظور في لسان العرب، ج ١٣، ص ١٦٩، هذا من شعر خويلد بن نوفل كلابي مخاطباً لحرث بن أبي شمر غسّاني قال:

يا حار أيقن أنّ ملكك زائل واعلم بأن كما تدين تدان

٥. انظر: الكشّاف للزمخشري، ج ١، ص ٥٧؛ أنوار التنزيل للبيضاوي، ج ١، ص ٢٨.

٦. وهو المروي عن أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليهما السلام وابن عبّاس، انظر: مجمع البيان، ج ١، ص ٢٤.

٧. التوبة (٩)، الآية ٣٦.

٨. لم أجد قائله.

وقيل: هو العبادة[١] فَكِلا القولين [أي الجزاء والعبادة] جيّدان والمعنى أنّه قادر يوم جزاء الشريعة والعبادة على الأشياء كيف ما يشاء.

وإضافة الصفة [أي مالك] إلى الظرف [أي يوم الدين] معنوية ليصحّ وقوعُه صفة للمعرفة ولأنّ اللفظية إنّما تتحقّق بإضافة الصفة إلى المعمول، نحو: ضاربُ زيد. واليوم ليس معمولاً لها بل معمولها محذوف والتقدير: «أنّه مالك الأُمور كلّها في ذلك اليوم» ولذا كان صفة للمعرفة فيكون من قبيل: مصارع المصر وكريم العصر.

واختصاص هذا الظرف بالإضافة مع أنّه سبحانه ملك ومالك لكلّ الأشياء في جميع الأوقات دالّ على تعظيم ذلك اليوم وتبجيله وأنّ المِلك والمُلك الحاصِلَين ظاهراً لبعض الجُهّال والظُلّام والفُسّاق في هذه الأزمان، يزولان في ذلك اليوم عنهم ويتّصف جناب الحقّ جلّ وعلا بهما منفرداً لا غيره من المخلوقات، واتّصافه بهذه الصفات من كونه عزّ وجلّ كاملاً في الذات والصفات وموجداً للمصنوعات ومربّياً لهم ومعطياً للمخلوقات ومحسناً إليهم الآلاء والنعماء جسيماً كان أو حقيراً في الدنيا والآخرة ومنزل البركات عليهم ومستحقّاً لأن يتصرّف في أُمورهم يوم الحساب وقادراً على جميع الأشياء يوم الثواب والعذاب، إمّا مشعر بعدم استحقاق من عداه بالحمد بل هو وليّه ومستحقّه لكونه مستجمعاً لجميع صفات الكمال ومقدّساً عن كلّ العيوب والنقائص؛ لأنّ تعليق الحكم بالوصف مشعر بالعلّية، أو ليدلّ على أنّ الوصف الأوّل [أي: ربّ العالمين] لذكر ما هو الداعي للحمد وهو الإيجاد والتربية والثاني والثالث [أي: الرحمن الرحيم] للدلالة على أنّه مُتفضِّل ومُنعم، مختاراً فيه لا أنّه ليصدر منه على سبيلِ الاضطرار والرابع [أي: مالك...]

١. لم أجد قائله.

لتحقيق اختصاص الحمد به فإنّه ممّا لا يقبل الشركة فيه بوجه ما، فالمفهوم من طريق المفهوم أنّ من لم يكن متّصفاً بهذه الصفات لا ينبغي أن يُحمد به ولا يليق أن يُعظَّم له فضلاً عن أن يُعبَد به.

وهذا صفة للخبر كسائر الصفات ويمكن أن يكون بدلاً عنه.

﴿إِيّاكَ نَعْبُدُ وَإِيّاكَ نَسْتَعين﴾

فلمّا ذكر المستحقّ واتّصافه بالصفات الجليلة والأفعال الجميلة وتقدّسه عن الأوصاف الرذيلة والأفعال القبيحة على طريق البعد والغيبة عن مقام القرب والحضور ـ كما هو قانون الأدب ـ تعلّق العلم من المعلوم الغائب إلى المخاطب للترقّي من الأدنى إلى الأعلى ولأنّه تبارك وتعالى حاضر في جميع الأوان وموجود في كلّ زمان ولا يغيب بل هو أقرب إلينا من حبل الوريد، وانتقل من الغيبة إلى الحضور إمّا ليدلّ على أنّ المعقول صار مشاهداً وعياناً، بمعنى أنّه أوّل الكلام على ما هو الأنسب لحال العارف من الذّكر والفكر والتأمّل في أسمائه والنظر في نعمائه وآلائه والاستدلال بآثاره وصنايعه على وجوده وعظيم شأنه ثمّ ذكر ما هو المنتهى من الخوض في سبب الوصول فكأنّه يراه عياناً ويناجيه شفاهاً، أو للتنبيه على أنّ القراءة ينبغي أن تصدر عمّن كان قلبه حاضراً وتوجّهه إلى جناب الحقّ كاملاً بحيث كلّما أجرى على لسانه اسماً من الأسماء العليا ووصفاً من الصفات العظمى، حصل له مزيد انكشاف وانجلاء وقرب واعتلاء إلى أن يترقّى من مرتبة الغيبة والبرهان إلى الحضور والعيان فحينئذٍ يستدعي المقام العدول إلى صيغة الخطاب كما أنّ ديدان العرب والفصحاء، التفنّن في الكلام والعدول عن أُسلوب إلى الآخر مثلاً يميلون من الخطاب إلى الغيبة كما في نحو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ

وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾[١] ومن الغيبة إلى التكلّم كما في نحـو قوله عزّ وجلّ: ﴿اللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ﴾[٢] ومن الخطاب إلى التكلّم كقول امرء القيس[٣]:

تَــطَاوَلَ لَـيْلُكَ بِـالإِثْمِدِ ... ونَامَ الخَـلِيُّ ولَـم تَـرْقُد

وبَـاتَ وبـاتَتْ لهُ لَـيْلَتُه ... كلَيْلةِ ذِي العائرِ الأرْمَـد

وذٰلِكَ مِـنْ نَـبَإٍ جَـاءَني ... وخُبِّرْتُهُ عن أَبي الأَسْوَد

واختلف النُحاة في الضمير المنصوب المنفصل.

فمنهم، من قال: إنّ «الكاف» و«الهاء» و«الياء» هي الضمائر ولمّا كان التكلّم بها خاصّة متعذّراً فلذا لزم انضمام لفظ «إيّا» إليها لتكون مستقلاًّ[٤].

ومنهم من قال: إنّ «إيّاً» ضمير منصوب منفصل وما لحقت بها منها، كانت حرفاً وليس[٥] لها محلّ من الإعراب نحو قولهم أرأيتك[٦] والالتحاق إنّما هو للدلالة على الخطاب والغيبة والتكلّم.

ومنهم من قال: إنّ المجموع ضمير منصوب منفصل[٧].

---

١. يونس (١٠)، الآية ٢٢.

٢. فاطر (٣٥)، الآية ٩.

٣. امرء القيس بن حجر الكندي الجاهلي، انظر ديوان امرئ القيس، ص ٨٤ ولكن قال ابـن هشام: هو غلط وقائله امرؤ القيس بن عابس الصحابي، وقيل لعمرو بن معديكرب. وأبـو الأسود: كنية صاحب الشاعر الذي يرثيه، وقيل هو المخبر واسمه ظالم بن عمرو وهو عم امرئ القيس. انظر: الكشّاف، ج ١، ص ٦٤.

٤. انظر: إملاء ما مَنّ به الرحمن للعكبري، ص ٧ فقد حكى عن قوم أنّهم قالوا: الكاف اسم وإيّا عماد له وهو حرف.

٥. وهو قول سيبويه، انظر: إملاء ما منّ به الرحمن للعكبري، ص ٧.

٦. الشاهد في «ك» أنّه حرف وليس لها محلّ من الإعراب.

٧. وهو قول الكوفيين، انظر: مشكل إعراب القرآن للقيسي، ج ١، ص ٤١.

ومنهم من قرأ «هيّاك» بقلب الهمزة «هاء»[١].

وأمّا الفعلان [نعبد ونستعين] فهما مرفوعان بالإجماع لكنّهم اختلفوا في تحقيق الرافع للمضارع.

ومنهم من قال: إنّه مرفوع بالعامل المعنوي وهو خلوّه عن النواصب والجوازم.

ومنهم من قال: إنّ العامل فيه حروف المضارعة.

ومنهم من قال: إنّ رافعه وقوعه موقع الاسم.

فالأصحّ هو الأوّل لما اشتهر في الألسنة من أنّه مرفوع لتجرّده عن الجازم والناصب، والقول الثاني باطل بأنّ جزء الشيء كيف يعمل فيه، والقول الثالث منقوض بقولهم «هلّا يضرب» إذ المضارع هنا مرفوع مع أنّ الاسم لا يقع بعد حرف التحضيض.

وأمّا «نون المضارعة» الداخلة على الفعلين فمفتوحة.

ومنهم من قرأها بالكسر[٢] وهو لغة بني تميم، فإنّهم يكسرون حروف المضارعة سوى «الياء».

والعبادة: عبارة عن كون الطاعة في نهاية الخضوع وغاية الخشوع وأعلى مراتب التذلّل، فلذا لا ينبغي بها أحد إلّا من هو محسن لأعلى النعم ومنعم لأعظمها كالحياة مثلاً.

والاستعانة: هي طلب المعونة في الارتكاب بالمأمورات والاجتناب عن المنهيات بل في جميع المهمّات سيّما في أداء العبادات حتّى نعمل ما أمرنا به على وجهه ونتّقي عمّا نهانا عنه كما هو حقّه.

---

١. وهي قراءة ابن السوار الغنوي، انظر: تفسير القرطبي، ج ١، ص ١٤٦.

٢. وهي قراءة زيد بن علي وآخرين، انظر: البحر المحيط لابي حيّان، ج ١، ص ٢٣.

والضمير المستتر [أي: نحن] راجع إلى القارئ.

وإتيان الفعل على وزن المتكلّم مع الغير مع أنّه واحد إمّا للإشعار بأنّ القارئ لا بدّ أن يلاحظ الحَفَظَة من الملائكة في القراءة ويدخلها فيها، أو حُضّار صلاة الجماعة، أو جميع حواسه ظاهرةً كانت أو باطنة، أو جميع ما حوت عليه دائرة الإمكان من الموجودات كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[1]، أو لِيُدرِجَ العابد عبادته في عبادات المرسلين والمؤمنين ويمزجها فيهم ويخلط حاجته في حوائجهم ويجعلها في سِلك عباداتهم حتّى تكون طاعته مقبولة وحوائجه مقضية ببركتهم؛ لأنّه لا شكّ في كون عباداتهم خالصة لله عزّ وجلّ، فمن باع أجناساً مختلفة [في] صفقة واحدة فكان بعضها معيباً فلا يجوز للمشتري أن يقبل الصحيح ويردّ المعيب بل إمّا أن يقبل الجميع أو يردّ الجميع، فإدراج العابد عبادته في عبادات المقرّبين كأنّه عرض الجميع صفقة واحدة على حضرة ذي الجلال والإفضال فكيف ينبغي لله عزّ وجلّ أن يردّ المعيب ويقبل الصحيح مع أنّه نهى عباده عن ذلك، وردّ الجميع لا يليق بكرمه العميم و جوده الجسيم وفضله الكريم فلم يبق إلّا قبول الجميع وهو المقصود والمطلوب.

وتقديم ما حقّه التأخير كالمفاعيل مثلاً إمّا ليدلّ على حصر العبادة وطلب المعونة على المنعم الحقيقي، كما قيل إنّ معناه نطيعك مخلصين لك ونعبدك ولا نعبد سواك وأنت مختصّ بالاستعانة ولا نستعين عداك، أو للتعظيم والاهتمام به، أو للإيماء إلى أنّ العابد والمستعين ينبغي أن يكون مطمح نظرهما أوّلاً الحقّ سبحانه عزّ وجلّ على وُتيرة «ما رأيت شيئاً إلّا رأيت الله قبله»[2] ثمّ إلى أعمالهم باعتبار

١. الإسراء (١٧)، الآية ٤٤.

٢. مشرق الشمسين للشيخ البهائي، ص ٤٠٢؛ مفاتيح الغيب للرازي، ج ٢٩، ص ٤٤٩؛ شرح ⇦

كونها وسيلة شريفة ووصلة لطيفة بينهما وبين الله عزّ وجلّ، فإنّ الحري للعارف العالم أن يستغرق في ملاحظة آثار جناب القدس ويغيب عمّا عداه حتّى أنّه لا يلاحظ نفسه ولا حالاً من أحوالها إلّا من حيث إنّها ملاحظة له ومنتسبة إليه.

وتكرار الضمير للتنبيه على أنّ المختصّ بالعبادة هو المستحقّ بالاستعانة، وبعبارة أخصر: إنّ المعبود هو المستعان لا غير، ويحتمل أن يكون ذلك لكون بسط كلام المحبّ مع المحبوب مطلوباً كما في قول موسى على نبيّنا وعليه السلام: ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾[1] ومن عبد الله عزّ وجلّ مع كونه مرائياً للناس أو استعان بغيره فقد خسر خسراناً مبيناً كما سئل عن أمير المؤمنين عليه السلام: «من كان شقاوته أعظم؟ فقال:

«رجل ترك الدنيا للدّنيا ففاتته الدنيا وخسر الآخرة، ورجل تعبّد واجتهد وصام رياء الناس فذاك الذي حرم لذات الدنيا ولحقه التعب ـ الذي لو كان به مخلصاً لاستحقّ به ثوابه ـ فورد الآخرة وهو يظنّ أنّه قد عمل ما يثقل به ميزانه فيجده هباء منثوراً»[2].

وقدّم العبادة على الاستعانة إمّا لأنّ العبادة مطلوب الله عزّ وجلّ من العباد والاستعانة مطلوبهم فالأنسب أن يقدّم مطلوبه على مطلوبهم، أو ليعلم أنّ تقديم الذريعة والوسيلة على المطالب أولى من إجابة المآرب.

وجعل الاستعانة عقيب العبادة للدلالة على أنّها لا تتمّ إلّا بتوفيقه وإعانته.

⇐أصول الكافي للملّا صالح المازندراني، ج ٣، ص ١٣ و٩٨ وج ٥، ص ٨٣؛ تفسير البيضاوي، ج ٥، ص ٥٤٥.

١. طه (٢٠)، الآية ١٨.

٢. بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٢٥١.

و«الواو» في الجملة الثانية عاطفة على الأُولى، ومنهم من قال بأنّها حالية والتقدير نعبدك مستعينين بك. قال الإمام الحسن بن علي عليهما السلام في تفسير ذلك عن آبائه وأجداده صلوات الله وسلامه عليهم، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله تبارك وتعالى: «قولوا إيّاك نستعين على طاعتك وعبادتك وعلى دفع شرور أعدائك وردّ مكائدهم والإقامة[١] على ما أمرت به»[٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عليه السلام عن الله عزّ وجلّ قال: قال الله تعالى: «يا عبادي كلُّكم ضالّ إلّا مَن هديتُه فاسألوني الهدى أهدِكم، وكلُّكم فقير إلّا من أغنيتُه فسألوني الغِنا أرزقْكم، وكلُّكم مُذْنِب إلّا من غفرتُه فاسألوني المغفرة أغفِرُ لكم ومن علم أنّي ذو قدرة على المغفرة فاستغفرني غفرتُ له بقدرتي ولا أُبالي، ولو أنّ أوّلكم وآخركم وحيَّكم وميّتَكم ورطبَكم ويابسَكم اجتمعوا على اتّقاء[٣] قلب عبد من عبادي لم يزيدوا في ملكي جناح بعوضة، ولو أنّ أوّلكم وآخركم وحيّكم وميّتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا فتمنّى كلّ واحد ما بلغت أُمنيته فأعطيته لم يتبيّن ذلك في ملكي، كما لو أنّ أحدكم مرّ على شفير البحر فغمس فيه إبرة ثمّ انتزعها وذلك بأنّي جواد واجد[٤]؛ عطائي كلام وعذابي كلام، فإذا أردت شيئاً فإنّما أقول له كن فيكون. يا عبادي، اعملوا أفضل الطاعات

١. في المصدر: المقام.
٢. التفسير [المنسوب إلى] الإمام العسكري عليه السلام، ص ٤١.
٣. في المصدر: إنقاء.
٤. الواجد من أسماء الله بمعنى الغني. «منه»

وأعظمها لأُسامحكم وإن قصّرتم فيما سواها واتركوا أعظم المعاصي وأقبحها لئلّا أُناقشكم في ركوب ما عداها؛ إنّ أعظم الطاعات، توحيدي والتصديق بنبيّي والتسليم لمن نصبه بعده وهو علي بن أبي طالب والأئمّة الطاهرين من نسله وإنّ أعظم المعاصي وأقبحها عندي الكفر بي وبنبيي ومنابذة ولي محمّد بعده علي بن أبي طالب وأوصيائه[1] بعده فإن أردتم أن تكونوا عندي في المنظر الأعلى والشرف الأشرف فلا يكوننّ أحد من عبادي آثر عندكم من محمّد وبعده من أخيه علي وبعدهما من أبنائهما القائمين بأُمور عبادي بعدهما، فإنّ من كانت تلك عقيدته جعلته من أشراف ملوك جناني، واعلموا أنّ أبغض الخلق إليّ من تمثّل بي وادّعى ربوبيّتي، وأبغضهم إليّ بعده من تمثّل بمحمّد ونازعه بنبوّته وادّعاها، وأبغضهم إليّ من تمثّل بوصيّ محمّد ﷺ ونازعه محلّه وادّعاها، وأبغض الخلق إليّ بعد هؤلاء المدّعين لما[2] همّ به لسخطي متعرّضون، من كان لهم على ذلك من المعاندين، وأبغض الخلق إليّ بعد هؤلاء من كان بفعلهم من الراضين وإن لم يكن لهم من المعاونين، وكذلك أحبّ الخلق إليّ القوّامون بحقّي وأفضلهم لديّ وأكرمهم عليّ، محمّد ﷺ سيّد الورى، وأكرمهم وأفضلهم بعده أخو المصطفى ﷺ علي المرتضى ثمّ من بعده من القوّامين بالقسط[3] من أئمّة الحقّ، وأفضل الناس بعدهم من أعانهم على

١. في المصدر: أوليائه.

٢. وهو المتعلّق بقوله المدّعين والموصول عبارة من هذه المدّعيات والضمير في «به» راجع إلى الموصول والباء للسببية. منه.

٣. القسط بالكسر ضد القسوط والأوّل هو العدل والثاني هو الجور والعدول من الحقّ ومن ⇦

حقّهم، وأحبّ الخلق إليّ بعدهم من أحبّهم وأبغض أعداءهم وإن لم يمكنه معونتهم»[١] انتهى.

[شطر من أخبار فضائل أهل البيت عليهم السلام وفضيلة شيعتهم]

ولمّا انجرّ الكلام إلى فضيلة شيعتهم ومحبّيهم وكونهم هم الفرقة الناجية والمتّبعون لأولياء الله وحججه الطاهرين فلنذكر لك قطرة من بحار فضيلتهم وشأن رتبتهم وشمّة من مزيّة درجتهم عليهم السلام، والأخبار الدالّة على تفضيل أُمّة محمّد [صلى الله عليه وآله] على سائر الأُمم سيّما على كون شيعة علي وأولاده الطاهرين ومحبّيهم هم الناجون وعلى أفضليّتهم على جميع من سواهم أمّا من طريق أهل البيت فمستفيضة منها: ما كانت منقولة من كتاب *بشارة المصطفى* صلى الله عليه وآله لشيعة المرتضى[٢] عليه السلام أنّه روى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دخل يوماً على علي بن أبي طالب عليه سلام الله الملك الغالب، مسروراً مستبشراً فسلّم عليه وردّ عليه الجواب وقال:

«جئتك أُبشّرك، إعلم أنّ في هذه الساعة نزل جبرئيل من الربّ الجليل وقال: الحقّ يقرؤكَ السلام ويقول بشّر علياً أنّ شيعته الطائع والعاصي من أهل الجنّة، فلمّا سمع مقالته خرّ ساجداً ورفع يديه إلى السماء ثمّ قال: إشهد عليَّ يا ربّ، أنّي وهبت لشيعتي نصف حسناتي، فقالت فاطمة عليها السلام:

⇐الأوّل قوله تعالى: ﴿إنّ الله يحبّ المقسطين﴾ ومن الثاني قوله تعالى: ﴿وأمّا القاسطين فكانوا لجهنّم حطباً﴾. منه.

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، ص ٤٣ ـ ٤٢.

٢. وهو لأبي جعفر محمّد بن أبي القاسم محمّد بن علي الطبري من علماء الإمامية في القرن السادس.

إشهد عليَّ يا ربّ، أنّي وهبتُ لشيعة علي نصف حسناتي، فقال الحسن عليه السلام مثلها، فقال الحسين عليه السلام كذلك، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ما أنتم بأكرم منّي إشهد عليَّ يا ربّ، أنّي وهبتُ لشيعة علي نصف حسناتي، فقال الله عزّ وجلّ: ما أنتم بأكرم منّي إنّي قد غفرت لشيعة علي ومحبّيهم ذنوبهم جميعاً صلوات الله عليهم أجمعين ولعنة الله على أعدائهم من الجنّ والإنس من الأوّلين والآخرين»[١].

ومنها: ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«... لمّا بعث الله عزّ وجلّ موسى بن عمران واصطفاه نجيّاً وفلق له البحر فنجّى[٢] به بني إسرائيل وأعطاه التوراة والألواح، رأىٰ مكانه عند[٣] ربّه، فقال: يا ربّ، لقد أكرمتني بكرامة لم تكرم بها أحداً قبلي[٤].

فقال الله تعالى: يا موسى، أما علمت أنّ محمّداً أفضل عندي من جميع ملائكتي وجميع خلقي!

فقال[٥] موسى: يا ربّ، فإن كان محمّد أكرم عندك من جميع خلقك فهل

---

١. لم أجده في المصدر. انظر: غاية المرام للبحراني، ج ٦، ص ٨٩ ـ ٩٠، قال: «نقل تحفة الإخوان عن كتاب بشارة المصطفى لشيعة علي المرتضي ...»؛ وقال الماحوزي في كتاب الأربعين، ص ١٠٦ ـ ١٠٧: «ونقل الفاضل الجليل الشيخ إبراهيم القطيفي ـ عطّر الله مرقده ـ في كتابه المسمّى بالفرقة الناجية عن كتاب بشارة المصطفى لشيعة علي ...» وفي شرح إحقاق الحقّ، ج ٧، ص ١٦٤، قال: «رواه القوم منهم العلّامة المولى محمّد صالح الترمذي في «المناقب المرتضوية» (ص ٢٠٧، ط بمبئي).

٢. في المصدر: ونجى بني إسرائيل.

٣. في المصدر: من ربّه.

٤. في المصدر: من قبلي.

٥. في النسخة: «قال» وما أثبتناه من المصدر.

في آل الأنبياء أكرم من آلي.

قال الله عزّ وجلّ[١]: أما علمتَ أنّ فضل آل محمّد ﷺ على آل جميع الأنبياء[٢] كفضل محمّد ﷺ على جميع المرسلين.

قال: يا ربّ، فإن كان آل محمّد ﷺ عندك[٣] كذلك فهل[٤] في أُمم الأنبياء أفضلُ عندك من أمّتي؛ ظلّلتَ عليهم الغَمام وأنزلتَ عليهم المنّ والسَّلوىٰ[٥] وفلقت لهم البحر؟

فقال الله: يا موسى، أما علمت أنّ فضل أُمّة محمّد على جميع الأُمم كفضله على جميع خلقي!

فقال موسى: يا ربّ، ليتني كنت أراهم! فأوحى الله تعالى إليه يا موسى، إنّك لن تراهم فليس أوان ظهورهم ولكن سوف تراهم في الجنان جنّات عدن والفردوس بحضرة محمّد في نعيمها يتقلّبُون وفي خيراتها يَتَبَحْبَحون[٦]، أفتحبّ أن أُسمعك كلامهم؟

قال: نعم يا إلهي.

قال: قم بين يدي واشدُد مَئزرَك قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل،

---

١. في المصدر: يا موسى، أما علمت.

٢. في المصدر: النبيين.

٣. في المصدر كلمة «عندك» محذوفة.

٤. في المصدر: «في صحابة... في أُمم الأنبياء» ليس موجودة.

٥. المنّ هو شيء يشبه الترنجبين حلو الطعم، والسّلوى السّماني أو طائر يشبه السّماني، فكان ينزل عليهم المنّ من طلوع الشمس ويأتيهم السلوى فيأخذ كلّ إنسان منها كفايته إلى الغد إلّا يوم الجمعة فيأخذ ليومين لأنّه لم ينزل يوم السبت.

٦. في كتاب من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٣٢٧: يتبجّحون أي يَتَنَعَّمون.

ففعل ذلك موسى، فنادى الملك ربّنا عزّ وجلّ يا أُمّة محمّد، فأجابوه كلّهم ـ وهم في أصلاب آبائهم وأرحام أُمّهاتهم ـ لبّيك اللّهمّ لبّيك لبّيك لا شريك لك لبّيك لبّيك إنّ الحمد والنّعمة لك والمُلك لا شريك لك [لبّيك]، قال: فجعل الله عزّ وجلّ تلك الإجابة شعائر الحجّ، ثمّ نادى ربّنا عزّ وجلّ يا أُمّة محمّد إنّ قضائي عليكم أن رحمتي سبقتْ غضبي وعفوي قبل عقابي، فقد استجبتُ لكم من قبل أن تدعوني وأعطيتُكم من قبل أن تسألوني، مَن لَقِيني منكم بشهادة أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنّ محمّداً عبده ورسوله، صادق في أقواله محقّ في أفعاله، وأنّ علي بن أبي طالب أخوه ووصيّه من بعده ووليّه، يلتزم طاعته كما يلتزم طاعة محمّد، وأنّ أولياءه المصطفين الأخيار المطهّرين المباينين[1] بعجائب آيات الله ودلائل حجج الله من بعدهما أوليائه، أدخلتُه جنّتي وإن كانت ذنوبه مثل زَبَد البحر، قال: فلمّا بعث الله نبيّنا محمّداً ﷺ قال: يا محمّد ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ أُمّتَك بهذه الكرامة، ثمّ قال عزّ وجلّ لمحمّد ﷺ: قل: الحمد لله ربّ العالمين على مَا اخْتَصَّني به من هذه الفضيلة وقال لأُمّته: قولوا الحمدُ للهِ ربّ العالمين على ما اختصّنا به من هذه الفضائل»[2]، انتهى.

---

١. المباينة المفارقة قال الجوهري: أي المفارقين والممتازين عن الخلق بعجائب آيات الله. منه عفى الله عنه. وفي علل الشرائع، ص ٤١٨: الميامين، وفي عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٢٥٦: المنبئين.

٢. علل الشرايع للصدوق، ج ٢، ص ٤١٧ ـ ٤١٨؛ عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ وشطر منه في من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨.

الحمد لله الذي عرّفني نفسه ولم يَتركني عَميانَ القلب، والحمد لله الذي جعلني من أُمّة محمّد ﷺ ولم يجعلني من الأُمم الماضية والقرون السالفة.

ومنها: ما رواه أبو الطفيل عن علي عليه السلام، قال:

قال رسول الله [فيّ]: «أنت الوصي» إلى أن قال: «وإنّ محبّيك وشيعتك ومحبّي أولادك الأئمّة بعدي محشورون معك وأنت معي في الدرجات العلى»[١].

ومنها: ما رواه جابر بن يزيد، عن محمّد بن علي الباقر عليه السلام، قال:

«سُئلت أُمّ سلمة زوجة النبي عن علي بن أبي طالب عليه السلام فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ علياً عليه السلام وشيعته هم الفائزون»[٢].

ومنها: ما رواه عن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام عن أبيه عن جدّه عن علي عليه السلام، قال:

«شكوت إلى رسول الله ﷺ حسد الناس إيّاي، فقال: يا علي، إنّ أوّل أربعة[٣] يدخلون الجنّة أنا وأنت والحسن والحسين وذرّيّتُنا خلفَ ظهورنا وأحِبّاؤُنا خلفَ ذرّيّتنا وأشياعُنا عن أيمانَنا وشَمائلَنا»[٤].

ومنها: ما رواه أبو الأسود الدؤلي عن أُمّ سلمة، قالت: قال رسول الله ﷺ:

«يا علي، إنّ الله تبارك وتعالى وَهَب لك حبَّ المساكين والمستضعفين في الأرض فرضيتَ بهم إخواناً ورضوا بك إماماً فطوبى لك ولمن أحبَّك وصدَّق فيك

١. كفاية الأثر للخزاز القمي، ص ١٥١ وعنه بحار الأنوار، ج ٣٦، ص ٣٣٥.
٢. الإرشاد للمفيد، ج ١، ص ٤١ ـ ٤٢؛ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج ٤٢، ص ٣٣٣.
٣. في المصدر: أربعين.
٤. الإرشاد للمفيد، ج ١، ص ٤٣.

وويل لمن أبغضك أو[١] كذب عليك. يا علي، أنا مدينة العلم[٢] وأنت بـابها ولا[٣] تؤتَى المدينةُ إلّا من بابها. يا علي، إخوانك يفرحون بك في ثلاث مواطن[٤] عـند خروج أنفسهم وأنا وأنت شاهدهم وعند المسألة في قبورهم وعند الصّـراط. يـا علي، حزبك حزبي وحزبي حزب الله[٥] من سالَمك فقد سالَمَني ومن سالَمَني فقد سالَم الله عزّ وجلّ. يا علي، بَشِّر شيعتَك بأنّ[٦] الله تعالى قد رضى عنهم ورضيتُك لهم إماماً وقائداً[٧] ورضوا[٨] بك وليّاً. يا علي، أنت أمير[٩] المؤمنين وقـائد الغـرّ المُحجّلين وأنت أبو السِّبطين[١٠] وأبو الأئمّة التسعة من صلب الحسين، منّا[١١] مهدي هذه الأُمّة. يا علي، شيعتك المنتجبون ولولا أنت وشيعتك ما قام لله دين»[١٢].

ومنها: ما رواه عمرو بن شِمَّر عن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

«الناس رجلان عالم ومتعلّم وسائر الناس غُثاء، فنحن العلماء وشـيعتنا المتعلّمون وسائر الناس غثاء»[١٣].

١. في المصدر: وكذب.
٢. في المصدر: أنا مدينة وأنت بابها.
٣. في المصدر: ما تؤتى.
٤. في المصدر: في أربعة أماكن فرحون.
٥. في المصدر: حربك حربي وحربي حرب الله.
٦. في المصدر: أنّ الله.
٧. في المصدر: رضوا بك لهم قائداً.
٨. في النسخة: «ويرضوا»، وما أثبتناه من المصدر.
٩. في المصدر: مولى.
١٠. في المصدر: أبو سبطي.
١١. في المصدر: ومنّا.
١٢. كفاية الأثر للخزاز القمي، ص ١٨٤ ـ ١٨٥ وعنه بحار الأنوار، ج ٣٦، ص ٣٤٨.
١٣. بصائر الدرجات للصفّار القمي، ص ٢٨ وعنه بحار الأنوار، ج ١، ص ١٩٤.

وأمّا من طريق أهل السنّة فكثيرة، منها: ما رواه الفقيه الشافعي ابن المغازلي في مناقبه بإسناده عن أنس بن مالك، قال:

«قال رسول الله ﷺ: يدخل من أُمّتي الجنّة سبعون ألفاً لا حساب عليهم ثمّ التفتَ إلى علي عليه السلام فقال: هم شيعتُك وأنت إمامهم»[١].

ومنه أيضاً: بإسناده عن كُثَير بن زيد، قال: دخل الأعمش على المنصور وهو جالس لِلمظالم فلمّا بصر به قال: يا أبا سليمان، تصدّر. قال: صدرتُ حيث جلستُ ثمّ قال: حدّثني الصادق، قال: حدّثني الباقر، قال: حدّثني السجّاد، قال: حدّثني الشهيد، قال: حدّثني التقي وهو الوصيّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: حدّثني النبي ﷺ قال:

«أتاني الأمين جبرئيل عليه السلام آنفاً فقال: تختّموا بالعقيق فإنّه أوّل حَجَر شَهد لله بالوحدانية و لي بالنبوّة ولعلي بالوصية ولوُلده بالإمامة ولشيعته بالجنّة، قال: فاستدارَ الناس بوجوههم نحوه فقيل له: تذكّرْ قوماً فتعلّم مَنْ لا يعلم»[٢].

ومنها: ما روى أخطب خوارزم عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ:

«من أحبّ علياً قَبِلَ اللهُ[٣] صلاتَه وصيامَه وقيامَه واستجاب دعاءه، ألا ومَن أحبَّ علياً أعطاه الله بكلّ عِرقٍ في بَدنه مدينة في الجنّة، ألا ومن أحبّ علياً[٤] وآل محمّد آمن من الحساب والميزان والصراط، ألا ومن مات على حبّ علي[٥] وآل

١. المناقب لابن المغازلي، ص ٢٩٣.
٢. نفس المصدر، ص ٣٤٦.
٣. في المصدر: + منه.
٤. في المصدر: من أحبّ آل محمّد.
٥. في المصدر: على حبّ آل محمّد.

محمّد فأنا كفيلُه بالجنّة مع الأنبياء، ألا ومن أبغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيسٌ من رحمة الله»[١].

ومنها: ما رواه عن معاوية بن وحيد العشيري، قال: سمعت النبي ﷺ يقول لعلي: «يا علي، لا يبالي من مات وهو يبغضك مات يهودياً أو نصرانياً»[٢].

ومنها: ما روى أحمدُ بن حنبل في مسنده أنّ رسول الله ﷺ وقد أخذ بيده الحسن والحسين وقال:

«من أحبّني وأحبّ أباهما وأُمّهما كان معي وفي درجتي يوم القيامة[٣]»[٤].

ومنها: ما روي عن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ:

«لو اجتمع الناس على حبّ علي بن أبي طالب لم يخلق[٥] الله ناراً»[٦] وقال: «حبّ علي حسنةٌ لا يضرّ معها سيّئة، وبغض علي سيّئة لا ينفع معها حسنة»[٧].

ومنها: ما روى الخوارزمي عن ابن عبّاس قال النبي ﷺ لِعلي:

«أنت سيّد في الدنيا والآخرة، من أحبّك فقد أحبّني، وحبيبي حبيب الله عزّ

---

١. المناقب للخوارزمي، ص ٧٢ و٧٣.
٢. المناقب لابن المغازلي، ص ٥٠.
٣. في المصدر: أنّ رسول الله ﷺ أخذ بيده الحسن والحسين فقال: من أحبّني وهذين وأباهما وأُمّهما كان معي في درجتي يوم القيامة.
٤. المسند لأحمد بن حنبل، ج ١، ص ٧٧ وفيه: «من أحبّني وأحبّ هذين وأباهما ...».
٥. في المصدر: لما خلق.
٦. المناقب للخوارزمي، ص ٦٧ وروى عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله ﷺ إلخ الرواية؛ بشارة المصطفى للطبري، ص ١٢٧؛ كشف الغمّة للإربلي، ج ١، ص ٩٨؛ كشف اليقين للعلّامة الحلّي، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦؛ ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي، ج ١، ص ٢٧٢ و٣٧٦، ج ٢، ص ٢٤٤.
٧. المناقب للخوارزمي، ص ٧٥.

وجلّ، وعدوّك عدوّي وعدوّي عدوّ الله عزّ وجلّ، ويل لمن أبغضك بعدي»[١].

ومنها: ما روى الزمخشري ـ مع أنّه كان أشدّ الناس عناداً لأهل البيت عليهم السلام ـ قال بإسناده، قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«فاطمة مُهجة قلبي وابناها ثمرة فؤادي وبَعلُها نور بصري والأئمّة من ولدها أُمناء ربّي وحبل ممدود بينه وبين خلقه، من اعتصم بهم نجا ومن تخلّف عنهم هوى»[٢].

ومنها: ما رواه الجمهور من عدّة طرق «أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حمل علياً حتّى كسر الأصنام من فوق الكعبة، وأنّه لا يجوز على الصراط إلّا من كان معه كتاب من الله بولاية علي بن أبي طالب، وأنّه ردّت عليه الشمس بعدما غابت حيث كان النبي صلى الله عليه وآله قائماً على الحجرة ودعا له بردّها ليصلّي علي العصر فردّت[٣]، وأنّه نزّل الله له سطلاً وعليه[٤] منديل وفيه ماء فتوضّأ للصلاة ولحق بصلاة النبي صلى الله عليه وآله، وأنّ منادياً من السماء نادى يوم أُحد لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي، وروي أنّه نادى به المنادي[٥] يوم بدر أيضاً»[٦]، انتهى.

اللّهمّ اجعلنا ممّن يحبّهم ويحبّ محبّهم ويبغض أعداءهم ومن والاهم من الجنّ والإنس أجمعين.

---

١. نفس المصدر، ص ٣٢٧.
٢. عن نهج الحقّ وكشف الصدق للعلّامة الحلّي، ص ٢٢٧.
٣. نفس المصدر وفيه: فردّت له.
٤. نفس المصدر وفيه: نزل إليه سطل عليه.
٥. نفس المصدر وفيه: نادى به يوم البدر.
٦. انظر: نهج الحقّ وكشف الصدق للعلّامة الحلّي، ص ٢٢٣ و ٢٢٤.

﴿اهْدِنا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

بيان لِما طلب المعونة فيه؛ إذ الحقّ في الجمل المتعاقبة أن يكون بعضها متعلّقاً لبعض آخر، والمعنى: إعطفْ علينا بتوفيقك حتّى نُطيعك في مستقبل أعـمالنا وإن قصَّرنا في ماضي أيّامنا، وأرشدنا إلى الصـراط المـؤدّي إلى مـحبّتك والمُـبلِّغ إلى رحمتك وجنّتك والمانع من أن نتَّبع أهواءنا أو أن نعمل بآرائنا فنُهلَك، وثَبِّتنا على دين الإسلام وما في القرآن من الآداب والأحكام ولا تُزِغْنا عن السبيل الذي سلك به علي عليه السلام والأئمّة الكرام عليهم السلام إلى يوم القيام. واختلفوا في معنى الهداية.

فمنهم من قال: إنّها إيصال إلى المطلوب مستمسكاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لاٰ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[1].

ومنهم من قال: إنّها الدلالة إلى الموصل إلى المطلوب، أي: إراءة السبيل محتجّاً بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنٰاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمىٰ عَلَى الْهُدىٰ﴾[2].

وكلّ واحد من القولين منقوضٌ ومدفوع بمتمسّك الآخـر، فـالظاهر أنّـها [أي: الهداية] لفظ مشترك بين كلا المعنيين، فحينئذٍ يندفع نقض كلا القولين. والأغلب أنّه [أي: لفظ الهداية] إذا استعمل متعدّياً بنفسه كان بمعنى الأوّل ولو استعمل مع حرف الجرّ ولو كان تقديراً كان بمعنى الثاني. فالمراد منها هنا، هو الأوّل.

وهداية الله عزّ وجلّ تنقسم إلى أقسام عديدة، منها: خَلقُ القُوىٰ التي بها يتعيّش الإنسان وبها يُدرِك الأشياء وبها يَميِّزُ بين المُوسَويّة والفِرعونيّة كالمدرِكات الباطنة والقوّةِ العاقلة.

---

١. القصص (٢٨)، الآية ٥٦.

٢. فصّلت (٤١)، الآية ١٧.

ومنها: جعلُ الدلائل منصوبة ليحصل الفرق بين الحقّ والباطل وليتميّز الصلاح من الفساد كما أشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمىٰ عَلَى الْهُدىٰ﴾[١].

ومنها: بعث الأنبياء ونصب الأوصياء وإنزال الكتب من السماء كما أشار إليه بقوله عزّ شأنه: ﴿إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[٣].

ومنها: رفعُ الحُجُب والأستار عن القلوب وجعل المغيّبات والأسرار فيها مكشوفاً إمّا بالوحي، أو بالإلهام، أو بالمَنام وهذا القسم أعلى الأقسام وأسناها وأشرفِها؛ لأنّه مختصّ بالأنبياء والأوصياء والأولياء وإليه أشار بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[٤] وبقوله عزّ وجلّ: ﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[٥].

والصراط على نوعين صراط في الدنيا وصراط في العُقبىٰ. والدنيوي عبارة عمّا قصّر عن الغلوّ وعلا عن التقصير ولم يَزِغْ إلى الباطل، والأُخروي عبارة عمّا يصل إلى الجنّة ولا يميل عنها إلى النار.

والأمر في [إهدنا] مشتقّ من هَدىٰ يَهدي بمعنى الدعاء من قبيل قوله عزّ وجلّ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾[٦] و﴿قُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾[٧] إن[٨] كانا لفظاً

١. فصّلت (٤١)، الآية ١٧.
٢. الإسراء (١٧)، الآية ٩.
٣. الأنبياء (٢١)، الآية ٧٣.
٤. العنكبوت (٢٩)، الآية ٦٩.
٥. الأنعام (٦)، الآية ٩٠.
٦. نوح (٧١)، الآية ٢٨.

ومعنىً واحداً لكن الفرق بينهما حاصل بالاستعلاء والتسفّل[٩] كما هو المحقّق في مقامه وذلك [في إهدنا] يتعدّى إلى مفعولين أحدهما هنا، ضمير متّصل وهو منصوب محلّاً لكونه مبنيّاً والآخر اسم ظاهر وهو «الصراط» و«المستقيم» نعت له وفائدته التوضيح، نحو: زيد الظريف، والمراد به المحكم الذي يوصل سالكه إلى المطلوب والمرام، قطعاً وهو عبارة عن الشريعة المصطفوية والطريقة المرتضوية.

وابن كثير قرأ «سراط» بالسين من سَرَطَ الطعام إذا ابتَلَعه[١٠] ومَن عداه من القُرّاء قَلَّب «السين»، «صاداً» لتطابق «الطاء» في الإطباق وقرأ بالصاد.

﴿صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾

هذا بدل عن ذلك، بدل الكلّ من الكلّ من قبيل قولهم: هذا زيد أخوك؛ لأنّ شرط هذا القسم من البدل اتّحاده مع المبدل منه ذاتاً وإن كانا مختلفين معنىً كما وجد في المثال المذكور. والموصول محلّاً مجرور على أنّه مضاف إليه للبدل، والإضافة تفيد التعريف؛ لأنّ كلّ نكرة إذا أُضيفت إلى المعرفة إضافة معنوية تكسب من المضاف إليه التعريف إلّا أسماء تُوغِّلَت في الإبهام فإنّها نَكِرات وإن أُضيفت إلى المعارف، نحو: «غير» و«مثل» وسنذكر لك من أحوالها إجمالاً، فذلك من قبيل كون البدل

---

٧. الإسراء (١٧)، الآية ٢٤.

٨. في كلا النسختين: «فإن» والظاهر ما أثبتناه هو الصحيح.

٩. هكذا عبارة المؤلّف ﷺ في كلا النسختين لكن لم يفهم المراد من كلامه ولعلّ سقط في العبارة أو المراد منه أنّ لفظ الأمر في بعض الأحيان يستعمل على سبيل الاستعلاء وفي البعض الآخر على سبيل الاستدعاء.

١٠. وهي قراءة الكسائي وأبي عمرو وابن مجاهد وآخرين، انظر: مجمع البيان، ج ١، ص ٢٧ والكشّاف للزمخشري، ج ١، ص ١١.

والمبدل منه معرفتين والجملة [أي: أنعمت عليهم] بعد ذلك صلة الموصول. والجارّ والمجرور والمتعلّق بها، عائد لذلك. وأمّا بناءً على ما قاله نجم الأئمّة[١] من عدم ظهور الفرق بين بدل الكلّ وعطف البيان يجوز أن يكون ذلك عطف بيان والظاهر أنّ الفرق بينهما حاصل في أنّ المقصود من الثاني الإسناد إلى الأوّل وإتيان الثاني لتوضيحه؛ بخلاف الأوّل فإنّ المقصود فيه الإسناد إلى الثاني وإتيان الأوّل للتوطئة لذلك كما بيّناه في موضعه.

والفائدة في جعل هذا بدلاً عن ذلك، هي الإشعار بأنّ الطريق المستقيم هو طريق المعصومين المُنعم عليهم لا غير. قال الإمام الحسن بن علي عليه السلام: «إنّ المقصود من الذين أنعمت عليهم ما قال الله تعالى في قوله: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولٰئِكَ رَفِيقاً﴾[٢] والمعنى: ارشدنا إلى سبيل الذين أنعمت عليهم بالإيمان وتصديق رسوله وبالولاية لعترته الطاهرين وأوصيائه المنتجبين[٣]»، انتهى.

الظاهر أنّ المراد من ذلك: سبيل من كانوا من النّاجين والمقرَّبين وَهُم عبارة عن حيدر الكرّار وقامِع الكفّار والأئمّة الأبرار والخلفاء الأخيار؛ للآيات الكريمة والأخبار الكثيرة الدالّة صريحاً على إمامة خِيرة الأحباب، ووجوب الإطاعة لسلالة الأطياب، وكونهم قُدوة لأُولي الألباب، وأنّهم أوصياء رسول المختار، والعروة

١. وهو الشيخ رضي الدين محمّد بن الحسن الأسترآبادي النحوي، المتوفّى سنة ٦٨٦ وكان فاضلاً، عالماً، محقّقاً مدقّقاً، كاملاً في فنون العربية، له كتب منها: شرح الشافية، شرح قصائد ابن أبي الحديد، شرح الكافية بالفارسية. انظر: أمل الآمل للشيخ الحرّ العاملي، ج ٢، ص ٢٥٥.

٢. النساء (٤)، الآية ٦٩.

٣. التفسير [المنسوب إلى] الإمام العسكري عليه السلام، ص ٤٨.

الوثقى، والحبل المتين، والصراط المستقيم، والنبأ العظيم، ومصداق من تمسّك بهم نجى ومن تخلّف عنهم هلك.

[شطر من الآيات التي نزلت في أئمّة أهل البيت عليهم السلام]

أمّا الآيات التي نزلت في شأنهم والدالّة على أنّهم الأئمّة الهدى وورثة الأنبياء.

فمنها: قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاٰةَ وَهُمْ راٰكِعُونَ﴾[1].

ومنها: قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾[2]، الآية.

ومنها: قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلاٰمَ دِيناً﴾[3].

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَآتِ ذا الْقُرْبىٰ حَقَّهُ﴾[4].

ومنها: قوله تعالى: ﴿... أُولٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[5].

ومنها: قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كاٰنَ مُؤْمِناً كَمَنْ كاٰنَ فاٰسِقاً لاٰ يَسْتَوُونَ﴾[6].

ومنها: قوله تعالى: ﴿... لاٰ يَناٰلُ عَهْدِى الظّاٰلِمِينَ﴾[7].

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَماٰ كاٰنَ لِمُؤْمِنٍ وَلاٰ مُؤْمِنَةٍ إِذاٰ قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ

---

١. المائدة (٥)، الآية ٥٥.
٢. المائدة (٥)، الآية ٦٧.
٣. المائدة (٥)، الآية ٣.
٤. الإسراء (١٧)، الآية ٢٦.
٥. البيّنة (٩٨)، الآية ٧.
٦. السجدة (٣٢)، الآية ١٨.
٧. البقرة (٢)، الآية ١٢٤.

لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[١].

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَيَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحانَ اللهِ وَتَعالىٰ عَمّا يُشْرِكُونَ﴾[٢].

ومنها: قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النّاسَ عَلىٰ ما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً * فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيراً﴾[٣].

ومنها: قوله تعالى: ﴿ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَما تَخَيَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ أَيْمانٌ عَلَيْنا بالِغَةٌ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَما تَحْكُمُونَ * سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذٰلِكَ زَعِيمٌ * أَمْ لَهُمْ شُرَكاءَ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكائِهِمْ إِنْ كانُوا صادِقِينَ﴾[٤].

ومنها: قوله تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلىٰ قُلُوبٌ أَقْفالُها﴾[٥]، ﴿طَبَعَ اللهُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[٦]، ﴿قالُوا سَمِعْنا وَعَصَيْنا﴾[٧]، ﴿ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[٨].

ومنها: قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلّا أَنْ يُهْدىٰ

---

١. الأحزاب (٣٣)، الآية ٣٦.
٢. القصص (٢٨)، الآية ٦٨.
٣. النساء (٤)، الآية ٥٤ ـ ٥٥.
٤. القلم (٦٨)، الآية ٣٦ ـ ٤١.
٥. محمّد (٤٧)، الآية ٢٤.
٦. التوبة (٩)، الآية ٩٣.
٧. البقرة (٢)، الآية ٩٣.
٨. الحديد (٥٧)، الآية ٢١ والجمعة (٦٢)، الآية ٤.

فَمٰا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[١].

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوٰاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لاٰ يَهْدِي الْقَوْمَ الظّٰالِمِينَ﴾[٢].

ومنها: قوله تعالى: ﴿... إِنَّمٰا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[٣].

ومنها: قوله تعالى: ﴿قُلْ لاٰ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاّٰ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ﴾[٤].

ومنها: قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقٰايَةَ الْحٰاجِّ وَعِمٰارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجٰاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لاٰ يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ﴾[٥].

ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرٰارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كٰانَ مِزٰاجُهٰا كٰافُوراً * عَيْناً يَشْرَبُ بِهٰا عِبٰادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهٰا تَفْجِيراً * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخٰافُونَ يَوْماً كٰانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً * وَيُطْعِمُونَ الطَّعٰامَ عَلىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمٰا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاٰ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزٰاءً وَلاٰ شُكُوراً * إِنّٰا نَخٰافُ مِنْ رَبِّنٰا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً * فَوَقٰاهُمُ اللهُ شَرَّ ذٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقّٰاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً ـ إلى قوله ـ وَكٰانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً﴾[٦].

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنٰاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتٰاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾[٧].

---

١. يونس (١٠)، الآية ٣٥.
٢. القصص (٢٨)، الآية ٥٠.
٣. الأحزاب (٣٣)، الآية ٣٣.
٤. الشورى (٤٢)، الآية ٢٣.
٥. التوبة (٩)، الآية ١٩.
٦. الإنسان (٧٦)، الآية ٥ ـ ٢٢.
٧. الأحزاب (٣٣)، الآية ٥٨.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ﴾[1].

ومنها: قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[2].

ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[3].

ومنها: قوله تعالى: ﴿... فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[4].

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾[5].

ومنها: قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ * كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾[6].

ومنها: قوله تعالى: ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[7].

ومنها: قوله تعالى: ﴿... اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[8].

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[9].

---

١. الصافّات (٣٧)، الآية ٢٤.
٢. الجاثية (٤٥)، الآية ٢١.
٣. القمر (٥٤)، الآية ٥٤ ـ ٥٥.
٤. النحل (١٦)، الآية ٤٣ والأنبياء (٢١)، الآية ٧.
٥. الحديد (٥٧)، الآية ١٩.
٦. النبأ (٧٨)، الآية ١ ـ ٤.
٧. آل عمران (٣)، الآية ٥١؛ مريم (١٩)، الآية ٣٦؛ يس (٣٦)، الآية ٦١؛ الزخرف (٤٣)، الآية ٦١ ـ ٦٢.
٨. التوبة (٩)، الآية ١١٩.
٩. البقرة (٢)، الآية ٤٣.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١].

ومنها: قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كانَ عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ﴾[٢].

ومنها: قوله تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوْحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٣].

ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ﴾[٤].

ومنها: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[٥].

ومنها: قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ﴾[٦].

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾[٧].

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٨].

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ﴾[٩].

١. البقرة (٢)، الآية ٢٧٤.
٢. هود (١١)، الآية ١٧.
٣. الزخرف (٤٣)، الآية ٤٣.
٤. الرعد (١٣)، الآية ٧.
٥. التكاثر (١٠٢)، الآية ٨.
٦. آل عمران (٣)، الآية ٦١.
٧. الفتح (٤٨)، الآية ٢٩.
٨. التحريم (٦٦)، الآية ٤.
٩. الرعد (١٣)، الآية ٤٣.

ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[1].

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[2].

ومنها: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ...﴾[3].

ومنها: قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ...﴾[4].

ومنها: قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾[5].

ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ـ إلى قوله ـ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[6].

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[7].

ومنها: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً﴾[8].

ومنها: قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرُ فِيهَا اسْمُهُ﴾[9].

---

١. مريم (١٩)، الآية ٩٦.
٢. البقرة (٢)، الآية ٤٥.
٣. التوبة (٩)، الآية ٢٠.
٤. إبراهيم (١٤)، الآية ٢٧.
٥. مريم (١٩)، الآية ٩٧.
٦. الحج (٢٢)، الآية ٢٣.
٧. آل عمران (٣)، الآية ١٠٣.
٨. الفرقان (٢٥)، الآية ٥٤.
٩. التوبة (٩)، الآية ٣٦.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[١].

ومنها: قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾[٢].

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ﴾[٣].

ومنها: قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾[٤].

ومنها: قوله تعالى: ﴿... وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ...﴾[٥].

ومنها: قوله تعالى: ﴿... وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[٦].

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ﴾[٧].

ومنها: قوله تعالى: ﴿... وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ ...﴾[٨].

ومنها: قوله تعالى: ﴿... قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ ...﴾[٩].

ومنها: قوله تعالى: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا...﴾[١٠]، الآية.

ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾[١١].

---

١. الشعراء (٣٦)، الآية ٢٢٧.
٢. الزخرف (٤٣)، الآية ٤١.
٣. طه (٢٠)، الآية ١١٥.
٤. إبراهيم (١٤)، الآية ١٣.
٥. الأحزاب (٣٣)، الآية ٢٥.
٦. العصر (١٠٣)، الآية ٣.
٧. العصر (١٠٣)، الآية ١.
٨. آل عمران (١٠٣)، الآية ١٠٣.
٩. يونس (١٠)، الآية ١٥.
١٠. المجادلة (٥٨)، الآية ١٣.
١١. البروج (٨٥)، الآية ١٠.

ومنها: قوله تعالى: ﴿ٱلسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾(١).

ومنها: قوله تعالى: ﴿... وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ...﴾(٢).

ومنها: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ البِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِها﴾(٣).

ومنها: قوله تعالى: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ﴾(٤).

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مِتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بٰاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ﴾(٥).

وغير ذلك من الآيات الدالّة على إمامة الأئمّة الطاهرين كثير(٦).

فالمفهوم من تلك الآيات ومن قوله عزّ وجلّ: ﴿يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ...﴾(٧) أنّ الله فرض طاعة أُولي الأمر على الخلق وقرن طاعتهم بطاعته، كما في الآية، وأمر الناس بمتابعتهم، ونظم مصالح العالم بمطاوعتهم، وجعلهم حكّاماً في أقطار الأرضين، وملوكاً على رقاب العالمين ليميز الحقّ من الباطل، ويخرجهم بنور الهداية من ظلمات الضلالة، وينقذهم بالحجج

١. الواقعة (٥٦)، الآية ١٠ ـ ١١.
٢. البقرة (٢)، الآية ١٧٧.
٣. البقرة (٢)، الآية ١٨٩.
٤. آل عمران (٣)، الآية ١٧٤.
٥. الأنفال (٨)، الآية ١٦.
٦. دلالة هذه الآيات المذكورة على المراد يعتمد على الأدلّة الروائية وشأن نزول هذه الآيات حيث ينبغي أن يُحقق كلّ منها في محلّه؛ وأورد الحاكم الحكساني في شواهد التنزيل كثير من هذه الروايات، وأشار المؤلّف آنفاً إلى قسم منها، على أنّ فهم الارتباط بين هذه الآيات وأئمّة أهل البيت عليهم السلام ينبغي أن يؤخذ بنظر الاعتبار تفسير هذه الآيات على المستويين التنزيلي والتأويلي (أو البطوني) في الآيات الشريفة.
٧. النساء (٤)، الآية ٥٩.

البالغة من ورطات الجهالة، ويعصمهم بعروج معارج التقوى من دروج مدارج سقطات الهلكى، ويقيم الخلق على الصراط المستقيم والمنهاج القويم ويُؤَمِّن عليه أن يتطرّق إليه ميل عن الحقّ.

[شطر من الروايات في تبيين الآية ـ ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ ـ وفضائل أهل البيت عليهم السلام]

ثمّ بَيَّنَ النبي صلى الله عليه وآله أمر الخلافة والولاية وعيّنه وما أجمل الله تعالى في قرآنه فصّله بعبارات مختلفة وألفاظ متفاوتة في مواضع متعدّدة وأخبار لا يمكن حصرها ولا يطعن في رواتها ولا ينكر على صحّتها وذلك من طريقنا ما لا يعدّ ولا يحصى؛ لكن لا بدّ من ذكر بعضها وبيان بعض فضائله [أي: فضائل أمير المؤمنين عليه السلام] لما رواه أخطب خوارزم هو أنّه قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى جعل لأخي علي فضائل لا تحصى كثرة[1]، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرّاً بها غفر الله له ما تقدّم من ذنبه[2]، ومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة[3] رسمٌ، ومن استمع [إلى] فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالاستماع، ومن نظر إلى كتاب من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر، ثمّ قال: النظر إلى علي عبادة وذكره عبادة، ولا يقبل الله تعالى إيمان عبد إلّا بولايته والبراءة من أعدائه»[4].

---

١. في كلا النسختين: «كثرته» والصواب ما أثبتناه من المصدر.
٢. في المصدر: غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر.
٣. في المصدر: الكتاب.
٤. المناقب للخوارزمي، ص ٣٢ ـ ٣٣.

فمن تلك الأخبار ما رواه محمّد بن الحسن الصفّار بإسناده عن عمر بن يـزيد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

«إنّ الرسول صلى الله عليه وآله ذات يوم جالس إذا أتاه رجل طويل كأنّه نخلة فسلّم فردّ عليه السلام وقال: شبيه الجنّ وكلامهم. فمَنْ أنت يا عبد الله؟

فقال: أنا إلهام بن الهيم بن لاقيس بن إبليس.

فقال له رسول الله: ما بينك وبين إبليس إلّا أبَوان.

فقال: نعم، يا رسول الله.

قال: فكم أتى لك؟

فقال: أكلت عمر الدنيا إلّا أقلّه وأنا أيّام قتل قابيل هابيل غـلام أفـهم، وأنهى عن الاعتصام، وأطرق الآجام. وآمُـرُ بـقطيعة الأرحـام، وأفسِـدُ الطّعام.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: بئس سيرة الشيخ المتأمّل والغلام المقبل.

فقال: يا رسول الله، إنّي تائب.

قال له صلى الله عليه وآله: على يد من جريتَ توبتَك من الأنبياء؟

قال: يدُ نوح عليه السلام وكنت معه في السَّفينة وعاتبتُه على دعائه على قـومه حتّى بكا وأبكاني وقال: لا جرم إنّي على ذلك من النّادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين. ثمّ كنت مع إبراهيم عليه السلام حين كاده قومه فألقوه في النار فجعلها الله برداً وسلاماً. ثمّ كنت مع يوسف حين حسـده إخـوته فألقوه في الجبّ فبادرتُه في قعر الجبّ فوضعته وضعاً رفيقاً، ثمّ كنت معه في السجن أُؤنسه فيه حتّى أخرجه الله تعالى منه. ثمّ كنت مع موسى عليه السلام وعلَّمني سِفراً من التوراة وقال: إذا أدركتَ عيسى عليه السلام فَاقْرأ منّي السّلام،

فلقيتُه وأقرأتُه السّلام مِن موسى وعلَّمني سِفراً من الإنجيل وقال: إن أدركتَ محمّداً ﷺ فاقْرأ منّي السّلام، فعيسى يا رسولَ الله، يَقرأ عليك السلام.

فقال النبي صلّى الله عليه: وعلى عيسى روح الله وكلمتُه مادامتِ السّماوات والأرض السلام. وعليك يا هام بما بلّغت السلام فارفعْ إلينا حوائجَك.

قال: حاجتي أن يُبقيك اللهُ لأُمّتك ويُصلحُهم لك ويَرزقُهم الاستقامة لِوَصيّك من بعدك، فإنّ الأُممَ السالفة إنّما هلكتْ بعصيان الأوصياء. وحاجتي يا رسول الله، أن تُعلِّمني سُوَراً من القرآن أُصلّي بها.

فقال رسول الله لعلي: يا علي، عَلِّم هامَ وارفَقْ به.

فقال هام: يا رسول الله، من هذا الذي ضممتَني إليه، فإنّا معاشر الجنّ قد أُمرنا أن لا نكلّمَ إلّا نبيّاً أو وصيَّ نبي.

فقال: يا هام، فَمن وجدتُم في الكتاب وصي آدم؟

قال: شيثُ بن آدم.

قال: فمن كان وصيُّ نوح؟

قال: سام بن نوح.

قال: فمن كان وصيُّ هود؟

قال: يوحنّا بن حنّان ابن عمّ هود.

قال: فمن كان وصيُّ إبراهيم؟ قال: إسحاق بن إبراهيم.

قال: فمن كان وصيُّ موسى؟ قال: يوشَعُ بن نون.

قال: فمن كان وصيُّ عيسى؟

قال: شَمْعُونَ بن حمون الصفا ابن عمّ مريم.

قال: فمن وجدتم في الكتاب وصيّ محمّد؟ قال: هو في التوراة أليّا.

قال له رسول الله ﷺ: هذا أليّا هو عليّ وصيي.

قال الهامّ: يا رسول الله، فله اسم آخر غير هذا.

قال: نعم، هذا «حيدرة» فَلِمَ سألتَني عن ذلك؟

قال: إنّا وجدنا في كتاب الأنبياء أنّه في الإنجيل «هيدارا» قال: هو حيدرة

قال: فعلّمه علي عليه السلام سورةَ من القرآن، فقال هام: يا عليّ يا وصي محمّد أكتفي بما علَّمتَني من القرآن؟

فقال: نعم يا هامّ، قليل القرآن كثير. ثمّ قال: فقام هام إلى النبي ﷺ فودّعه فلم يَعُدْ إلى النبي حتّى قُبِض عليه السلام»[1]، انتهى.

وإنّما ذكرنا هذا الخبر مع طوله لكون مشتملاً على لطائف ونُكت.

ومن طريق أهل الخلاف كثيرة.

منها: ما قال أحمد بن حنبل رفعه إلى أنس بن مالك، قال: قلنا لسلمان: إسأل النّبي ﷺ مَن وصيُّه، فقال له سلمان: يا رسول الله، من وصيُّك؟

فقال:

«يا سلمان، مَن وصيّ موسى؟ فقلت: يوشع بن نون، قال: قال وصيي ووارثي يقضي دَيني ويُنجِزُ مَوعدي، علي بن أبي طالب»[2].

---

١. بصائر الدرجات، لمحمّد بن حسن الصفّار، ص ٢٨.

٢. فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٦١٥، ح ١٠٥٢ وروى عنه ابن بطريق في العمدة، ص ٣٧ و٣٨، ونقل عنه في بحار الأنوار، ج ٣٨، ص ١٩. وانظر أيضاً: الطرائف لابن طاووس، ص ٢٢؛ حلية الأبرار للبحراني، ص ٤٤٣.

ومنها: ما رواه الفقيه ابن المغازلي الشافعي في تفسير قوله تعالى: ﴿والنَّجمِ إذا هَوى﴾[١] عن ابن عبّاس، قال: كنت جالساً مع فتية من بني هاشم عند النبي صلى الله عليه وآله إذ انَقَضَّ كوكب فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من انَقَضَّ هذا النجمُ في منزله هو الوصيُّ من بعدي فقام فتيةٌ من بني هاشم فَنَظروا فإذا الكوكب قد انقضَّ في منزل علي بن أبي طالب عليه السلام فقالوا: يا رسول الله، غُويتَ في حُبِّ علي، فأنزل الله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذٰا هَوىٰ * مٰا ضَلَّ صٰاحِبُكُمْ وَمٰا غَوىٰ * وَمٰا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰ * إِنْ هُوَ إِلّٰا وَحْيٌ يُوحىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوىٰ﴾[٢]»[٣].

ومنها: ما ذكره الثّعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ لاٰ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ﴾[٤] قالوا: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: «علي وفاطمة وأبناؤهما عليهم السلام»[٥].

ومنها: ما تكرّر من النبي صلى الله عليه وآله أيّام حياته إلى حين وفاتِه، رَوى أحمد بن حنبل بإسناده عن أبي سعيد الخُدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إنّي قد تركتُ فيكم ما إنْ تمسَّكتُم به لَن تضَلُّوا بعدي الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتابُ الله حبلٌ مَمدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا وإنّهما لن

---

١. النجم (٥٣)، الآية ١.
٢. النجم (٥٣)، الآية ١ ـ ٥.
٣. المناقب لابن المغازلي، ص ٣٦٨، رقم ٣٥٨.
٤. الشورى (٤٢)، الآية ٢٣.
٥. الكشف والبيان للثعلبي، ج ٨، ص ٣١٠.

يفترقا حتّى يردا عَليَّ الحوض»[١].

قال ابن نمر: عن الأعمش، قال: عن رسول الله ﷺ «فانظُرُوا كيف تَخلفوني فيهما»[٢].

ومنها: ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده، قال: قال رسول الله ﷺ:

«النُّجومُ أمانٌ لأهل السماء فإذا ذهبتْ النجوم ذهبوا وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»[٣].

ومنها: ما روى أخطب خوارزم بإسناده إلى ابن عبّاس، قال: «قال رسول الله ﷺ: لو أنّ الرياض[٤] أقلام والبحور[٥] مداد والجنّ حسّاب والإنس كتّاب ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب»[٦].

ومنها: ما رواه المزبور أيضاً عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ:

«لمّا خَلَقَ اللهُ آدم ونَفخَ فيه من روحه عَطَس آدم فقال: الحمدُ لله فأوحى الله تعالى حمدني عبدي وعزّتي وجلالي لولا عبدان أُريد أن أخلُقَهما في دار الدنيا ما خلقتُك.

١. المسند لأحمد بن حنبل، ج ١٧، ص ١٠٩ ـ ١١٠؛ وانظر أيضاً: كتاب السنّة لابن أبي عاصم، ص ٦٣٠، الرقم ١٥٥٥؛ المناقب للخوارزمي، ص ١٥٤ مع اختلاف يسير.

٢. المسند لأحمد بن حنبل، ج ٣، ص ١٧ وفيه: «فانظروني بِمَ تخلفوني فيهما» بدل «فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

٣. فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، ج ٣، ص ٦٧١ ومع اختلاف يسير في المستدرك للحاكم، ج ٢، ص ٤٤٨ وج ٣، ص ١٤٩ و٤٥٧ وفرائد السمطين للحموئي، ج ١، ص ٤٥ وج ٢، ص ٢٥٢.

٤. في المصدر: «الغياض» جمع الغيضة وهي الشجر الملتفّ.

٥. في المصدر: «البحر».

٦. المناقب للخوارزمي، ص ٣٢، الرقم ٢.

قال: إلهي فيكونان منّي؟

قال: نعم يا آدم، إرفعْ رأسَك وانظُر فرفع رأسه فإذاً مكتوب على العرش لا إله إلّا الله محمّدٌ نبي الرحمة وعليٌ مُقيم الحجّة، من عَرفه زكيٰ وطابَ ومن أنكر حقّه لُعِنَ وخابَ، أقسمتُ بعزّتي وجلالي لن أُدخِلَ النارَ من أطاعه وإن عصاني وأقسمت بعزّتي لن أُدخل الجنّة من عصاه وإن أطاعني»[١].

ومنها: ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده أنّه قال: قال رسول الله ﷺ:

«كنت أنا وعلي بن أبي طالب نوران[٢] بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام فلمّا خلق الله آدم قسّم ذلك النور جزئين فجزءٌ أنا وجزءٌ عَلي»[٣].

ومنها: ما روى عن أبي الحمراء أنّه قال: قال رسول الله ﷺ:

«من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في فهمه وإلى يحيى بن زكريّا في زهده وإلى موسى بن عمران في بطشه فلينظر إلى علي بن أبي طالب»[٤].

ومنها: ما ذكر أيضاً في مسند أحمد بن حنبل أنّ رسول الله ﷺ قال لعلي:

«لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق»[٥].

---

١. المناقب للخوارزمي، ص ٣١٨.

٢. في المصدر: نوراً.

٣. فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٦٦٢؛ وانظر أيضاً: العمدة لابن بطريق، ص ٨٧ ـ ٨٨؛ المسترشد للطبري، ص ٦٢٩ ـ ٦٣٠؛ الطرائف لابن طاووس، ص ١٦؛ نهج الحقّ وكشف الصدق، ص ٢١٢.

٤. المناقب للخوارزمي، ص ٨٣، رقم ٧٠.

٥. المسند لابن حنبل، ج ١، ص ٩٥، ١٢٨؛ ج ٦، ص ١٩٢، رقم ٦٤٢؛ فقد روى هذه الرواية ⇦

وهذا مذكور في الجمع بين الصحيحين وفي الجمع بين الصحاح الستّة.

ومنها: ما ذكر من مسنده من عدّة طرق أنّ النبي ﷺ قال:

«من آذى علياً فقد آذاني أيّها الناس، مَن آذى علياً بعثَ يوم القيامة يهودياً أو نصرانياً»[١].

ومنها: ما قال الجاحظ ـ مع أنّه من أعظم الناس عداوة لأمير المؤمنين عليه السلام ـ: صدق علي في قوله:

«نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحدٌ»[٢].

فكيف يقاس بقوم فيهم رسول الله[٣] وذو الجناحين جعفر وسيّد الوادي عبد المطّلب[٤].

ومنها: ما رواه الخوارزمي عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ:

«عَليٌّ يوم القيامة على الحوض لا يدخل إلّا من جاء بجواز من علي بن

⇐جمع غفير من الحفّاظ. انظر: التعليقات على المناقب لابن المغازلي، ص ٢٦٠ ـ ٢٦٧، طبع المجمع العالمي للتقريب.

١. المسند لابن حنبل، ج ٣، ص ٤٨٣.

٢. عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٧١؛ شرح الأخبار للقاضي نعمان، ج ٢، ص ٢٠٢؛ كنز العمّال، ج ١٢، ص ١٠٤ وبمعناه في نهج البلاغة، خطبة ٢.

٣. وفي المصدر: والأطيبان عليّ وفاطمة والسبطان الحسن والحسين والشهيدان حمزة.

٤. انظر: نهج الحقّ وكشف الصدق، ص ٢٥٣؛ كشف الغمّة للإربلي، ج ١، ص ٢٩ ـ ٣١ قال: «نذكر شيئاً ممّا يتعلّق بفضل بني هاشم وشرفهم وما لهم من المزايا التي فضّلوا بها على الناس ومن ذلك رسالة وقعت إليّ من كلام أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ أذكرها مختصراً ...»؛ ينابيع المودّة لذوي القربى، ج ١، ص ٤٦٠ ـ ٤٥٩؛ كشف اليقين للعلّامة الحلّي، ص ١٩١ ـ ١٩٢.

أبي طالب»[١].

وله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى جبرئيل أن يجلس على باب الجنّة فلا يدخلها إلّا من معه براءة من علي بن أبي طالب»[٢].

ومنها: ما روي عن الإمام البخاري بإسناده عن سعد بن وقّاص أنّ رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك فاستخلف علياً، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال:

«ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي»[٣].

ومنها: ما رواه المسمّى عندهم صدر الأئمّة ـ وهو أخطب خوارزم موفّق بن أحمد المكّي ـ في كتابه عن سليم بن قيس الهلالي عن سلمان المحمّدي، قال: «دخلت على النبي ﷺ وإذاً الحسين على فخذه وهو يقبّل عينيه ويلثم فاه ويقول:

أنت سيّد ابن سيّد أبو سادة أنت إمام ابن إمام أبو الأئمّة أنت حجّةٌ ابنُ حجّةٍ أبو حُجَجٍ تسعة من صُلبك تاسعُهم قائمهم»[٤].

ومنها: ما قال ذلك فيه من أنّ أبا إسحاق حدّثني عن الحرث وسعيد بن بشير، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ:

«أنا واردُكم وأنت يا علي السّاقي، والحسن الذائد[٥]، والحسين الآمر، وعلي بن

---

١. المناقب للخوارزمي، ص ٣٢٠، رقم ٣٢٤ مع تفاوت يسير. انظر أيضاً: العمدة لابن بطريق، ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠ وص ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

٢. المناقب للخوارزمي، ص ٣٢٠، رقم ٣٢٤.

٣. الصحيح للبخاري، ج ٥، ص ١٢٩.

٤. مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ٩٤ وانظر أيضاً: كتاب سليم بن قيس، ص ٤٦٠.

٥. الذائد: جمع ذُوَّد بمعنى الحامي.

الحسين الفارط[١]، ومحمّد بن علي الباشر، وجعفر بن محمّد السائق، وموسى بن جعفر مُحصي المُحبّين والمُبغضين وقامعُ المنافقين، وعلي بن موسى زينُ المؤمنين، ومحمّد بن علي منزل أهل الجنّة[٢] في درجاتهم، وعلي بن محمّد خطيب شيعتهم ومزوِّجهم الحورَ العين، والحسن بن علي سراج أهل الجنّة يستضيؤون به، والمهدي شفيعهم يوم القيامة حيث لا يُأذَن إلّا لمن يَشاء ويَرضىٰ»[٣].

ومنها: ما رقم في مناقب ابن مردويه يرفعه إلى محمّد بن أبي بكر، قال: حدّثتني عائشة أنّ رسول الله ﷺ قال:

«الحقّ مع علي وعلي مع الحقّ لن يفترقا حتّى يردا على الحوض»[٤].

ومنها: ما بيّن في مناقب الخوارزمي يرفعه إلى الحسن بن أبي ليلى، قال: قال رسول الله ﷺ:

«ستكون من بعدي فِتنةٌ فإذا كان ذلك فَألزِموا عليَ بن أبي طالب فإنّه الفارقُ بين الحقّ والباطل»[٥].

ومنها: ما سُطر في مناقب المزبور رافعاً إلى ابن عبّاس عن النبي ﷺ، قال: «لمّا نزلت ﴿... وَتَعِيَها أُذُنٌ واعية﴾[٦] قال النبي ﷺ:

«سألت ربّي أن يجعلها أُذن علي»[٧]. قال علي: «ما سمعتُ شيئاً من رسول

---

١. الفارط: السابق.

٢. منزل أهل الجنّة: مُقسم درجات الجنّة.

٣. مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ٩٤ وعنه في بحار الأنوار، ج ٣٦، ص ١٧.

٤. المناقب لابن مردويه، ص ١١٥ ـ ١١٦، رقم ١٤٠.

٥. المناقب للخوارزمي، ص ١٠٥، الرقم ١٠٨.

٦. الحاقّة (٦٩)، الآية ١٢.

٧. نفس المصدر، ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣، الرقم ٢٧٧.

الله ﷺ إلّا حفظتُه ووعيتُه ولم أنسَه»[١].

ومنها: ما ذكره في مناقب المذكور أيضاً يرفعه إلى عبد الله بن بُريدة، قال: «قال رسول الله ﷺ:

«لكلّ نبي وصي ووارث وإنّ وصيي ووارثي علي بن أبي طالب عليه السلام»[٢].

ومنها: ما نقل من مناقب المرقوم أيضاً رافعاً إلى ابن عبّاس، قال: قال رسول الله ﷺ:

«لمّا عرج بي إلى السماء رأيت على باب الجنّة مكتوباً لا إله إلّا الله محمّد رسول الله علي حبيب الله الحسن والحسين صفوة الله فاطمة أمَةُ الله، على مُبغضيهم[٣] لَعنةُ الله»[٤].

ومنها: ما زُبِرَ [أي: كُتِبَ] في مناقب ابن المغازلي يرفعه إلى جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ، قال:

«إنّ الله عزّ وجلّ أنزل قطعة من نور فأسكنَها في صُلب آدم فساقَها حتّى قسّمها جزئين، فجعل جزءً في صُلب عبد الله وجزءً في صلب أبي طالب، فأخرجني نبيّاً وأخرج عليّاً وصيّاً»[٥].

ومنها: ما نقل من مناقب ذلك أيضاً رافعاً إلى أبي ذرّ الغفاري، قال: قال رسول الله ﷺ:

---

١. نفس المصدر، ص ٢٨٣، الرقم ٢٧٨.
٢. نفس المصدر، ص ٨٥، الرقم ٧٤ وفيه: وإنّ علياً وصيّي ووارثي.
٣. في المصدر: مبغضهم.
٤. نفس المصدر، ص ٣٠٢، الرقم ٢٩٧.
٥. المناقب لابن المغازلي، ص ١٦٠، رقم ١٣٥.

«من ناصب عليّاً الخلافة بعدي فهو كافر وقد حارب الله ورسوله، ومن شكّ في علي فهو كافر»[١].

ومنها: ما ذكره الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾[٢] بحذف الإسناد عن أبي عبد الله الهذلي، قال: دخلت على علي عليه السلام فقال:

«يا أبا عبد الله، ألا أُنبّئُك بِالحَسنة التي مَن جاء بها أدخلَه الله تعالى الجنّة والسيّئة التي من جاء بها أكبَّه الله تعالى في النار ولم يقبل منه عملاً؟ قلت: بلى قال: الحسنةُ حُبّنا والسيّئة بُغضنا»[٣].

ومنها: ما نقل من مناقب الخوارزمي يرفعه إلى أبي سعيد الخُدري، قال: إنّ النبي صلى الله عليه وآله يوم غدير خمّ دعى الناس إلى علي عليه السلام وذلك يوم الخميس فأخذ بضبعيه[٤] فرفعه حتّى نظر الناس إلى بياض إبط رسول الله[٥] وقال:

«أو لَستُم تَعلمون أو لستم تشهدون أنّي أولى لكلّ مؤمن مِنْ نفسه؟ قالوا: بلى. قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه[٦]، ثمّ لم يفترقا حتّى نزلت هذه الآية: ﴿... اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً...﴾[٧]، فقال النبي صلى الله عليه وآله: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الربّ برسالتي والولاية

١. نفس المصدر، ص ١٠٨، رقم ٧٠.
٢. النمل (٢٧)، الآية ٨٩.
٣. الكشف والبيان، ج ٧، ص ٢٣٠.
٤. في المصدر: بضبعه.
٥. في المصدر: ابطه.
٦. في المصدر: ليس «وقال إلى ثمّ لم يفترقا».
٧. المائدة (٥)، الآية ٣.

لعلي عليه السلام، ثمّ قال: اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاده وانصر من نصره واخذل من خذله»[١]، انتهى.

كرّر عليه السلام القول وأكّده بملأ من الحاضرين من أقطار الأرضين وأطراف العالمين حتّى قال عمر: «بخٍ بخٍ لك يابن أبي طالب أصبحتَ مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة»[٢].

وهذا الحديث من أوضح الدلائل على الولاية والخلافة؛ لأنّ المولى بمعنى الولي كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿... النَّارِ هِيَ مَوْلاٰكُمْ...﴾[٣]، أي: أولى بكم فقال حسان بن ثابت: يا رسول الله، صلّى الله عليك وعلى آلك، أتأذن لي أن أقول أبياتاً؟ قال صلى الله عليه وآله: قل، فقام على قطعة رفيعة من الأرض، فقال: يا معاشرَ قريش إسمَعُوا شهادةَ رسول الله صلى الله عليه وآله:

يُناديهم يومَ الغدير نبيُّهم ... بخمّ وأسمع بالنّبي مُناديا
وقد جاءه جبريل من عند ربّه ... بأنّك معصوم فلا تك وانيا
وبَلِّغهم ما أنزل الله ربُّهم ... إليك ولا تخشى هناك الأعاديا
فقام به إذ ذاك رافع كفّه ... بكفّ علي مُعلن الصّوتِ عاليا
وقال ومن مولاكم ووليّكم ... فقالوا ولم يَبدوا هناك التّعاميا

---

١. المناقب للخوارزمي، ص ١٣٥، الرقم ١٥٢.
٢. المناقب للخوارزمي، ص ١٥٦، رقم ١٨٤؛ المسند لأحمد بن حنبل، ج ٣٠، ص ٤٣٠، رقم ١٨٤٧٩؛ الأمالي للصدوق، ص ٥٠؛ كتاب سليم بن قيس، ص ٣٥٦؛ الإرشاد للمفيد، ج ١، ص ١٧٧؛ كنز الفوائد للكراجكي، ص ٢٣٢؛ العمدة لابن بطريق، ص ١٠٦، ١٧٠؛ تاريخ بغداد، ج ٨، ص ٢٨٤؛ تاريخ مدينة دمشق، ج ٤٢، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤؛ بشارة المصطفى، ص ٤٠٢؛ إعلام الورى بأعلام الهدى، ج ١، ص ٢٦٢، ٣٣٠.
٣. الحديد (٥٧)، الآية ١٥.

إلهك مــــولانا وأنت وليّـــنا ولن تَجِدْنَ منّا لك اليومَ عـاصيا
فــقال له قــم يـا عـلي فـإنّني رضيتك من بعدي إماماً وهـاديا
فــمن كـنت مـولاه فـهذا وليُّـه فكونوا له أنصار صـدق مَـواليـا
هــنالك دَعـى اللّـهمّ والي وليّـه وَكُنْ لِـلّذي عـادا عـليّاً مُـعاديا
فيا ربِّ فَـانصُر نـاصريه لِـنَصره إمامَ هُدى كالبَدر يَجلو الدَّيـاجِيا

فقال رسول الله ﷺ: «لا تزال يـا حسّـان مـؤيّداً بـروح القـدس مـا نـصرتَنا بلسانك»[١].

ومنها: رواية حذيفة ابن أسيد، قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول على منبره: «معاشر الناس، إنّي[٢] وإنّكم واردون عليّ الحوض أعـرض مـا بـين بـصرى وصنعا، فيه عدد النجوم قدحان من فضّة وإنّي سائلكم حين تردون عليَّ عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنّه الثقل الأكبر كتاب الله[٣] فاستمسكوا به لن تضلّوا ولا تبدّلوا في عترتي أهل بيتي فإنّه قد نبّأني اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض [معاشر الناس، كأنّي على الحوض][٤] أنتظر من يرد عليَّ منكم

١. الأمالي للصدوق، ص ٦٧؛ خصائص الأئمّة للرضي، ص ٤٢؛ المسترشد للطبري، ص ٤٦٩؛ الإرشاد، ج ١، ص ١٧٧؛ كنز الفوائد للكراجكي، ص ١٢٣؛ مناقب آل أبـي طـالب لابـن شهرآشوب، ج ٢، ص ٢٣٠؛ كتاب سليم بن قيس، ص ٣٥٥ ـ ٣٥٦؛ مناقب علي بن أبـي طالب لابن مردويه، ص ١٢١؛ ٢٤٠؛ إعلام الورى بأعلام الهدى، ج ١، ص ٢٦٢؛ المناقب للخوارزمي، ص ١٣٦.
٢. في المصدر: إنّي فرطكم وإنّكم واردون على الحوض اعرض ما بين بصري وصنعا عـدد النجوم قدحانا.
٣. في المصدر: + سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم.
٤. ليس موجود في المصدر.

وسيؤخذ[١] أُناس دوني فأقول: [٢]منّي ومن أُمّتي. فيقال: [٣]هل شعرت بما عملوا؟ إنّهم ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم، ثمّ قال: أُوصيكم[٤] عترتي خيراً ـ ثلاثاً ـ أو قال: في أهل بيتي فقام[٥] سلمان فقال: يا رسول الله، ألا تخبرني عن الأئمّة بعدك؟ أما هم من عترتك؟ فقال: نعم، الأئمّة بعدي من عترتي عدد نقباء بني إسرائيل، تسعة من صلب الحسين، أعطاهم الله تعالى علمي وفهمي فلا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم واتّبعوهم فإنّهم مع الحقّ والحقّ معهم»[٦]، انتهى.

فَعَلِمنا بهذه الدلائل الساطعة والحجج القاطعة والبراهين الواضحة أنّ رسول الله ﷺ اختار عليّاً للخلافة والولاية في عهده من بعده من بين أفاضل أصحابه وأكابر أقربائه، واتّخذه أخاً ووصيّاً وإماماً وهادياً وعالماً وعلماً بادياً وجَعَلَه أولى الناس بالناس حتّى قال ﷺ في حقّه:

«من جَحَد عليّاً إمامتَه من بعدي فكأنّما[٧] جحد نبوّتي [ومن جحد نبوّتي][٨] فقد جحد الله ربوبيّته»[٩] وقال أيضاً:

١. في المصدر: سوف تأخر.
٢. في المصدر: + يا ربّ.
٣. في المصدر: + يا محمّد.
٤. في المصدر: + في.
٥. في المصدر: + إليه.
٦. كفاية الأثر للخزاز القمي، ص ١٢٨ ـ ١٢٩.
٧. في المصدر: فإنّما.
٨. من المصدر.
٩. الاعتقادات للصدوق، ص ١٠٤ وعنه في بحار الأنوار، ج ٨، ص ٣٦٥.

«علي خيرُ البشر مَن أبىٰ فَقد كفر»[١] وقال له عليه السلام:

«من جَحَدك فقد جحدني ومن والاك فقد والاني ومن عاداك فقد عاداني ومن أطاعك فقد أطاعني ومن عصاك فقد عصاني»[٢]، انتهى.

فالمفهوم من الآيات والأخبار أنّه يجب التمسّك بهم وأنّهم قادة الأُمم وسادة العرب والعجم، ومَن تمسّك وتشبّث بهم كان من الفائزين ومن تخلّف عنهم كان من الهالكين، وأنّ الفرقة الناجية هم الإمامية الاثنا عشرية كيف لا يكون كذلك؟! مع أنّ عترة الرسول هم سفينة النجاة والأئمّة الهداة فلا نجاة إلّا باتّباعهم وأنّ الحقّ فيهم ومنهم وإليهم وهم أهلُه ومعدنُه ويدور معهم حيث ما داروا وميراث النبوّة عندهم وإياب الخلق إليهم.

فالحاصل: أنّ إمامة الأئمّة صار ممّا لا شكّ فيه ولا ارتياب، لولا خوف الإكثار لأوردنا لك الأشعارَ التي أُنشئت في يوم الغدير وقبله وبعده في حقّ أمير البَرَرة وقاتل الكفرة الفَجَرة، بل الآيات والأخبار الواردة من علماء أهل السنّة في مناقب الأئمّة الأطهار، مع أنّها في مرتبة لا يمكن ضبطها ولا إحصائه فلمّا نصب رسول الله عليّاً للخلافة كان الشّيوخ الضالّة والتابعون لهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ويروُون عن رسول الله ما يدلّ على إعلاء درجته وارتقاء منزلته وتقديمه في الخلافة كقوله صلى الله عليه وآله لعلي بن أبي طالب عليه السلام:

---

١. مناقب الإمام أمير المؤمنين لمحمّد بن سليمان الكوفي، ج ٢، ص ٥٢٢ ـ ٥٢٤؛ المسترشد للطبري، ص ٢٧٢ و٢٧٥ و٢٧٩ و٢٨٢؛ مائة منقبة لابن شاذان، ص ١٧٠؛ مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب، ج ٢، ص ٢٦٥ وعنه بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٣٠٦.

٢. الاعتقادات للصدوق، ص ١٠٤.

«فإنّه مولاكم فأجيبوه[١] وكبيركُم فاتّبعوه وعالُمكم فأكرمُوه وقائدكم إلى الجنّة فعزّزَوه وإذا دعاكم فأجيبُوه وإذا أمركم فأطيعوه؛ فأحِبُّوه بِحبّي وأكرِموه بكرامتي ما قلت لكم [في علي][٢] إلّا ما أمرني ربّي جلّت عظمته»[٣]، انتهى.

وكانوا يُنزلونَه منزلتَه ويُعظِّمون كما ينبغي له وبكلّ ما يسمعون منه يعترفون ومن أنوار أنفاسه يقتَبِسون ومن فوائده يلتقطون وبأمره يسلّمون وبـمكانه يسـتظهرون وبجاهه ووجاهته يستبشرون حتّى كان أبو بكر يُديم النظر إلى وجه علي عليه السلام كلّما رآه فلمّا قيل له في ذلك، قال: سمعت رسول الله يقول:

«النَّظر في وَجه علي عليه السلام عبادة»[٤].

وقال عمر في يوم الغدير بعد ثبوت الخلافة لعلي عليه السلام: «بخٍ بخٍ لك يـابن أبـي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة»[٥] وكان كلّما لاقاه يعظّمه ويكرّمه ويقول:

«لا أبـقاني الله بـعدك»[٦] و«لولاك لافـتضحنا»[٧] و«لولاك[٨] لَـهَلك عـمر»[٩] و«عَجِزت النساء أن يَلِدْنَ مثلَ علي بن أبي طالب»[١٠].

---

١. في المصدر: احبوه.
٢. من المصدر.
٣. مائة منقبة لابن شاذان، ص ٦٣؛ كنز الفوائد للكراجكي، ص ٢٠٩.
٤. المناقب للخوارزمي، ص ٣٦٢، الرقم ٣٧٥.
٥. المسند لابن حنبل، ج ٣٠، ص ٤٣٠؛ المناقب لابن المغازلي، ص ١٩ ـ ٢٠.
٦. مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب، ج ١، ص ٣١١.
٧. نفس المصدر.
٨. في المصدر: لولا علي.
٩. مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب، ج ١، ص ٣١١.
١٠. بحار الأنوار، ج ٣٠، ص ٦٧٩، ج ٤٠، ص ٢٧٧.

وغير ذلك ممّا لا يُحصى وكان الشيخان يقولان:

والله لا نرضى أن تكون النبوّة والإمامة في بيت واحد، فلم يَقدِرا أن يظهرا لِعدم وجود ناصر ومُعين لهما إلى أن نقل رسول الله ﷺ من دار الفناء إلى دار البقاء ومضت الأيّام إلى أن سَبّوا الإمام على رؤوس منابر الإسلام بملأ من الخواص والعوام وفي ذلك المقام اضطرب الأنام وتَزَلْزَلَ الأقدام وبدّلوا أمرَه وغيّروا حُكمَه واختاروا عليه غيرَه وجعلوه رابع الأربعة ولم يرضوا به حتّى نكثوا بيعتَه وطعَنوا فيه أهل النَكث وخرجوا عليه أهل البغي والفساد. لم يكن لأحد في ذلك إنكار ولا إقبال ولا إدبار وتركوا ما روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال:

«لمّا أُسري بي إلى السماء السابعة لمّا دخلت الجنّة وقعدتُ على رَفرَف من رَفارف النور رأيت على ورقة أسمر بخطّ أخضر: إنّي افترضتُ محبَّة علي على أمّتك ألا فبلّغهم عنّي فَرَضَ الله تعالى محبّةَ آل محمّد على أُمّته حتّى لا تقبل صلاة مسلم إلّا بذكر الصلاة على محمّد وآل محمّد»[١]، انتهى.

فغيّروا فرضَه ومهّدوا لِمَن بعدهم أن يلعنوه على منابر الإسلام ثمّ جعلوا مكان الحبّ بغضاً ومكان البغض حبّاً فأحبّوا أعداءهم وأبغضوا أولياءهم وقد قال الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ...﴾[٢] وقال: ﴿... وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ﴾[٣] وأنكروا ما أقرّوا قبل ذلك وقرّروا لِمن بعدهم من الأئمّة الضالّة، سفكَ دمائِهم ودماءَ محبّيهم وشيعتهم وهتكَ أستارِهم وقتلَ أولادِهم

---

١. لم أعثر عليه في مصدر آخر ولكن أشار بمضمونه المجلسي. راجع: بحار الأنوار، ج ٨٢، ص ٢٦٣.

٢. الممتحنة (٦٠)، الآية ١.

٣. الممتحنة (٦٠)، الآية ٩.

وأخيارَهم كَفِرعُون بني إسرائيل فما هم إلّا من الذين ضلّ سعيُهم في الحياة الدنيا وَهُم يَحسبُون أنّهم يُحسِنُون صنعاً.

فالمحصول: أنّه لا يتمّ الإقرار بالله ورسوله والأئمّة المعصومين من ذرّيّته واليوم الآخر إلّا بالبراءة من الكفّار المشركين بالله فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ...﴾[١] والظلم عبارة عن: وضع الشيء في غير موضعه، فمن ادّعى الإمامة وليس بإمام فهو الغاصب، الظالم، الملعون، ومن تبع هذا الإمام واعتقد بكلامه ووضع الإمامة في غير أهلها فهو أيضاً ظالم ملعون كافر.

فالثابت المحقّق أنّ المراد من صراط المُنعَم عليهم هو: سبيل الأئمّة الطاهرين المطهّرين المقرّبين المعصومين. فللطالب النجاة والحقّ والراغب عن الخلق لا يخفى عليه ما ذكرناه إذا نظر بعين الإنصاف لا الجهل ولا الاعتساف، فرحم الله رجلاً أنصف ولم يتعصّب ولم يُكذّب رسولَ الله لِهَوىٰ نفسه ولم يُنكر الحقّ إذا عرفه ووضع كلّ شيء موضعه فهذا القدر كافٍ للهداية والله المنجي من الضلالة والعماية.

اللّهمّ اجعلنا من مواليهم المخلصين ومحبّيهم المفلحين ومن المتبرّئين من أعدائهم المضلّين، بل اجعلنا من المصطفين الأخيار والصالحين الأبرار والسابقين إلى المكرمات والمسارعين إلى الخيرات والعاملين للباقيات الصالحات والساعين إلى رفيع الدرجات ومن أنصار وأشياع قائم المعصومين ومن المستشهدين بين يدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً وهو لسان الصدق ومُظهر الحقّ المبين والحجّة على البَريّة أجمعين بمحمّد وعترته الطاهرين عليهم أفضل الصلوات وأنمىٰ التحيّات

١. هود (١١)، الآية ١١٣.

وأزكىٰ التّسليمات من الآن إلى يوم الدين ولعنة الله على أعاديهم وظالميهم وغاصبي حقوقهم المضلّين من الأوّلين والآخرين.

فالحاصل: أنّ الواجب لكلّ امرئ بل الأوجب أن لا يفعل شيئاً ولا يعمل أمراً إلّا لتقرّبه إلى الله تعالى ولِطلب مرضاته سيّما في الأشياء المهمّة كطلب الهداية إلى سبيل الحقّ حتّى يوفّقَه الله تعالى ويُعينُه، كما قال رسول الله ﷺ لبعض أصحابه في يوم:

«يا عبد الله، أحبِبْ في الله وأبغِضْ في الله ووالِ في الله وعاد في الله، فإنّه لا تُنال ولاية الله تعالى إلّا بذلك ولا يجد[1] طعمَ الايمان وإن كثرت صلاتُه وصيامُه حتّى يكون كذلك. فقد صارت مؤاخاة الناس يومكم هذا، أكثرها في الدنيا؛ عليها يتوادّون وعليها يَتباغَضون وذلك لا يُغني عنهم من الله تعالى شيئاً».

فقال الرجل: يا رسول الله فكيف لي أن أعلم أنّي قد واليتُ وعاديتُ في الله، ومَن وليُّ الله حتّى أُواليه ومن عَدوّه حتّى أُعاديه؟ فأشار رسول الله ﷺ إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال:

أترى هذا؟ قال: بلى، قال: فإنّ وليَّ هذا وليُ الله فَوالِه وعدوَّ هذا عدوُّ الله فَعادِه، والِ ولي هذا ولو أنّه قاتلُ أبيك ووَلدك وعادِ عدوَّ هذا ولو أنّه أبوك وولدك»[2]، انتهى.

و«الإنعام» من النعمة وهي في اللغة الحالة التي يستلذّ به الإنسان، ثمّ نقل عن ذلك واستعمل فيما يستلذّ به مجازاً من قبيل تسمية الحال باسم المحلّ. وأمّا نعماؤه

---

١. في المصدر: + رجل.

٢. الأمالي للصدوق، ص ٦١؛ عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٢٦٢؛ معاني الأخبار، ص ٣٩٩؛ بحار الأنوار، ج ٦٦، ص ٢٣٦.

جلّ وعلا وإن كان لا يمكن حصرها بالتفصيل؛ لأنّها غير متناهية كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاٰ تُحْصُوهٰا...﴾[١] لكنّ أنواعها ثمانية؛ إذ هي إمّا دنيوية أو أُخروية، وكلّ منهما إمّا مُوهبية أو كسبية، وكلّ منهما إمّا روحانية أو جسمانية.

أمّا الدنيوي الموهبي إمّا روحاني كالمدارك والإدراك، أو جسماني كالأعضاء والجوارح.

أمّا الدنيوي الكسبي إمّا روحاني كتحلية النفس بالأخلاق الزَّكية واتّصافها بالصفات العَلَية، أو جسماني كتزيّن البدن بالألبسة الفاخرة والهَيئات المطبوعة.

أمّا الأُخروي الموهبي إمّا روحاني كغُفران الذنوب من غير سبق توبة، أو جسماني كالأنهار من اللبن والعسل والشراب في الجنّة.

أمّا الأُخروي الكسبي إمّا روحاني كغفران ذنوبنا [و]العفو عن جرائمنا بعد حصول التوبة، أو جسماني كاللذّات الجسمانية الحاصلة بفعل الطاعات والعبادات.

والمراد هنا هو ما يكون وصلة إلى نيل لمراتب العليّة من العلمية والعملية ووسيلة إلى الفوز بالسعادات السَّنيَّة والكرامات السَّرمدِيَّة، فإنّ ما عدا ذلك كان الموافق والمنافق كلاهما مشتركين فيه.

ومن القرّاء من جعل «مَنْ» الموصول مقام ذلك فقال: صراط من أنعمت عليهم[٢].

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضّالِّينَ﴾

وهذا إمّا بدل من الموصول [أي: الذين أنعمت عليهم] بدل الكلّ من الكلّ فيكون

١. النحل (١٦)، الآية ١٨.

٢. وهي قراءة عمر بن الخطّاب وعمرو بن عبد الله الزبيري وروي ذلك عن أهل البيت عليهم السلام؛ انظر: مجمع البيان، ج ١، ص ١٠٥.

من قبيل كون البدل والمبدل منه مختلفين في التعريف والتنكير كما في نحو قوله عزّ وجلّ: ﴿... بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ﴾[١] ضرورة أنّه ممّا توغّلت في الإبهام والتطابق بين البدل والمبدل عنه ليس شرطاً كما كان شرطاً في الصفة والموصوف حتّى نحتاج إلى التكلّف. ونظير ذلك ما ذكره صاحب *الكشّاف* في قوله تعالى: ﴿شديد العقاب﴾ بعد قوله تعالى: ﴿من الله العزيز العليم﴾ بأنّه بدل من الله لا نعتٌ له لأنّه نكرة[٢]. فالمعنى أرشِدْنا إلى سبيل من أنعمتَ عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتك الذين سَلَموا عن الغضب والضلال.

أو صفة [من الموصول] فحينئذٍ لا بدّ من بيان مطلب وهو: أنّ «غير» كان في الأصل موضوعاً للوصفية وهو دالّ على ذات مبهمة من جهة حصول معنى المغايرة فيها ثمّ جرّدوه عن الوصفية وحملوه على «إلّا» في الاستثناء واستعملوه كاستعماله وأعربُوا الاسمَ الذي يليه كالإعراب الواقع بعد «إلّا»، مثلاً في كلام الموجب نصبوا المستثنى به لمشابهته بالمفعول في كونه فُضلةً ومأتياً بعد إتمام الكلام كالتميز ونحوه، نحو: «جاءني القوم غيرَ زيد»، وفي كلام غير الموجب الذي كان المستثنى مقدّماً على المستثنى منه أيضاً جعلوه منصوباً دائماً لما تقدّم، ولا يجوز أن يكون مرفوعاً على البدل من ذلك؛ لامتناع تقديم البدل على المبدل منه، نحو: «ما جاءني غيرَ زيد أحد». والذي كان فيه مؤخّراً عنه جوّزوا فيه الرفع والنصب كليهما أمّا الأوّل للبَدليّة والثاني لما ذكرناه، نحو: «جاءني أحد غيرُ زيد» وفي [الاستثناء] المنقطع نصبوا ذلك لذلك، ولا يجوز الرفع لِفقدان شرط البدل وهو عبارة عن كونه من جنس المبدل منه، كما هو منصور الحجازيين. واستعملوا «سِوىٰ» بالقصر

١. العلق (٩٦)، الآية ١٥ ـ ١٦.
٢. تفسير الكشّاف، ج ٤، ص ١٤٩.

استعمال «غير» في أنّه يستثنى به والفرق بينهما أنّ «سِوىٰ» ظرف مكان في الأصل كالجِهات السِّتِّ لوقوعه صلة للموصول؛ لأنّ معنى «جاءني الذي سواك»: مَنْ استقرّ مكانك، بخلاف «غير» فلا يلي سوى العوامل؛ لأنّ عامله وناصبه مقدّر وهو الظرفية فكيف يجوز أن يلي معمول عاملين في حالة واحدة؛ فلذا كان قولهم: «مررتُ برجل سِواك»، حسن وقولهم: «مررت بسواك» قبيح.

ولمّا تدبّرت فيما ذكرنا لك وعلمت أنّ «غير» كان في اللغة صفةً فاعلم أنّه لا يقع صفة إلّا للنكرة وإن أُضيف إلى المعرفة؛ لأنّه موضوع على ما ينافي التعريف، ولم تكن الإضافةُ معرفةً له؛ وذلك لأنّك لو قلت: «مررت بغيرك» فكلّ من عدا المخاطب فهو غيره، اللّهمّ إلّا أنّه إذا أُضيف إلى ما له ضدّ واحد، فيكون معرفةً نحو قولهم: «عليك بالقيام غير القعود» ونحو ذلك. وحكم «مثل» وشبهه كحكم «غير» فيما ذكرناه؛ لأنّك إذا قلت: «مررت بمثلك» غير مختصّ بواحد دون واحد بل يشتمل جميع من يتّصف بهذه الصفة.

ومنهم من جعل «غير» صفةً للموصول [أي: الذين أنعمت...] ذاهباً إلى التأويل في الموصول وقال بأنّه جارٍ مجرى العهد الذهني؛ إذ لم يقصد من المُنعَم معهوداً بل يقصد الإبهام وعدم الاختصاص بأُمّة دون أُخرى، حتّى يصحّ أن تكون النكرةُ صفةً لذلك. ويمكن إجراء هذا المقال في سائر المعارف أيضاً، كما في نحو قول الإمام عليه السلام:

ولقد أمُرُّ على اللَّئيمِ يَسُبُّني   فمضيتُ ثَمَّةَ قُلتُ لا يَعنِيني[1]

---

١. والشاهد في «يَسُبني» يمكن أن تكون صفةً للئيم بأنّه جارٍ مجرى العهد الذهني ولم يقصد منه معهوداً بل يقصد الإبهام وإلّا يكون حالاً من اللئيم.

﴿وَلا الضّالِّينَ﴾

عطف على البدل أو الصفة. ولفظ «لا»، يؤكّد النفي الذي يدلّ عليه «غير» فكأنّه قال: «لا المغضوب عليهم ولا الضالّين» والألف واللام في المعطوف والمعطوف عليه، موصول اسمي والصفة الصريحة صلة لها والجارّ والمجرور [أي: عليهم] مرفوع المحلّ على أنّه قائم مقام الفاعل بخلاف ذلك السابق [أي: «عليهم» في الذين أنعمت عليهم] إذ محلّ ذلك هو النصب.

ومن القرّاء من قرأ «غير» بالنصب على أنّه حال من الضمير المجرور والعامل فيه هو الفعل المذكور[١].

ومنهم: من قال: إنّه منصوب على أنّه مفعول للفعل المقدّر وهو أعني[٢]. وقد روي بالرفع[٣].

ومنهم: من قرأ «غير الضالّين».

و«الغضب» عبارة عن ثَوَران النفس لعزم الانتقام وإذا أُسند إلى الله عزّ وجلّ أُريد منه النهاية كما ذكر في الرحمن.

و«الضلال» عبارة عن العدول عن صراط المستقيم.

ومن علماء المفسّرين من قال: إنّ المقصود من «المغضوب عليهم» هم اليهود[٤] لدلالة قوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ

---

١. انظر: التبيان للشيخ الطوسي، ج ١، ص ٤٤.
٢. انظر: المصدر السابق.
٣. انظر: المصدر السابق.
٤. قال الطوسي في التبيان (ج ١، ص ٤٥): والمغضوب عليهم هم اليهود عند جميع المفسّرين الخاصّ والعامّ ... ولا الضالّين هم النصارى.

عَلَيْهِ...﴾[١]. وعلى ذلك ومن «الضالّين» هم النّصارى؛ لقوله عزّ شأنه: ﴿قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لاٰ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاٰ تَتَّبِعُوا أَهْواءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ﴾[٢].

ومنهم من قال: إنّ المراد بالمغضوب من أنكر أُصول الدين وبالضالّين من كان منكراً لفروعه[٣].

بل إنّ كلّ من كفر بالله ورسوله أو غلا بأمير المؤمنين أو بواحد من الأنبياء والأولياء كغلو النَّصارىٰ بعيسى بن مريم أو جَحَد بإمامة أحد من الأئمّة الهدى فهو من المغضوب عليهم والضالّين عن السبيل السواء، وكذلك كلّ من كان طالباً للرئاسة الباطلة وجيفة الدنيا الدَنيّة وكذلك الذين يُحلُّون ما حرَّم الله ويُحرِّمون ما أحلّ الله، بل يغيّرون أحكام الله لهوى أنفسهم، واتّخذوا الطاغوت رئيساً وأطاعوه واتّبعوا متشابهاتِ الأحكام والكلام، هم من الجُهّال والكُفّار وأرذل الأنام بل كالأنعام فأخبَروا عمّا لا يعلمون، فأَبَوا أن يعترفوا بأنّهم لا يَفقهون فعارَضُوا في الدّين بآرائهم وأفتوا بغير ما أنزل الله فأُولئك مِنَ الّذين غضب الله عليهم ولَعَنَهم وأعدّ لهم عذاباً شديداً.

اعلم أنّ عدوله سبحانه وتقدّس عن إسناد الغضب إلى ذاته جلّ شأنه ولا إله غيره مع أنّه عزّ وجلّ صرّح في إسناد عديله، أعني: الرحمة إلى نفسه عَزَّ سلطانه، إنّما هو للإشعار بأنّ الصادر عنه هو العفو والرحمة والإنعام والجود والفضل والإكرام لا غير وأنّ الغضب صادر عن غيره سبحانه وتعالى، وإلّا لكان الأنسب بعد

١. المائدة (٥)، الآية ٦٠.
٢. المائدة (٥)، الآية ٧٧.
٣. لم أعثر على قائله في التفاسير المشهورة.

قوله عزّ وجلّ وعلا، •صراط الذين أنعمت عليهم» أن يقول: «غير الذين غـضبتَ عليهم» وعلى هذا الطريق من التصريح في جانب الرحمة والتعريض فـي جـانب العقاب والعذاب، جرى قوله عزّ وجلّ ﴿... لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيـدَنَّكُمْ وَلَـئِنْ كَـفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[1] حيث لم يقل: لأُعذّبنّكم مع أنّه مقتضى المقابلة وكذلك أغـلب الآيات المشتملة لذكر العفو والعذاب كما في قوله تعالى: ﴿... يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾[2] فإنّ ظاهر المقابلة كان مقتضياً بأن يقال «وكان الله غفوراً معذّباً» فَعَدِلَ سبحانه ـ الذي تقدّستْ أسماؤُه وتظاهرت آلاؤه ـ عن ذلك إلى تكرير الرحمة ترجيحاً لجانبها وجانب الجود والإحسان والعفو والرضوان.

تتميم

اعلم أنّه لمّا فرغنا من تسويد تركيب الفاتحة وتفسيرها تفصيلاً شَرَعنا في ذكر ما يدلّ على جزائها وأجرها وتفسيرها إجمالاً حذراً عن حصول الملال وتسهيلاً للضبط وهو أنّه قال أبو محمّد الحسن الإمام عليه السلام، عن آبائه وأجداده، عـن أمـير المؤمنين عليه السلام أنّه لمّا فرغ من تفسير الفاتحة قال:

«هذه أعطاها الله تعالى محمّداً صلى الله عليه وآله وأُمّته بَدَأ فيها بالحمد والثناء عليه ثمّ ثنّى عليه بالدعاء لله عزّ وجلّ، ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: قال الله تعالى: قسّمتُ الحمدَ بيني وبين عبادي[3] نـصفين فـنصفها لي ونـصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل إذا قال العبد: «بسم الله الرحمن الرحيم» قال الله

١. إبراهيم (١٤)، الآية ٧.
٢. الفتح (٤٨)، الآية ١٤.
٣. في المصدر: عبدي.

عزّ شأنه: بَدَأَ عبدي باسمي حَقٌّ عليَّ أن أُتمِمَّ له أُمورَه وأُبارك له في أحواله، فإذا قال: «الحمد لله ربّ العالمين» قال الله عزّ وجلّ: حَمَدَني عبدي وعلم أنّ النِّعَم التي له من عندي وأنّ البلايا التي اندفعتْ عنه فَبِتَطَوُّلي، أُشهدكم يا ملائكتي، أنّي أُضيف له نِعَم الدنيا إلى نعيم الآخرة وأدفع عنه بلاء الآخرة كما دفعت عنه بلاء الدنيا، فإذا قال: «الرحمن الرحيم» قال الله عزّ وجلّ: شهد بي[١] عبدي بأنّي الرحمن الرحيم، أُشهدكم لَأُوَفِّرَنَّ من رحمتي حظَّه ولأجزِلَنَّ[٢] من عطائي نصيبه، فإذا قال: «مالك يوم الدين» قال الله سبحانه وتعالى: أُشهدكم كما اعترف بأنّي أنا المالك يوم الدين لأُسهِّلَنَّ يوم الحساب عليه حسابه ولأتقبّلنَّ حسناته ولأتجاوَزَنَّ عن سيّئاتِه، فإذا قال العبد: «إيّاك نعبد» قال الله عزّ وجلّ: صدق عبدي إيّاي يعبد، أُشهدكم لأُثيبنَّه على عبادته ثواباً يَغبِطه كلُّ من خالفه في عبادته لي، فإذا قال: «إيّاك نستعين» قال الله عزّ وجلّ: استعان عبدي وإليَّ ألتجأ، أُشهدكم لأُعينَنَّه على أمره ولأُغيثَنَّه في شدائده وَلَآخُذَنَّ بيده عند نوائبه، فإذا قال: «اهدنا الصراط المستقيم» إلى آخرها قال الله عزّ وجلّ: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل قد استَجَبْتُ له[٣] وأعطيتُه ما أمَّلَ وآمنتُه ممّا منه وَجِلَ»[٤].

١. في المصدر: لي.
٢. الجزيل: العظيم وعطاء جزيل وجَزِل والجمع: الجِزال، وأجزلت من العطاء أي: أكثرت. «منه»
٣. في المصدر: لعبدي.
٤. التفسير [المنسوب إلى] الإمام العسكري عليه السلام، ص ٥٨ و ٥٩.

الحمد لله الذي وفّق وأعان مؤلّفه الحقير كثير التقصير لإتمام هذه الوجيزة والفريدة العزيزة في يوم الأحد من العشر الثالث من الشهر التاسع من السنة الرابعة من العشر الرابع من المائة الثالثة من الألف الثاني من الهجرة المصطفوية على مهاجرها آلاف ألف سلام والثناء والتحيّة من خالق البرية والصلاة على رسوله أشرف الأنبياء والمرسلين وعترته الطيّبين الطاهرين أوّلاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

تمام شد اين تحفة الفريدة بفرموده نور العيونى عزيز گرامى آقا محمّد تقى «قلم اينجا رسيد سر بشكست».

التفسير الوجيز

الشيخ أحمد بن الحسن بن علي الحرّ العاملي
(١٠٤١ ـ ١١٢٠ هـ)

تحقيق
الشيخ محمّد كاظم المحمودي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة المحقّق

الحمد لله، والصلاة على جميع أنبياء الله، لا سيما خاتمهم وأشرفهم، وعلى الأئمة الهداة المهديين.

وبعد فهذه مقدمة وجيزة حول المؤلّف والكتاب.

المؤلف هو أحمد بن الحسن بن علي الحرّ العاملي المشغري.

ترجم له أخوه الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي المحدّث الكبير في أمل الآمل ١ / ٣١ قائلاً: فاضل صالح، عارف بالتواريخ، له كتاب تفسير القرآن، وتاريخ كبير، وتاريخ صغير، وحاشية المختصر النافع، وكتاب جواهر الكلام في الخصال المحمودة في الأنام.

وقال العلامة المجاهد السيد الأمين العاملي في أعيان الشيعة ٢ / ٤٩٤: آل الحر بيت علم قديم، نبغ فيه جماعات، ولا يزال العلم في هذا البيت إلى اليوم، ويمتازون بالكرم والسخاء وبشاشة الوجه وحسن الأخلاق.

من تلق منهم تقل لاقيت سيّدهم   مثل النجوم التي يهدي بها الساري

ثم ذكر ما تقدّم عن أمل الآمل وأضاف: وله كتاب الدر المسلوك في أخبار الأنبياء والأوصياء والخلفاء والملوك، رتبه على ترتيب تاريخ محمد ابن الشحنة الحلبي المسمّى بروض الناظر في تاريخ الأوائل والأواخر، ولعله أحد التاريخين

المتقدّمين في عبارة الأمل، رأيت منه نسخة مخطوطة في مكتبة (مجلس الشورى الإسلامي) بطهران، فرغ من كتابتها ١٦ / ربيع الأول / ١٠٩١ هـ. ق، وكتب عليها أنّه فرغ من تأليفه (سنة ١٠٨٦ هـ)، وعلى ظهر تلك النسخة أنّها تأليف الشيخ أحمد بن الحسن الحرّ العاملي، الخراساني هجرة، الإمامي مذهباً، أخي الشيخ الحرّ العاملي، وكتب لنا بعض فضلاء الإيرانيين أنّه رأى نسخته في مكتبة الشيخ عبد الحسين في خراسان بخطّ المؤلف وبعض صفحاته بخط غيره في مجلّدين صغيرين، وذكر في ديباجته أنّه رتبه على مقدمة وخمسة أركان وخاتمة... ذكر في آخرها الكتب التي أخذ منها وهي خمسون كتاباً ثمّ قال: ونقلته من السواد إلى البياض سنة... ولي من العمر ثلاث وخمسون سنة في مشهد ثامن الأئمة المعصومين.

وقال البحّاثة المتتبع آقا بزرگ الطهراني في طبقات أعلام الشيعة في مجلد القرن ١٢ ص ٣١ وأيضاً في مواضع من الذريعة حسب ذكر كتبه، وقد لفقنا بين الكتابين: أحمد الحرّ: (١٠٤١ ـ ١١٢٠ هـ) تقريباً، انتصب شيخ الإسلام لمشهد خراسان من قبل الدولة الصفوية بعد وفاة أخيه سنة ١١٠٤ هـ ...، ثمّ بين بعد نقل كلام الحر في أمل الآمل أنّ تاريخه الكبير لعله الدر المسلوك، وتاريخه الصغير هو التبر المسكوك الفارسي الموجود أيضاً بمشهد خراسان، أو أن الصغير هو روض الناظرين في علم الأولين والآخرين، قال في آخر الكتاب: كان الشروع فيه في الجمعة أول صفر سنة ١٠٧٦ هـ، والفراغ منه في آخر شعبان سنة ١٠٨٦ هـ في المشهد الرضوي... وفي الدر المسلوك... فرغ منه سنة ١٠٩٤ هـ وله ثلاث وخمسون سنة فيكون ميلاده سنة ١٠٤١.

ونسخة روض الناظرين موجودة بزنجان في مجلد كبير يقرب من ٩٤٠ صفحة

باللغة العربية مثل الدر المسلوك. وله ولد فاضل اسمه محمد ولد سنة ١٠٩٥ هـ، وذكر نفسه في آخر المجلد الأول من الدرّ المسلوك بعض تواريخه وعائلته وولده وموقف الأخباريين المهاجرين من الحكومة تجاه أهل العقل المعارضين لها، فقال ما ملخصه: في سنة ١٠٧٠ هـ توجهت إلى العراق، وفي ١٠٧١ هـ حججت البيت، وفي ١٠٨٤ هـ جاورت مشهد الرضا عليه السلام، وفي ١٠٩٥ هـ ولد ابني محمد الحرّ، وفي ١٠٩٨ هـ ولد ابني إبراهيم الحرّ، وفي ١١٠٠ هـ ولد ابني موسى الحرّ وتوفي، وفي ١١١٥ هـ طلبني الشاه سلطان حسين إلى إصفهان، وفي ١١٢٠ هـ ولد [ابن] ابني صالح بن محمّد بن الحرّ.

وترجم له سماحة المحقق الشيخ رضا الأُستادي أحد أئمة الجمعة في قم ومن أساتذة الحوزة في مقالة قيمة له حول الكتاب نشرته مجلة آينه پژوهش في العدد ١٢٤ ص ١٦ ـ ٢٠ ذكر فيها بالفارسية ما ملخصه وترجمته: أنه نسب الكتاب هذا إلى أخيه صاحب الوسائل اشتباهاً في النسخة الخطية الفريدة المتبقية منه، وبما أنّ أُسلوب الكتاب كان يختلف عن أُسلوب صاحب الوسائل فطرحنا الموضوع على سماحة العلّامة السيد موسى الشبيري الزنجاني دام ظلّه، فقال: إن بيت الحرّ العاملي بيت كبير فلعله لأحدهم، وهذه الإشارة من السيد الزنجاني حفظه الله تعالى تسببت لمتابعة البحث عن شخصيات هذه الأُسرة حتى تعرّفت على المؤلف الحقيقي للكتاب وأنّه أحمد بن الحسن الحرّ العاملي وهو أخو صاحب الوسائل. ومؤلفاته كالتالي:

١. التبر المسكوك. في التاريخ بالفارسية، كانت نسخته موجودة سابقاً في مشهد الرضا حيث نقل عنه الشيخ مهدي المشهدي من أعلام القرن المنصرم في كتاب وقائع الأيام.

٢. حاشية على المختصر النافع.

لم نعثر له على أثر بعد.

٣. الدر المسلوك.

وقد سبق التعريف به.

٤. روض الناظرين.

وتقدّم ذكره.

٥. جواهر الكلام في الخصال المحمودة في الأنام.

لا نعرف عن نسخته شيئاً.

٦. تفسير القرآن.

توجد نسخة منه في مكتبة مدرسة المروي بطهران، وحينما قمت سابقاً بفهرسة المكتبة نسبته إلى أخيه محمد بن الحسن صاحب الوسائل تبعاً لما ذكره الكاتب في أوّل النسخة الخطية، وبعد ما راجعت الموضوع مؤخراً عرفت أن أحمد بن الحسن قد تصحف في النسخة إلى محمد بن الحسن وذلك بالأدلة التالية:

١. أنّ صاحب الوسائل يعرّف نفسه في عامة مقدمات كتبه هكذا: الفقير إلى الله الغني محمد بن الحسن بن علي الحرّ العاملي، كما في أمل الآمل، وإثبات الهداة، ووسائل الشيعة، والتنبيه على تنزيه المعصوم، والاثني عشريه، وهداية الأُمة، ونزهة الأسماع في حكم الإجماع، وفي الفوائد الطوسية: الفقير إلى عفو الله الغني، بينما في بداية هذا التفسير: العبد المحتاج إلى كاشف الضر... بن الحسن الحر، ونجد في مقدمة روض الناظرين لأحمد بن الحسن: المحتاج إلى كاشف الضر أحمد بن الحسن الحرّ.

٢. أُسلوب التفسير هذا هو غير روائي بخلاف أُسلوب صاحب الوسائل فإنه

روائي في عامة كتبه ولذلك عرّف بأنّه أخباري، وأيضاً قد دافع المصنف في التفسير هذا عن مسألة تقليد المجتهدين.

٣. لم يذكر أحد ممّن ذكر كتب صاحب الوسائل أنّ له تفسيراً، بينما ذكر في ترجمة أخيه أحمد ذلك كما تقدّم.

هذا، وجاء في وقفية نسخة التفسير هذا على مدرسة المروي تسمية الكتاب باسم كشف المراد، وهو خطأ نشأ من سوء فهم لما ورد في أول الكتاب على سبيل الوصف من أن معنى التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل.

وذكر المصنف في المقدّمة أنه قصد إلى وضع تفسير مختصر يسهل حمله سفراً وحضراً، وانّه انتخبه من عدة تفاسير مع الالتفات إلى ما ورد في أسباب النزول، وردّ فيها على من قال بحصر التفسير بالأحاديث المروية في الآيات، مستدلاً على أنّ أئمة أهل البيت أرجعونا إلى القرآن في تمييز الأحاديث الصحيحة وهذا يقتضي أن يكون القرآن واضحاً وبيناً.

وقد استفاد من تفسير البيضاوي ومجمع البيان كثيراً، وربما أضاف شيئاً على ما ذكره البيضاوي أو ردّ عليه فيما إذا لم يجده صحيحاً.

وفي الكتاب ذكر لعدد من المؤلفين والمصادر مثل الفقيه للشيخ الصدوق، وتفسير القمي، وتفسير الثعلبي، وجوامع الجامع للطبرسي، وتفسير البيضاوي، وتفسير مجمع البيان للطبرسي، والشيخ الطوسي ولعله يقصد تفسير التبيان، والسيد المرتضى.

وأُسلوب المؤلف هو الاختصار كما سلف وقد ذكر التفسير أولاً على هامش نسخة من القرآن ثمّ حرّرها في هذا التفسير فاكتفى بالأهم والأقصر كما أبان ذلك في المقدّمة.

ويتطرّق فيه إلى الأحكام الفقهية واختلاف المذاهب فيها.

وطريقته في نقد الآخرين غير لاذعة وغير مثيرة كما في تفسير مجمع البيان للطبرسي والتبيان للشيخ الطوسي، على أنّه ربما ذكر شيئاً لا يتناسب مع مجمل أفكاره.

وبهوامش النسخة نقولات عن تفسير الصافي وبشارة الشيعة للكاشي والشهيد الثاني وحاشية الطيبي على الكشاف ومجمع البيان وتفسير البيضاوي وتفسير القمي وشرح ابن ميثم على نهج البلاغة وشرح اللمعة للشهيد الثاني، وهوامش بتوقيع السيد أحمد العلوي رحمه الله وميرزا علي رضا سلمه الله والسيّد علي خان المدني، ولعل جميعها أو بعضها من المؤلف.

ويظهر من وقفية الكتاب أنّه كتب قبل عام ١٢٣٠ هـ وفي النسخة تصحيفات كثيرة ممّا تنبئ عن قلة معرفة الكاتب أو رداءة نسخة الأُم.

وهذه النسخة تحتوي على أول القرآن إلى الآية ٩٣ من سورة الأعراف، وسقط من أثنائها بعض صفحاتها، وتشتمل على ١٢٠ ورقة، ولا أعرف نسخة أُخرى للكتاب.

انتهى ما أردنا نقله من مقالة الشيخ الأُستادي جزاه الله عن الإسلام وأهله خيراً.

هذا، وقد قام بعض الأساتذة الفضلاء بتحقيق الكتاب أولاً فاهتم بأمر مقابلته مع المخطوطة وتخريج بعض المصادر مثل مجمع البيان والكشاف والبيضاوي وغيرها، وتمّ صف الحروف حسب هذا العمل الأول.

ثمّ آل الأمر إليّ في تحقيق الكتاب فأضفت أرقام الآيات إليه لتسهيل المراجعة، وقمت بتطبيقه حرفياً على تفسير البيضاوي خاصّة؛ لكثرة أخذه عنه فصححت الكثير من تصحيفات الكتاب عليه، وراجعت المخطوطة في أكثر الموارد للتأكد، ثمّ

عرضته على مجمع البيان بصورة جزئية؛ لأنّه المرجع الثاني له، وذكرت عقيب الآيات تخريجاته من البيضاوي ومجمع البيان دون الإشارة إلى المقدار الذي أخذه من هذا أو ذاك أو أضافه من نفسه حذراً من تثقيل الهوامش، وإنّما اكتفيت بهما لأنهما المعتمدان في عامة الكتاب.

نعم، ربما نقل المصنف من مصدر آخر غير البيضاوي ومجمع البيان ولم يصرّح به كما لم يصرّح بهما في عامة الكتاب فحاولنا جهد الإمكان العثور على مصدر المصنف في هذه الموارد النادرة والإشارة إليها بالهامش، واستعنت ببرنامج المكتبة الشاملة ومكتبة أهل البيت للتخريج، وربما لم أجد ما يذكره المصنف في المكتبتين، فكأنّه كان بحوزته بعض تفاسير المتأخرين فنقل عنه في كتابه هذا، وربما ذكر شيئاً لا يتلاءم مع مجمل أفكاره واتجاهاته أو الفهم القرآني فلعله أراد أن يعلق عليه ثم نسي ذلك وغفل عنه، أو لم يلتفت إلى ذلك حين النقل لتسرّعه في النقل وعدم دقته، وتركنا عمدة هذه الموارد على حالها لم نعلق عليها شيئاً، على أمل تنقيحها فيما بعد، وبما أنّه لم يحمل اسماً خاصاً ولم تذكر له المصادر التي راجعناها عن اسمه شيئاً اخترنا له اسم التفسير الوجيز لتناسبه مع خطة الكتاب وقول المؤلّف في مقدّمته: «... ليتمّ المطلوب بتفسير وجيز لكتاب الله العزيز»، والحمد لله أوّلاً وآخراً.

محمد كاظم

١٢ / صفر / ١٤٣٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
مقدّمة المؤلّف

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدىً للناس، وبيّناتٍ من الهدى والفرقان، نوراً يتوقّد مصباحه، وضياءً يتلألأ صباحه، ودليلاً لا يخمد برهانه، وحقّاً لا يخذل أعـوانـه، وحبلاً وثيقاً عروته، وجبلاً منيعاً ذروته، وشفاءً للصدور ليس وراءه شـفاء، ودواءً للقلوب ليس مثله دواء، وإماماً يقتدى بسـمته المـقتدون، وعـلماً يـهتدي بـهديه المهتدون.

فيه رياض الحكم وأنوارها، وينابيع العلوم وبحارها، فهو أشرف العلوم وأسناها، وأبهرها وأبهاها، فإنّه لجميع العلوم الأصل ـ منه تتفرّع أفانينها ـ والعماد عليه تبتنى قوانينها.

وقد صحّ عن النبي ﷺ أنّه قال: إنّي تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تـضلوا: كتاب ربّي وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفـ[ـتـ]ـرقا حتّى يردا عليّ الحوض[١].

وقال أمير المؤمنين وسيّد الوصيين عليه سلام ربّ العالمين: القرآن ظاهره أنيق، وباطنه عميق، لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه[٢].

وقال عليه السلام: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ستكون فتنة فقلت: يـارسول الله، فـما

١. رواه العامّة والخاصّة بأسانيد متعدّدة وألفاظ مختلفة وقد اعترف ابن حجر العسقلاني بأنّه كثير الطرق جدّاً، قال: وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان فتح الباري ٧: ٦١.
٢. نهج البلاغة، صبحي صالح؛ ٦١ كلام ١٨.

المخرج منها؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ من قبلكم، وخبر من بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل الذي ليس بالهزل، من تركه من جبّار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله، هو حبل الله المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، الذي لا تزغ معه الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الردّ، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم ينته الجنّ إذ سمعته أن قالوا ﴿**إنا سمعنا قرآناً عجباً * يهدي إلى الرشد فآمنّا به ولن نشرك بربّنا أحداً**﴾[1] من قال به صدق، ومن عمل به أُوجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم[2].

وقال ﷺ: إنّ لله أهلين من الناس قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصّته[3].

فالقرآن عظيم قدره، جليل خطره، من تمسّك به هدي، ومن تولّى عنه ضلّ، فيه

---

١. الجن (٧٢)، الآية ١ ـ ٢.

٢. مناقب الكوفي ٢ / ٣٠: ٥١٦، وسنن الدارمي ٣ / ٤٣٥، والترمذي ٤ / ٢٤٥: ٣٠٧، والمصنف لابن أبي شيبة ٧ / ١٦٤: ٢، ومجمع البيان ١ / ٤٥ مرسلاً، وتفسير الثعلبي ٣ / ١٦٢ مرسلاً، والدر المنثور ٦ / ٣٣٧ عن محمد بن نصر وابن الأنباري وغيرهما، والكامل لابن عدي ٤ / ٥، وتهذيب الكمال ٣٤ / ٢٦٧ عن مسند علي عليه السلام للنسائي وأيضاً بسنده إلى أبي طاهر المخلّص.

٣. مسند أحمد ١٩ / ٢٩٦ و٣٠٥: ١٢٢٧٩ و١٢٢٩٢، و٢١ / ١٧٥: ١٣٥٤٢، وسنن الدارمي ٢ / ٤٣٣: ٣٣٢٩، وابن ماجه ١ / ٧٨: ٢١٥، والمستدرك ١ / ٥٥٦، ومسند الطيالسي ٢٨٣: ٢١٢٤، وفضائل القرآن لأبي عبيد ٨٨، وفضائل القرآن لابن الضريس: ٧٥، وبغية الباحث ٢٢٩: ٧٣٢، والكامل لابن عدي ٦ / ٢٩٠، وتاريخ دمشق ٨ / ٤١٤، والسنن الكبرى للنسائي: ٨٠٣١، وحلية الأولياء ٣ / ٦٣، و٩ / ٤٠، وشعب الإيمان: ٢٦٨٩ و٢٩٨٨ و٢٩٨٩، وميزان الاعتدال ٢ / ٥٤٩، وتاريخ بغداد ٢ / ٣١١، وموضح أوهام الجمع ٢ / ٣٧٣.

تبيان كلّ شيء، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين[١].

وبعد، فيقول العبد المحتاج إلى كاشف الضرّ، أحمد[٢] بن الحسن الحرّ: إنّي كنت متشوّقاً لجمع معاني القرآن من التفاسير لتأويل كلام اللطيف الخبير، متوقّعاً لمساعدة القدر، مقدّماً رجلاً ومؤخّراً أُخرى، قائلاً كيف الوصول إلى سعاد ودونها قلل الجبال، ودونهنّ خوف الرجل حافية وما لي مركب، والكف صفر والطريق مخوف.

رعت الأُسود بقوّةٍ جيف الفلا ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف[٣]

فأطلت التفكير، وأحضرت التفاسير، وجعلتها شعاري ودثاري في ليلي ونهاري، وأسهرت الناظر، وأتعبت الخاطر، وأخذت [من] الأقوال أنبهها وأجلاها، ومن الروايات أشرفها وأعلاها، واقتصرت من الروايات الكثيرة الاختلاف على رواية وروايتين وثلاث، ليتمّ المطلوب بتفسير وجيز لكتاب الله العزيز، يسهل حمله في السفر، ووجود المطلوب منه في الحضر، وقد قال القائلون: العلم نقطة كثّرها الجاهلون، وكلّ ما ذكرته فإنّي نقلته من تفاسير معتمدة، وأقوال مسدّدة، وروايات معتبرة وأقوال مجرّدة[٤]، وكتبت أكثرها على حواشي قرآني في مدّة من زماني، والآن شرعت في نقلها من المسوّدة إلى هذا الكتاب، والله الموفّق للصواب، وذلك أنّي لمّا رأيت خَدَمة كتاب الله والمقتبسين من أنوار وحي الله سلكوا في تأويله

١. اقتباس من حديث نبوي ورد في مقدّمة المجموعة التفسيرية المسمّاة بتفسير القمي ١ / ٣.
٢. في النسخة محمد، والصواب أحمد، وقد ذكرنا ما يرتبط به في المقدمة فلاحظ.
٣. هذا البيت منسوب إلى الشافعي وورد مع مغايرات في مصادر منها تاريخ أبي الفداء ٣٧٦، وتاريخ ابن الوردي ٢٠٦ وغيرهما، وقد نسب إلى المعرّي أيضاً كما في حياة الحيوان ١ / ٣٥٧.
٤. ولعلّها محررة.

مسالك مختلفة، فمنهم من اقتصر على ذكر غريبه ومعاني ألفاظ[ه]، ومنهم من اقتصر على بيان التراكيب النحوية، ومنهم من استفرغ وسعه فيما يتعلّق بالإعراب والتصريف، ومنهم من استكثر من علم اللغة واشتقاق الألفاظ، ومنهم من زعم أنّ في القرآن تغيير أو زيادة أو نقصان، ونقلوا أخبار ضعيفة ظنّوا صحّتها، أنكرها السيّد المرتضى، وقال: إنّ القرآن معجز النبوّة ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية، وأنّ علماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية، حتّى عرفوا كلّ شيء اختلف فيه، من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته، وأنّه كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعاً مؤلفاً على ما هو الآن عليه، وأنّ عبد الله بن مسعود وأُبيّ بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي ﷺ من الحفظ عدّة ختمات[١]، فصرفت همّي إلى ما يتعلّق بالمعاني الموافقة للتنزيل، وسبب النزول على ما قيل.

والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل. والتأويل: ردّ أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر.

وفي الخبر عن سيّد البشر أنّ تفسير القرآن لا يجوز إلّا بالأثر الصحيح والنصّ الصريح. وأنّ من فسّر القرآن برأيه فأصاب الحقّ فقد أخطأ[٢].

وكره جماعة من التابعين القول في القرآن بالرأي، كسعيد بن المسيّب، وعبيدة السلماني، ونافع، وسالم بن عبد الله، وغيرهم[٣].

وأُجيب في ذلك أنّ الله سبحانه ندب إلى الاستنباط، وأوضح السبيل إليه، ومدح أقواماً عليه، فقال: ﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾[٤] وذمّ آخرين على ترك تدبّره

---

١. مجمع البيان ١: ٤٣.
٢ و٣. مجمع البيان ١: ٣٩.
٤. النساء (٤)، الآية ٨٣.

والإضراب عن التفكّر فيه، فقال: ﴿أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾[١].

وقال النبي ﷺ: إذا جاء عنّي حديث فاعرضوه على كتاب الله، فما وافقه فاقبلوه، وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط[٢].

فبيّن أنّ الكتاب حجّة ومعروض عليه، وكيف يتمكّن [من] العرض عليه وهو غير مفهوم المعنى، فهذا الحديث وأمثاله يدلّ على أنّ الخبر متروك الظاهر، فيكون معناه ـ إن صحّ ـ أنّ من حمل القرآن على رأيه ولم يعلم بشواهد ألفاظه فأصاب الحقّ فقد أخطأ الدليل.

وعن النبي ﷺ أنّه قال: أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه[٣].

وإذا كان ظاهر الكلام طبقاً لمعناه، فكلّ من عرف العربية والإعراب عرف فحواه، وعلم معناه والمراد به قطعاً، هذا إذا كان الكلام ظاهراً لا يحتاج إلى بيان ولا يحتمل المعنيين أو معان كقوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلّا بالحقّ﴾[٤] وقوله: ﴿وإلٓهكم إلٓه واحد﴾[٥] وقوله: ﴿ولا يظلم ربّك أحداً﴾[٦].

فأمّا ما كان مجملاً لا ينبئ ظاهره عن المراد مفصّلاً كقوله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾[٧]، ﴿وآتوا حقّه يوم حصاده﴾[٨] فإنّه يحتاج فيه إلى بيان

---

١. محمّد (٤٧)، الآية ٢٤.
٢. مجمع البيان ١: ٣٩.
٣. مجمع البيان ١: ٤٠.
٤. الإسراء (١٧)، الآية ٣٣.
٥. البقرة (٢)، الآية ١٦٣.
٦. الكهف (١٨)، الآية ٤٩.
٧. النور (٢٤)، الآية ٥٦.
٨. الأنعام (٦)، الآية ١٤٦.

النبي ﷺ بوحي من الله سبحانه إليه، فبيّن أعيان الصلوات وأعداد الركعات، ومقادير النُصُب في الزكاة، والشروع في بيان ذلك من غير نصّ وتوقيف ممنوع منه، ويمكن أن يكون الخبر الذي تقدّم محمولاً عليه.

وأمّا ما كان محتملاً لأُمور كثيرة أو لأمرين فهو من باب المتشابه، فلا ينبغي أن يقدم عليه بجسارة إلّا بقول نبي أو إمام مقطوع على صدقه، ولا يقلّد أحداً من المفسّرين فيه، إلّا أن يكون التأويل مجمعاً عليه فيجب اتّباعه، لانعقاد الإجماع عليه.

وعن ابن عبّاس أنّه قسّم وجوه التفسير على أربعة أقسام: تفسير لا يعذر أحد بجهالته، وهو ما يلزم الكافّة، من الشرايع التي في القرآن، ودلائل التوحيد، وتفسير تعرفه العرب بلسانها، وهو حقائق اللغة وموضع كلامهم، وتفسير تعرفه العلماء، وهو تأويل المتشابه وفروع الأحكام، وتفسير لا يعلمه إلّا الله عزّ وجلّ، وهو ما يجري مجرى الغيوب وقيام الساعة[1].

---

١. مجمع البيان ١: ٤٠.

[١]

سورة فاتحة الكتاب

مكّية عن ابن عبّاس وقتادة، ومدنية عن مجاهد.

وقيل: أُنزلت مرّتين مرّة بمكّة حين فرضت الصلاة ومرّة بالمدينة لمّا حوّلت[١] القبلة ولذلك سمّيت المثاني.

وقيل: لأنّها تثنّى بقراءتها في كلّ صلاة.

وسمّيت فاتحة الكتاب لافتتاح المصاحف بكتابتها.

وسمّيت أُمّ الكتاب؛ لأنّها متقدّمة على سائر سور القرآن، أو لأنّ الله أودعها مجموع ما في السور؛ لأنّ فيها إثبات الربوبية والعبودية وهذا هو المقصود بالقرآن.

والسبع المثاني؛ لأنّها سبع آيات، و[لأنّها] تثنّى في الصلاة[٢].

وهي تشتمل على ما في القرآن من الثناء على الله تعالى، والتعبّد بأمره ونهيه، وبيان وعده ووعيده، وهي شفاء من كلّ داء.

قال أُبيّ بن كعب: قرأت على رسول الله ﷺ فاتحة الكتاب، فقال: والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها، هي أُمّ القرآن، وهي السبع المثاني، وهي مقسومة بين الله وبين عبده ولعبده ما سأل[٣].

---

١. ن: حولنا.

٢. وذكر آنفاً وجهاً آخر.

٣. انظر: مجمع البيان ١: ٤٨ وهكذا ما قبله.

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ اتّفق أصحابنا أنّها آية من سورة الحمد ومن كلّ سورة، وأنّ من تركها في الصلاة بطلت صلاته سواء كانت الصلاة فرضاً أو نفلاً، وأنّه يجب الجهر بها فيما يجهر فيه بالقراءة[١]، ويستحبّ الجهر بها فيما[٢] يخافت فيه بالقراءة، ولا خلاف[٣] بين فقهاء الأُمّة في أنّها بعض آية في سورة النمل، ووافقنا في ذلك قرّاء مكّة والكوفة وابن المبارك والشافعي، وخالفنا قرّاء المدينة والبصرة والشام ومالك والأوزاعي، وظنّ أبو حنيفة أنّها ليست من السورة، مع أنّ أبا هريرة روى عن النبي ﷺ أنّه قال: فاتحة الكتاب سبع آيات، أوّلهنّ بسم الله الرحمن الرحيم وهي أعظم آية في كتاب الله.

وعن الرضا عليه السلام أنّه قال: بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى إسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها.

وعن ابن مسعود، قال: من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فإنّها تسعة عشر حرفاً، ليجعل الله كلّ حرف منها جُنّة من واحد منهم.

ومعنى «بسم الله»: بذكر الله.

والرحمن من الرحمة وهي الرقّة.

والرحيم الرفيق من الرفق.

وعن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن تفسير بسم الله الرحمن الرحيم فقال: الباء بهاء الله، والسين سناء الله، والميم ملك الله، والله إله كلّ شيء، والرحمن

---

١. ن: بالقرآن.

٢. ن: فيها.

٣. ن: والاختلاف.

بجميع خلقه، والرحيم بالمؤمنين خاصّة، وهي الآية التي قال الله عزّ وجلّ: ﴿وإذا ذكرت الله ربّك في القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفوراً﴾[١].[٢]

﴿الحمد لله﴾ الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة أو غيرها، والمدح هو الثناء مطلقاً، تقول حمدت زيداً على علمه وكرمه، ولا تقول حمدته على حسنه وجماله بل مدحته، والمعنى: الشكر لله وحده دون غيره، وأنّ الأوصاف الجميلة والثناء الحسن كلّها لله الذي تحقّ له العبادة.

﴿ربّ العالمين﴾ خالق المخلوقين وسيّدهم، والعالمون جمع عالم والعالم جمع لا واحد له، وكلّ جنس من الحيوان فهو عالم من حيث إنّه يشتمل على نظائر ما في العالم.

والربّ في الأصل بمعنى التربية، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً، سمّي به المالك؛ لأنّه يحفظ ما يملكه ويربّيه، ولا يطلق على غير الله تعالى إلّا مقيّداً كقوله ﴿ارجع إلى ربّك﴾[٣].

﴿الرحمن الرحيم﴾ اسمان وضعا للمبالغة، أو كرّرهما للتعليل، واشتقّا من الرحمة وهي النعمة. في الأوّل ذكر العبودية فوصل ذلك بذكر النعم التي يستحقّ بها العبادة، وهاهنا ذكر الحمد فوصله بذكر ما به يستحقّ الحمد من النعم.

﴿مالك يوم الدين﴾ وهو يوم الحساب والجزاء على الدين، والدليل قوله تعالى عنهم: ﴿ياويلنا هذا يوم الدين﴾ يعني: يوم الحساب، ومنه كما تدين تدان، كما قيل:

ولم يبق سوى العدوا ... ن دنّاهم كما دانوا

---

١. الإسراء (١٧)، الآية ٥٦.

٢. تفسير البيضاوي ١: ٦، ومجمع البيان ١: ٥٠.

٣. يوسف (١٢)، الآية ٥٠.

ومعناه مالك الأُمور يوم الدين، وقرئ ﴿ملك يوم الدين﴾ لقوله تعالى: ﴿لمن الملك اليوم﴾[١]، ولما فيه من التعظيم لشأنه، والمالك هو المتصرّف في الأعيان المملوكة كيف شاء.

﴿إيّاك نعبد وإيّاك نستعين﴾ مخاطبة لله عزّ وجلّ بمعنى لك نخضع ونذلّ، ونخصّك بالعبادة والاستعانة، والمعنى نعبدك ونستعين بك، ولا نعبد غيرك، ولا نستعين إلّا بك.[٢]

﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ معناه ثبّتنا على دين الحقّ الذي هو دين الإسلام؛ لأنّ الله تعالى هدى الخلق كلّهم، إلّا أنّ الإنسان قد يزّل وترد عليه الخواطر الفاسدة، فيحسن أن يسأل الله أن يثبّته على دينه ويديمه عليه ويعطيه زيادة الهدى التي هي أحد أسباب الثبات على الدين، كما قال تعالى: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾[٣]، أو اهدنا إلى الطريق الواضح المستوي الذي لا اعوجاج فيه، وهو طريق الجنّة، أدقّ من الشعرة وأحدّ من السيف، طوله مسيرة ثلاثة آلاف سنة، فمن الناس من يمرّ عليه مثل البرق، ومنهم مثل عدو الفرس، ومنهم مثل مشي الرجل الساعي، ومنهم متعلّقاً فتأخذ النار منه شيئاً وتترك منه شيئاً.

﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ أي: صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك، وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿ومن يطع الله والرسول فأُولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أُولئك رفيقاً﴾[٤] وأصل

---

١. غافر (٤٠)، الآية ١٦.
٢. تفسير البيضاوي ١ / ٥٧؛ مجمع البيان ١ / ٦٠.
٣. محمّد (٤٧)، الآية ١٧.
٤. النساء (٤)، الآية ٦٩.

النعمة المبالغة والزيادة.

﴿غير المغضوب عليهم﴾ وهم اليهود لقوله تعالى: ﴿منهم من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير﴾[١] وقوله: ﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردةً خاسئين﴾[٢].

﴿ولا الضالّين﴾ وهم النصارى لقوله[٣] تعالى: ﴿ولا تتبعوا أهواء قومٍ قد ضلّوا من قبل وأضلّوا كثيراً وضلّوا عن سواء السبيل﴾[٤].

وروي أنّ المغضوب عليهم العصاة والضالّين الجاهلون بالله[٥].

١. المائدة (٥)، الآية ٦٠.

٢. البقرة (٢)، الآية ٦٥.

٣. ن: كقوله. وصوّبناه حسب السياق وتفسير البيضاوي.

٤. المائدة (٥)، الآية ٧٧.

٥. تفسير البيضاوي ١: ١٧؛ مجمع البيان ١: ٧١.

[٢]

سورة البقرة

مدنيّة كلّها إلّا آية منها وهي قوله: ﴿واتّقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ فإنّها نزلت في حجّة الوداع.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓمٓ﴾ آية كوفي، اختلف العلماء في الحروف المعجمة المفتتح بها السور، فذهب بعضهم إلى أنّها من المتشابهات التي استأثر الله بعلمها، ولا يعلم تأويلها إلّا هو، وهو المروي عن أئمّتنا.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: لكلّ كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجّي.

وقيل: هو اسم من أسماء القرآن.

وقيل: هو ممّا يفتتح به القرآن.

وقيل: هو قسم.

وقيل: هو من سرّ القرآن الذي لا يعلمه إلّا الله.

وقال ابن عباس: الألف يدلّ على اسم الله، واللام على اسم جبرئيل، والميم على اسم محمّد صلى الله عليه وآله.

وعنه أنّ الألف آلاء الله، واللام لطفه، والميم ملكه[١].

[٢] ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ أي: آلَمّ ذلك القرآن لا شكّ فيه، قال الأخفش: «ذلك» بمعنى هذا؛ لأنّ الكتاب كان حاضراً.

وقيل: إنّ الله أوعد نبيّه أن ينزل عليه كتاباً لا يمحوه الله ولا يخلق على كثرة الردّ، فلمّا أنزل القرآن [قال] ذلك الكتاب الذي وعدتك به لا يرتاب العاقل في أنّه بيان وهدى، لوضوحه وسطوع برهانه.

﴿هدى للمتّقين﴾ يهديهم إلى الحقّ؛ لأنّهم هم الذين أنتفعوا[٢] به واهتدوا بهداه، كما قال: ﴿إنّما أنت منذر من يخشاها﴾[٣].[٤]

[٣] وهم ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ أي: يصدّقون بما جاء عن الله عزّ وجلّ من الإيمان بالله والرسول والملائكة والبعث والجنّة والنار ممّا لم ير، وغاب عن الرؤية والمشاهدة.

وعن الرضا عليه السلام «إنّ الإيمان هو التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان».

وعنه أيضاً: «الإيمان قول مقول، وعمل معمول، وعرفان بالعقول، واتّباع الرسول».

﴿ويقيمون الصلاة﴾ يؤدّونها في وقتها ولا يعطّلونها، ويعدلون أركانها ويحفظونها من أن يقع زيغ في أفعالها، من أقام العود إذا قوّمه، كما قيل:

---

١. تفسير البيضاوي ١: ٢٢، ومجمع البيان ١ / ٧٦.

٢. ن: انفقوا.

٣. النازعات (٧٩)، الآية ٤٥.

٤. مجمع البيان ١: ٨٦، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٦.

أقامت غزالة سوق الضراب لأهل العراقين حولاً قـميطاً

وغزالة زوجة شبيب الذي خرج على الحجّاج بالعراق.

﴿وممّا رزقناهم ينفقون﴾ أي: يعطون الزكاة احتساباً لها عن ابن عبّاس والصادق عليه السلام، قال تعالى: ﴿وتجعلون رزقكم أنّكم تكذّبون﴾[١].

وعن ابن مسعود أنّه نفقة الرجل على أهله؛ لأنّ الآية نزلت قبل وجوب الزكاة[٢].

[٤] ﴿والذين يؤمنون بما أُنزل إليك﴾ يصدّقون بما جئت به من القرآن عن الله عزّ وجلّ.

﴿وما أُنزل من قبلك﴾ من كتب الله عزّ وجلّ على المرسلين، وهم مؤمنوا أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه، وسلمان الفارسي وأمثاله.

﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾ أي: يصدّقون بالدار الآخرة التي تتلو الدنيا، وزال عنهم ما كانوا عليه من أنّ الجنّة لا يدخلها إلّا من كان هوداً أو نصارى، وأنّ النار لن تمسّهم إلّا أيّاماً معدودة، وسمّى العلم يقيناً لحصول القطع عليه وسكون النفس إليه، وكلّ يقين علم، وليس كلّ علم يقيناً؛ لأنّ اليقين كأنّه علم يحصل بعد استدلال ونظر لغموض المعلوم المنظور فيه.

[٥] ﴿أُولئك على هدىً من ربّهم﴾ أي: أُولئك الموصوفون بجميع الصفات المتقدّمة على هدى من دين ربّهم، وإنّما قال: «من ربّهم»؛ لأنّ كل خير وهدى فمن الله، إمّا لأنّه فعله، وإمّا لأنّه عوض له بالدلالة عليه والدعاء إليه والإثابة على فعله.

﴿وأُولئك هم المفلحون﴾ أي: الظافرون بالبغية والباقون في الجنّة، كرّر فيه اسم

---

١. الواقعة (٥٦)، الآية ٨٢.

٢. مجمع البيان ١: ٨٨، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٣.

الإشارة تنبيهاً على أنّ اتّصافهم بتلك الصفات يقتضي كلّ واحدة من الأثرين وأنّ كلّاً منهما كافٍ في تميزهم بها عن غيرهم.

[٦] ﴿إنّ الذين كفروا﴾ كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وعتبة وشيبة وأحبار اليهود ممّن كفر بالنبي عناداً وكتم أمره حسداً. لما ذكر سبحانه خاصّة عباده وخالصة أوليائه بصفاتهم التي أحلّتهم الهدي والفلاح عقّبهم بذكر أضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدي ولا تغني عنهم الآيات والنذر، فقال:

﴿سواءٌ عليهم﴾ سواء اسم بمعنى الاستواء، كقوله تعالى: ﴿قل تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾[١].

﴿ءَأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ علم الله سبحانه أنّهم لا يصدّقون حذّرتهم أم لم تحذّرهم، وفائدة الإنذار بعد العلم بأنّه لا ينجع إلزام الحجّة وحيازة الرسول فضل الإبلاغ، ولذلك قال: سواء عليهم ولم يقل سواء عليك، كما قال لعبدة الأصنام: ﴿سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون﴾[٢].

[٧] ﴿ختم اللهُ على قلوبهم﴾ بالطبع فصارت كالمختوم عليها.

﴿وعلى سمعهم﴾ بالإغفال ﴿وعلى أبصارهم غشاوة﴾ غطاء، والمعنى: أنّ الكفر تمكّن من قلوبهم فصاروا بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع ولا يبصر، كما قال: ﴿أُولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم﴾[٣].

﴿ولهم عذاب عظيم﴾ وعيد وبيان لما يستحقّونه من العذاب في جهنّم.

[٨] ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ إنكار ما

---

١. آل عمران (٣)، الآية ٦٤، والآية: ﴿قل ياأهل الكتاب تعالوا﴾.
٢. الأعراف (٧)، الآية ١٩٣.
٣. النحل (١٦)، الآية ١٠٨.

ادّعوه ونفي ما انتحلوا إثباته، وهم المنافقون كعبد الله بن أُبي وجدّ بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابه وأكثرهم من اليهود أظهروا كلمة الإيمان وقصدهم أن يطّلعوا على أسرار المؤمنين وينقلوها إلى الكفّار.[١]

[٩] ﴿**يخادعون الله والذين آمنوا**﴾ أي: يعملون عمل الخادع. والخدع: أن توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتزلّه عمّا هو بصدده. والمعنى: يخادعون رسول الله ﷺ؛ لأنّ طاعته طاعة الله فحذف المضاف وأُقيم المضاف إليه مقامه؛ لأنّ الله تعالى لا يصحّ أن يخادعه من يعرفه ويعلم أنّه لا يخفى عليه خافية.

﴿**وما يخدعون إلّا أنفسهم**﴾ لأنّهم يوردونها العذاب الشديد لخدعهم النبي والمؤمنين بقولهم إذا رأوهم قالوا آمنّا وهم غير مؤمنين على الحقيقة.

﴿**وما يشعرون**﴾ وما يحسّون ذلك لتمادي غفلتهم، ومشاعر الإنسان: حواسّه.

[١٠] ﴿**في قلوبهم مرض**﴾ سقم، ومعناه هنا شكّ ونفاق في اعتقاد قلوبهم.

﴿**فزادهم الله مرضاً**﴾ بنزول القرآن بفضائحهم كقوله: ﴿**وأمّا الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم**﴾[٢] والآيات لم تزدهم رجساً وإنّما ازدادوا رجساً عند تكذيبهم بها.

﴿**ولهم عذاب أليم**﴾ أي: مؤلم موجع، وهو عذاب النار.

﴿**بما كانوا يكذبون**﴾ بتكذيبهم الله ورسوله فيما جاء به من الدين.

[١١] ﴿**وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض**﴾ بالعمل بالمعاصي وصدّ الناس عن الإيمان. والإفساد ضدّ الإصلاح، وهو العمل بما لا يرضاه الله ويضرّ بالناس.

﴿**قالوا إنّما نحن مصلحون**﴾ أي: الذي تسمّونه فساداً هو عندنا إصلاح، لأنّا

---

١. مجمع البيان ١ / ٩٢، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٤.

٢. التوبة (٩)، الآية ١٢٥.

إنّما نفعل ذلك كي نسلم من الفريقين، أو لما في قلوبهم من المرض والنفاق، كما قال: ﴿أفمن زيّن له سوء عمله فرآه حسناً﴾[١].

[١٢] ﴿ألا إنّهم هم المفسدون﴾ وهذا تكذيب من الله تعالى للمنافقين.

﴿ولكن لا يشعرون﴾ لا يحسّون أنّ الذي يفعلونه فساد أو ليس بصلاح.[٢]

[١٣] ﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس﴾ وإذا قيل للمنافقين صدّقوا محمّداً وما أُنزل عليه كما صدّقه أصحابه، أو كما صدّقه عبد الله بن سلام ومن آمن معه من اليهود.

﴿قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء﴾ على زعمهم، وإنّما سفّهوهم لاعتقادهم فساد رأيهم، أو لتحقير شأنهم، فإنّ أكثر المؤمنين كانوا فقراء، ومنهم موالي كصهيب وبلال وخبّاب، أو للتجلّد وعدم المبالاة بمن آمن منهم كعبد الله بن سلام وأمثاله. والسفه: خفّة حلم وسخافة رأي وقلّة عقل.

﴿ألا إنّهم هم السفهاء﴾ جمع سفيه، وهو الجاهل الضعيف الرأي القليل المعرفة بمواضع المنافع والمضار.

﴿ولكن لا يعلمون﴾ ردّ ومبالغة في تجهيلهم، فإنّ الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع أعظم ضلالة وأتمّ جهالة من المتوقّف المعترف بجهله، فإنّه ربّما يعذر وتنفعه الآيات والنذر.

[١٤] ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنّا﴾ أي: صدّقنا بما أُنزل على محمّد ﷺ كما صدّقتم أنتم.

روي أنّ ابن أُبي وأصحابه استقبلهم نفر من الصحابة، فقال ابن أُبي لقومه: انظروا

---

١. فاطر (٣٥)، الآية ٨.

٢. تفسير البيضاوي ١ / ٢٥، ومجمع البيان ١ / ٩٥.

كيف أردّ هؤلاء السفهاء عنكم، فأخذ بيد أبي بكر وقال: مرحباً بالصدّيق سيّد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ﷺ، ثمّ أخذ بيد عمر فقال: مرحباً بسيّد بني عدي الفاروق القوي في دين الله، ثمّ أخذ بيد علي عليه السلام فقال: مرحباً بابن عمّ رسول الله وختنه سيّد بني هاشم ما خلا رسول الله فنزلت.

﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾ إلى رؤسائهم من الكفّار أو من اليهود أو من الكهّان.

﴿قالوا إنّا معكم﴾ على دينكم واعتقادكم، خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية، والشياطين بالجملة الاسمية المؤكّدة بإنّ، قصدوا بالأُولى دعوى إحداث الإيمان وبالثانية تحقيق شأنهم على ما كانوا عليه.

﴿إنّما نحن مستهزؤن﴾ بأصحاب محمّد ونسخر بهم في قولنا آمنّا، كأنّ الشياطين قالوا لهم لمّا قالوا إنّا معكم إن صحّ ذلك منكم فما لكم توافقون المؤمنين وتدّعون الإيمان فأجابوا بذلك. والاستهزاء: السخريّة.[1]

[١٥] ﴿الله يستهزئ بهم﴾ يجازيهم على استهزائهم، كما قال: ﴿وجزاء سيّئة سيّئة مثلها﴾[2]، ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾[3] وقال عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وعن ابن عبّاس أنّ الله يفتح لهم ـ وهم في النار ـ باباً من الجنّة فيقبلون إليه من النار مسرعين، حتّى إذا انتهوا إليهم سدّ عليهم، فيضحك منهم المؤمنون، وذلك قوله تعالى: ﴿فاليوم الذين آمنوا من الكفّار يضحكون﴾[4].

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٤٥، ومجمع البيان ١ / ١٠٠.
٢. الشورى (٤٢)، الآية ٤٠.
٣. النحل (١٦)، الآية ١٢٦.
٤. المطففين (٨٣)، الآية ٢٩.

﴿ويمدّهم في طغيانهم يعمهون﴾ أي: يملي لهم ليؤمنوا وهم مع ذلك مستمسكون بطغيانهم وعماهم، أو يتركهم من فوائده ومنحه التي يؤتيها المؤمنين ثواباً لهم ويمنعها الكافرين عقاباً لهم، كشرح الصدر وتنوير القلب، وهم «في طغيانهم» في كفرهم، وضلالهم «يعمهون»، يتحيّرون. والعَمْه: الضلال والتحيّر.[1]

[١٦] ﴿أُولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ اختاروا الكفر على الإيمان واستبدلوه به. والمعنى: أنّهم أخلّوا بالهدى الذي جعل الله لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها، محصّلين الضلالة التي ذهبوا إليها.

﴿فما ربحت تجارتهم﴾ أي: خسروا في استبدالهم الكفر بالإيمان، والعذاب بالثواب. والربح: ضدّ الخسارة في التجارة.

﴿وما كانوا مهتدين﴾ لطرق التجارة كأصحاب محمّد ﷺ، فإنّ المقصود من التجارة سلامة رأس المال والربح، وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين.

[١٧] ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً﴾ في ليلة مظلمة.

﴿فلمّا أضاءت ما حوله﴾ أضاءت النار حول المتوقّد فاستضاء بها.

﴿ذَهب الله بنورهم﴾ فطفيت ناره فبقي متحيّراً، ولم يقل بنارهم؛ لأنّ المراد النور من إيقاد النار.

﴿وتركهم في ظلمات﴾ ظلمة الكفر، وظلمة النفاق، وظلمة يوم القيامة ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم﴾[2] أو ظلمة الضلالة، وظلمة سخط الله وظلمة العقاب المؤبّد، أو ظلمة شديدة كأنّها ظلمات متراكمة.

﴿لا يبصرون﴾ النور. والمعنى: مثل هؤلاء المنافقين لمّا أظهروا الإيمان وأبطنوا

---

١. مجمع البيان ١: ١٠٩، وتفسير البيضاوي ١ / ٤٦.
٢. الحديد (٥٧)، الآية ١٢.

الكفر، كمثل الذي أوقد ناراً.

وقيل: نزلت في اليهود وانتظارهم خروج النبي ﷺ وإيمانهم به، فلمّا خرج كفروا به، فضرب الله لهم هذا المثل، كقوله: ﴿مثل الجنّة التي وعد المتّقون﴾[١] وقوله: ﴿ولله المثل الأعلى﴾[٢].[٣]

[١٨] ﴿صُمّ﴾ لا يسمعون الحقّ.

﴿بُكم﴾ لا ينطقون به.

﴿عُمي﴾ لا يبصرون الهدى.

﴿فهم لا يرجعون﴾ عن ضلالتهم ولا يتوبون، كما قيل:

صمٌّ إذا سمعوا خيراً ذُكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم أذنُ

[١٩] ﴿أو كصيّب من السماء﴾ أو كغيث منها من قولك صاب المطر يصوب صوباً إذا انحدر ونزل.

﴿فيه ظلمات﴾ ظلمة متكاثفة بتتابع القطر، وظلمة غمامة مع ظلمة الليل.

﴿ورعد﴾ صوت ملك يزعق كما يزعق الراعي بغنمه، أو الرعد صوت يسمع من السحاب، والمشهور أنّ سببه اضطراب أجرام السحاب واصطكاكها، إذا حركتها الريح من الارتعاد.

﴿وبرق﴾ قال علي عليه السلام: البرق مخاريق الملائكة من حديد فتضرب به السحاب فتقدح منه النار.

﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم﴾ الضمير لأصحاب الصيّب، وهو [و]إن حذف

١. الرعد (١٣)، الآية ٣٥.
٢. النحل (١٦)، الآية ٦٠.
٣. مجمع البيان ١: ١١٣، وتفسير البيضاوي ١ / ٤٧.

لفظه وأُقيم الصيّب مقامه، لكن معناه باقٍ، فيجوز أن يعوّل عليه كما عوّل حسّان في قوله:

يسقون من برد الرضيب نديمهم راحاً تصفّق بالرحيق السلسل

﴿من الصواعق﴾ والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار، لا تمرّ بشيء إلّا أهلكته وأتت عليه، من الصعق وهو شدّة الصوت.

﴿حذر الموت﴾ خوفاً من زوال الحياة.

﴿والله محيط بالكافرين﴾ لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط، والإحاطة أصلها الاجتماع والاحتواء على كلّ شيء.(١)

[٢٠] ﴿يكاد البرق﴾ [بـ]معنى قارب، وكاد من أفعال المقاربة.

﴿يخطف أبصارهم﴾ والخطف السلب.

﴿كلّما أضاء لهم﴾ البرق.

﴿مشوا فيه﴾ لاهتدائهم إلى الطريق بضوء البرق.

﴿وإذا أظلم عليهم قاموا﴾ وقفوا وتحيّروا، كذلك المنافقون، كلّما دعوا إلى خير وغنيمة أسرعوا، وإذا وردت شدّة على المسلمين تحيّروا.

وقيل: هم اليهود لمّا نصر الله المسلمين ببدر قالوا: هذا النبي الذي بشّر به موسى فلمّا نكبوا بأُحد وقفوا وشكّوا.

﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم﴾ أي: لو شاء الله أن يذهب بشدّة الرعد ووميض البرق سمعهم وأبصارهم لذهب بهما منهم، عقوبة لهم.

﴿إنّ الله على كلّ شيء قدير﴾ وقدرة الله عبارة عن نفي العجز عنه، والقادر هو

---

١. مجمع البيان ١: ١١٧، وتفسير البيضاوي ١ / ٤٨.

الذي إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، والقدير الفعّال لما يشاء على ما يشاء؛ ولذلك قلّما يوصف به غير البارئ تعالى.[١]

[٢١] ﴿يا أيّها الناس اعبدوا ربّكم﴾ أي: تقرّبوا إليه بالعبادة. خطاب متوجّه إلى جميع الناس، مؤمنهم وكافرهم إلّا من ليس بمكلّف من الأطفال والمجانين.

﴿الذي خلقكم﴾ الذي أوجدكم بعد أن لم تكونوا موجودين.

﴿والذين من قبلكم﴾ من الخلائق والبشر. بيّن سبحانه نعمه عليهم وعلى آبائهم؛ لأنّ نعمه عليهم لا تتمّ إلّا بنعمه على آبائهم.

﴿لعلّكم تتقون﴾ أي: خلقكم لتتّقوه وتعبدوه كقوله: ﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون﴾[٢] أو لعلّكم تتقون المحرّمات وتكفّون عمّا حرّم الله. نبّه به على أنّ التقوى منتهى درجات السالكين ـ وهي التبرّؤ من كلّ شيء سوى الله تعالى ـ إلى الله تعالى، وأنّ العابد ينبغي أن لا يغترّ بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء، كما قال تعالى: ﴿يدعون ربّهم خوفاً وطمعاً﴾[٣] ﴿يرجون رحمته ويخافون عذابه﴾[٤].

[٢٢] ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشاً﴾ مهاداً وقراراً يمكنكم أن تستقرّوا عليها وتتصرّفوا فيها.

﴿والسماء بناء﴾ أي: سقفاً مرفوعاً مبنياً على الأرض كهيئة القبّة.

﴿وأنزل من السماء ماءً﴾ من نحو السماء من السحاب مطراً.

﴿فأخرج به﴾ أي: بالماء.

١. مجمع البيان ١ / ١٢٠، وتفسير البيضاوي ١ / ٤٩.
٢. الذاريات (٥١)، الآية ٥٦.
٣. السجدة (٣٢)، الآية ١٦.
٤. الإسراء (١٧)، الآية ٥٧.

﴿من الثمرات﴾ من بعض الثمرات.

﴿رزقاً لكم﴾ غذاء لكم وملكاً لكم. وهذا تنبيه على أنّه هو الذي خلقهم ورزقهم دون من جعلوه نداً له من الأوثان، ثمّ زجرهم بقوله [تعالى]:

﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾ أشباهاً وأمثالاً من الأصنام التي لا تعقل ولا تقدر على شيء، كما قال جرير:

أتيماً تجعلون إليّ[1] ندّاً　　　وما تيمٌ لذي حسبٍ نديد

﴿وأنتم تعلمون﴾ أنّ الأصنام التي تعبدونها لا تضرّ ولا تنفع. ولهذا قال موحّد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل:

أربّاً واحداً أم ألف ربٍّ　　　أدين إذا تقسّمت الأمور

تركت اللات والعزى جميعاً　　　كذلك يفعل الرجل البصير[2]

[٢٣] ﴿وإن كنتم في ريب ممّا نزّلنا على عبدنا﴾ أي: وإن كنتم في شكّ من صدق هذا الكتاب الذي أنزلناه على محمّد ﷺ وقلتم لا ندري هل هو من عند الله أم لا.

﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ مماثلة للقرآن في البلاغة، وحسن النظم، وجزالة اللفظ، والفصاحة التي اختصّت به، [و]الإخبار عمّا كان وعمّا يكون من دون الكتب، ودراسة الأخبار.

﴿وادعوا شهداءكم من دون الله﴾ أعوانكم وأنصاركم الذين يظاهرونكم على تكذيبكم، فإنّه أمرهم أن يستعينوا بكلّ من ينصرهم ويعينهم غير الله. والشهداء جمع شهيد كالجليس والأكيل.

١. في النسخة: يجعلون إليه.
٢. تفسير البيضاوي ١ / ٥٠، ومجمع البيان ١ / ١٢٥.

﴿إن كنتم صادقين﴾ أنّ هذا القرآن تقوّله محمّد من نفسه.

[٢٤] ﴿فإن لم تفعلوا﴾ فتأتوا بسورة من مثله وقد تظاهرتم أنتم وشركاؤكم وأعوانكم عليه، وتبيّن لكم عجزكم وعجز جميع الخلق عنه، وعلمتم أنّه من عند الله فلا تقيموا على التكذيب به.

﴿ولن تفعلوا﴾ أي: ولن تقدروا على أن تأتوا بسورة مثله أبداً؛ لأنّ لن تنفي على التأبيد في المستقبل.

﴿فاتّقوا النار التي وقودها الناس والحجارة﴾ أي: حطبها الكفّار وحجارة الكبريت، وهي أحرّ شيء إذا حميت، أو الناس وأصنامهم المنحوتة من الحجارة كقوله: ﴿إنّكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنّم﴾[١].

﴿أُعدّت للكافرين﴾ هُيّأت لهم وجعلت عدّة لعذابهم؛ لأنّهم الذين يخلدون فيها، وهو دليل على أنّ النار مخلوقة الآن؛ لأنّ المعدّ لا يكون إلّا موجوداً، وكذلك الجنّة لقوله ﴿أُعدّت للمتقين﴾.[٢]

[٢٥] ﴿وبشّر الذين آمنوا﴾ أصل البشارة الخبر السارّ الذي يظهر السرور.

﴿وعملوا الصالحات﴾ جمع صالحة من الأعمال فيما بينهم وبين ربّهم.

﴿أنّ لهم جنّات﴾ اختلف في عددها، فقيل[٣]: إنّها ثمانية، أوّلها دار الجلال من اللؤلؤ الأبيض، وثانيها دار السلام من الياقوت الأحمر، وثالثها جنّة المأوى من الزبرجد الأخضر، ورابعها جنّة الخلد من المرجان الأحمر، وخامسها جنّة النعيم من

---

١. الأنبياء (٢١)، الآية ٩٨.

٢. تفسير البيضاوي ١ / ٥٢، ومجمع البيان ١ / ١٣٠.

٣. لم أجده باللفظ المذكور في مصدر آخر، ونحوه في تفسير البيضاوي ١ / ٤١ مع اختصار عن ابن عباس.

الفضّة البيضاء، وسادسها جنّة الفردوس من الذهب الأحمر، وسابعها دار القرار من المسك الأذفر، وثامنها جنّة عدن من الدرّ مشرفة على سائر الجنان، وسقفها عرش الرحمن، أعدّ الله فيها لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وفي كلّ واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الأعمال.

﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ أي: تجري من تحت أشجارها ومساكنها كما تجري تحت الأشجار النابتة على شواطئها.

﴿كلّما رزقوا منها من ثمرة رزقاً﴾ كلّما أُعطوا من ثمارها عطاء وأُطعموا منها طعاماً.

﴿قالوا هذا الذي رزقنا من قبلُ﴾ أي: من قبل هذا في الدنيا، جعل ثمر الجنّة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس إليه.

﴿وأُتُوا به متشابهاً﴾ يشبه بعضه بعضاً في الطيب ليس بمرذول كما قيل:

من تلق منهم تقل لاقيت سيّدهم   مثل النجوم التي يسري بها الساري

﴿ولهم فيها أزواج مطهّرة﴾ من القذر والحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق وغيره كما قيل:

وإذا العذارى بالدخان تنقّبت   واستعجلت نصب القدور فملّت

﴿وهم فيها خالدون﴾ دائمون في الجنّة أبداً. والخلد والخلود في الأصل: الثبات المديد دام أو لم يدم، والمراد به الدوام هنا.[1]

[٢٦] ﴿إنّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً﴾ أي: لا يدع ضرب المثل بالأشياء

١. مجمع البيان ١ / ١٣٣، وتفسير البيضاوي ١ / ٧٣.

الحقيرة لحقارتها إذا رأى الصلاح في ضرب المثل، ولذلك شاعت الأمثال في الكتب الإلّهية، وفشت في عبارات البلغاء وإشارات الحكماء، وأصل الاستحياء: الانقباض عن الشيء والامتناع منه خوفاً من مواقعة القبيح، كقول الفرزدق:

ضربت عليك العنكبوت بنسجها   وقضى عليك به الكتاب المنزل

﴿ما بعوضة فما فوقها﴾ أي: ما هو أعظم منها في الجثّة كالذباب والعنكبوت.

﴿فأمّا الذين آمنوا فيعلمون أنّه الحقّ﴾ والضمير في أنّه للمثل، أو لأن يضرب. [و]الحقّ: الثابت الذي لا يسوغ إنكاره، يعمّ الأعيان الثابتة والأفعال الصائبة والأقوال الصادقة، من قولهم حقّ الأمر إذا ثبت.

﴿من ربّهم﴾ أي: علموا أنّ المثل وقع من الله.

﴿وأمّا الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً﴾ أي: ماذا أراد بهذا المثل، عن ابن عبّاس وابن مسعود أنّ الله تعالى لمّا ضرب المثلين، بقوله عن المنافقين ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً﴾ وقوله: ﴿أو كصيّب من السماء﴾، قال المنافقون: الله أعلى وأجلّ من أن يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله تعالى [هذه الآية].

﴿يضلّ به كثيراً ويهدي به كثيراً﴾ وكثرة الضالّين من حيث العدد وكثرة المهتدين باعتبار الشرف، كما قيل:

قليل إذا عُدّوا   كثير إذا شدّوا

وكما قيل:

إنّ الكرام كثير في البلاد وإن   قلّوا كما غيرهم قلّوا وإن كثروا

﴿وما يضلّ به إلّا الفاسقين﴾ أي: الخارجين عن حد الإيمان، كقوله تعالى: ﴿إنّ

المنافقين هم الفاسقون﴾[1] وأصل الفسق الخروج عن قصد الطريق المستقيم، قال الكميت:

فطائفة قد كفّروني بحبّكم وطائفة قالوا مسيءٌ ومذنب[2]

[٢٧] ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾ وهو العهد المأخوذ بالعقل، وهو الحجّة القائمة على عباده الدالّة على توحيده، ووجوب وجوده، وتصديق رسوله، أو المأخوذ بالرسل على الأمم بأنّهم إذا بعث إليهم رسول مصدّق بالمعجزات صدّقوه واتّبعوه ولم يكتموا أمره ولم يخالفوا حكمه، وإليه أشار بقوله: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أُوتوا الكتاب﴾[3].

وقيل: عهود الله ثلاثة: عهد أخذه على جميع ذرّيّة آدم بأن يقرّوا بربوبيته، وعهد أخذه على النبيين بأن يقيموا الدين ولا يتفرّقوا فيه، وعهد أخذه على العلماء بأن يبيّنوا الحقّ ولا يكتموه. والميثاق: اسم لما يقع به الوثاق من الآيات والكتب.

﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾ أُمروا بصلة الرحم والقرابة، فقطعوها وعادوا رسول الله والمؤمنين، ويحتمل كلّ قطيعة لا يرضاها الله، كالإعراض [عن] موالاة المؤمنين، والتفريق بين الأنبياء والكتب في التصديق، وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير أو تعاطي شرّ، فإنّه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد.

﴿ويفسدون في الأرض﴾ بالمنع عن الإيمان، والاستهزاء بالحقّ، وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه.

---

١. التوبة (٩)، ٦٧.

٢. مجمع البيان ١ / ١٣٥، وتفسير البيضاوي ١ / ٧٥.

٣. آل عمران (٣)، ١٨٧.

﴿أُولئك هم الخاسرون﴾ الذين خسروا بإهمال العقل عن النظر، واقتباس ما يفيدهم الحياة الأبدية، فهم بمنزلة من هلك رأس ماله.

[٢٨] ﴿كيف تكفرون بالله﴾ استخبار فيه إنكار وتعجّب لكفرهم بإنكار الحال، والمعنى أخبروني على أيّ حال تكفرون بالله مع الدلائل الظاهرة على وحدانيته والمعجزات الباهرة على صدق من اختصّه برسالته وقيام الحجج الزاهرة على وجوب طاعته وشكر نعمته.

﴿وكنتم أمواتاً فأحياكم﴾ أي: لم تكونوا شيئاً فخلقكم، أو كنتم نطفاً ومضغاً مخلّقة وغير مخلّقة، فخلق الأرواح ونفخها فيكم.

﴿ثمّ يميتكم﴾ عند تقضّي آجالكم.

﴿ثمّ يحييكم﴾ بالنشور يوم ينفخ في الصور، والسؤال في القبور.

﴿ثمّ إليه ترجعون﴾ بعد الحشر فيجازيكم بأعمالكم.[١]

[٢٩] ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾ معناه أنّ الأرض وما فيها من نعم الله مخلوقة لكم إمّا دينية فتستدلّون بها على معرفته، وإمّا دنياوية فتنتفعون منها بضروب النفع عاجلاً.

﴿ثمّ استوى إلى السماء﴾ قصد إليها بإرادته وعلا عليها بقدرته، كما قيل:

فلمّا علونا واستوينا عليهم   تركناهم صرعى لنسرٍ وكاسر

وقيل: استوى استولى وملك[٢]، كما قيل:

قد استوى بشرٌ على العراق   من غير سيفٍ ودمٍ مهراق[٣]

---

١. مجمع البيان ١ / ١٤٠، وتفسير البيضاوي ١ / ٧٧.
٢. مجمع البيان ١: ١٤٣.
٣. مجمع البيان ١ / ١٤٣، وتفسير البيضاوي ١ / ٨٤.

﴿فسوّاهنّ سبع سماوات﴾ مستويات بلا فطور ولا أمت، وهو ضمير السماء؛ لأنّ السماء اسم جنس يدلّ على القليل والكثير، وأقرب ما ذكر أنّ السماء الدنيا من زمردة خضراء، والثانية من فضّة بيضاء، والثالثة من زمردة بيضاء، والرابعة من ياقوتة حمراء، والخامسة من ذهب أحمر، والسادسة من ياقوتة صفراء، والسابعة من نور يتلألأ[1].

﴿وهو بكلّ شيء عليم﴾ ولم يقل قدير؛ لأنّه لما وصل نفسه بالقدرة وصل ذلك بالعلم، إذ بهما يصبح وقوع الفعل على وجه الإتقان والإحكام.

[٣٠] ﴿وإذ قال ربّك للملائكة﴾ اختلف العقلاء في حقيقة الملائكة، فذهب أكثر المسلمين إلى أنّها أجسام لطيفة قادرة على التشكّل بأشكال مختلفة مستدلّين بأن الرسل، كانوا يرونهم كذلك، والمعنى: اذكر يا محمّد إذ قال ربّك للملائكة. وإذ ظرف زمان.

﴿إنّي جاعل في الأرض خليفة﴾ بمعنى: خالق. والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه ويسكن الأرض بعده ويحكم [ب]الحقّ بين الخلق، والمراد به آدم عليه السلام؛ لأنّه كان خليفة الله في أرضه بعد الجانّ ومن تقدّمهم ممّن سكن الأرض، فهو الخليفة الأوّل من النوع الإنساني، والثاني هارون لقول موسى عليه السلام: ﴿يا هارون اخلفني في قومي﴾[2]، والثالث داود عليه السلام لقوله تعالى: ﴿يا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض﴾[3]، والرابع علي بن أبي طالب عليه السلام لقول رسول الله صلى الله عليه وآله له يوم تبوك لمّا

١. بحار الأنوار ٥٥: ١٠٤ بتفاوت ما، والدرّ المنثور ١: ٤٤ بتفاوت ما.
٢. الأعراف (٧)، الآية ١٤٢.
٣. ص (٣٨)، الآية ٤٦.

خلّفه على أهله وأُمّته، فقال المنافقون: إنّما تركه استقلالاً له[١]، فلحقه وأخبره بقولهم، فقال: كذبوا إنّما خلفتك لما ورائي فارجع، أما ترضى أن تكون منزلتك منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي[٢].

﴿قالوا﴾ يعني الملائكة لله تعالى.

﴿أتجعل فيها﴾ أي: في الأرض.

﴿من يفسد فيها﴾ بالكفر والمعاصي.

﴿ويسفك الدماء﴾ أي: يهرقها بغير حقّ كما فعل بنو الجانّ، قالوا ذلك على سبيل الاستفهام والاستخبار لا على وجه الإنكار، وظنّوا بأنّه سيكون من ذرّيّة هذا الخليفة من يعصي الله ويسفك الدماء.

﴿ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك﴾ أي: أتستخلف عصاة ونحن معصومون نتكلّم بالحمد لك. والنطق بالحمد لله: تسبيح، كقوله تعالى: ﴿والملائكة يسبّحون بحمد ربّهم﴾[٣] والتقديس: التعظيم والتطهير، وقيل: هو الصلاة، أي: نصلّي لأجلك.

﴿قال إنّي أعلم ما لا تعلمون﴾ قيل: أراد ما أضمره إبليس من التكبّر والعجب والمعصية لمّا أمره الله تعالى بالسجود لآدم عليه السلام، أو إنّي أخلق خلقاً بيدي أجعل من ذرّيّته أنبياء مرسلين وعباداً صالحين وأئمّة مهتدين.[٤]

[٣١] ﴿وعلّم آدم الأسماء كلّها﴾ اسم كلّ شيء كالبعير والشاة والغراب وكلّ ما

---

١. كذا في النسخة، والمعروف من لفظه: استثقالاً.

٢. حديث مشهور متواتر، وقد ذكر الحسكاني في كتابه شواهد التنزيل أن الحافظ أبا حازم العبدويي كان يحفظ له خمسة آلاف سند، وله ألفاظ مختلفة ولم يلتزم المصنف هنا بلفظ مصدر خاص.

٣. الشورى (٤٢)، الآية ٥.

٤. تفسير البيضاوي ١ / ٨٥، ومجمع البيان ١ / ١٤٩.

له اسم، إمّا بخلق علم ضروري فيه أو بإلقاء في روعه. وآدم اسم أعجمي كآزر وشالخ، واشتقاقه من الأدمة بمعنى الأُسوة، أو لأنّه خلق من أديم الأرض. وقيل: علّمه جميع الأسماء والصناعات وعمارة الأرضين والأطعمة والأدوية وجميع ما يتعلّق بعمارة الدين والدنيا.

﴿ثمّ عرضهم على الملائكة﴾ عرض الأسماء عليهم، قيل: صوّر في قلوبهم هذه الأشياء فصارت كأنّهم شاهدوها.

﴿فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾ في زعمكم أنّي أستخلف في الأرض من يفسد فيها، أو أنّكم أحقّ بالخلافة لعصمتكم، أو إن كنتم فيما تخبرون به من أسمائهم فأخبروني بها، كقول القائل لغيره: أخبر بما في يدي إن كنت صادقاً.(١)

[٣٢] ﴿قالوا سبحانك﴾ تنزيهاً وتعظيماً أن يعلم الغيب أحد سواك، أو تنزيهاً لك عن الاعتراض عليك في حكمك.

﴿لا علم لنا﴾ اعتراف بالعجز والقصور، وإشعار بأنّ سؤالهم كان استخباراً ولم يكن اعتراضاً.

﴿إلّا ما علّمتنا﴾ معناه: إنّا لا نعلم إلّا بتعليمك وليس هذا فيما علّمتنا، اعترافاً بإنعامه عليهم بالتعليم.

﴿إنّك أنت العليم﴾ أي: العالم بجميع المعلومات؛ لأنّها من صفات ذاته الذي لا يخفى عليه خافية.

﴿الحكيم﴾ المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل إلّا ما فيه حكمة بالغة، فلا علم لأحد إلّا ما علّمه الله تعالى.

---

١. مجمع البيان ١ / ١٥٣، وتفسير البيضاوي ١ / ٨٦.

[٣٣] ﴿قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم﴾ أي: أخبر الملائكة بأسماء الذين عرضتهم عليهم.

﴿فلمّا أنبأهم بأسمائهم﴾ باسم كلّ شيء ومنافعه ومضارّه.

﴿قال﴾ الله تعالى للملائكة.

﴿ألم أقل لكم إنّي أعلم غيب السماوات والأرض﴾ أي: أعلم ما غاب فيهما عنكم فلم تشاهدوه كما أعلم ما حضركم فشاهدتموه.

﴿وأعلم ما تبدون﴾ من قولهم، أتجعل فيها من يفسد فيها.

﴿وما كنتم تكتمون﴾ من أنّهم أحقّ بالخلافة لعصمتهم، وأنّه تعالى لا يخلق خلقاً أفضل منهم.

[٣٤] ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ لمّا أنبأهم بالأسماء وعلّمهم ما لم يعلموا، أمرهم بالسجود له اعترافاً بفضله، وأداء لحقّه، واعتذاراً عمّا قالوا فيه، أو أمرهم بالسجود لآدم على وجه التكرمة له والتعظيم لشأنه وتقديمه عليهم بأن جعله قبلة لهم، وفي هذه الآية دلالة على أنّ الأنبياء أفضل من الملائكة.

﴿فسجدوا إلّا إبليس أبى واستكبر﴾ امتنع عمّا أُمر به، استكباراً من أن يتّخذه وصلة في عبادة ربّه.

﴿وكان من الكافرين﴾ أي: في علم الله، أو صار منهم باستقباحه أمر الله إيّاه بالسجود لآدم اعتقاداً [منه] بأنّه أفضل منه، واختلف في إبليس هل كان من الملائكة أم لا؟ فذهب قوم إلى أنّه كان منهم، وهو المروي عن ابن عبّاس وابن مسعود وأبي عبد الله وقتادة، واختاره الشيخ الطوسي، وقال المفيد والحسن البصري وجماعة إنّه كان من الجنّ لقوله تعالى: ﴿إلّا إبليس كان من الجنّ﴾[1]، ومنهم من قال:

١. الكهف (١٨)، الآية ٥٠.

إنّه كان خازناً على الجنان، ومنهم من قال: كان له سلطان سماء الدنيا وسلطان الأرض[١].

[٣٥] ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنّة﴾ أي: اتّخذ أنت وامرأتك الجنّة مسكناً ومأوى، والجنّة دار الثواب، ومن زعم أنّها لم تخلق بعد قال: إنّها بستان كان بأرض فلسطين، أو بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحاناً لآدم، وحمل الإهباط على الانتقال منه إلى أرض الهند كما في قوله تعالى: ﴿اهبطوا مصراً﴾[٢] والأكثر على أنّها جنّة الخلد التي في السماء؛ لأنّ الألف واللام للتعريف، وصار كالعلم عليها.

﴿وكلا منها رغداً﴾ أي: كلا من الجنّة كثيراً واسعاً لا عناء فيه. والرغد سعة العيش.

﴿حيث شئتما﴾ أيَّ مكان شئتما من بقاع الجنّة، وسّع الأمر عليهما إزاحة للعلّة والعذر في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين أشجارها.

﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ وهي الحنطة، أو الكرمة، أو التينة، أو شجرة مَنْ أكل منها أحدث، أو شجرة الخلد، أي: لا تقرباها بالأكل منها، والنهي بالقرب ـ الذي هو من مقدّمات التناول ـ مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه، وتنبيهاً على أنّ القرب من الشيء يورث ميلاً إليه، كما قيل: حبّك الشيء يعمي ويصمّ، فينبغي أن لا يحوم الإنسان حول ما حرّم الله عليه مخافة أن يقع فيه، وقيل: النهي للتنزيه دون التحريم لأنّ الأنبياء لا يجوز عليهم القبائح.

١. مجمع البيان ١: ١٦٢، وتفسير البيضاوي ١ / ٨٨.
٢. البقرة (٢)، الآية ٦١.

﴿فتكونا من الظالمين﴾ لأنفسكما بأكلها أو بترك هذا المندوب إليه.[١]

[٣٦] ﴿فأزلّهما الشيطان عنها﴾ أذهبهما إبليس عن الجنّة، أو أصدر زلّتهما عن الشجرة وحملها [حملهما] على الزلّة. نسب الإزلال إلى الشيطان؛ لأنّه كان السبب.

﴿فأخرجهما ممّا كانا فيه﴾ أي: من الكرامة والنعيم، والرتبة والمنزلة.

﴿وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ ولكم في الأرض مستقرّ﴾ موضع استقرار، أو استقرار ومقام.

﴿ومتاع إلى حين﴾ أي: بلاغ إلى وقت الموت، أو القيامة.

[٣٧] ﴿فتلقّى آدم من ربّه كلمات﴾ أي: استقبلها بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها، وهي قوله تعالى: ﴿ربّنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين﴾[٢] أو قال: لا إله إلّا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءً وظلمت نفسي فاغفر لي وأنت خير الغافرين.

﴿فتابَ عليه﴾ رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة.

﴿إنّه هو التوّاب﴾ أي: يقبل التوبة وإن عظمت الذنوب، واكتفى بذكر آدم؛ لأنّ حواء كانت تبعاً له في الحكم، ولذلك طوى ذكر النساء في أكثر القرآن والسنن.

﴿الرحيم﴾ المبالغ في الرحمة، وفي الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالإحسان، و[من] شروط التوبة: الندم على ما مضى من القبيح، والعزم على أن لا يعود إلى مثله في القبح، فإنّ هذه التوبة أجمع المسلمون على سقوط العقاب عندها، واختلفوا فيما عداها. وكلّ معصية لله تعالى فإنّه يجب التوبة منها، والطاعة لا تصحّ التوبة منها،

١. تفسير البيضاوي ١ / ٨٩، ومجمع البيان ١ / ١٦٨.
٢. الأعراف (٧)، الآية ٢٣.

وعندنا تصحّ التوبة إذا كانت من ترك الذنب.

[٣٨] ﴿قلنا اهبطوا منها جميعاً﴾ كرّر الهبوط للتأكيد، أو لاختلاف المقصود، فإنّ الهبوط الأوّل من الجنّة إلى السماء، وهذا من السماء إلى الأرض.

﴿فإمّا يأتينّكم منّي هدى﴾ بيان ودلالة، أو أنبياء ورسل.

﴿فمن تبع هداي﴾ أي: من اقتدى بكتبي ورسلي منكم نجا وفاز.

﴿فلا خوف عليهم﴾ من أهوال يوم الحساب.

﴿ولا هم يحزنون﴾ على فوات الثواب.

[٣٩] ﴿والذين كفروا وكذّبوا بآياتنا﴾ أي: بدلالاتنا وما أنزلناه على الأنبياء.

﴿أُولئك أصحاب النار﴾ أي: الملازمون لها.

﴿هم فيها خالدون﴾ أي: الدائمون فيها.

[٤٠] ﴿يا بني إسرائيل﴾ أي: يا بني يعقوب، والخطاب لليهود نسبهم إلى الأب الأعلى وهو يعقوب وكان يدعى إسرائيل، وهو اسم معناه عبد الله.

﴿اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ بالتفكّر فيها والقيام بشكرها، وهي كثرة الأنبياء فيهم وإنجائهم من آل فرعون وإنزال المنّ والسلوى عليهم وغير ذلك، وعدّ النعمة على آبائهم نعمة عليهم؛ لأنّ الأبناء يتشرفون بفضيلة الآباء.

﴿وأوفوا بعهدي﴾ بالايمان والطاعة واتّباع محمّد ﷺ.

﴿أُوف بعهدكم﴾ بحسن الإنابة والرضا ودخول الجنّة. والعهد ما عهده إليهم في التوراة أنّه باعث نبيّاً يقال له: محمّد فمن تبعه كان له أجران أجراً باتّباعه موسى وإيمانه بالتوراة، وأجراً باتّباعه محمّداً وإيمانه بالقرآن.

﴿وإيّاي فارهبون﴾ فيما تأتون وخصوصاً في نقض العهد. والرهب خوف مع تحرّز.

[٤١] ﴿وآمنوا بما أنزلت﴾ أي: صدّقوا بما أنزلت على محمّد من القرآن؛ لأنّه منزل من السماء إلى الأرض.

﴿مصدّقاً لما معكم﴾ من التوراة والكتب الإلهية من حيث إنّه نازل حسب ما نعت فيها، أو مطابق لها في القصص والمواعيد والدعاء إلى التوحيد والأمر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن الفواحش والمعاصي.

﴿ولا تكونوا أوّل كافر به﴾ أي: بالقرآن من أهل الكتاب؛ لأنّ قريشاً كانت قد كفرت به بمكّة قبل اليهود فالواجب أن يكونوا [أي] اليهود أوّل من آمن به؛ لأنّهم كانوا أهل النظر في معجزاته وبرهان آياته.

﴿ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً﴾ أي: ولا تستبدلوا بالإيمان بها والاتّباع لها حظوظ الدنيا، فإنّها ـ وإن جلّت ـ مسترذلة بالإضافة إلى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الإيمان.

﴿وإيّاي فاتّقون﴾ بالإيمان واتّباع الحقّ والإعراض عن الدنيا.

[٤٢] ﴿ولا تلبسوا الحقّ بالباطل﴾ أي: لا تخلطوا الحقّ المنزل بالباطل الذي تخترعونه، أو لأنّهم آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض؛ لأنّهم جحدوا صفة النبي صلى الله عليه وآله فذلك الباطل وأقرّوا بغيره ممّا في الكتاب.

﴿وتكتموا الحقّ وأنتم تعلمون﴾ أي: لا تكتموا صفة النبي صلى الله عليه وآله في التوراة وأنتم تعلمون أنّه حقّ، والخطاب متوجّه إلى رؤساء أهل الكتاب كما وصفهم بأنّهم يحرّفون الكلم عن مواضعه للتلبيس على أتباعهم، أي: يجحدون ما يعلمون، وجحد المعاند أعظم من جحد الجاهل.

[٤٣] ﴿وأقيموا الصلاة﴾ أي: أدّوها بأركانها وحدودها وشرائطها كما بيّنها النبي صلى الله عليه وآله.

﴿وآتوا الزكاة﴾ أي: اعطوا ما فرض الله عليكم في أموالكم على ما بيّنه الرسول لكم[١]، يعني: صلاة المسلمين وزكاتهم[٢]. وأصل الزكاة نماء المال وتميزه.

﴿واركعوا مع الراكعين﴾ أي: صلّوا مع المسلمين في جماعاتهم، وإنّما خصّ الركوع بالذكر وهو من أفعال الصلاة بعد الأمر بإقامتها؛ لأنّ الخطاب لليهود ولم يكن في صلاتهم ركوع.

[٤٤] ﴿أتأمرون الناس بالبرّ﴾ تقرير مع توبيخ وتعجّب. والبرّ التوسّع في الخير، من البرّ وهو الفضاء الواسع، يتناول كلّ خير؛ ولذلك قيل البرّ ثلاثة برّ في عبادة الله تعالى، وبرّ في مراعات الأقارب، وبرّ في معاملة الأجانب[٣].

﴿وتنسون أنفسكم﴾ أي: تتركونها من البرّ كالمنسيّات، وعن ابن عبّاس أنّها نزلت في أحبار المدينة[٤]، كانوا يأمرون سرّاً من نصحوه باتّباع محمّد ﷺ ولا يتبعونه[٥]، كما قيل:

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيم[٦]

عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: مررت ليلة أُسري بي على أُناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال: هؤلاء خطباء أهل الدنيا ممّن كانوا يأمرون الناس بالبرّ وينسون أنفسهم[٧].

---

١. مجمع البيان ١ / ٢١٣.
٢. تفسير البيضاوي ١ / ٥٨.
٣. تفسير البيضاوي ١: ٩٧.
٤. مجمع البيان ١: ١٩٢.
٥. تفسير البيضاوي ١ / ٣١٥.
٦. مجمع البيان ١ / ٢١٥.
٧. مجمع البيان ١: ١٩٢.

﴿وأنتم تتلون الكتاب﴾ أي: تدرسون التوراة وفيها الوعيد على العناد وترك البرّ ومخالفة القول.[١]

﴿أفلا تعقلون﴾ قبح صنيعكم في صدّكم عنه، أو فلا عقل لكم يمنعكم عمّا تعملون وخامة عاقبته. والعقل في الأصل الحبس، سمّي به الإدراك الإنساني؛ لأنّه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن.[٢]

[٤٥] ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ خطاب لليهود، أو للمسلمين، أي: استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكّلاً على الله تعالى، أو بالصوم، الذي هو الكفّ عن المفطرات، لما فيه من كسر الشهوة، وتصفية النفس، والتوسّل بالصلاة والالتجاء إليها، فإنّها جامعة لأنواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة، وستر العورة، وصرف المال فيهما، والتوجّه إلى الكعبة، والعكوف للعبادة، وإظهار الخشوع بالجوارح، وإخلاص النيّة بالقلب، ومجاهدة الشياطين، ومناجاة الحقّ، وقراءة القرآن، والتكلّم بالشهادتين، وكفّ النفس عن الأطيبين، حتّى تجابوا إلى تحصيل المآرب وجبر المعائب، روي أنّه كان ﷺ إذا حزنه أمر فزع إلى الصلاة[٣].

﴿وإنّها﴾ أي: الاستعانة بهما، أو الصلاة، وتخصيصها بردّ الضمير إليها لعظم شأنها واستجماعها ضروباً في الصبر، أو جملة ما أُمروا بها ونهوا عنها.

﴿لكبيرة﴾ لثقيلة شاقّة لقوله تعالى: ﴿كبر على المشركين ما تدعوهم إليه﴾[٤].

﴿إلّا على الخاشعين﴾ أي: المخبتين المتواضعين لله تعالى. والخشوع الإخبات

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٣١٦.
٢. تفسير البيضاوي ١ / ٣١٦.
٣. مجمع البيان ١: ١٩٤ وتفسير البيضاوي ١: ٩٨.
٤. الشورى (٤٢)، الآية ١٣، وتفسير البيضاوي ١ / ٣١٧.

وهو اللين والانقياد، ولذلك يقال: الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب[١]، كما قيل:

لمّا أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشّع[٢]

[٤٦] ﴿الذين يظنّون أنّهم ملاقوا ربّهم﴾ أي: يتوقّعون لقاء الله تعالى ونيل ما عنده في الآخرة، أو يتيقنون أنّهم يحشرون إلى الله تعالى فيجازيهم بذنوبهم لشدّة إشفاقهم، أو يظنّون سرعة موتهم فيكونون أبداً على حذر ووجل ولا يركنون إلى الدنيا، كما يقال لمن مات: لقى الله.[٣]

﴿وأنّهم إليه راجعون﴾ يوم القيامة فيجازيهم، أو يرجعون بالموت كما كانوا أمواتاً فأحيوا ثمّ يموتون، فيرجعون أمواتاً كما كانوا.[٤]

[٤٧] ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ التي أنعم بها على أسلافهم، وكرّره للتأكيد، وتذكير التفضيل، الذي هو أجل النعم خصوصاً، وربطه بالوعيد الشديد تخويفاً لمن غفل عنها وأخلّ بحقوقها.[٥]

﴿وأنّي فضّلتكم على العالمين﴾ أي: عالمي زمانهم، يريد به تفضيل آبائهم الذين كانوا في عصر موسى وبعده قبل أن يغيّروا، بما منحهم الله من العلم والإيمان والعمل الصالح، وجعلهم أنبياء مرسلين وملوكاً مقسطين، واستدلّ به على تفضيلهم على الخلق، وهو ضعيف[٦]؛ لأنّ أُمّتنا أفضل الأُمم بالإجماع، كما أنّ نبيّنا أفضل

١. تفسير البيضاوي ١ / ٣١٧.
٢. مجمع البيان ١ / ٢١٦.
٣. مجمع البيان ١ / ٢٢٠، وتفسير البيضاوي ١ / ٣١٧.
٤. مجمع البيان ١ / ٢٢٠.
٥. تفسير البيضاوي ١ / ٣١٨.
٦. تفسير البيضاوي ١ / ٣١٨.

الأنبياء، وبدليل قوله تعالى: ﴿كنتم خير أُمّة أُخرجت للناس﴾[١].

[٤٨] ﴿واتّقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً﴾ أي: احذروا واخشوا يوماً لا تغني ولا تقضي فيه نفس عن نفس شيئاً من الحقوق، ولا تدفع عنها مكروهاً، لشدّة ما فيه من الحساب والعذاب، كقوله تعالى: ﴿واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً﴾[٢].

﴿ولا يقبل منها شفاعة﴾ أي: من النفس الثانية، وهذه الآية مختصّة باليهود؛ لأنّهم قالوا نحن أولاد الأنبياء وآباؤنا يشفعون لنا، فآيسهم الله، ويدلّ على ذلك أنّ الأمّة أجمعت على أنّ النبي ﷺ شفاعته مقبولة[٣] إذا شفع. قال عليه السلام: وأما شفاعتي ففي أهل الكبائر ما خلا أهل الشرك والظلم[٤].

﴿ولا يؤخذ منها عدل﴾ والعدل الفدية، أي: لا يؤخذ من أحد فداء يكفّر به عن ذنوبه، وإنّما سمّي الفداء عدلاً لأنّه يعادل المفدّى ويماثله.[٥]

﴿ولا هم ينصرون﴾ يمنعون من عذاب الله. وتمسّكت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لأهل الكبائر، وأُجيب بأنّها مخصوصة بالكفّار من اليهود، للآيات والأحاديث الواردة في الشفاعة، ويؤيّده أنّ الخطاب معهم، والآية نزلت ردّاً لما كانت اليهود تزعم أنّ آباءهم تشفع لهم.[٦]

[٤٩] ﴿وإذ نجّيناكم من آل فرعون﴾ أي: خلّصناكم منهم لمّا كانوا

---

١. آل عمران (٣)، الآية ١١٠ وتفسير مجمع البيان ١ / ٢٢١.
٢. لقمان (٣١)، الآية ٢٣ ومجمع البيان ١ / ٢٢٣.
٣. مجمع البيان ١ / ٢٢٣.
٤. الخصال ٢: ٩.
٥. مجمع البيان ١ / ٢٢٤.
٦. تفسير البيضاوي ١ / ٣٢٠.

﴿يسومونكم﴾ أي: يبغونكم ويذيقونكم.

﴿سوء العذاب﴾ أفظعه، فإنّه قبيح بالإضافة إلى سائره.[١]

﴿يذبّحون أبناءكم﴾ الذكران.

﴿ويستحيون نساءكم﴾ يستبقون الإناث من أولادكم للخدمة، والسبب في قتل الأبناء أنّ فرعون رأى في منامه كأنّ ناراً أقبلت من بيت المقدس حتّى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها وأحرقت القبط وتركت بني إسرائيل، فهاله ذلك، ودعا السحرة والكهنة والقافة، فسألهم عن رؤياه، فقالوا: إنّه يولد في بني إسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك وتبديل دينك، فأمر فرعون بقتل كلّ غلام يولد في بني إسرائيل، وجمع القوابل من أهل مملكته، وقال لهنّ: لا يسقط على أيديكنّ غلام من بني إسرائيل إلّا قتل، ولا جارية إلّا تركت، ووكل بهنّ، فكنّ يفعلن ذلك، فروي أنّه قتل في طلبه نيف وعشرون ألف مولود، وأسرع الموت في مشيخة بني إسرائيل، فدخل رؤوس القبط على فرعون فقالوا له: إنّ الموت قد وقع في بني إسرائيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم، فيوشك أن يقع العمل علينا، فأمر فرعون أن يذبّحوا سنة، ويتركوا سنة فولد هارون في السنة التي لا يذبحون فيها فترك، وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها فكتمت القابلة أمره[٢].

﴿وفي ذلكم بلاء﴾ أي: سومكم العذاب وذبح الأبناء اختبار وامتحان.

﴿من ربّكم عظيم﴾ لما خلّى بينكم وبينهم حتّى فعلوا بكم هذه الأفاعيل.[٣]

[٥٠] ﴿وإذ فرقنا بكم البحر﴾ فَلَقناه اثني عشر طريقاً لاثني عشر سبطاً ليمرّوا

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٣٢١.

٢. مجمع البيان ١: ٢٠٤ مع مغايرة.

٣. مجمع البيان ١ / ٢٢٧.

فيه.

﴿فأنجيناكم﴾ من الغرق ومن فرعون.

﴿وأغرقنا آل فرعون﴾ أراد به فرعون وقومه، واقتصر على ذكرهم للعلم بأنّه كان أولى به.

﴿وأنتم تنظرون﴾ إلى غرقهم وإطباق البحر عليهم[١]. روي أنّ الله أمر موسى أن يسري ببني إسرائيل من مصر، فسرى بهم ليلاً، فأتبعهم فرعون وجنوده في ألف ألف حصان سوى الإناث، وكان موسى في ستّمئة ألف وعشرين ألفاً، فصادفهم فرعون وجنوده على شاطئ البحر، فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه، فظهر فيه اثنا عشر طريقاً يابساً فسلكوها، فقالوا: يا موسى نخاف أن يغرق بعضنا ولا نعلم، ففتح الله فيه كوى فتراءوا وتسامعوا حتّى عبروا البحر، ثمّ لمّا وصل إليه فرعون ورآه منفلقاً اقتحم فيه هو وجنوده، فأطبق عليهم وأغرقهم أجمعين[٢].

[٥١] ﴿وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة﴾ لمّا عادوا إلى مصر بعد هلاك فرعون وجنوده وعد الله موسى أن يعطيه التوراة، وضرب له ميقاتاً ذا القعدة وعشر ذي الحجّة، وعبّر عنها بالليالي؛ لأنّها غرر الشهور.

﴿ثمّ اتّخذتم العجل﴾ أي: اتّخذتموه إلهاً ومعبوداً.

﴿من بعده﴾ أي: من بعد مضيّ موسى إلى الميعاد.

﴿وأنتم ظالمون﴾ بإشراككم بالله تعالى عجلاً.[٣]

[٥٢] ﴿ثمّ عفونا عنكم﴾ حين تبتم. والعفو محو الجريمة، من عفا إذا درس.

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٣٢٢.

٢. تفسير البيضاوي ج ١: ١٠١ ومجمع البيان ١ / ٣٢٢.

٣. تفسير البيضاوي ١ / ٣٢٣.

﴿من بعد ذلك﴾ أي: من بعد اتّخاذ العجل إلهاً.

﴿لعلّكم تشكرون﴾ لكي تشكروا عفو الله عنكم وسائر نعمه عليكم.[١]

[٥٣] ﴿وإذ آتينا موسى الكتاب﴾ يعني: التوراة.

﴿والفرقان﴾ أي: الحجّة التي تفرق بين الحقّ والباطل والكفر والإيمان والحلال والحرام، أو انفراق البحر ومعجزاته الفارقة بين المحقّ والمبطل.

﴿لعلّكم تهتدون﴾ أي: لكي تهتدوا بما في التوراة من البشارة بمحمّد وبيان صفته، أو بتدبّر الكتاب والتفكّر في الآيات.[٢]

[٥٤] ﴿وإذ قال موسى لقومه﴾ الذين عبدوا العجل عند رجوعه إليهم.

﴿يا قوم إنّكم ظلمتم أنفسكم﴾ أي: أضررتم بأنفسكم ووضعتم العبادة غير موضعها.

﴿باتّخاذكم العجل﴾ معبوداً.

﴿فتوبوا إلى بارئكم﴾ أي: فارجعوا إلى خالقكم ومنشئكم بالطاعة والتوحيد والندم.[٣]

﴿فاقتلوا أنفسكم﴾ [إ]تماماً لتوبتكم بالبخع وقطع الشهوات، وقيل: أمر من لم يعبد العجل أن يقتلوا من عبده[٤]، فروي أنّ موسى أمرهم أن يقوموا صفّين، فاغتسلوا ولبسوا أكفانهم، وجاء هارون باثني عشر ألفاً ممّن لم يعبد العجل ومعهم الشفار المرهفة، وشرعوا يقتلونهم، فلمّا قتلوا سبعين ألفاً تاب الله على الباقين[٥].

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٣٢٣.
٢. مجمع البيان ١ / ٢٣٥، وتفسير البيضاوي ١ / ٣٢٤.
٣. مجمع البيان ١ / ٢٣٨.
٤. تفسير البيضاوي ١: ١٠٢.
٥. مجمع البيان ١: ٢١٨.

﴿ذلكم خير لكم عند بارئكم﴾ إشارة إلى التوبة مع القتل، من حيث إنّه طهرة من الشرك ووصلة إلى الحياة الأبدية والبهجة السرمدية.

﴿فتاب عليكم﴾ أي: قبل توبتكم. هنا إضمار، وتقديره [فـ]فعلتم ما أُمرتم به من قتل أنفسكم، فتاب عليكم.

﴿إنّه هو التوّاب﴾ أي: القابل التوبة عن عباده مرّة بعد مرّة.

﴿الرحيم﴾ يرحمكم إذا تبتم ويدخلكم الجنّة.[١]

[٥٥] ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك﴾ أي: لن نصدّقك في قولك إنّك نبي مبعوث. والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى للميقات.

﴿حتّى نرى الله جهرة﴾ أي: عياناً، فيخبرنا بأنّك نبي مبعوث.

﴿فأخذتكم الصاعقة﴾ أي: الموت.

﴿وأنتم تنظرون﴾ إلى أسباب الموت، أو إلى ما أصابكم، أو إلى النار؛ إذ قيل جاءت نار من السماء فأحرقتهم لفرط عنادهم والتعنّت وطلب المستحيل، فـإنّهم ظنّوا أنّه تعالى يشبه الأجسام، وطلبوا رؤيته وهي محال؛ لأنّ الرؤية لا تجوز على الله تعالى ولا تدركه الأبصار.[٢]

[٥٦] ﴿ثمّ بعثناكم﴾ أي: أحييناكم لاستكمال آجالكم.

﴿من بعد موتكم﴾ بسبب الصاعقة.

﴿لعلّكم تشكرون﴾ نعمة البعث وردّ الحياة إليكم، أو ما كفرتموه لمّا رأيتم بأس الله بالصاعقة.[٣]

---

١. مجمع البيان ١ / ٢٣٩، وتفسير البيضاوي ١ / ٣٢٤.

٢. مجمع البيان ١ / ٢٤١، وتفسير البيضاوي ١ / ٣٢٦.

٣. تفسير البيضاوي ١ / ٣٢٦، ومجمع البيان ١ / ٢٤١.

[٥٧] ﴿وظلّلنا عليكم الغمام﴾ سخّر الله لهم السحاب يظلّهم من الشمس حين كانوا في التيه.[١]

﴿وأنزلنا عليكم المنّ﴾ الذي يسقط على الشجر كالصمغ، طعمه كالشهد والعسل، يقال له الترنجبين، أو جميع النعم التي منّ الله تعالى عليهم بها ممّا لا تعب فيه ولا نصب، وعن النبي ﷺ أنّه قال: الكمأة من المنّ وماؤها شفاء للعين[٢].

﴿والسلوى﴾ وهو السماني، وقيل: هو طائر أبيض يشبه السماني، قال الصادق عليه السلام: كان ينزل المنّ والسلوى على بني إسرائيل من بعد الفجر إلى طلوع الشمس، فمن نام في ذلك الوقت لم ينزل نصيبه، فلذلك يكره النوم في هذا الوقت، وكان من أخذ زيادة على طعام يوم فسد إلّا يوم الجمعة لم يفسد، وينزل عليهم بالليل عمود نار يسيرون في ضوءه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى، وإذا ولد فيهم مولود يكون عليه ثوب يطول بطوله كالجلد، وبقوا تائهين في التيه أربعين سنة، وتوفي فيه هارون وموسى، فخرج بهم يوشع بن نون[٣].

﴿كلوا من طيّبات ما رزقناكم﴾ أي: من المشهي اللذيذ، أو من المباح الحلال الذي أعطيناكم.

﴿وما ظلمونا﴾ أي: وما ضرّونا بأن كفروا هذه النعم.

﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بالكفران؛ لأنّه لا يتخطّاهم ضرّه، لأنّه تعالى لا تنفعه طاعة من أطاعه ولا تضرّه معصية من عصاه.[٤]

١. تفسير البيضاوي ١ / ٣٢٦.
٢. مجمع البيان ١: ٢٢٥.
٣. مجمع البيان ١: ٢٢٣.
٤. مجمع البيان ١ / ٢٤٣.

[٥٨] ﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية﴾ يعني: بيت المقدس لقوله: ﴿ادخلوا الأرض المقدّسة﴾[١] وقيل: أريحا من قرى الشام، أُمروا بالدخول إليها بعد التيه، وقال ابن زيد: إن أريحا قرية قريب بيت المقدس، وكان فيها بقايا من قوم عاد، وهم العمالقة، رأسهم عُوج بن عناق[٢].

﴿فكلوا منها﴾ أي: من ثمارها وحبوبها.

﴿حيث شئتم﴾ أيّ وقت شئتم.

﴿رغداً﴾ أي: موسّعاً عليكم بما شئتم من طعام القرية بعد المنّ والسلوى.

﴿وادخلوا الباب﴾ أي: باب القرية، أو القبّة التي كان يصلّي[٣] إليها موسى وبنو إسرائيل، فإنّهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام.

﴿سجّداً﴾ أي: ركّعاً وهو شدّة الانحناء، أو متطامنين خاضعين متواضعين لله شكراً على إخراجهم من التيه، كقول الأعشى:

يـــرواح مـــن صـلوات المـليـ ... ـك طوراً سجوداً وطوراً جُـؤارا

﴿وقولوا حطّة﴾ فعلة من حطّ الله عنكم خطاياكم، وبمنزلة ردّة ومرّة، وقيل: هي لا إله إلّا الله، لأنّها تحطّ الذنوب، وعن الباقر عليه السلام أنّه قال: نحن باب حطّتكم.

﴿نغفر لكم خطاياكم﴾ أي: نصفح ونعفو عن ذنوبكم بسجودكم ودعاءكم.

﴿وسنزيد المحسنين﴾ ثواباً على ما يستحقّونه، تفضّلاً، كقوله تعالى: ﴿ليوفيهم أُجورهم ويزيدهم من فضله﴾[٤].

---

١. ٢١ المائدة (٥).

٢. مجمع البيان ١: ٢٢٩.

٣. ن: يصلون.

٤. فاطر (٣٥)، الآية ٣٠، ومجمع البيان ١ / ٢٢٩.

[٥٩] ﴿فبدّل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم﴾ بدّلوا ما أُمروا به من التوبة والاستغفار [بـ]طلب ما يشتهون من أعراض الدنيا، [و]ما لم يكن لهم أن يقولوا، فقالوا حنطة بدل حطّة تجاهلاً واستهزاء.

﴿فأنزلنا على الذين ظلموا﴾ أنفسهم بأن تركوا ما يوجب نجاتها إلى ما يوجب هلاكها.

﴿رجزاً من السماء﴾ عذاباً مقدّراً منها. والرجز في الأصل ما يعاف عنه، والمراد به الطاعون، وروي أنّه مات به في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفاً.

﴿بما كانوا يفسقون﴾ بسبب فسقهم وخروجهم عن الطاعة[1].

[٦٠] ﴿وإذ استسقى موسى لقومه﴾ لمّا عطشوا في التيه.

﴿فقلنا اضرب بعصاك الحجر﴾ الذي هبط به آدم من الجنّة مع العصا طولها عشرة أذرع على طول موسى، ووقعا إلى شعيب فأعطاهما لموسى، وكان حجراً مكعّباً خفيفاً من الكذان، أو من رخام أبيض إذا رحلوا حمل في مخلاة فإذا نزلوا ضربه موسى بعصاه.

﴿فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً﴾ قيل: كل عين في جدول إلى سبط.

﴿قد علم كلّ أُناس مشربهم﴾ علم كلّ سبط عينهم التي يشربون منها، وكانوا ستمئة ألف، وسعة العسكر اثنا عشر ميلاً.

﴿كلوا واشربوا من رزق الله﴾ الذي يأتيكم بلا مشقّة، يريد به المنّ والسلوى وماء العيون.

﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ لا تعتدوا حال إفسادكم. أي: لا تطغوا،

---

١. مجمع البيان ١: ٢٣٠، وتفسير البيضاوي ١ / ٣٢٩.

وأصل العثاء شدّة الإفساد.[١]

[٦١] ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد﴾ كان ينزل عليهم المنّ وحده، فملّوه فقالوا ذلك، فأنزل عليهم السلوى بعد ذلك، أو يريد به ما رزقوه في التيه من المنّ والسلوى، وبوحدته أنّه لا يختلف ولا يتبدّل، كقولهم: طعام مائدة الأمير واحد يريدون أنّه لا تتغيّر ألوانه.

﴿فادع لنا ربّك﴾ سله لنا بدعائك إيّاه.

﴿يخرج لنا﴾ يوجد لنا. فإنّ دعوته سبب الإجابة.

﴿ممّا تنبت الأرض﴾ ليحتاجوا فيه إلى الأعوان، ومن للتبعيض.

﴿من بقلها وقثّائها وفومها﴾ والبقل ما أنبتته الأرض من الخضر التي تؤكل، والفوم الحنطة والخبز، وقيل: الثوم[٢].

﴿وعدسها وبصلها قال﴾ أي: موسى.

﴿أتستبدلون الذي هو أدنى﴾ أقرب منزلة وأدون قدراً. وأصل الدنو القرب في المكان، ورجل دني، إذا كان يتّبع خاس الأُمور، كما قيل:

وسفيه من ساءه المنّ والسلـ ـوى وأرضاه الفوم والقثّاء[٣]

﴿بالذي هو خير﴾ يريد به المنّ والسلوى، فإنّه خير في اللذّة والنفع وعدم الحاجة إلى السعي.

﴿اهبطوا مصراً﴾ انحدروا إليه من التيه، والمصر البلد العظيم، قيل: أراد به مصر فرعون الذي خرجوا منه[٤]، وقيل: أراد به بيت المقدس؛ لأنّهم بعد خروجهم من

١. مجمع البيان ١ / ٢٣١ وتفسير البيضاوي ١ / ٣٣٠.
٢. الكشّاف ١: ١٤٥، ومجمع البيان ١ / ٢٥٦، وتفسير البيضاوي ١ / ٣٣١.
٣. السيرة الحلبية ١ / ٢٢٢ من قصيدة للبوصيري.
٤. مجمع البيان ١: ٢٣٩.

التيه لم يدخلوا مصراً، وإنّما مضوا إلى الأرض المقدّسة[1].

﴿فإنّ لكم ما سألتم﴾ من نبات الأرض.

﴿وضربت عليهم الذلّة والمسكنة﴾ مجازاة لهم على كفران النعم. واليهود في غالب الأمر أذلّاء مساكين، إمّا على الحقيقة، أو على التكلّف مخافة أن تضاعف جزيتهم، لقوله: ﴿حتّى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾[2].

﴿وباؤا بغضب من الله﴾ انصرفوا ورجعوا متحملين غضب الله وقد وجب عليهم من الله الغضب وحلّ بهم منه السخط، وأصل البوء المساواة.

﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما سبق من ضرب الذلّة والمسكنة والبواء بالغضب.

﴿بأنّهم كانوا يكفرون بآيات الله﴾ بالمعجزات، من فلق البحر، وإظلال الغمام، وإنزال المنّ والسلوى، وانفجار العيون من الحجر، أو بالكتب المنزلة كالإنجيل والقرآن وآية الرجم ـ التي فيها نعت محمّد ـ صلى الله عليه وآله ـ من التوراة.

﴿ويقتلون النبيين بغير الحقّ﴾ بغير جرم، فإنّهم قتلوا شعياء وزكريّا ويحيى وغيرهم بغير الحقّ، إذ لم يروا منهم ما يوجب قتلهم، وإنّما حملهم على ذلك اتّباع الهوى وحبّ الدنيا والرئاسة، كما أشار إليه [تعالى] بقوله:

﴿ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ أي: جرّهم العصيان والتمادي والاعتداء وتجاوز حدود الله إلى الكفر بالآيات وقتل النبيين، فإنّ صغائر الذنوب سبب يؤدّي إلى ارتكاب كبارها. وكلّ متجاوز حدّ شيء إلى غيره فقد تعدّاه.[3]

[٦٢] ﴿إنّ الذين آمنوا﴾ قيل: هم الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله قبل مبعثه، منهم:

---

١. مجمع البيان ١: ٢٣٩ وتفسير البيضاوي ١ / ٣٣٢.

٢. التوبة (٩)، الآية ٢٩.

٣. تفسير البيضاوي ١ / ٣٣٣، ومجمع البيان ١ / ٢٥٧.

حبيب النجّار، وقسّ بن ساعدة، وزيد بن عمرو بن نفيل، والبراء الشني، وأبـو ذرّ الغفاري، وسلمان الفارسي، وبحير الراهب، ووفد النجاشي، فمنهم من أدركه وتابعه، ومنهم من لم يدركه[١]، وقيل: هم الذين آمنوا بألسنتهم ولم تـؤمن قـلوبهم، وهـم المنافقون كعبد الله بن أُبيّ وأمثاله لانخراطهم في سلك الكفرة[٢].

﴿والذين هادوا﴾ تهوّدوا وهم اليهود، سمّوا بذلك لمّا تابوا من عبادة العـجل، ومعنى هادوا تابوا، لقولهم إنّا هدنا إليك، أو سمّوا باسم يهود أكبر أولاد يعقوب.

﴿والنصارى﴾ جمع نصران كسكران وسكارى، سـمّوا بـذلك، لأنّـهم نـصروا المسيح لمّا قال من أنصاري إلى الله، أو لأنّهم كانوا معه في قرية نـزلوها، تسـمّى الناصرة[٣] في دمشق، فسمّوا باسمها.

﴿والصابئين﴾ قوم بين النصارى والمجوس، أخذوا دينهم عن شيث وإدريس، ولهم كتاب يسمّونه صحف شيث، ونسبتهم إلى صابي بن إدريس المدفون بـالهرم الثالث من أهرام مصر، ودينهم أقدم الأديان والغالب على الدنيا إلى أن أحدثوا فيه، فبعث الله تعالى إبراهيم بالدين الذي نحن عليه الآن، وقيل: هم عبدة الملائكة وعبدة الكواكب[٤].

﴿من آمن بالله﴾ إيماناً خالصاً ودخل في الإسلام دخولاً صادقاً.

﴿واليوم الآخر﴾ قال بالمبدأ والمعاد.

﴿وعمل صالحاً﴾ في دينه قبل أن ينسخ مصدّقاً بقلبه، عاملاً بمقتضى شرعه،

---

١. مجمع البيان ١: ٢٤٣.

٢. مجمع البيان ١: ٢٤٤ بتفصيل.

٣. ن: الناصرية. ولفظة (في دمشق) لم ترد في البيضاوي.

٤. لم أعرف بعد مصدر المصنّف هنا.

وقيل: من آمن من هؤلاء الكفرة إيماناً خالصاً وعمل بمقتضى شرع الإسلام، لقوله: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾[١] وعلى هذا فالآية منسوخة.

﴿فلهم أجرهم﴾ الذي وعد لهم على إيمانهم وعملهم.

﴿عند ربّهم﴾ مكتوباً عنده.

﴿ولا خوف عليهم﴾ حين يخاف الكفّار من العقاب.

﴿ولا هم يحزنون﴾ على تضييع العمر وتفويت الثواب.[٢]

[٦٣] ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم﴾ باتّباع موسى والعمل بالتوراة، خطاب لليهود، والميثاق العهد الذي فطر الله الخلق عليه من التوحيد والعدل واتّباع الرسل.

﴿ورفعنا فوقكم الطور﴾ حتّى أعطيتم الميثاق، روي أنّ موسى عليه السلام لمّا جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقّة كبرت عليهم وأبوا قبولها، فأُمر جبرئيل بقلع جبل الطور، فظلّ[ل]ه فوقهم حتّى قبلوا.

﴿خذوا ما آتيناكم﴾ من الكتاب.

﴿بقوّة﴾ بجدّ وعزيمة.

﴿واذكروا ما فيه﴾ ادرسوه ولا تنسوه واعلموا به.

﴿لعلّكم تتّقون﴾ لكي تتقوا المعاصي إذا فعلتم ذلك.[٣]

[٦٤] ﴿ثمّ تولّيتم من بعد ذلك﴾ أعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد أخذه.

﴿فلولا فضل الله عليكم﴾ بتوفيقه للتوبة.

﴿ورحمته﴾ التي رحمكم بها فتجاوز عنكم، أو بمحمّد صلى الله عليه وآله يدعوكم إلى الحقّ

---

١. آل عمران (٣)، الآية ٨٥.

٢. مجمع البيان ١ / ٢٤٤ وتفسير البيضاوي ١ / ٣٣٤.

٣. مجمع البيان ١ / ٢٤٥ وتفسير البيضاوي ١ / ٣٣٥.

ويهديكم إليه.

﴿لكنتم من الخاسرين﴾ المغبونين بالانهماك في المعاصي، أو بسقوط الجبل عليكم.

[٦٥] ﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت﴾ أُمروا بترك الصيد يوم السبت ليتجرّدوا فيه للعبادة، فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود، واشتغلوا بالصيد، وكانوا بقرية على الساحل يقال لها: إيلة، وإذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر إلّا حضر هناك وإذا مضى تفرّقت فحفروا حياضاً وشرعوا إليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الأحد[١].

﴿فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾ جامعين بين صورة القردة. والخسؤ وهو الصغار والطرد، والخاسئ المبعد المطرود عن الخير، مسخهم الله عقوبة لهم، وبقوا ثلاثة أيّام لم يأكلوا ولم يشربوا ولم يتناسلوا، ثمّ أهلكهم الله تعالى بريح جاءتهم، فهبّت بهم وألقتهم في البحر، وما مسخ الله أُمّة إلّا أهلكها، وقال مجاهد: ما مسخت صورتهم ولكن قلوبهم تمثّلوا بالقردة، كما مثلوا بالحمار في قوله: ﴿مثلهم كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾[٢].

[٦٦] ﴿فجعلناها﴾ أي: المسخة، أو العقوبة، أو الأُمّة التي مسخت.

﴿نكالاً﴾ عبرة تنكل المعتبر بها وتمنعه، ومنه النكل للقيد.

﴿لما بين يديها وما خلفها﴾ لما قبلها وما بعدها من الأُمم والقرون، إذ ذكرت حالهم في زبر الأوّلين واشتهرت قصّتهم في الآخرين.

---

١. تفسير البيضاوي ١: ١٠٩.

٢. الجمعة (٦٢)، الآية ٥.

﴿وموعظة للمتّقين﴾ لأنّهم المتعظين بها دون غيرهم.[١]

[٦٧] ﴿وإذ قال موسى لقومه إنّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ أوّل القصّة قوله تعالى: ﴿وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها﴾ [فـ]فكّت عنه وقدّمت عليه لاستقلاله بنوع آخر من مساوئهم، وهو الاستهزاء بالأمر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة إلى الامتثال. وقصّته أنّه كان فيهم أخوان فقيران وكان لهما عمّ غني يقال له: عاميل وكان لا يساويهما ولا يحسن إليهما، فأجمعا على قتله لأجل ميراثه، فقتلاه بين قريتين من قرى بني إسرائيل، وطلبا من أهل القريتين ديته فوقعت الخصومة بين أهل القريتين، فأتوا إلى موسى، وقالوا له: ادع لنا ربّك، فقال: إنّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة وتضربوا القتيل ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله.

﴿قالوا أتتخذنا هزواً﴾ أتسخر بنا حيث سألناك عن القتيل، استبعاداً لما قاله واستخفافاً به.

﴿قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين﴾ معاذ الله أن أكون من المستهزئين؛ لأنّ الهزؤ في مثل ذلك جهل وسفه، نفى عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان، وأخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعاً له.[٢]

[٦٨] ﴿قالوا ادع لنا ربّك يبيّن لنا ما هي﴾ أي: ما حال البقرة وصفتها وما سنّها.

﴿قال إنّه يقول إنّها بقرة لا فارض ولا بكر﴾ لا مسنّة ولا فتية، يقال: فرضت البقرة فروضاً من الفرض وهو القطع كأنّها فرضت، كما قيل:

---

١. مجمع البيان ١ / ٢٤٨ وتفسير البيضاوي ١ / ٣٣٧.
٢. تفسير البيضاوي ١ / ٣٣٨.

لعمري لقد أعطيت جارك فارضاً تساق إليه ما تقوم على رجـل[١]

والبكر الصغيرة التي لم تحمل، والبكر من بني آدم ومن البهائم مـا لم يـفتحله الفحل.

﴿**عوانٌ بين ذلك**﴾ متوسّطة بين الصغيرة والكبيرة قد ولدت بطناً بعد بطن، كما قيل:

دع بكـــراً وعـــجوزاً فـــهما آفــة مــالك
وإذا رمت صـــــلاحاً فـــعوان بـــين ذلك[٢]

﴿**فافعلوا ما تؤمرون**﴾ أي: فاذبحوا ما أُمرتم بذبحه، كما قيل:

أمرتك الخير لكن ما ائـتمرت بـه ولا استقمت فما قولي لك استقم[٣]

[٦٩] ﴿**قالوا ادع لنا ربّك يبيّن لنا ما لونها**﴾ أي: ما لون البـقرة التـي أمـرنا بذبحها.

﴿**قال إنّه يقول إنّها بقرة صفراء**﴾ أي: قرنها وضلفها أصفران.

﴿**فاقع لونها**﴾ الفقوع خلوص الصفرة. عن الصادق عليه السلام أنّه قال: من لبس نعلاً صفراء لم يزل مسروراً حتّى يبليها[٤]، كما قال الله تعالى: ﴿صفراء فاقع لونها﴾.

﴿**تسرّ الناظرين**﴾ أي تعجبهم وتفرحهم بحسنها، والسرور أصله لذّة القلب عند حصول نفع أو توقّعه، من السرّ.[٥]

---

١. مجمع البيان ١ / ٢٦٨.
٢. لم أجده.
٣. من قصيدة للبوصيري، ديوانه ٢٣٩.
٤. مجمع البيان ١: ٢٥٩.
٥. تفسير البيضاوي ١ / ٣٤١.

[٧٠] ﴿قالوا ادع لنا ربّك يبيّن لنا ما هي﴾ من العوامل هي أم من السوائم؟

﴿إنّ البقر تشابه علينا﴾ أي: إنّ البقر الموصوف بهذا الوصف كثير فالتبس علينا.

﴿وإنّا إن شاء الله لمهتدون﴾ إلى البقرة وذبحها، أو إلى القاتل بتعريف الله إيّانا، عن النبي ﷺ أنّهم أُمروا بأدنى بقرة، ولكنّهم لمّا شدّدوا على أنفسهم شدّد الله عليهم، فطلبوها فوجدوها عند فتى من بني إسرائيل، فقال: لا أبيعها إلّا بملء مسكها ذهباً، فاشتروها بذلك[١].

[٧١] ﴿قال إنّه يقول إنّها بقرة لا ذلول﴾ لم تذلل بالعمل.

﴿تثير الأرض﴾ تقلبها للزرع.

﴿ولا تسقي الحرث﴾ لم يسن[٢] عليها الماء لسقي الزرع.

﴿مسلّمة﴾ سلّمها الله من العيوب.

﴿لا شية فيها﴾ لا لون فيها يخالف لون جلدها.

﴿قالوا الآن جئت بالحقّ﴾ أي: بحقيقة وصف البقرة وحقيقتها لنا.

﴿فذبحوها﴾ أي: فحصّلوا البقرة المنعوتة فذبحوها.

﴿وما كادوا يفعلون﴾ أي: قرب أن لا يفعلوا ذلك خوف الفضيحة في القاتل، أو لغلاء ثمنها؛ إذ روي أنّ شيخاً صالحاً منهم كان له عجلة فأتى بها الغيضة، وقال: اللّهمّ إنّي أستودعكها لابني حتّى يكبر، فشبّت وكانت وحيدة بتلك الصفات، فساوموها اليتيم وأُمّه حتّى اشتروها بملء مسكها ذهباً، وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير[٣].

١. مجمع البيان ١: ٢٦٠.
٢. في المجمع: لا يستقى.
٣. تفسير البيضاوي ١ / ٣٤٣.

[٧٢] ﴿وإذ قتلتم نفساً﴾ خطاب الجمع لوجود القتيل فيهم.

﴿فادّارأتم فيها﴾ اختصمتم في شأنها. وأصل الدرء الدفع، بأن دفع قتلها كلّ عن نفسه إلى صاحبه.

﴿والله مخرج ما كنتم تكتمون﴾ مظهره لا محالة.

[٧٣] ﴿فقلنا اضربوه﴾ الضمير للنفس، والتذكير على تأويل الشخص، أو القتيل.

﴿ببعضها﴾ أيّ بعض كان، فضربوه بلسانها، أو بفخذها، أو بأُذنها، فقام حيّاً وقال: قتلني فلان ثمّ عاد ميّتاً.

﴿كذلك يحيي الله الموتى﴾ يوم القيامة.

﴿ويريكم آياته﴾ الباهرة الدالّة على كمال قدرته من إحياء ذلك الميّت وغيره.

﴿لعلّكم تعقلون﴾ لكي يكمل عقلكم، وتعلموا أنّ من قدر على إحياء النفس قدر على إحياء الأنفس كلّها.[١]

[٧٤] ﴿ثمّ قست قلوبكم﴾ صلبت وعتت قلوب أولاد أخي المقتول، حين أنكروا قتله بعد أن سمعوه منه عندما أحياه الله. والقسوة ذهاب اللين والرحمة من القلب.

﴿من بعد ذلك﴾ من بعد إحياء القتيل، أو جميع ما عدد من الآيات كلّها، فإنّها ممّا توجب لين القلب.

﴿فهي كالحجارة﴾ في قسوتها، عن النبي ﷺ أنّه قال: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإنّ كثرة الكلام بغير ذكر الله يقسي القلب وإنّ أبعد الناس من الله القاسي

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٣٤٥.

القلب[١].

﴿أو أشدّ قسوة﴾ من الحجارة كالحديد.

﴿وإنّ من الحجارة﴾ والحجارة هنا الجبال.

﴿لما يتفجّر منه الأنهار﴾ فيجيء بالخير والنبات لبني آدم.

﴿وإنّ منها لما يشقّق فيخرج منه الماء﴾ وهو حجر موسى الذي كان يضربه فينبع منه الماء.

﴿وإنّ منها لما يهبط من خشية الله﴾ من خوف الله، وليس في قلوبكم شيء منه، كما قال سبحانه: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله﴾[٢].

﴿وما الله بغافلٍ عمّا تعملون﴾ أيّها المكذّبون بآياته الجاحدون نبوّة نبيّه محمّد ﷺ، وعيد لهم على ذلك وقرئ بالياء.

[٧٥] ﴿أفتطمعون﴾ الخطاب لرسول الله والمؤمنين.

﴿أن يؤمنوا لكم﴾ أن يصدّقوكم لأجل دعوتكم، يعني اليهود.

﴿وقد كان فريق منهم﴾ طائفة من أسلافهم.

﴿يسمعون كلام الله﴾ يعني التوراة.

﴿ثمّ يحرّفونه﴾ يبدّلون معناه وتأويله بما يشتهون كنعت محمّد ﷺ، وآية الرجم، وقيل: هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلّم موسى بالطور قالوا سمعنا الله يقول في آخره إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا وإن شئتم فلا تفعلوا.

---

١. مجمع البيان ١: ٢٦٦.

٢. الحشر (٥٩)، الآية ٢١.

﴿من بعد ما عقلوه﴾ أي: فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة.

﴿وهم يعلمون﴾ أنّه حقّ ويعاندون فيحرّفونه، ومعنى الآية أنّ أحبارهم هؤلاء ومقدّميهم كانوا على هذه الحالة فما طمعك بسلفهم وجهّالهم، وأنّهم وإن كفروا وحرّفوا فلهم سابقة في ذلك.[١]

[٧٦] ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا﴾ أي: إذا رأوا المنافقون من اليهود أصحاب محمّد ﷺ.

﴿قالوا آمنّا﴾ بأنّكم على الحقّ ورسولكم هو المبشّر به في التوراة.

﴿وإذا خلا بعضهم إلى بعض﴾ في مكان ليس فيه غيرهم.

﴿قالوا﴾ أي: اليهود الذين لم ينافقوا عاتبين على من نافقوا منهم.

﴿أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم﴾ بما بيّن لكم في التوراة من نعت محمّد ﷺ.

﴿ليحاجّوكم به عند ربّكم﴾ ليحتجّوا عليكم بما أنزل ربّكم في كتابه، جعلوا محاجّتهم بكتاب الله وحكمه محاجّة عنده، كما يقال: عند الله كذا ويراد به أنّه في كتابه وحكمه.

﴿أفلا تعقلون﴾ أنّهم يحاجّوكم فيحجّونكم.

[٧٧] ﴿أو لا يعلمون﴾ يعني هؤلاء المنافقين من اليهود والمحرّفين.

﴿أنّ الله يعلم ما يسرّون وما يعلنون﴾ ومن جملتهما إسرارهم الكفر، وإعلانهم الإيمان، وإخفاء ما فتح الله عليهم، وإظهار غيره، وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه.[٢]

[٧٨] ﴿ومنهم أُمّيّون لا يعلمون الكتاب﴾ جهلة لا يعرفون الكتاب ولا القراءة،

---

١. مجمع البيان ١ / ٢٧١ وتفسير البيضاوي ١ / ٣٤٨.
٢. تفسير البيضاوي ١ / ٣٤٩.

فيطالعوا التوراة ويتحقّقوا ما فيها.

﴿إلّا أمانيّ﴾ جمع أُمنية، وهي في الأصل ما يقدّره الإنسان في نفسه من مُنىً إذا قدر، ولذلك تطلق على الكذب، والمعنى ولكن يعتقدون أكاذيب أخذوها تقليداً من المحرّفين ومواعيد فارغة سمعوها منهم، من أنّ الجنّة لا يدخلها إلّا من كان هوداً، أو أنّ النار لن تمسّهم إلّا أيّاماً معدودة.

﴿وإن هم إلّا يظنّون﴾ وما هم إلّا قوم يظنّون ظنّاً ولا علم لهم، كاعتقاد المقلّد والزائغ عن الحقّ لشبهة.[1]

[٧٩] ﴿فويل﴾ أي: تحسّر وهلك، وقيل: ويل وادٍ في جهنّم[2].

﴿للذين يكتبون الكتاب﴾ يعني المحرّف والتأويلات الزائغة.

﴿بأيديهم﴾ تأكيد كقولك: كتبتُه بيميني.

﴿ثمّ يقولون هذا من عند الله﴾ وقد علموا يقيناً أنّه ليس من عنده.

﴿ليشتروا به ثمناً قليلاً﴾ كي يحصّلوا به غرضاً من أغراض الدنيا، فإنّه وإن جلّ قليل بالنسبة إلى ما استوجبوه من العقاب الدائم.

﴿فويل لهم ممّا كسبت أيديهم﴾ يعني المحرّف، كرره تأكيد[اً].

﴿وويل لهم ممّا يكسبون﴾ من المعاصي والرشا.

[٨٠] ﴿وقالوا لن تمسّنا النار﴾ أي: لن تصيبنا.

﴿إلّا أيّاماً معدودة﴾ محصورة قليلة كقوله: ﴿دراهم معدودة﴾[3] روي أنّ بعضهم قالوا: نعذّب مكان كلّ ألف سنة يوماً[4] ثمّ ينقطع العذاب.

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٣٥٠.
٢. مجمع البيان ١: ٢٧٨.
٣. يوسف (١٢)، الآية ٢٠.
٤. تفسير البيضاوي ١ / ٣٥١.

﴿قل﴾ أي: قل لهم يا محمّد.

﴿أتّخذتم عند الله عهداً﴾ أي: موثقاً أنّه لا يعذّبكم إلّا هذه المدّة كما تزعمون.

﴿فلن يخلف الله عهده﴾ لا ينقض عهده وميثاقه، والخلف في خبره محال.

﴿أم تقولون على الله ما لا تعلمون﴾ جهلاً منكم به وجرأة عليه.

[٨١] ﴿بلى من كسب سيّئة﴾ والسيّئة هنا الشرك؛ لأنّ ما عداه لا يستحقّ به الخلود في النار.

﴿وأحاطت به خطيئته﴾ أي: استولت عليه وأحدقت به من كلّ جانب، كقوله: ﴿وإنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين﴾[١].

﴿فأُولئك أصحاب النار﴾ ملازموها في الآخرة كما أنّهم ملازموا أسبابها في الدنيا.

﴿هم فيها خالدون﴾ دائمون، أو لابثون لبثاً طويلاً.

[٨٢] ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ جمعوا بين الإيمان الصادق والعمل الصالح.

﴿أُولئك أصحاب الجنّة هم فيها خالدون﴾ جرت عادته سبحانه على أن يشفع وعده بوعيده، لترجى رحمته ويخشى عذابه.

[٨٣] ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل﴾ أي: عهدهم، وهو:

﴿لا تعبدون إلّا الله﴾ وحده دون ما سواه من الأنداد، إخبار في معنى النهي[٢]، كقوله تعالى: ﴿ولا يضارّ كاتب ولا شهيد﴾[٣].

---

١. التوبة (٩)، الآية ٤٩.

٢. ن: النفي. انظر تفسير البيضاوي ١ / ٣٥٢.

٣. البقرة (٢)، الآية ٢٨٢.

﴿وبالوالدين إحساناً﴾ بأن يفعلوا بهما إحساناً، من فعل المعروف، والقول الجميل، وخفض جناح الذلّ لهما، والتحنّن عليهما، وما أشبه ذلك.

﴿وذي القربى﴾ أي: وبذي القربى أن تصلوا قرابتهم ورحمهم.

﴿واليتامى﴾ بأن يعطفوا عليهم بالرأفة والرحمة.

﴿والمساكين﴾ بأن يؤتوهم حقوقهم التي أوجبها الله عليهم في أموالهم.

﴿وقولوا للناس حسناً﴾ أي: قولاً حسناً، وهو ما ارتضاه الله وأحبّه. عن الباقر عليه السلام: قولوا للناس ما تحبّون أن يقال لكم، فإنّ الله يبغض اللعّان السبّاب الطعّان على المؤمنين، الفاحش المتفحّش والسائل الملحف، ويحبّ الحليم العفيف المتعفّف[1].

﴿وأقيموا الصلاة﴾ أدّوها بحدودها الواجبة عليكم.

﴿وآتوا الزكاة﴾ أعطوها أهلها كما أوجبها الله عليكم، يريد بها ما فرض عليهم في ملّتهم.

﴿ثمّ تولّيتم﴾ أي: أعرضتم عن الميثاق ورفضتموه.

﴿إلّا قليلاً منكم﴾ يريد به من أقام اليهودية على وجهها قبل النسخ[2]، ومن أسلم منهم.

﴿وأنتم معرضون﴾ عن الوفاء والطاعة. وأصل الإعراض الذهاب عن المواجهة إلى جهة العرض.

[٨٤] ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم﴾ أي: ميثاق أسلافكم الذين كانوا في زمن موسى والأنبياء الماضين.

---

١. مجمع البيان ١: ٢٨٦.

٢. ن: الفسخ. انظر تفسير البيضاوي ١ / ٣٥٣.

﴿لا تسفكون دماءكم﴾ لا يقتل بعضكم بعضاً؛ لأنّ في قتل الرجل منهم قتل نفسه.

﴿ولا تخرجون أنفسكم من دياركم﴾ بأن تغلبوا على الدار، أو بأن تفعلوا ما تستحقّون به الإخراج من دياركم، كما فعله بنو النضير منكم.

﴿ثمّ أقررتم﴾ بالميثاق واعترفتم بلزومه.

﴿وأنتم تشهدون﴾ على أنفسكم بإقرار[1] أسلافكم.

[٨٥] ﴿ثمّ أنتم هؤلاء﴾ الناقضون بعد إقراركم بالميثاق الذي أخذته عليكم.

﴿تقتلون أنفسكم﴾ أي: يقتل بعضكم بعضاً.

﴿وتخرجون فريقاً منكم﴾ طائفة منكم.

﴿من ديارهم﴾ من منازلهم.

﴿تظاهرون عليهم﴾ أي: متعاونين عليهم في إخراجكم إيّاهم. والتظاهر التعاون، من الظهر.

﴿بالإثم والعدوان﴾ بالبغي والظلم.

﴿وإن يأتوكم أُسارى تفادوهم﴾ روي أنّ قريظة كانوا حلفاء الأوس، والنضير حلفاء الخزرج، فإذا اقتتلا عاون كلّ فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار وإجلاء أهلها، وإذا أُسر أحد [من] الفريقين جمعوا له حتّى يفدوه تصديقاً لما في التوراة[2].

﴿وهو محرّم عليكم إخراجهم﴾ من الأسر؛ لأنّ الذي حرمت عليكم من قتلهم وإخراجهم من دورهم نظير الذي حرمت عليكم من تركهم أسرى في أيدي عدوّهم.

---

١. ن: بالإقرار. انظر تفسير البيضاوي ١ / ٣٥٤.

٢. مجمع البيان ١: ٢٩٢، وتفسير البيضاوي ١ / ٣٥٦.

﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب﴾ يعني الفداء.

﴿وتكفرون ببعض﴾ يعني حرمة المقاتلة والإجلاء.

﴿فما جزاء من يفعل ذلك منكم﴾ يا معشر بني إسرائيل.

﴿إلّا خزي في الحياة الدنيا﴾ ذلّ وصغار، كقتل قريظة وسبيهم، وإجلاء النضير، وضرب الجزية على غيرهم. وأصل الخزي ذلّ يستحيى منه.

﴿ويوم القيامة يردّون إلى أشدّ العذاب﴾ الذي أعدّه الله لأعدائه، وهو العذاب الذي لا روح فيه مع اليأس من التخلّص؛ لأنّ عصيانهم أشدّ.

﴿وما الله بغافل عمّا تعملون﴾ لأنّه بالمرصاد، لا يغفل عن أفعالهم القبيحة ونيّاتهم الخبيثة، بل هو حافظ لها ومجاز عليها.

[٨٦] ﴿أُولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة﴾ آثروا رئاسة الدنيا الفانية ورضوا بها من نعيم الآخرة الدائمة[١].

[١٠١] ﴿ولمّا جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم﴾ من التوراة بأنّها حقّ من عند الله.

﴿نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب﴾ أي: طرح طائفة منهم.

﴿كتاب الله﴾ يعني التوراة؛ لأنّ كفرهم بالرسول المصدّق لها كفر بها فيما تصدّقه ونبذ لما فيها من وجوب الإيمان بالرسل المؤيَّدين بالآيات.

﴿وراء ظهورهم﴾ لعدم الالتفات إليهم وتركهم العمل به.

﴿كأنّهم لا يعلمون﴾ أنّه كتاب الله، والمراد أنّهم علموا وكتموا بغياً وعناداً ولكن يتجاهلون، أو لا يعلمون ما عليهم من العقاب.

---

١. سقط ورقة من النسخة على الأقل، فسقط من الكتاب تفسير (١٥) آية.

[١٠٢] ﴿واتّبعوا ما تتلو الشياطين﴾ أي: نبذوا كتاب الله، واتّبعوا كتب السحر التي تقرأها الشياطين من الجنّ والإنس.

﴿على ملك سليمان﴾ قيل: كان الشياطين يسترقون السمع من الملائكة ويضمّون إلى ما سمعوا أكاذيب ويلقونها إلى الكهنة، وهم يدوّنونها ويعلّمونها الناس، وفشا ذلك في عهد سليمان حتّى قيل إنّ الجنّ تعلم الغيب وإنّ ملك سليمان تمّ بهذا العلم، وإنّه تسخّر له به الإنس والجنّ [و] الريح[١].

﴿وما كفر سليمان﴾ ذلك الكفر، تكذيب لمن زعم ذلك، وعبّر عن السحر بالكفر ليدلّ على أنّه كفر، وأنّ مَنْ كان نبيّاً كان معصوماً عنه.

﴿ولكنّ الشياطين كفروا﴾ باستعمالهم له.

﴿يعلمون الناس السحر﴾ بما تسترقه من السمع إغواء وإضلالاً.

﴿وما أنزل على الملكين﴾ قيل: ما بمعنى النفي، والمراد ما كفر سليمان، ولا أنزل الله السحر على الملكين، ولكنّ الشياطين كفروا[٢]. وقيل: هما ملكان أُنزلا لتعلـ[يـ]ـم السحر ابتلاءً من الله للناس بيّنه وبيّن المعجزات، وهما[٣] علجان من أهل بابل. وما روي أنّهما ملكان مثلا بشرين وركّب فيهما الشهوة فتعرّضا لامرأة يقال لها: زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثمّ صعدت إلى السماء بما تعلّمت منهما فمحكّي عن اليهود.

﴿ببابل﴾ وبابل: العراق، أو بلد من سواد الكوفة.

﴿هاروت وماروت﴾ عطف بيان للملكين أو الرجلين أو الشيطانين.

---

١. مجمع البيان ١: ٣٢٨، تفسير البيضاوي ١ / ٣٧١.
٢. مجمع البيان ١: ٣٢٩، تفسير البيضاوي ١ / ٣٧٢.
٣. أي هاروت وماروت.

﴿وما يعلّمان من أحد حتى يقولا إنّما نحن فتنة فلا تكفر﴾ أي: ما يعلّمان أحداً حتّى ينصحاه ويقولا له إنّما نحن ابتلاء من الله، فمن تعلّم منّا وعمل به كفر، ومن تعلّم وتوقّى عمله[١] ثبت على الإيمان، فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به.[٢]

﴿فيتعلّمون منهما ما يفرّقون به بين المرء وزوجه﴾ أي: من السحر ما يكون سبب تفريقهما، كالنميمة وسوء الخلق والمنافرة.

﴿وما هم بضارّين به من أحد إلّا بإذن الله﴾ إلّا بعلمه وتخليته، ولو شاء لمنعهم بالجبر والقهر.

﴿ويتعلّمون ما يضرّهم﴾ لأنّهم يقصدون به العمل، أو لأنّ العلم يجرّ إلى العمل غالباً.

﴿ولا ينفعهم﴾ إذ مجرّد العلم به غير مقصود ولا نافع في الدارين.

﴿ولقد علموا﴾ يعني اليهود الذين نبذوا كتاب الله.

﴿لمن اشتراه﴾ أي: استبدل ما تتلو الشياطين من السحر بكتاب الله المبين.

﴿ما له في الآخرة من خلاق﴾ أي: من نصيب.

﴿ولبئس ما شروا به أنفسهم﴾ أي: ما باعوها به، حيث اختاروا التكسّب بالسحر بدين الله. وبئس كلمة مستعملة في الذمّ.

﴿لو كانوا يعلمون﴾ قبحه على التعيين وحقيقة ما يتبعه من العذاب، أو يعلمون ما فاتهم من الثواب.

[١٠٣] ﴿ولو أنّهم آمنوا﴾ بالرسول والكتاب.

﴿واتّقوا﴾ بترك المعاصي، كنبذ كتاب الله واتّباع السحر.

---

١. ن: علمه.

٢. تفسير البيضاوي ١ / ١٢٨.

﴿لمثوبة من عند الله خير﴾ أي: لأُثيبوا مثوبة من الله خيراً ممّا شروا به أنفسهم، وتنكير المثوبة؛ لأنّ المعنى لشيء من الثواب خير من السحر.

﴿لو كانوا يعلمون﴾ أنّ ثواب الله خير. جهّلهم لترك التدبّر أو العمل بالعلم الذي يضرّهم.[1]

[١٠٤] ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا﴾ كان المسلمون يقولون لرسول الله ﷺ راعنا، أي: راقبنا وتأنّ بنا فيما تلقّنا حتّى نفهمه، وسمع اليهود هذه اللفظة، فحرّفوها، فقالوا: يا محمّد راعنا، وهم يلحدون وينسبونه إلى الرعونة يريدون به النقيصة، فلما عوتبوا، قالوا: نقول كما تقول المسلمون، فنهى الله عن ذلك بقوله:

﴿وقولوا انظرنا﴾ أي: انتظرنا حتّى نفهم ونتبيّن ما تعلّمنا، أو فهمنا وبيّن لنا يا محمّد.

﴿واسمعوا﴾ وأحسنوا الاستماع حتّى لا تفتقروا إلى طلب المراعاة، أو اسمعوا سماع قبول، لا كسماع اليهود أو اسمعوا ما أُمرتم به بجدّ[2] حتّى لا تعودوا إلى ما نهيتم عنه.

﴿وللكافرين﴾ بمحمّد والقرآن، وسبّوه وكذّبوه.

﴿عذاب أليم﴾ موجع في جهنّم.

[١٠٥] ﴿ما يودّ الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ أي: ما يحبّ اليهود.

﴿ولا المشركين﴾ من عبدة الأوثان.

﴿أن ينزّل عليكم من خير من ربّكم﴾ وفسّر الخير بالوحي الذي هو القرآن والشرائع، والمعنى: أنّهم يحسدونكم، وما يحبّون أن ينزّل عليكم شيء من العلم،

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٣٧٥.

٢. ن: بمحمد. انظر تفسير البيضاوي ١ / ٣٧٥، ومجمع البيان ١ / ٣٤٣.

ولا من النصر. نزلت تكذيباً لجمع من اليهود يظهرون مودّة المؤمنين، ويزعمون أنّهم يودّون لهم الخير.

﴿والله يختصّ برحمته من يشاء﴾ من عباده فيستنبئه، ويعلّمه الكتاب والحكمة، وينصره على الظلمة، ولا يجب عليه شيء، وليس لأحد عليه حقّ؛ لأنّ كلّ خير نال عباده في دينهم أو دنياهم فإنّه من عنده، ابتداءً منه إليهم، وتفضّلاً عليهم من غير استحقاق منهم لذلك عليه.

﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ إشعار بأنّ النبوّة من الفضل، وأنّ حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله، بل لمشيّته وما عرف فيه من حكمته، كما قال: ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾[١].

[١٠٦] ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها﴾ النسخ في اللغة إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه كنسخ الشمس الظلّ إذا أذهبته وحلّت محلّه، وإنساؤها إذهابها عن القلوب، ولا يجوز ذلك على النبي ﷺ عندنا؛ لأنّه يؤدّي إلى التنفير، وقد جوّز ذلك عليه جماعة من المحقّقين، فقالوا: إنّه لا يؤدي...[٢]

﴿وإذا قضى أمراً﴾ أي: أراد شيئاً، والقضاء إتمام الشيء قولاً، كقوله ﴿وقضى ربّك أن لا تعبدوا إلّا إيّاه﴾[٣] أو فعلاً كقوله ﴿فقضاهنّ سبع سماوات﴾[٤].

﴿فإنّما يقول له كن فيكون﴾ أي: أحدث فيحدث، كقوله تعالى: ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾[٥].

---

١. المائدة (٥)، الآية ٥٤.
٢. سقطت ورقة على الأقل من النسخة.
٣. الإسراء (١٧)، الآية ٢٣.
٤. فصلت (٤١)، الآية ١٢. تفسير البيضاوي ١ / ٣٩٠.
٥. فصلت (٤١)، الآية ١١.

[١١٨] ﴿وقال الذين لا يعلمون﴾ أي: جملة المشركين، أو المتجاهلون من أهل الكتاب.

﴿لولا يكلّمنا الله﴾ أي: هلّا يكلّمنا الله معاينة كما كلّم موسى والملائكة، فيخبرنا بأنّك نبي، أو يوحي إلينا بأنّك رسوله.

﴿أو تأتينا آية﴾ حجّة على صدقك، الأوّل استكبار، والثاني جحود؛ لأنّ ما أتاهم آيات الله، واستهانوا بها عناداً، أو آية موافقة لدعوتنا، كما جاءت الأنبياء آيات موافقة لدعوتهم كاليد والعصا والناقة.

﴿كذلك قال الذين من قبلهم﴾ من الأُمم الماضية.

﴿مثل قولهم﴾ ﴿فقالوا أرنا الله جهرة﴾[1] و﴿هل يستطيع ربّك أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾[2].

﴿تشابهت قلوبهم﴾ قلوب هؤلاء ومَنْ قبلهم في العمى والعناد والكفر والاعتراض على الأنبياء.

﴿قد بيّنا الآيات﴾ يعني الحجج والمعجزات التي يُعلم بها صحة نبوّة محمّد ﷺ.

﴿لقوم يوقنون﴾ أي: يطلبون اليقين من الوجه الذي يجب الاستدلال به ولا تعتريهم شبهة ولا عناد، كعلي [عليه السلام] وأمثاله فعلموا.

[١١٩] ﴿إنّا أرسلناك بالحقّ﴾ بالقرآن والإسلام ملتبساً[3] مؤيّداً بالحقّ.

﴿بشيراً ونذيراً﴾ أي: مبشّراً من اتّبعك بالثواب ومخوّفاً من خالفك بالعقاب، فلا عليك إن أصرّوا أو كابروا.

---

١. النساء (٤)، الآية ١٥٣.

٢. المائدة (٥)، الآية ١١٢.

٣. في البيضاوي ١ / ٣٩٢: متلبساً.

﴿ولا تسئل عن أصحاب الجحيم﴾ كأبي لهب وأبي جهل ما لهم لم يؤمنوا بعدَ أن بلّغت، كقوله: ﴿ليس عليك هداهم﴾[١] ﴿وإنّما أنت منذر من يخشاها﴾[٢].

[١٢٠] ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتّى تتبع ملّتهم﴾ مبالغة في إقناط الرسول عن إسلامهم، وأنّهم إذا لم يرضوا منه حتّى يتّبع ملّتهم فكيف يتّبعون ملّته، وكان عليه السلام مجتهداً في طلب ما يرضيهم ليدخلوا في الإسلام.

﴿قل إنّ هدى الله هو الهدى﴾ أي: قل يا محمّد، إنّ دين الله ـ الذي يرضاه هو الإسلام، أو القرآن ـ هو الهدى إلى الحقّ، لا ما تدعون إليه.

﴿ولئن اتّبعت أهواءهم﴾ آراءهم الزائغة، بأن صلّيت إلى قبلتهم أو اتّبعت ملّتهم.

﴿بعد الذي جاءك من العلم﴾ أي: من الوحي والبيان من الله، أو الدين المعلوم صحّته.

﴿ما لك من الله من ولي﴾ يحفظك من عقابه.

﴿ولا نصير﴾ ولا معين يعينك على دفع عذابه.

[١٢١] ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ يريد به مؤمني أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وغيره.

﴿يتلونه حقّ تلاوته﴾ بمراعاة اللفظ عن التحريف، والتدبّر في معناه، والعمل بمقتضاه، وعن أبي عبد الله عليه السلام أنّ حقّ تلاوته الوقوف عند ذكر الجنّة والنار، يسأل في الأُولى، ويستعيذ من الأُخرى[٣].

﴿أُولئك يؤمنون به﴾ أي: بكتابهم دون المحرّفين.

---

١. البقرة (٢)، الآية ٢٧٢.

٢. النازعات (٧٩)، الآية ٤٥.

٣. مجمع البيان ١: ٣٧١، وتفسير البيضاوي ١ / ٣٩٣.

﴿ومن يكفر به﴾ بالتحريف [والكفر][1] بما يصدّقه.

﴿فأُولئك هم الخاسرون﴾ الذين خسروا أنفسهم وأعمالهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان.

[١٢٢] ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ التي أنعم بها على أسلافهم.

﴿وأنّي فضّلتكم على العالمين﴾ على عالمي زمانهم؛ لقوله تعالى عن أُمّة محمّد ﷺ: ﴿كنتم خير أُمّة أُخرجت للناس﴾[2].

[١٢٣] ﴿واتّقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً﴾ لا تقضي عنها شيئاً من الحقوق.

﴿ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة﴾ أي: من النفس الثانية العاصية.

﴿ولا هم ينصرون﴾ يمنعون من عذاب الله.

[١٢٤] ﴿وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات﴾ كلّفه أوامر ونواه كشرائع الإسلام، ومناسك الحجّ، ونار نمرود، والهجرة، وذبح الولد. والابتلاء في الأصل التكليف بالأمر الشاقّ.

﴿فأتمّهنّ﴾ فأدّاهنّ كملاً، وقام بهنّ حقّ القيام؛ لقوله تعالى: ﴿وإبراهيم الذي وفّى﴾[3].

﴿قال إنّي جاعلك للناس إماما﴾ يؤتمّ به ويهتدى، وامامته مؤبّدة، إذ لم يبعث بعده نبي إلّا وكان من ذرّيّته مأموراً باتّباعه. والمستفاد من لفظ الإمام أمران:

١. من تفسير البيضاوي ١ / ٣٩٤.
٢. آل عمران (٣)، الآية ١١٠.
٣. النجم (٥٣)، الآية ٣٧.

أحدهما المقتدى به في أفعاله وأقواله، والثاني أنّه الذي يقوم بتدبير أُمـور الأُمّـة، وسياستها، وتأديب جناتها، وتولية ولاتها، وإقامة الحدود على مستحقّها، ومحاربة من يكيدها ويعاديها.

﴿قال ومن ذرّيّتي﴾ أي: وبعض ذرّيّتي قال ذلك على وجه السؤال من الله تعالى أن يجعلهم كذلك. والذرّيّة نسل الرجل.

﴿قال لا ينال عهدي الظالمين﴾ إجابة إلى ملتمسه، وتنبيه على أنّه قد يكون في ذرّيّته ظلمة، وأنّهم لا ينالون الإمامة؛ لأنّها إمامة[١] من الله وعهد، والظالم لا يصلح لها، وإنّما ينالها البررة الأتقياء منهم كمحمّد وعلي [عليهم الصلاة والسلام]، لا كأبي لهب وأبي جهل، وفيه دليل على عصمة الأنبياء من الكبائر قبل البعثة، وأنّ الفاسق [لا يصلح][٢] للإمامة؛ لأنّه ظالم لنفسه.

﴿وإذ جعلنا البيت﴾ أي: الكعبة غلب عليها، كالنجم على الثريّا، وهـو البـيت الحرام، الذي حرّم على المشركين أن يدخلوه، وسمّي الكعبة؛ لأنّها مربّعة بـحذاء البيت المعمور [وهو][٣] مربّع، بحذاء العرش وصار العرش مربّعاً؛ لأنّ الكلمات التي بنى عليها الإسلام أربع، وهي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر.

﴿مثابة للناس﴾ يثوبون إليه كلّ عام، أو مرجعاً يثوب إليه أعيان الزوّار ويؤتى في كلّ عام، أو موضع ثواب يثابون بحجّه واعتماره، وفي الخبر أنّ من خرج من مكّة وهو ينوي الحجّ من قابل زيد في عمره، ومن خرج من مكّة وهو لا يـنوي

---

١. في البيضاوي ١ / ٣٩٨: أمانة.

٢. من تفسير البيضاوي ١ / ٣٩٨.

٣. من مجمع البيان ١ / ٣٨٢.

العود إليها فقد قرب أجله[١]، وفي الفقيه أنّه لمّا حجّ يزيد ورجع من حجّه مرتحلاً إلى الشام أنشأ يقول عند الجبل المعروف بثافل:

إذا تركنا ثافلاً يميناً   فلن نعود نحوه سنينا
للحجّ والعمرة ما بقينا

[فأماته الله عز وجل قبل أجله.][٢]

﴿وما أُنزل إلينا﴾ كما أنّ القرآن ينزل إلينا.

﴿وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط﴾ يوسف وإخوته الاثنى عشر، روبيل، وشمعون، ولاوي، ويهودا من لبيا بنت لايار، ويوسف، وبنيامين من أُختها راحيل، وساحر، ووبولوت، وقهاب، ويشجر، وجاد من سريتين[٣].

﴿وما أُوتي موسى وعيسى﴾ أي: أُعطيا التوراة والإنجيل، أفردهما بالذكر؛ لأنّه احتجاج على اليهود والنصارى بحكم أبلغ؛ لأنّ أمرهما بالإضافة إلى موسى وعيسى مغاير لما سبق في صحف إبراهيم، والنزاع وقع فيهما.

﴿وما أُوتي النبيون من ربّهم﴾ ما أُعطوا جملةً، المذكورون من النبيين وغير

---

١. مجمع البيان ١ / ٣٨٢.
٢. من لا يحضره الفقيه ٢ / ١٤٢ الباب ٦٢، فضائل الحج، ح ٦٥، هذا وقد سقط بعد قوله (ما بقينا) بمقدار ورقة من النسخة على الأقل. وفي معجم البلدان ٢ / ٧١: روي أنه كان ليزيد بن معاوية ابن اسمه عمر، فحجّ في بعض السنين فقال وهو منصرف:
إذا جعلن ثافلاً يميناً   فلن نعود بعدها سنينا
قال: فأصابته صاعقة فاحترق، فبلغ خبره محمد بن علي بن الحسين عليه السلام فقال: ما استخفّ أحد ببيت الله الحرام إلّا عوجل.
٣. انظر مجمع البيان ٥ / ٣٦٣ سورة يوسف.

المذكورين، من الكتب المنزلة.

﴿لا نفرق بين أحد منهم﴾ كاليهود، نؤمن ببعض ونكفر ببعض.

﴿ونحن له﴾ أي: لله سبحانه.

﴿مسلمون﴾ مذعنون بالعبودية، مخلصون، خاضعون بالطاعة، منقادون لأمره ونهيه.

[١٣٧] ﴿فإن آمنوا﴾ هؤلاء الكفّار.

﴿بمثل ما آمنتم به﴾ أي: بالذي آمنتم به؛ إذ لا مثل لما آمن به المسلمون، ولا دين كدين الإسلام، والمعنى: فإذا آمنوا بالله إيماناً مثل إيمانكم.

﴿فقد اهتدوا﴾ إلى طريق الجنّة، أو سلكوا طريقة الاستقامة والهداية.

﴿وإن تولّوا﴾ وأعرضوا عن الإيمان وجحدوه ولم يعترفوا به.

﴿فإنّما هم في شقاق﴾ أي: في فراق ومنازعة ومحاربة ومخالفة للحقّ، فإنّ كلّ واحد من المتخالفين في شقّ غير شقّ الآخر.

﴿فسيكفيكهم الله﴾ وعد الله سبحانه رسوله بالنصرة وكفاية من يعاديه من اليهود والنصارى الذين شاقّوه، أو تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنـصرة على من ناواهم.

﴿وهو السميع﴾ لأقوالهم.

﴿العليم﴾ بأعمالهم، في إبطال أمرك، ولن يصلوا إليك، أو يسمع أقوالكم ويعلم إخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة من تمام الوعد، أو وعيد للمعرضين، بمعنى أنّه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه.(١)

---

١. مجمع البيان ١ / ٤٠٧، تفسير البيضاوي ١ / ٤١٢.

[١٣٨] ﴿صبغة الله﴾ وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، وهي الإسلام دين الله، فإنّها حلية الإنسان، كما أنّ الصبغة حلية المصبوغ، وقيل هي الختان، أو طهّر قلوبنا بالإيمان، وسمّاه صبغة؛ لأنّه ظهر أثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ، فإنّ النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمّونه المعمودية، ويقولون هو تطهير لهم.

﴿ومن أحسن من الله صبغة﴾ لا صبغة أحسن من صبغته.

﴿ونحن له عابدون﴾ خاضعون له، تابعون ملة إبراهيم، لا نشرك كشرككم.

[١٣٩] ﴿قل أتحاجّوننا في الله﴾ أتجادلوننا في شأنه، أو في دينه واصطفائه نبياً [من العرب دونكم، روي أنّ أهل الكتاب قالوا: الأنبياء كلّهم منّا، لو كنت نبيّاً][١] لكنت منّا، فنزلت.

﴿وهو ربّنا وربّكم﴾ خالقنا وخالقكم لا اختصاص له بقوم دون قوم، يصيب برحمته من يشاء من عباده، ويعلم حيث يجعل رسالته.

﴿ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ لنا ديننا ولكم دينكم، لا يؤخذ أحد بجرم غيره، إذ كلّ مأخوذ بما كسبت يداه، فلا يبعد أن يكرمنا بأعمالنا.

﴿ونحن له مخلصون﴾ بالإيمان والطاعة دونكم؛ لأنّ المخلص أولى بالحقّ من المشرك، قال حذيفة اليماني: سألت رسول الله ﷺ عن الإخلاص ما هو؟ فقال: سألت جبرئيل عن ذلك، فقال: سألت ربّ العزّة عن ذلك فقال: هو سرّ من سرّي أستودعه قلب من أحببته من عبادي. وعن النبي ﷺ أنّ لكلّ حقّ حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الإخلاص حتّى لا يحبّ أن يحمد على شيء من عمل الله. وقال سعيد

---

١. استدركناه من تفسير البيضاوي ١ / ٤١٣.

بن جبير: الإخلاص أن يخلص العبد دينه وعمله لله ولا يشرك به في دينه ولا يرائي بعمله أحداً[١].

[١٤٠] ﴿أم تقولون﴾ أم منقطعة، والهمزة للإنكار، وقرئ أم يقولون بالياء، على أن يكون المعنى اليهود والنصارى.

﴿إنّ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى﴾ وفي هذا احتجاج على أهل الكتاب بادّعاء اليهودية والنصرانية على هؤلاء الأنبياء من وجوه: أحدها ما أخبر به نبيّنا ﷺ مع ظهور المعجز الدالّ على صدقه. والآخر: ما في التوراة والإنجيل من أنّ هؤلاء الأنبياء كانوا على الحنيفية. والثالث: أنّ عندهم إنّما يقع اسم اليهودية على من تمسّك بشريعة التوراة واسم النصرانية على من تمسّك بشريعة الإنجيل، والكتابان أُنزلا بعدهم، كما قال سبحانه: ﴿وما أُنزلت التوراة والإنجيل إلّا من بعده﴾[٢]. والرابع: أنّهم ادّعوا ذلك من غير برهان، فوبّخهم الله بقوله لرسوله:

﴿قل ءأنتم أعلم أم الله﴾ استفهام إنكار وتوبيخ، كقوله: ﴿ءأنتم أشدّ خلقاً أم السماء بناها﴾[٣] ومعناه قل يا محمّد لهم، ءأنتم أعلم أم الله وقد أخبر سبحانه أنّهم كانوا على الحنيفية، وزعمتم أنّهم كانوا هوداً أو نصارى[٤]، وقد نفى الأمرين عن إبراهيم بقوله: ﴿وما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً﴾[٥] واحتجّ عليه بقوله: ﴿وما

١. مجمع البيان ١: ٤١٠
٢. آل عمران (٣)، الآية ٦٥.
٣. النازعات (٧٩)، الأية ٣٧.
٤. مجمع البيان ١ / ٤١٠.
٥. آل عمران (٣)، الآية ٦٧.

أُنزلت التوراة والإنجيل إلّا من بعده﴾[١] وهؤلاء الأنبياء المعطوفون عليه أتباعه في الدين وفاقاً.

﴿ومن أظلم ممّن كتم شهادة عنده من الله﴾ يعني شهادة الله لإبراهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية، والمعنى: لا أحد أظلم من أهل الكتاب؛ لأنّهم كتموا هذه الشهادة، أو منّا لو كتمنا هذه الشهادة، وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمّد ﷺ بالنبوّة في كتبهم وغيرها. ومن للابتداء كما في قوله: ﴿براءة من الله﴾[٢].

﴿وما الله بغافل عمّا تعملون﴾ وقرئ بالياء[٣]، أي: لا يخفى على الله شيء من المعلومات فكونوا على حذر من الجزاء على أعمالكم بما تستحقّونه من العقاب.

[١٤١] ﴿تلك أُمّة قد خلت﴾ أي: جماعة قد مضت.

﴿لها ما كسبت ولكم ما كسبتم﴾ لكلّ أجر عمله.

﴿ولا تسألون عمّا كانوا يعملون﴾ لا تؤاخذون بسيّئاتهم، تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عمّا استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والاتّكال عليهم، وقيل: الخطاب فيما سبق لهم، وفي هذه الآية لنا تحذيراً عن الاقتداء بهم، وقيل: المراد بالأُمّة في الأوّل إبراهيم ومن ذكر معه من الأنبياء، والثاني أسلافهم اليهود والنصارى[٤].

[١٤٢] ﴿سيقول السفهاء من الناس﴾ من الجهّال الكفّار والمنكرين لتغيير القبلة من المنافقين، واليهود والمشركين الذين خفّت أحلامهم، وانهمكوا بالتقليد

---

١. آل عمران (٣)، الآية ٦٥.

٢. التوبة (٩)، الآية ١، وتفسير البيضاوي ١ / ٤١٤.

٣. ن: يعملون وقرئ بالتاء. وصوّبناه حسب تفسير البيضاوي والقراءة المشهورة.

٤. مجمع البيان ١: ٤١٢، وتفسير البيضاوي ١ / ٤١٥.

والإعراض عن النظر.

﴿ما ولّاهم﴾ أيّ شيء حوّل المسلمين وصرفهم.

﴿عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ يعني بيت المقدس، الذي كانوا يتوجّهون إليه في صلاتهم. والقبلة في الأصل الحالة التي عليها الإنسان من الاستقبال، فصارت عرفاً للمكان المتوجّه نحوه للصلاة.

﴿قل لله المشرق والمغرب﴾ لا يختصّ به مكان دون مكان لخاصّية ذاته[1] تمنع إقامة غيره مقامه.

﴿يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ أي: يدلّه ويرشده إلى ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجّه إلى بيت المقدس تارة، والكعبة أُخرى.

[١٤٣] ﴿وكذلك﴾ إشارة إلى مفهوم الآية المتقدّمة، أي: جعلناكم مهتدين إلى صراط مستقيم، وجعلنا قبلتكم أفضل القبل.

﴿جعلناكم أُمّة وسطاً﴾ أي: أخياراً وعدولاً مزكّين بالعلم والعمل، وهم أُمّة محمّد ﷺ، أو واسطة بين الرسول والناس، والوسط في كلام العرب الخيار، واستدلّ به على أنّ الإجماع حجّة؛ إذ لو كان فيما اتّفقوا عليه باطل لانكسرت به عدالتهم. عن الباقر عليه السلام أنّه قال: نحن الأُمّة الوسط، ونحن شهداء الله على خلقه وحجّته في أرضه، إلينا يرجع الغالي وبنا يلحق المقصّر[2].

﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ بأعمالهم التي خالفوا فيها الحقّ في الدنيا والآخرة، كما قال: ﴿وجيء بالنبيين والشهداء﴾[3] قيل: الأشهاد أربعة: الملائكة

١. في البيضاوي: ذاتية.
٢. مجمع البيان ١: ٤١٧.
٣. الزمر (٣٩)، الآية ٦٩.

والأنبياء وأُمّة محمّد ﷺ والجوارح(١).

﴿ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ بما يكون من أعمالكم أو بأنّكم صدّقتم يوم القيامة فيما تشهدون به. روي أنّ الأُمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء فيطالبهم الله ببيّنة التبليغ ـ وهو أعلم بها ـ إقامة للحجّة على المنكرين فيؤتى بأُمّة محمّد ﷺ فيشهدون، فتقول الأُمم: من أين عرفتم؟ فيقولون: علمنا ذلك بإخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيّه الصادق فيؤتى بمحمّد ﷺ فيسئل عن حال أُمّته فيشهد بعدالتهم(٢).

﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها﴾ أي: الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فإنّه عليه السلام كان يصلّي إليها بمكّة ثمّ لمّا هاجر أُمر بالصلاة إلى بيت المقدس تألفاً لليهود(٣)، أو بيت المقدس إلّا أنّه كان يجعل الكعبة بينه وبينه.

﴿إلّا لنعلم من يتّبع الرسول﴾ إلّا لنمتحن الناس ونعلم من يتّبعك في الصلاة إليها.

﴿ممّن ينقلب على عقبيه﴾ ممّن يرتدّ عن دينك ويترك إيمانه. قال السيّد المرتضى: وقوله: ﴿لنعلم﴾ يقتضي حقيقة أن يعلم هو وغيره ولا يحصل علمه مع علم غيره إلّا بعد حصول الاتّباع(٤).

﴿وإن كانت﴾ أي: مفارقة القبلة الأُولى.

﴿لكبيرة﴾ لثقيلة شاقّة على من لا يعرف ما فيها من وجه الحكمة.

---

١. مجمع البيان ١: ٤١٨.
٢. تفسير البيضاوي ج ١: ١٤٩.
٣. تفسير البيضاوي ١ / ٤١٧، وهذا غير صحيح بل كان متبعاً لأمر الله.
٤. مجمع البيان ١: ٤١٨.

﴿إلّا على الذين هدى الله﴾ إلى معرفة الأحكام، الثابتين على الإيمان واتّباع الرسول عليه السلام.

﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ أي: ثباتكم على الإيمان، وقيل: الإيمان هاهنا الصلاة إلى القبلة المنسوخة، لما روي أنّه عليه السلام لمّا وجّه إلى الكعبة قالوا: كيف يا رسول الله بمن مات قبل التحويل من إخواننا، وكان قد مات أسعد بن زرارة والبراء بن معرور، وكان من النقباء، فنزلت[١].

﴿إنّ الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ فلا يضيع أُجورهم ولا يدع صلاحهم ولا يضيع عنده عمل عامل منهم. والرأفة أشدّ الرحمة.

[١٤٤] ﴿قد نرى تقلّب وجهك في السماء﴾ تحوّله وتصرفه في جهة السماء لانتظار الوحي في أمر القبلة، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقع في روعه ويتوقّع من ربّه أن يحوّله إلى الكعبة؛ لأنّها قبلة أبيه إبراهيم، وأقدم القبلتين، وأدعى للعرب إلى الإيمان والمخالفة لليهود؛ لأنّهم قالوا: لا يخالفنا محمّد في ديننا ويتّبع قبلتنا، وذلك يدلّ على كمال أدبه حيث انتظر ولم يسأل.

﴿فلنولّينك قبلة ترضاها﴾ أي: فلنصرفنّك إلى قبلة تريدها وتحبّها وتتشوّق إليها فلنمكّننّك من استقبالها، وإنّما أراد محبّة الطباع؛ لأنّه كان يسخط القبلة الأُولى.

﴿فولّ وجهك﴾ اصرف وجهك وحوّل نفسك.

﴿شطر المسجد الحرام﴾ أي: نحوه؛ لأنّ الشطر في الأصل ما انفصل من الشيء، والحرام، أي: المحرّم فيه القتال، وإنّما ذكر المسجد دون الكعبة؛ لأنّه عليه السلام كان في المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة، فإنّ استقبال عينها مشكل عليه، بخلاف القريب.

---

١. مجمع البيان ١: ٤١٩، وتفسير البيضاوي ١ / ٤١٩.

روي أنّه ﷺ قدم المدينة فصلّى نحو بيت المقدس ستّة عشر أشهر ثمّ توجّه إلى الكعبة يوم الاثنين منتصف رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلّى بأصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحوّل في الصلاة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمّي المسجد مسجد القبلتين[١] وقيل: كان التحويل يوم الثلاثاء منتصف شعبان.

﴿**وحيث ما كنتم**﴾ من الأرض من برّ أو بحر سهل أو جبل.

﴿**فولّوا وجوهكم شطره**﴾ خصّ الرسول الخطاب تعظيماً له وإيجاباً لرغبته، ثمّ عمّ تصريحاً بعموم الحكم وتأكيداً لأمر القبلة، وتحضيضاً للأُمّة على المتابعة. وروي أنّ البيت قبلة أهل المسجد والمسجد قبلة أهل الحرم والحرم قبلة أهل الأرض[٢].

﴿**وإنّ الذين أُوتوا الكتاب**﴾ أراد به علماء اليهود، أو هم والنصارى.

﴿**ليعلمون أنّه الحقّ من ربّهم**﴾ أي: يعلمون أنّ تحويل القبلة إلى الكعبة حقّ مأمور به من ربّهم، [جملةً][٣] لعلمهم بأنّ عادته تعالى تخصيص كلّ شريعة بقبلة، وتفصيلاً لتضمّن كتبهم أنّه يصلّي إلى القبلتين، والضمير للتحويل أو التوجّه.

﴿**وما الله بغافل عمّا تعملون**﴾ وقرئ بالياء[٤] وعد ووعيد للفريقين.

[١٤٥] ﴿**ولئن أتيت الذين أُوتوا الكتاب بكلّ آية**﴾ من برهان وحجّة على أنّ الكعبة قبلة، واللام موطئة للقسم، أي: والله لئن أعطيتهم ذلك.

---

١. تفسير البيضاوي ج ١: ١٥١.
٢. مجمع البيان ١ / ٤٢٠.
٣. من تفسير البيضاوي ١ / ٤٢٢.
٤. ن: يعملون، وقرئ بالتاء. وأثبتناه حسب البيضاوي ١ / ٤٢٢ والقراءة المشهورة.

﴿ما تبعوا قبلتك﴾ التي حوّلت إليها، مكابرة منهم وعناداً؛ لأنّ المعاند لا تنفعه الدلالة وإنّما تنفع الجاهل.

﴿وما أنت بتابع قبلتهم﴾ قطع لأطماعهم، فإنّهم قالوا له: لو ثبت على قبلتنا لكنّا نرجو أن تكون صاحبنا الذي ننتظره تغريراً له وطمعاً في رجوعه، وقبلتهم وإن تعدّدت لكنّها متّحدة بالبطلان ومخالفة الحقّ.

﴿وما بعضهم بتابع قبلة بعض﴾ فإنّ اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس حيث ولد عيسى لا يرجى توافقهم كما لا ترجى موافقتهم لك.

﴿ولئن اتّبعت أهواءهم﴾ في المداراة لهم، حرصاً على أن يؤمنوا على سبيل الفرض والتقدير.

﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾ من بعد ما بان لك الحقّ وجاءك فيه الوحي.

﴿إنّك إذاً لمن الظالمين﴾ أكّد تهديده وبالغ فيه من أربعة أوجه، تعظيماً للحقّ المعلوم، وتحريضاً على اقتفائه، وتحذيراً عن متابعة الهوى، واستفظاعاً لصدور الذنب عن الأنبياء، كقوله: ﴿لئن أشركت ليحبطنّ علمك﴾[١].

[١٤٦] ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ يعني علماءهم.

﴿يعرفونه﴾ الضمير لرسول الله ﷺ وإن لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه، وقيل: للعلم أو القرآن أو التحويل.

﴿كما يعرفون أبناءهم﴾ يشهد للأوّل، أي: يعرفونه بأوصافه التي في كتبهم كمعرفتهم أبناءهم، لا يلتبسون عليهم بغيرهم؛ لأنّهم كانوا يعرفون أبناءهم من جهة الحكم ويعرفون أمر النبي ﷺ [من جهة الحقيقة. وسأل عمر عبد الله بن سلام عن

١. الزمر (٣٩)، الآية ٦٥.

رسول الله ﷺ][١] فقال: أنا أعلم به منّي بابني، قال: ولم؟ قال: لأنّي لست أشكّ في محمّد أنّه نبي، فأمّا ولدي فلعلّ أُمّه خانت.

﴿وإنّ فريقاً منهم﴾ أي: من أهل الكتاب.

﴿ليكتمون الحقّ﴾ من أمر محمّد ﷺ وما جاء به.

﴿وهم يعلمون﴾ تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن، وإنّما خص[٢] الفريق منهم؛ لأنّ من أهل الكتاب من أسلم كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار وغيرهما.

[١٤٧] ﴿الحقّ من ربّك﴾ كلام مستأنف، والحقّ إمّا مبتدأ خبره من ربّك، واللام للعهد، والإشارة إلى ما عليه الرسول، أو الحقّ الذي يكتمونه، أو للجنس، والمعنى: أنّ الحقّ ما ثبت أنّه من الله، كالذي أنت عليه، وهو ما أتاه من الوحي، لا ما لم يثبت، كالذي عليه أهل الكتاب.

﴿فلا تكوننّ من الممترين﴾ أي: من الشاكّين في الحقّ الذي تقدّم الإخبار به في أنّه من ربّك، أو في كتمانهم الحقّ عالمين به، وليس المراد به نهي الرسول عن الشكّ فيه؛ لأنّه غير متوقّع منه، بل إمّا تحقيق الأمر بحيث لا يشكّ فيه ناظر، أو أمر لأُمّته باكتساب المعارف المزيحة للشكّ على الوجه الأبلغ، كقوله: ﴿يا أيّها النبي إذا طلّقتم النساء﴾[٣]؛ لأنّه خصّ النداء وعمّ الخطاب بالحكم.

[١٤٨] ﴿ولكلّ وجهة﴾ أي: ولكلّ أُمّةٍ قبلة، كقوله [تعالى]: ﴿ولكلّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾[٤] والتنوين بدل الإضافة، أو لكلّ قومٍ من المسلمين وجهة وجانب

١. استدركناه من مجمع البيان ١ / ٤٢٢، والبيضاوي ١ / ٤٢٤.
٢. ن: اختص. وأثبتناه حسب مجمع البيان.
٣. الطلاق (٦٥)، الآية ١.
٤. المائدة (٥)، الآية ٤٨.

من الكعبة يصلّون إليها.

﴿هو مولّيها﴾ أي: الله مولّيها إيّاهم بالتوجّه نحوها في صلاتهم إليها، والمعنى: وكلّ وجهة، الله مولّيها أهلها بالتوجّه نحوها، كقوله: ﴿فلنولّينّك قبلة ترضاها﴾(١).

﴿فاستبقوا الخيرات﴾ أي: سارعوا إلى الطاعات من أمر القبلة وغيره، ممّا ينال به سعادة الدارين فيما يأمركم به مسارعة من يطلب السبق إليه، فلكلّ عندي ثوابه.

﴿أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعاً﴾ في أيّ موضع تكونوا من أعماق الأرض وقلل الجبال من موافق أو مخالف، مجتمع الأجزاء أو متفرّقها، يحشركم الله إلى المحشر للجزاء، أو أينما تكونوا من الجهات المتقابلة من البلاد يأت بكم الله جميعاً ويجعل صلاتكم إلى جهة واحدة، وذلك في أيّام المهدي عليه السلام في آخر الزمان، وهو المروي عن الرضا عليه السلام(٢).

﴿إنّ الله على كلّ شيء قدير﴾ فيقدر على الإماتة والإحياء والجمع.(٣)

[١٤٩] ﴿ومن حيث خرجت﴾ ومن أيّ مكان خرجت من البلاد للسفر.

﴿فولّ وجهك شطر المسجد الحرام﴾ فاستقبله بوجهك إذا صلّيت.

﴿وإنّه﴾ أي: وإنّ هذا الأمر.

﴿للحقّ من ربّك﴾ الثابت الذي لا يزول بنسخ.

﴿وما الله بغافل عمّا تعملون﴾ تهديد، كقوله: ﴿إنّ ربّك لبالمرصاد﴾(٤).

[١٥٠] ﴿ومن حيث خرجت فولّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما

---

١. البقرة (٢)، الآية ١٤٤.
٢. مجمع البيان ١: ٤٢٩.
٣. تفسير البيضاوي ١ / ٤٢٦.
٤. الفجر (٨٩)، الآية ١٤.

كنتم﴾ من الأرض في برّ أو بحر.

﴿فولّوا وجوهكم شطره﴾ كرّر هذا الحكم لتعدّد علله، فإنّه تعالى ذكر للتحويل ثلاث علل، تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته، وجري العادة الإلهية على أن يولّي كلّ أهل ملّة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميّز بها، ودفع حجج المخالفين على نبيه[١] وقرن بكلّ علّة معلولها كما يقرن المدلول بكلّ واحد من دلائله تقريباً وتقريراً، مع أنّ القبلة لها شأن، والنسخ من مظانّ الفتنة والشبهة، فبالحري أن يؤكّد أمرها ويعاد ذكرها مرّة بعد أُخرى.

﴿لئلّا يكون للناس عليكم حجّة﴾ علّة لقوله «فولّوا»، والمعنى: أنّ التولية عن الصخرة إلى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بأنّ النبي ﷺ المنعوت في التوراة قبلته الكعبة، وأنّ محمّداً يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا، والمشركين بأنّه يدّعي ملّة إبراهيم ويخالف قبلته، فصرفت قبلته إلى الكعبة.

﴿إلّا الذين ظلموا منهم﴾ استثناء من الناس، [أي] لئلّا يكون لأحد من الناس حجّة إلّا المعاندين منهم، فإنّهم يقولون: ما تحوّل إلى الكعبة إلّا ميلاً إلى دين قومه وحبّاً لبلده، أو بدا له فرجع إلى قبلة آبائه ويوشك أن يرجع إلى دينهم، وسمّى هذه حجّة كقوله: ﴿حجّتهم داحضة﴾[٢]؛ لأنّهم يسوقون مساقها.

﴿فلا تخشوهم﴾ فلا تخافوهم، فإنّ مطاعنهم لا تضرّكم، وعاقبة السوء عليهم، ولا حجّة لأحدٍ عليكم.

﴿واخشوني﴾ فلا تخالفوا ما أمرتكم به من أمر القبلة وغيرها.

﴿ولأُتمّ نعمتي عليكم﴾ فأنصركم على أعدائكم وأُورثكم أرضهم وديارهم،

---

١. في البيضاوي: على ما نبينه.

٢. الشورى (٤٢)، الآية ١٦.

وفي الحديث: تمام النعمة دخول الجنّة[١]. وعن علي عليه السلام: النعم ستّة، الإسلام، والقرآن، ومحمّد صلى الله عليه وآله، والستر، والعافية، والغنى عمّا في أيدي الناس[٢]. وعنه أيضاً: تمام النعم الموت على الإسلام[٣].

﴿ولعلّكم تهتدون﴾ أي: لكي ترشدون إلى الجنّة. ولعلّ من الله واجب.

[١٥١] ﴿كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم﴾ متّصل بما قبله، أي: ولأُتمّ نعمتي عليكم في أمر القبلة أو في الآخرة، كما أتممتها بإرسال رسول منكم إليكم نعمة عليكم، أو بما بعده، أي: كما ذكرتكم بإرسال الرسول منكم فاذكروني واشكروا لي واعبدوني أنعم عليكم بالجزاء والثواب. والخطاب للعرب، ووجه النعمة عليهم بكون الرسول منهم وحصل لهم به الشرف والذكر والملك.

﴿يتلو عليكم آياتنا﴾ يقرأ عليكم آيات القرآن.

﴿ويزكّيكم﴾ يحملكم على ما تصيرون به أزكياء، من الأمر بطاعة الله واتّباع مرضاته، قدّم سبحانه التزكية هنا على تعليم الكتاب باعتبار القصد، وأخّره في دعوة إبراهيم سابقاً باعتبار الفعل بقوله:

﴿ويعلّمكم الكتاب والحكمة﴾ الكتاب: القرآن، والحكمة هي القرآن أيضاً، جمع بين الصفتين لاختلاف فائدتهما، كما يقال: الله العالم بالأُمور كلّها، القادر عليها، وقيل: أراد بالكتاب القرآن وبالحكمة الوحي من السنّة وما لا يعلم من الأحكام إلّا من جهته.

﴿ويعلّمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ أي: ما لا سبيل لكم إلى علمه بالفكر والنظر؛

١. تفسير البيضاوي ج ١: ١٥٤.
٢. مجمع البيان ١: ٤٣٢.
٣. تفسير البيضاوي ج ١: ١٥٤.

إذ لا طريق إلى معرفته سوى الوحي، وكرّر الفعل ليدلّ على أنّه جنس آخر تابعاً للنعمة فيه.

[١٥٢] ﴿فاذكروني﴾ بالطاعة أو بالنعمة.

﴿أذكركم﴾ بالثواب كقوله: ﴿لئن شكرتم لأزيدنّكم﴾(١).

﴿واشكروا لي﴾ ما أنعمت به عليكم وأظهروها واعترفوا بها.

﴿ولا تكفرون﴾ بجحد النعم وعصيان الأمر.

[١٥٣] ﴿يا أيّها الذين آمنوا استعينوا بالصبر﴾ عن المعاصي، وحظوظ النفس بحبسها عمّا تشتهيه، أو بالصوم، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: الصبر صبران صبر على ما تكره وصبر على ما تحبّ(٢).

﴿والصلاة﴾ التي هي أُمّ العبادات، ومعراج المؤمنين، ومناجاة ربّ العالمين، والخشوع له، واختلف في الاستعانة بهما على ماذا، فقيل: على جميع الطاعات وقيل: على الجهاد في سبيل الله(٣).

﴿إنّ الله مع الصابرين﴾ بالنصر وإجابة الدعوة، أو بالتوفيق والتسديد، كقوله: ﴿يزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾(٤).

[١٥٤] ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات﴾ أي: لا تقولوا هم أموات، نهى سبحانه أن يسمّى من قتل في الجهاد أمواتاً.

﴿بل أحياء﴾ بل هم أحياء عند الله إلى أن تقوم الساعة عن جميع المفسّرين، أو

---

١. إبراهيم (١٤)، الآية ٧.

٢. مجمع البيان ١: ٤٣٦. وفيه: عمّا تحب. ن: يكره... يحب.

٣. مجمع البيان ١: ٤٣٦.

٤. مريم (١٩)، الآية ٧٦.

أحياء لما نالوا من جميل الذكر والثناء، كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: هلك خزّان الأموال، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وآثارهم في القلوب موجودة[١].

﴿ولكن لا تشعرون﴾ ما حالهم، وهو تنبيه على أنّ حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحسّ به من الحيوانات، وإنّما هي أمر لا يدرك بالعقل، بل بالوحي، وعن الحسن أنّ الشهداء أحياء عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والفرح، كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوّاً وعشياً فيصل إليهم الوجع[٢]، وعن الصادق عليه السلام أنّ أرواحهم في الجنّة في قوالب على صور أبدانهم فيأكلون ويشربون[٣]، والآية نزلت في شهداء بدر، وكانوا أربعة عشر ستّة من المهاجرين وثمانية من الأنصار[٤].

[١٥٥] ﴿ولنبلونّكم﴾ ولنصيبنّكم إصابة من يختبر لأحوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء، والخطاب لأصحاب النبي صلى الله عليه وآله، أو لجميع الخلق.

﴿بشيء من الخوف والجوع﴾ أي: بقليل من ذلك، وإنّما قلّله بالإضافة إلى ما وقاهم عنه ويريهم أنّ رحمته لا تفارقهم، أو بالنسبة إلى ما يصيب به معانديهم في الآخرة، وإنّما أخبرهم به قبل وقوعه ليوطّنوا عليه نفوسهم.

﴿ونقص من الأموال والأنفس والثمرات﴾ عطف على شيء، أو على الخوف، وعن الشافعي: الخوف خوف الله، والجوع صوم رمضان، والنقص من الأموال بالزكاة

---

١. مجمع البيان ١: ٤٣٨.

٢. تفسير البيضاوي ١ / ٤٢٩ والمقصود بالحسن ظاهراً هو البصري.

٣. مجمع البيان ١: ٤٣٨ والحديث مفصل.

٤. مجمع البيان ١: ٤٣٧، وتفسير البيضاوي ١ / ٤٢٩.

والصدقات[١]، ومن الأنفس بالأمراض، ومن الثمرات موت الأولاد[٢] وعن النبي ﷺ: إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة: أقبضتم [روح] ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول الله تعالى: [أقبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون نعم، فيقول الله تعالى:] ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنّة وسمّوه بيت الحمد[٣]، وقيل: يكون ذلك عند قيام القائم من آل محمّد ﷺ[٤].

﴿وبشّر الصابرين﴾ أي أخبرهم يا محمّد بما لهم على الصبر في تلك المشاقّ والمكاره من المثوبة الجزيلة والعافية الجميلة وهم.

[١٥٦] ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة﴾ في النفس أو المال فيوطّنوا أنفسهم عليها بأن.

﴿قالوا إنّا لله﴾ تسليماً لأمره ورضاً بحكمه وتقديره.

﴿وإنّا إليه راجعون﴾ ثقة بأنّا نصير إلى عدله فيجازينا بمثله، وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل بالقلب بأن يتصوّر ما خلق لأجله، وأنّه راجع إلى ربّه، ويتذكّر نعم الله عليه، ليرى ما أبقى عليه أضعاف ما استردّه منه، فيهون على نفسه ويستسلم له[٥].

[١٥٧] ﴿أُولئك﴾ إشارة إلى الذين وصفهم من الصابرين.

﴿عليهم صلوات من ربّهم ورحمة﴾ الصلاة في الأصل الدعاء، ومن الله التزكية

---

١. وهذه الفقرة خلاف الفهم القرآني للزكاة والصدقات.

٢. تفسير البيضاوي ١: ١٥٥.

٣. تفسير البيضاوي ١ / ١٥٥.

٤. كما في غيبة النعماني ١٦٧ بسندين، ودلائل الإمامة للطبري ص ٢٥٥، وكمال الدين ٥٨٨ وكلهم عن جعفر الصادق عليه السلام.

٥. تفسير البيضاوي ١ / ٤٣١.

والمغفرة، وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوّعها، والمراد بالرحمة اللطف والإحسان. وعن النبي ﷺ: من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفاً صالحاً يرضاه[١] وعنه ﷺ قال: أربع من كنّ فيه كتبه الله من أهل الجنّة، من كانت عصمته شهادة أن لا إله إلّا الله، ومن إذا أنعم الله عليه النعمة قال الحمد لله، ومن إذا أصاب ذنباً قال: أستغفر الله، ومن إذا أصابته مصيبة قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون[٢].

﴿وأولئك هم المهتدون﴾ للحقّ والصواب، أو إلى الجنّة والثواب حيث استرجعوا وسلّموا لقضاء الله.

[١٥٨] ﴿إنّ الصفا والمروة﴾ هما علما جبلين بمكّة. عن الصادق عليه السلام أنّه قال: نزل آدم عليه السلام على الصفا ونزلت حوّاء على المروة، فسمّي الصفا باسم آدم المصطفى، وسمّيت المروة باسم المرأة[٣].

﴿من شعائر الله﴾ من أعلام مناسكه ومتعبّداته ومواضع نسكه وطاعاته، جمع شعيرة وهي العلامة.

﴿فمن حجّ البيت﴾ أي: قصده بالأفعال المشروعة.

﴿أو اعتمر﴾ أتى بالعمرة المفردة.

﴿فلا جناح عليه أن يطّوّف بهما﴾ كان إساف على الصفا ونائلة على المروة، وهما صنمان، وكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوهما، فلمّا جاء الإسلام وكسرت

١. تفسير البيضاوي ١ / ٤٣٢.
٢. مجمع البيان ١: ٤٤٢.
٣. مجمع البيان ١: ٤٤٤.

الأصنام تحرّج المسلمون أن يطوفوا بينهما لذلك، فنزلت[١]، وكان أصلها أنّه لمّا بغت جرهم في الحرم وطغت، حتّى فسق رجل منهم بامرأة في البيت الحرم، وكان الرجل يدعى أُسافاً والمرأة تدعى نائلة فمسخهما الله حجرين صيرا بعد ذلك وثنين وعبدا تقرّباً بهما إلى الله تعالى[٢]، والإجماع على أنّ السعي بين الصفا والمروة مشروع في الحجّ والعمرة، وإنّما الخلاف في وجوبه، فعن أحمد بن حنبل أنّه سنّة، وبه قال أنس بن مالك وابن عبّاس، لقوله: ﴿فلا جناح﴾ فإنّه يفهم منه التخيير، وهو ضعيف؛ لأنّ نفي الجناح يدلّ على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه، وعن أبي حنيفة أنّه واجب يجبر بالدم، وعن مالك والشافعي وعلمائنا أنّه ركن، لقوله عليه الصلاة والسلام: اسعوا فإنّ الله كتب عليكم السعي[٣].

﴿ومن تطوّع خيراً﴾ أي: من تبرّع بالطواف والسعي بين الصفا والمروة بعد ما أدّى الواجب من ذلك، أو من فعل طاعة فرضاً كان أو نفلاً، أو زاد على ما فرض عليه من حجّ أو عمرة أو طواف، أو تطوّع بالسعي إن قلنا إنّه سنّة، و«خيراً» نصب على أنّه صفة مصدر محذوف، أو بحذف الجارّ وإيصال الفعل إليه.

﴿فإنّ الله شاكر عليم﴾ أي: مثيب على الطاعة مجازٍ عليها، عليم بها لا يخفى عليه شيء من أعمالكم فيجازيكم عليها.

[١٥٩] ﴿إنّ الذين يكتمون﴾ كأحبار اليهود الذين كتموا أمر محمّد ﷺ ونبوّته وهم يجدونه مكتوباً في التوراة.

﴿ما أنزلنا من البيّنات﴾ أي: من الحجج المنزلة في الكتب كالآيات الشاهدة

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٤٣٢.
٢. نحوه في تاريخ الطبري ٢ / ٣٧، والسيرة النبوية لابن كثير ١ / ٥٧ وغيرهما.
٣. تفسير البيضاوي ج ١: ١٥٦ دون قوله (وعلمائنا).

على أمر محمّد ﷺ.

﴿والهدى﴾ أي: والدلائل إلى وجوب اتّباعه والإيمان به.

﴿من بعد ما بيّناه للناس في الكتاب﴾ في التوراة من صفته عليه السلام.

﴿أُولئك يلعنهم الله﴾ أي: يبعدهم من رحمته بإيجاب العقوبة.

﴿ويلعنهم اللاعنون﴾ الذين يتأتّى منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين، كقوله: ﴿عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾[1].

[١٦٠] ﴿إلّا الذين تابوا﴾ عن الكتمان وسائر ما يجب أن يتاب عنه وندموا على ذلك.

﴿وأصلحوا﴾ ما أفسدوا بالتدارك، أو نيّاتهم فيما يستقبل.

﴿وبيّنوا﴾ ما بيّنه الله في كتابهم لتتمّ توبتهم، أو يظهروا ما أحدثوه من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن أنفسهم ويقتدي بهم أضرابهم؛ لأنّ من ارتكب المعصية سرّاً كفاه التوبة سرّاً، ومن أظهر المعصية يجب عليه أن يظهر التوبة.

﴿فأُولئك أتوب عليهم﴾ بالقبول والمغفرة، وذلك من إنعام الله على عباده فتح لهم باب التوبة.

﴿وأنا التوّاب الرحيم﴾ المبالغ في قبول التوبة وإفاضة الرحمة؛ لأنّ التوبة تدلّ على إسقاط العقاب، والرحمة تفضّل من الله غير واجبة عليه.

[١٦١] ﴿إنّ الذين كفروا وماتوا وهم كفّار﴾ أي: ومن لم يتب من الكاتمين حتّى مات مصرّاً على الكفر.

﴿أُولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾ أي: استقرّت عليهم لعنة

---

١. آل عمران (٣)، الآية ٨٧.

الله ومن يعتدّ بلعنه من خلقه المؤمنين؛ لأنّ من الناس من لا يلعن الكافر، وقيل: الأوّل لعنهم أحياء وهذا لعنهم أمواتاً[١]، أو كما قال: ﴿ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً﴾[٢].

[١٦٢] ﴿خالدين فيها﴾ أي: في اللعنة أو النار، وإضمارها قبل الذكر تفخيماً لشأنها وتهويلاً، أو لأنّ اللعن إبعاد من الرحمة وإيجاب للعقاب، والعقاب يكون في النار.

﴿لا يخفّف عنهم العذاب﴾ أي: يكون عذابهم على وتيرة واحدة فلا يخفّف أحياناً ويشتدّ أحياناً.

﴿ولا هم ينظرون﴾ أي: لا يمهلون، كما قال سبحانه: ﴿ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾[٣]، أو لا ينظر إليهم نظر رحمة، أو لا يؤخّر العذاب عنهم.

[١٦٣] ﴿وإلٰهكم إله واحد﴾ خطاب عامّ، أي: خالقكم والمنعم عليكم بالنعم التي لا يقدر عليها غيره الذي تحقّ له العبادة واحد لا شريك له يصحّ أن يعبد ويسمّى إلهاً.

﴿لا إله إلا هو﴾ تقرير للوحدانية، وإزاحة لأنّ يتوهّم أنّ في الوجود إلهاً، ولكن لا يستحقّ منهم العبادة أحد غيره؛ لأنّه عالم بجميع المعلومات لا يجوز عليه الجهل، وقادر على كلّ شيء لا يجوز عليه العجز، حي باقٍ لا يجوز عليه الموت.

﴿الرحمن الرحيم﴾ مولى النعم كلّها أُصولها وفروعها، وما سواه إمّا نعمة أو منعم عليه، لم يستحقّ العبادة أحد غيره، وهما خبران آخران لقوله: ﴿إلهكم﴾، قيل: لمّا

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٤٣٤.
٢. العنكبوت (٢٩)، الآية ٢٥.
٣. المرسلات (٧٧)، الآية ٣٦.

سمعه المشركون تعجّبوا وقالوا: إن كنت صادقاً فأتِ بآية نعرف بها صدقك فنزلت[١].

[١٦٤] ﴿إنّ في خلق السماوات والأرض﴾ أي: في إنشائها مقدّرين على سبيل الاختراع، وإنّما جمع السماوات وأفرد الأرض لأنّها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الأرضين.

﴿واختلاف الليل والنهار﴾ تعاقبهما إذا ذهب أحدهما جاء الآخر، كقوله: ﴿جعل الليل والنهار خلفة﴾[٢]، أو اختلافهما في الجنس واللون والطول والقصر والظلمة والنور.

﴿والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس﴾ بركوب والحمل عليها في التجارات، وهي السفن.

﴿وما أنزل الله من السماء من ماء﴾ يعني المطر ينزله الله من نحو السماء من السحاب.

﴿فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ أحياها بالنبات وإخراج الأقوات بعد خرابها.

﴿وبثّ فيها من كل دابّة﴾ أي: فرّق في الأرض من كلّ حيوان يدبّ في مواضع متفرّقة، والبثّ النشر والتفريق.

﴿وتصريف الرياح﴾ في مهابّها وأحوالها، بأن جعل بعضها يأتي بالرحمة وبعضها يأتي بالعذاب.

﴿والسحاب المسخّر بين السماء والأرض﴾ لا ينزل ولا ينقشع ـ مع أنّ الطبع يقتضي أحدهما ـ حتّى يأتي أمر الله، أو مسخّر للرياح تقلّبه في الجوّ بمشيئة الله من

١. الكشّاف ١: ٢١٠.
٢. الفرقان (٢٥)، الآية ٦٢.

بلد إلى بلد ومن موضع إلى موضع، واشتقاقه من السحب؛ لأنّ بعضه يجرّ بعضاً.

﴿لآيات لقوم يعقلون﴾ يتفكّرون فيها وينظرون إليها بعيون عقولهم؛ لأنّ من لم ينتفع بتلك الدلالات ولم يستدلّ بها على الصانع الحكيم صار كأنّه لا عقل له، كقوله: ﴿إنّما أنت منذر من يخشاها﴾[١].

[١٦٥] ﴿ومن الناس من يتّخذ من دون الله أنداداً﴾ من الأصنام التي كانوا يعبدونها، ومن الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله: ﴿إذ تبرّأ الذين اتُّبِعوا من الذين اتَّبَعوا﴾[٢]، وعن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: هم أئمّة الظلم وأشياعهم.[٣]

﴿يحبّونهم كحبّ الله﴾ أي: يعظّمونهم ويطيعونهم كتعظيم الله وطاعته، أي: يسوون بينه وبينهم في المحبّة والطاعة، والمحبّة ميل القلب، ومحبّة العبد لله إرادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه، ومحبّة الله للعبد إرادة إكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي.

﴿والذين آمنوا أشدّ حبّاً لله﴾ لأنّه لا تنقطع محبّتهم لله، بخلاف محبّة الأنداد فإنّها لأغراض فاسدة موهومة تزول بأدنى سبب، ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم إلى الله عند الشدائد، ويعبدون الصنم زماناً ثمّ يرفضونه إلى غيره.

﴿ولو يرى الذين ظلموا﴾ أي: لو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتّخاذ الأنداد.

﴿إذ يرون العذاب﴾ إذا عاينوه يوم القيامة، وأجرى المستقبل مجرى الماضي لتحقّقه، كقوله: ﴿ونادى أصحاب الجنّة﴾[٤][٥].

---

١. النازعات (٧٩)، الآية ٤٥.
٢. البقرة (٢)، الآية ١٦٦، وتفسير البيضاوي ١ / ٤٤٠.
٣. مجمع البيان ١ / ٤٦٢.
٤. الأعراف (٧)، الآية ٤٤.
٥. مجمع البيان ١: ٤٦٢، وتفسير البيضاوي ١ / ٤٤٢.

﴿أنّ القوّة لله جميعاً﴾ أي: لو يعلمون أنّ القدرة لله جميعاً إذا عاينوا العذاب لندموا أشدّ الندم، أو لو يرى الذين ظلموا أندادهم لا تنفع، لعلموا أنّ القوّة لله كلّها لا ينفع ولا يضرّ غيره.

﴿وأنّ الله شديد العذاب﴾ وصف العذاب بالشدّة توسّع ومبالغة في الوصف، فإنّ الشدّة من صفات الأجسام.

[١٦٦] ﴿إذ تبرّأ الذين اتُّبعوا من الذين اتَّبعوا﴾ بدل من ﴿إذ يرون﴾ أي: إذ تبرّأ المتَّبَعون من الأتباع، وقرئ بالعكس، أي: تبرأ الأتباع من الرؤساء من مشركي الإنس، وقيل: عامّ كالشياطين وأتباعهم والأصنام وعبدتهم[١].

﴿ورأوا العذاب﴾ أي: رائين له حين أُدخلوا النار، والواو للحال، وقد مضمرة.

﴿وتقطّعت بهم الأسبابَ﴾ الوصل التي كانت بينهم من الاتباع، والإنفاق على الدين، والأغراض الداعية إلى ذلك من الأرحام والمودّة التي كانوا يتعاطفون بها، والسبب الحبل الذي يرتقى به الشجر.

[١٦٧] ﴿وقال الذين اتّبعوا لو أن لنا كرّة﴾ أي: رجعة إلى الدنيا وحال التكليف.

﴿فنتبرّأ منهم﴾ أي: من القادة في الدنيا.

﴿كما تبرّؤوا منّا﴾ في الآخرة.

﴿كذلك﴾ أي: مثل ذلك الأراء الفظيعة.

﴿يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم﴾ أي: ندامات عليهم يتحسّرون عليها لِمَ عملوها، أو لِمَ فرّطوا فيها.

---

١. مجمع البيان ١: ٤٦٥.

﴿وما هم بخارجين من النار﴾ مبالغة في الخلود، وإقناط عن الخلاص والرجوع إلى الدنيا.

[١٦٨] ﴿يا أيّها الناس كلوا ممّا في الأرض حلالاً طيّباً﴾ نزلت في قوم من ثقيف وخزاعة وبني عامر بن صعصعة وبني مدلج، حرّموا على أنفسهم رفيع الأطعمة والملابس. ومن للتبعيض؛ إذ لا يؤكل كلّ ما في الأرض، ويعمّ جميع المكلّفين من بني آدم.[١]

﴿ولا تتّبعوا خطوات الشيطان﴾ لا تقتدوا به في اتّباع الهوى فتحرّموا الحلال وتحلّلوا الحرام.

﴿إنّه لكم عدوّ مبين﴾ ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة، وإن كان يظهر الموالاة لمن يغويه، وقد أبان عداوته لآدم وبنيه.

[١٦٩] ﴿إنّما يأمركم بالسوء والفحشاء﴾ والسوء يعمّ القبائح والمعاصي وما أنكره العقل واستقبحه الشرع، والفحشاء ما يجاوز الحدّ في القبيح من الكبائر كالزنا، وقيل: الأوّل ما لا حدّ فيه والثاني ما شرّع فيه الحدّ[٢].

﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ كاتّخاذ الأنداد، وتحليل المحرّمات، وتحريم الطيّبات، واختراع المذاهب الفاسدة والاعتقادات، وفيه دليل على المنع من اتّباع الظنّ رأساً، وأمّا اتّباع المجتهد لما أدّى إليه ظنّ مستند إلى مدرك شرعي فوجوبه قطعي عند الأكثر.

[١٧٠] ﴿وإذا قيل لهم﴾ الضمير للناس الذين اتّخذوا من دون الله أنداداً، وهم مشركو العرب.

---

١. مجمع البيان ١ / ٤٥٩، وتفسير البيضاوي ١ / ٤٤٥.

٢. مجمع البيان ١: ٤٦٩ وتفسير البيضاوي ١ / ٤٤٦.

﴿اتّبعوا ما أنزل الله﴾ من القرآن وشرائع الإسلام وسائر الحجج والآيات.

﴿قالوا بل نتّبع ما ألفينا عليه آباءنا﴾ أي: ما وجدناهم عليه، لأنّهم كانوا خيراً منّا وأعلم. نزلت في المشركين من عبدة الأصنام أُمروا باتّباع القرآن فجنحوا إلى التقليد، وقيل: في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام فقالوا: نتّبع ما وجدنا عليه آباءنا[1].

﴿أوَ لو كان آباؤهم لا يعقلون﴾ أي: لا يعلمون.

﴿شيئاً﴾ من أُمور الدين.

﴿ولا يهتدون﴾ [وجواب (لو) محذوف، أي: لو كان آباؤهم لا يهتدون] إلى الحقّ المبين لاتّبعوهم، تعجّب من ذلك، وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد، وأمّا اتّباع الغير في الدين إذا علم بدليل أنّه محقّ كالأنبياء والأئمّة المجتهدين في الأحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتّباع لما أنزل الله.

[١٧١] ﴿ومثل الذين كفروا﴾ في تركهم إجابة من يدعوهم إلى التوحيد وركونهم إلى التقليد.

﴿كمثل الذي ينعق﴾ أي: يصوت.

﴿بما لا يسمع إلّا دعاء ونداء﴾ بل يصيح بما لا يفهم، مثل البهيمة تنادى فلا تعقل ما تسمع، والمعنى: أنّ الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون أذهانهم إلى ما يتلى عليهم، ولا يتأمّلون فيما تقرّر معهم، فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه، وتحسّ بالنداء ولا تفهم معناه.

﴿صمّ بكم عمي﴾ أي: هم صمّ عن استماع الحجّة، بكم عن التكلّم بها، عمي

---

١. تفسير البيضاوي ج ١: ١٦١.

عن الإبصار لها.

﴿فهم لا يعقلون﴾ أي: فهم بمنزلة من لا عقل له، للإخلال بالنظر، لا ينتفعون بعقولهم.

[١٧٢] ﴿يا أيّها الذين آمنوا كلوا من طيّبات ما رزقناكم﴾ لمّا وسّع الأمر على الناس كافّة وأباح لهم ما في الأرض سوى ما حرّم عليهم، أمر المؤمنين منهم أن يتحرّوا طيّبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها، فقال [سبحانه]:

﴿واشكروا لله﴾ على ما رزقكم وأحلّ؛ لأنّ ذلك يقتضي الشكر.

﴿إن كنتم إيّاه تعبدون﴾ إن صحّ أنّكم تخصّونه بالعبادة، وتقرّون أنّه مولي النعم، فإنّ عبادته لا تتمّ إلّا بالشكر.

[١٧٣] ﴿إنما حرّم عليكم الميتة﴾ أكلها والانتفاع بها، وهي التي ماتت من غير ذكاة، والسمك والجراد أخرجهما العرف عنها.

﴿والدم ولحم الخنزير﴾ إنّما خصّ اللحم بالذكر لأنّه معظم ما يؤكل من الحيوان، وسائر أجزائه كالتابع له في الحرمة.

﴿وما أُهلّ به لغير الله﴾ أي: ما ذبح ورفع الصوت به عند ذبحه للصنم، وما ذبح لغير الله. والإهلال أصله رؤية الهلال لكن [لمّا] جرت العادة أن يرفع الصوت بالتكبير إذا رئى سمّي ذلك إهلالاً، ثمّ قيل لرفع الصوت وإن كان بغيره، وكلّ ذابح عند العرب مهلّ.

﴿فمن اضطرّ﴾ إلى أكل هذه الأشياء ضرورة مجاعة.

﴿غير باغ﴾ بالاستئثار على مضطرّ آخر، أو بالإفراط في الأكل، أو على إمام المسلمين، أو قطع سبيل.

﴿ولا عادٍ﴾ بالمعصية بل سدّ الرمق والجوعة.

﴿فلا إثم عليه﴾ في تناوله.

﴿إنّ الله غفور﴾ لما فعله.

﴿رحيم﴾ بالرخصة فيه.

[١٧٤] ﴿إنّ الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب﴾ وهم أحبار اليهود كتموا صفة محمّد ﷺ والبشارة به في التوراة، أو كتموا ما فيها من الأحكام.

﴿ويشترون به ثمناً قليلاً﴾ عوضاً حقيراً من أغراض الدنيا الفانية، وليس المراد أنّهم إذا اشتروا به ثمناً كثيراً كان جائزاً، بل الفائدة فيه أنّ كلّ ما يأخذونه في مقابلة ذلك من حطام الدنيا فهو قليل.

﴿أُولئك﴾ الذين يكتمون ذلك وأخذوا الأجر على الكتمان.

﴿ما يأكلون في بطونهم إلّا النار﴾ معناه أنّ أكلهم ذلك في الدنيا وإن كان طيّباً في الحال فكأنّهم لم يأكلوا إلّا النار؛ لأنّ ذلك مؤدّيهم إلى النار، كقوله في أكل مال اليتيم: ﴿إنّما يأكلون في بطونهم ناراً﴾[1].

﴿ولا يكلّمهم الله يوم القيامة﴾ عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابل[يـ]هم في الكرامة والزلفى من الله، كما قال: ﴿اخسئوا فيها ولا تكلّمون﴾[2].

﴿ولا يزكّيهم﴾ ولا يثني عليهم ولا يصفهم بأنّه أزكياء، ومن لا يثني الله عليه فهو معذّب.

﴿ولهم عذاب أليم﴾ موجع مؤلم في جهنّم.

[١٧٥] ﴿أُولئك﴾ إشارة إلى من تقدّم ذكرهم.

---

١. النساء (٤)، الآية ١٠.

٢. المؤمنون (٢٣)، الآية ١٠٣.

﴿**الذين اشتروا الضلالة بالهدى**﴾ أي: استبدلوا الكفر بالإيمان، والعذاب بالثواب في الدنيا.

﴿**والعذاب بالمغفرة**﴾ في الآخرة؛ لكتمان الحقّ للمطامع والأغراض الدنيوية، وعدولهم عمّا يوجب الجنّة إلى ما يوجب النار.

﴿**فما أصبرهم على النار**﴾ أي: ما أجرأهم على العمل الذي يقرّبهم من النار، تعجّب من حالهم في الالتباس بموجبات النار.

[١٧٦] ﴿**ذلك بأنّ الله نزّل الكتاب بالحقّ**﴾ أي: ذلك العذاب بسبب أنّ الله نزّل الكتاب بالحقّ فرفضوه بالتكذيب أو الكتمان، والمراد بالكتاب التوراة أو القرآن.

﴿**وإنّ الذين اختلفوا في الكتاب**﴾ اللام فيه إمّا للجنس، واختلافهم: إيمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعض، أو للعهد، والإشارة إمّا إلى التوراة، واختلفوا بمعنى تخلّفوا عن المنهج المستقيم في تأويلها وحرّفوا ما فيها، أو الكفّار أجمع اختلفوا في القرآن، فمنهم من قال: هو كلام السحرة، ومنهم من قال: كلام تعلّمه، ومنهم من قال: كلام تقوّله وأساطير الأوّلين.

﴿**لفي شقاق بعيد**﴾ لفي خلاف بعيد عن الحقّ والصواب، لشهادة كلّ واحد على صاحبه بالضلال.

[١٧٧] ﴿**ليس البرّ أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب**﴾ البرّ كلّ فعل مرضي، والخطاب لأهل الكتاب، فإنّهم أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حوّلت، وادّعى كلّ طائفة أنّ البرّ هو التوجّه إلى قبلته، فردّ الله عليهم وقال: ليس البرّ ما أنتم عليه فإنّه منسوخ، ولكنّ البرّ ما بيّنه الله واتّبعه المؤمنون، وقيل: عامّ لهم وللمسلمين، أي: ليس البرّ مقصوراً بأمر القبلة[١].

---

١. تفسير البيضاوي ١: ١٦٤.

﴿ولكنّ البرّ﴾ الذي ينبغي أن يهتمّ به.

﴿من آمن بالله﴾ أي: صدّق بالله وصفاته وعدله وحكمته.

﴿واليوم الآخر﴾ قال بالبعث يوم القيامة والحساب والثواب والعقاب والجنّة والنار.

﴿والملائكة﴾ بأنّهم عباد الله المكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

﴿والكتاب﴾ وجميع الكتب المنزلة من عند الله إلى أنبيائه.

﴿والنبيين﴾ كلّهم، وأنّهم معصومون، مطهّرون، صادقون فيما أدّوه إلى الخلق، وأنّ سيّدهم خاتمهم محمّد ﷺ، وأنّ شريعته ناسخة لجميع الشرائع، والتمسّك بها لازم لجميع المكلّفين إلى يوم القيامة.

﴿وآتى المال على حبّه﴾ أي: على حبّ المال، وهو أن يعطيه في سبيل الله وهو صحيح يأمل العيش ويخشى[١] الفقر، ولا يمهل حتّى إذا بلغت الحلقوم، وقيل الضمير لله، أي: حبّ الله وخالصاً لوجهه[٢].

﴿ذوي القربى﴾ قرابة المعطي، روي عن النبي ﷺ أنّه سئل عن أفضل الصدقة قال: جهد المقلّ على ذي الرحم الكاشح[٣] وقوله ﷺ لفاطمة بنت قيس لمّا قالت: يا رسول الله، إنّ لي سبعين مثقالاً من الذهب، قال: اجعليها في قرابتك[٤].

ويحتمل أن يكون أراد قرابة النبي ﷺ كما في قوله: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا

---

١. ن: مايل العيش.

٢. مجمع البيان ١: ٤٨٦ وتفسير البيضاوي ١ / ٤٥٣.

٣. مجمع البيان ١: ٤٨٧.

٤. مجمع البيان ١: ٤٨٧.

المودّة في القربى﴾[1] وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام[2].

﴿واليتامى﴾ يريد المحاويج منهم، ولم يقيّد لعدم الالتباس[3]. واليتيم من لا أب له مع الصغر.

﴿والمساكين﴾ أهل الحاجة وهم الذين أسكنهم الفقر.

﴿وابن السبيل﴾ المسافر المجتاز المنقطع به، وقيل الضيف.

﴿والسائلين﴾ الطالبين للصدقة، والذين ألجأ[ت]هم الحاجة إلى السؤال، قال النبي صلى الله عليه وآله للسائل حقّ وإن جاء على فرسه[4].

﴿وفي الرقاب﴾ عتق الرقاب بأن يشتري الرقاب وتعتق، أو بمعاونة المكاتبين، أو فكّ الأُسارى.

﴿وأقام الصلاة﴾ المفروضة، أي: أدّاها لميقاتها بحدودها.

﴿وآتى الزكاة﴾ أعطى زكاة ماله الواجبة عند محلّها، ويحتمل أن يكون المراد بالأوّل في قوله وآتى المال، نوافل الصدقات، أو حقوقاً كانت في المال سوى الزكاة، وبالثاني أداء الزكاة والحثّ عليها، وفي الحديث: نسخت الزكاة كلّ صدقة[5].

﴿والموفون بعهدهم إذا عاهدوا﴾ أي: والذين إذا عاهدوا عهداً أوفوا به، كالعهود التي بينهم وبين الله، والعقود التي بينهم وبين الناس، وكلاهما يلزم الوفاء به.

﴿والصابرين في البأساء والضرّاء﴾ نصبه على المدح ولم يعطف لفضل الصبر

---

١. الشورى (٤٢)، الآية ٢٣.
٢. مجمع البيان ١: ٤٨٧.
٣. ن: البأس.
٤. تفسير البيضاوي ج ١: ١٦٤.
٥. تفسير البيضاوي ١ / ٤٥٤.

على سائر الأعمال، وعن ابن مسعود وقتادة والزهري وجماعة: البأساء في الأموال كالفقر، والضرّاء في الأنفس كالمرض.

﴿وحين البأس﴾ وقت مجاهدة العدوّ، وعن علي عليه السلام أنّه قال: كنّا إذا احمرّ البأس اتّقينا برسول الله صلى الله عليه وآله فلم يكن أحد منّا أقرب إلى العدوّ منه[1].

﴿أُولئك الذين صدقوا﴾ في الدين واتّباع الحقّ وطلب البرّ بما التزموه علماً، وتمسّكوا به عملاً، وصدقت نيّاتهم لأعمالهم على الحقيقة.

﴿وأُولئك هم المتّقون﴾ الذين اتّقوا نار جهنّم ورجعوا عن الكفر وسائر الرذائل، والآية جامعة للكمالات الإنسانية بأسرها، [فإنّها] منحصرة في ثلاثة أشياء، صحّة الاعتقاد، وحسن المعاشرة، وتهذيب النفس، ولم يجمعها بعد النبيين إلّا أمير المؤمنين عليه السلام؛ لأنّه لا خلاف بين الأُمّة أنّه كان جامعاً لهذه الخصال فهو المراد بها.

[١٧٨] ﴿يا أيّها الذين آمنوا كتب عليكم﴾ أي: فرض عليكم وكتب في أُمّ الكتاب.

﴿القصاص في القتلى﴾ بأن يفعل بالقاتل ما فعله بالمقتول إذا كان القتل عمداً.

﴿الحرّ بالحرّ والعبد بالعبد والأُنثى بالأُنثى﴾ كان في الجاهلية بين حيين من أحياء العرب دماء، وكان لأحدهما طول على الآخر، فأقسموا لنقتلنّ الحرّ منكم بالعبد، والذكر بالأُنثى، فلمّا جاء الإسلام تحاكموا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فنزلت وأمرهم أن يتساووا[2]، وقال الصادق عليه السلام: لا يقتل حرّ بعبد، ولكن يضرب ضرباً شديداً، ويغرم ديّة العبد[3]، وهذا مذهب الشافعي، وقال في شعره:

---

١. مجمع البيان ١: ٤٨٨.
٢. تفسير البيضاوي ج ١: ١٦٥.
٣. مجمع البيان ١: ٤٩١.

خـــذوا بـدمي هـذا الغـزال فـإنّه رماني بسهمي مـقلتيه عـلى عـمد
ولا تــــقتلوه إنّــنى أنــا عـــبده وفي مذهبي لا يقتل الحرّ بالعبد(١)

سواء كان عبده أو عبد غيره، لما روى علي عليه السلام أنّ رجلاً قتل عـبده، فـجلده رسول الله صلى الله عليه وآله، ونفاه سنة، ولم يقده [به]، و[روي عنه أنّه] قال: من السنّة أن لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حرّ بعبد(٢). وإن قتل رجل امرأة فأراد أولياؤها أن يقتلوه أدّوا نصف ديّته إلى أهله وهذا هو حقيقة المساواة فإنّ نفس المـرأة لا تسـاوي نـفس الرجل بل هي على النصف منها، فيجب إذا أُخذت النفس الكاملة بالناقصة أن يردّ فضل ما بينهما، كذلك روي عن علي عليه السلام، ويجوز قتل العبد بالحرّ والأُنثى بالذكر إجماعاً.

﴿فمن عفي له من أخيه شيء﴾ أي: من ترك أو صفح عنه من الواجب عليه، وهو القصاص في قتل العمد، من دم أخيه المقتول، سمّاه أخاً للقاتل على أنّ إخوة الإسلام بينهما لا تنقطع بالقتل، وأنّ القاتل لا يخرج عـن الإيـمان بـقتله، وقـوله «شيء» دليل على أنّ بعض الأولياء إذا عفا سقط القود؛ لأنّ شيئاً من الدم قد بطل بعفو البعض فهو كالعفو التامّ في إسقاط القصاص أو رضى منه بالدية وترك القتل.

﴿فاتّباع بالمعروف﴾ أي: فعلى العافي عن القصاص أن لا يشدّد في الطـلب، ويمهل الجاني إن كان معسراً، ولا يطالبه بالزيادة على حقّه.

﴿وأداء إليه بإحسان﴾ وهو أن يدفع الديّة عند الإمكان من غير مطل ولا بخس،

---

١. رسالة الطيف للإربلي ٣ مع الترديد في قائله بين الشافعي وغيره، ويتيمة الدهـر ١ / ٢٨ ونسبه إلى بعض آل حمدان مع مغايرة في المصراع الأخير، وورد في مصادر أُخرى متأخرة فنسب تارة إلى أبي الفتح البستي وتارة إلى الشافعي.

٢. تفسير البيضاوي ج ١: ١٦٥.

وبه قال ابن عبّاس والحسن وقتادة ومجاهد وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام[١].

﴿ذلك﴾ أي: الحكم المذكور في العفو والديّة.

﴿تخفيف من ربّكم ورحمة﴾ لما فيه من التسهيل والنفع بأن جعل لكم القصاص أو الديّة والعفو وخيّركم بينها، وكان كتب على اليهود القصاص وحده، وعلى النصارى العفو مطلقاً، وخيّر هذه الأُمّة بينهما وبين الديّة تيسيراً عليهم وتقريراً للحكم على حسب مراتبهم.

﴿فمن اعتدى بعد ذلك﴾ بأن قتل قاتل وليّه بعد العفو وأخذ الدية، عن ابن عبّاس والحسن وقتادة ومجاهد، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، وقيل بأن قتل غير قاتله، أو طلب أكثر ممّا وجب له من الديّة[٢].

﴿فله عذاب أليم﴾ في الآخرة، وقيل: في الدنيا بأن يقتل لا محالة، لقوله عليه السلام: لا أُعافي أحداً قتل بعد أخذ الديّة[٣].

[١٧٩] ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ كلام في غاية الفصاحة والبلاغة، من حيث جعل الشيء محلّ ضدّه، وعرّف القصاص ونكّر الحياة، ليدلّ على أنّ في هذا الخير من الحكم نوعاً من الحياة عظيماً، وذلك لأنّ العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حياة نفسين، ولأنّهم كانوا قبل الإسلام يقتلون بالواحد الجماعة وبالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة بينهم، فإذا اقتصر من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سبب لحياتهم ويردع أهل السفه من القتل، وقد أجمع أرباب المعاني والبيان أنّ أوجز كلمة كانت العرب تستعملها قولهم القتل أنفى للقتل، فلمّا نزل قوله تعالى: ﴿ولكم

١. مجمع البيان ١: ٤٩٠.
٢. مجمع البيان ١: ٤٩١.
٣. تفسير البيضاوي ١: ١٦٦.

في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾ أي: يا ذو العقول الكاملة أذعنوا له برجحانه.

وكشفه وبيانه ورجحانه [من] خمسة وجوه: الأوّل: أنّه عري من تكرار اللفظ، وقولهم تكرّر فيه لفظ القتل فانحطّت رتبته.

الثاني: أنّه أخصر وأقلّ عدداً من حروف قولهم.

الثالث: أنّه أحسن تأليفاً في المنطق، فإنّ الخروج من الفاء إلى اللام أعدل في الخروج من اللام إلى الهمزة، لبعد ما بين المخرجين، والخروج من الصاد إلى الحاء أعدل في الخروج من الألف إلى اللام.

الرابع: اشتماله على الاتّصال بذكر القصاص الدالّ على المساواة، فإنّه مأخوذ من التساوي، ومنه سمّي المقصّ مقصّاً لاستواء جانبيه، ولا كذلك قولهم.

الخامس: تصريحه بالفرض المطلوب وهو الحياة بخلاف قولهم، فظهر بذلك تفضيل أدلّة الرجحان وشرف علمي المعاني والبيان وقد أخذ الشاعر هذا المعنى فقال:

أبلغ أبا مسمع عنّي مغلغلة وفي العتاب حياة بين أقوام[1]

﴿[يا أولي الألباب] لعلّكم تتقون﴾ في المحافظة على القصاص والحكم به والإذعان له، أو تتقون القتل بالخوف من القصاص.

[١٨٠] ﴿كتب عليكم إذا حضر أحدَكم الموتُ﴾ أي: حضر أسبابه وظهر أماراته من مرض ونحوه قبل أن يعاين البأس وملك الموت؛ لأنّ تلك الحالة تشغله عن الوصية.

﴿إن ترك خيراً﴾ أي: مالاً، وقيل: مالاً كثيراً، لما روي عن علي عليه السلام، أنّ مولى له

١. مجمع البيان ١ / ٤٥٩.

أراد أن يوصي وله سبعمئة درهم فمنعه، وقال: إنّما قال الله سبحانه إن ترك خيراً والخير هو المال الكثير وليس لك كثير مال، قال ابن عبّاس: المال الذي يجب الوصية عنده ثمانمئة درهم، وقيل: ألف درهم[١]، وعن عائشة أنّ رجلاً أراد أن يوصي فسألته كم مالك؟ فقال: ثلاثة آلاف، فقالت: كم عيالك؟ قال: أربعة، قالت: إنّما قال الله إن ترك خيراً وإنّ هذا شيء يسير فاتركه لعيالك[٢].

﴿الوصية للوالدين والأقربين﴾ أي: الوصية لوالديه وقرابته.

﴿بالمعروف﴾ أي: بالشيء الذي يعرف أهل التميز أنّه لا جور فيه ولا حيف ولا يتجاوز الثلث، قيل: هذا الحكم في بدء الإسلام فنسخ بآية المواريث، وبقوله عليه الصلاة والسلام: إنّ الله أعطى كلّ ذي حقّ حقّه ألا لا وصيّة لوارث[٣]. وفيه نظر؛ لأنّ آية المواريث لا تعارضه بل تؤكّده، من حيث إنّها تدلّ على تقديم الوصية مطلقاً، والحديث من الآحاد، وتلقّي الأُمّة لها بالقبول لا يلحقه بالمتواتر.

وعن أبي جعفر عليه السلام أنّه سئل هل تجوز الوصية للوارث؟ قال: نعم وتلا هذه الآية.

وعن علي عليه السلام أنّه قال: من لم يوص عند موته لذوي قرابته ممّن لا يرث فقد ختم عمله بمعصية.

وعن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: من مات بغير وصية مات ميتة جاهلية.

وعنه عليه السلام: من لم يحسن وصيته عند موته كان نقصاً في مروّته.

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: لا ينبغي لامرئ مسلم أن يبيت إلّا ووصيته تحت

---

١. مجمع البيان ١: ٤٩٣.

٢. تفسير البيضاوي ١ / ٤٥٩.

٣. تفسير البيضاوي ١: ١٦٧.

رأسه[١].

﴿حقّاً على المتّقين﴾ أي: هذا الحكم حقّاً واجباً على من أقوى التقوى وهـذا تأكيد في الوجوب.

[١٨١] ﴿فمن بدّله﴾ أي: من بدّل الوصية وغـيره مـن الأوصـياء والأوليـاء والشهود، والتبديل تغيير الشيء عن الحقّ فيه بأن يوضع غيره في موضعه.

﴿بعد ما سمعه﴾ من الموصي الميّت ووصل إليه وتحقّق عنده.

﴿فإنّما إثمه﴾ أي: إثم التبديل.

﴿على الذين يبدّلونه﴾ [فما إثم الإيصاء المغيَّر أو التبديل][٢] إلّا على مبدّليه الذين خانوا وخالفوا الشرع بتبديل الوصية وهو الموصى.

﴿إنّ الله سميع﴾ بما قاله الموصي من العدل أو الحيف.

﴿عليم﴾ بما يفعله الوصي من التصحيح أو التبديل، وعيد للمبدّل بغير حقّ.

[١٨٢] ﴿فمن خاف من موصٍ جنفاً﴾ أي: من خشي منه ميلاً عن الحقّ بالخطأ في الوصية، بأن يوصي بأزيد من ثلث ماله، أو أن يوصي في غير قرابته.

﴿أو إثماً﴾ تعمّداً للحيف بالميل عن الحقّ على وجه العمد، والجنف أن يكون على جهة الخطأ من حيث لا يدري أنّه يجوز.[٣]

﴿فأصلح بينهم﴾ أي: بين الموصى لهم، بإجرائهم على نهج الشرع وردّ الوصية إلى الحقّ.

﴿فلا إثم عليه﴾ في هذا التبديل، لأنّه تبديل باطل إلى حقّ، بخلاف الأوّل، لأنّه

---

١. مجمع البيان ١: ٤٩٤.

٢. من البيضاوي ١ / ٤٦٠.

٣. في النسخة ومجمع البيان: يجوز، وفي التبيان: لا يجوز.

متوسّط مريد للإصلاح، وإنّما قال فلا إثم عليه ولم يقل يستحقّ الأجر، لأنّ المتوسّط إنّما يجري أمره في الغالب على أن ينقص صاحب الحقّ بعض حقّه بسؤاله إيّاه، فبيّن سبحانه لنا أن لا إثم عليه في ذلك إذا قصد الإصلاح.

﴿إنّ الله غفور رحيم﴾ يعني إذا كان يغفر الذنوب ويرحم المذنب فالأولى أن يكون كذلك ولا ذنب، وعن رسول الله ﷺ أنّه قال: من حضره الموت فوضع وصيته على كتاب الله كان ذلك كفّارة لما ضيّع من زكاته في حياته[1].

[١٨٣] ﴿يا أيّها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام﴾ إنّما خصّ المؤمنين بالخطاب، لقبولهم لذلك، ولأنّ العبادة لا تصحّ إلّا منهم، ووجوبه عليهم لا ينافي وجوبه على غيرهم.

﴿كما كتب على الذين من قبلكم﴾ يعني الأنبياء والأُمم من لدن آدم، وقيل: المراد بالذين من قبلكم النصارى، لأنّه فرض علينا صوم شهر رمضان بالمدينة سنة اثنين من الهجرة، كما كان فرض صوم شهر رمضان على النصارى، وكان يتّفق ذلك في الحرّ الشديد فحوّلوا إلى الربيع وزادوا في عدده، أو كان الصوم علينا كالصوم عليهم، إذا صام النائم حرم عليه الأكل والشرب، ثمّ نسخ ذلك عنّا بقوله: ﴿كلوا واشربوا حتّى يتبيّن الخيط الأبيض﴾[2] وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس، والصوم في اللغة الإمساك عمّا تنازع إليه النفس، وفي الشرع الإمساك عن المفطرات، فإنّها معظم ما تشتهيه الأنفس.

﴿لعلكم تتّقون﴾ أي: لكي تتّقوا المعاصي بفعل الصوم، فإنّ الصوم يكسر الشهوة

---

١. مجمع البيان ١: ٤٩٧، وتفسير البيضاوي ١ / ٤٦٠.
٢. البقرة (٢)، الآية ١٨٧.

التي هي مبدأ المعاصي، عن النبي ﷺ أنّه قال: (خصاء[١] أُمّتي الصوم) فإنّ الصوم يكسر الشهوة. وسأل هشام بن الحكم أبا عبد الله عليه السلام عن علّة الصيام، فقال: إنّما فرض الصيام ليستوي به الغني والفقير، وذلك أنّ الغني لم يكن يجد مسّ الجوع فيرحم الفقير، فأراد الله سبحانه أن يذيق الغني مسّ الجوع ليرقّ على الضعيف ويرحم الجائع[٢].

[١٨٤] ﴿أيّاماً معدودات﴾ موقّتات بعدد معلوم، أو قلائل، كما قال سبحانه: ﴿دراهم معدودة﴾[٣] يريد أنّها قليلة والمراد بها شهر رمضان، وما وجب صوم قبل وجوبه ونسخ به وهو صوم عاشوراء وثلاثة أيّام من كلّ شهر.

﴿فمن كان منكم مريضاً﴾ مرضاً يضرّ[ه] الصوم [أو] يعسر معه.

﴿أو على سفر﴾ أو راكب سفر، وفيه إيماء بأنّ من سافر في أثناء اليوم لم يفطر[٤].

وقد ذهب إلى وجوب الإفطار في السفر جماعة من الصحابة، كعمر وابنه عبد الله وعبد الله بن عبّاس وعبد الرحمان بن عوف وأبي هريرة وعروة بن الزبير، وهو المروي عن أئمّتنا عليهم السلام.

وعن عمر أنّه أمر رجلاً صام في السفر أن يعيد صومه.

وعن يوسف بن الحكم قال: سألت ابن عمر عن الصوم في السفر فقال: أرأيت لو

١. ن: حضر.

٢. مجمع البيان ٢: ٦، وتفسير البيضاوي ١ / ٤٦١. والحديث الأخير تجده أيضاً في فضائل الأشهر الثلاثة ١٠٢: ٨٨.

٣. يوسف (١٢)، الآية ٢٠.

٤. تفسير البيضاوي ١ / ٤٦٢.

تصدّقت على رجل صدقة فردّها عليك ألا تغضب فإنّها صدقة من الله تصدّق بها عليك.

وعن رسول الله ﷺ: الصائم[١] في السفر كالمفطر في الحضر.

وعنه عليه السلام أنّه قال: من سافر أفطر وقصّر إلّا أن يكون سفره إلى صيد أو معصية الله[٢].

﴿فعدّة من أيّام أُخر﴾ أي: فعليه صوم عدّة أيّام المرض أو السفر من أيّام شهر آخر، شهر غير رمضان يصوم عدد ما أفطر في المرض والسفر، وفيه دلالة على أنّ المريض والمسافر يجب عليهما الإفطار؛ لأنّ الله سبحانه أوجب القضاء بنفس المرض والسفر فمن صام فيهما فقد خالف الظاهر.

﴿وعلى الذين يطيقونه﴾ الهاء تعود إلى الصوم عند أكثر أهل العلم، أي: يطيقون الصوم، خيّرهم الله بين أن يصوموا ولا يكفّروا، وبين أن يفطروا ويكفّروا، وقيل إنّ الهاء تعود إلى الفداء، أي: وعلى المطيقين للصيام إن أفطروا.

﴿فدية طعام مسكين﴾ أي: يطعم كلّ يوم أفطر فيه مسكيناً نصف صاع من برّ أو صاع من غيره عند فقهاء العراق، ومدّ عند فقهاء الحجاز، رخّص لهم في ذلك أوّل الأمر لمّا أُمروا بالصوم فاشتدّ عليهم؛ لأنّهم لم[٣] يتعوّدوه ثمّ نسخ، وقيل: إنّ الرخصة كانت للحوامل والمراضع والشيخ الفاني ثمّ نسخ.

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: على الذين كانوا يطيقون الصوم ثمّ أصابهم الكبر

---

١. ن: الصيام. وأثبتناه حسب مجمع البيان.
٢. مجمع البيان ٢: ١٠.
٣. ن: لا. وأثبتناه حسب تفسير البيضاوي ١ / ٤٦٢.

أو عطاش وشبه ذلك فعليهم كلّ يوم مدّ[١].

﴿فمن تطوّع خيراً﴾ فزاد في الفدية بأن أطعم أكثر من مسكين واحد، أو بزيادة الإطعام حتّى يزيده على نصف صاع.

﴿فهو﴾ فالتطوّع في الإفطار.

﴿خير له وأن تصوموا خير لكم﴾ من الفدية وتطوّع الخير، أو منه[م]ا ومن التأخير للقضاء، وكان هذا مع جواز الفدية فأمّا بعد النسخ فلا، وقيل: معناه الصوم خير لمطيقيه وأفضل ثواباً من التكفير لمن أفطر بالعجز.

﴿إن كنتم تعلمون﴾ ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمّة أو إن كنتم من أهل العلم والتدبّر علمتم أنّ الصوم خير لكم من الفدية.

[١٨٥] ﴿شهر رمضان﴾ مبتدأ خبره ما بعده، أو خبر [مبتدأ] محذوف تقديره ذلكم الأيّام المعدودات شهر رمضان، [أو بدل من الصيام على حذف المضاف][٢] أي: كتب عليكم صيام شهر رمضان، سمّي رمضان لشدّة الحرّ الذي كان.

﴿الذي أُنزل فيه القرآن﴾ أي: ابتدئ فيه إنزاله، وكان ذلك ليلة القدر، أو أُنزل فيه جملة إلى سماء الدنيا ثمّ أُنزل على النبي ﷺ بعد ذلك نجوماً في ثلاث وعشرين سنة.

وعن النبي ﷺ أنّه قال: أُنزلت صحف إبراهيم في أوّل ليلة من رمضان وأُنزلت التوراة لستّ مضين منه وأُنزل القرآن لأربع وعشرين ليلة منه[٣].

﴿هدى للناس﴾ أي: هادياً لهم بما فيه من العلوم الربّانية.

---

١. مجمع البيان ٢: ١٠.
٢. من تفسير البيضاوي ١ / ٤٦٣.
٣. مجمع البيان ٢: ١٤.

﴿وبيّنات من الهدى والفرقان﴾ حالان من القرآن، أي: أُنزل وهو هداية للناس بإعجازه، وآيات واضحات ممّا يهدي إلى الحقّ ويفرّق بينه وبين الباطل، أو أنّ المراد بالهدى الأوّل الهدى من الضلالة، وبالثاني بيان الحلال والحرام.

وعن أبي عبد الله عليه‌السلام أنّه قال: القرآن جملة الكتاب والفرقان المحكم الواجب العمل به.

﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ أي: فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافراً فليصم فيه، ومن سافر فيه فليفطر، وقيل: فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه، وعن علي وابن عبّاس ومجاهد وجماعة من المفسّرين أنّهم قالوا: من شهد الشهر بأن دخل عليه الشهر وهو حاضر، فعليه أن يصوم الشهر كلّه[1].

﴿ومن كان مريضاً﴾ يضرّه الصوم.

﴿أو على سفر فعدّة من أيّام أُخر﴾ مخصّصاً له؛ لأنّ المسافر والمريض ممّن[2] شاهد الشهر، ولعلّ تكريره لذلك، أو لئلّا يتوهّم نسخه كما نسخ قرينه.

قال أبو بصير: سألت أبا عبد الله عليه‌السلام عن حدّ المرض الذي يجب على صاحبه فيه الإفطار، قال: هو مؤتمن عليه مفوّض إليه، فإن وجد ضعفاً فليفطر وإن وجد قوّة فليصم.

وروي أنّ ذلك كلّ مرض لا يقدر معه على القيام بمقدار زمان صلاته.

وأمّا السفر الذي يوجب الإفطار عندنا فما كان مباحاً أو طاعة وكانت المسافة ثمانية فراسخ أربعة وعشرين ميلاً، وعند الشافعي ستّة عشر فرسخاً، وعند أبي حنيفة أربعة وعشرين فرسخاً.

---

١. مجمع البيان ٢: ١٦، وتفسير البيضاوي ١ / ٤٦٥.

٢. ن: ممّا. وفي البيضاوي: ممن شهد الشهر.

﴿يريد الله بكم اليسر﴾ أي: التخفيف والتسهيل.

﴿ولا يريد بكم العسر﴾ أي: الشدّة والمشقّة؛ فلذلك أباح لكم الفطر للسفر والمرض.

﴿ولتكملوا العدّة﴾ التي وجب عليكم صيامها، واختلف في وقتها، فقال الحسن وجماعة: هي على التضييق إذا برأ المريض أو قدم المسافر، وقال أبو حنيفة: موسّع فيها، وعندنا موقّت بما بين رمضانين، ويجوز متتابعاً ومتفرّقاً والتتابع أفضل، فإنّ فرط حتّى لحقه رمضان آخر لزمته الفدية والقضاء، وبه قال الشافعي[1].

﴿ولتكبّروا الله على ما هداكم ولعلّكم تشكرون﴾ أي: وشرّع جملة ما ذكر من المشاهد لصوم الشهر، والمرخّص بالقضاء ومراعاة عدّة ما أفطر فيه، والترخيص، لتكلموا العدّة بمراعاة العدد، ولتكبّروا الله علّة الأمر بالقضاء وبيان كيفيته، والمراد به تكبير ليلة الفطر عقيب أربع صلوات المغرب والعشاء والغداة وصلاة العيد، أو المراد به تعظيم الله بالحمد والثناء عليه، على ما أرشدكم له من شرائع الدين، أو التكبير عند الإهلال لتشكروا الله على نعمه.

[١٨٦] ﴿وإذا سألك عبادي عنّي﴾ الأقرب أن يكون السؤال عن صفته سبحانه لا عن فعله، لقوله:

﴿فإنّي قريب﴾ أي: فقل لهم إنّي قريب، تمثيل لكمال علمه بأفعال العباد وأقوالهم واطّلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه منهم، روي أنّ أعرابياً قال لرسول الله ﷺ: أقريب ربّنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت، وقال قتادة: نزلت جواباً لقوم سألوا النبي ﷺ: كيف ندعو؟ [و]قيل: معناه إنّي سريع الإجابة.

---

١. مجمع البيان ٢: ١٦.

﴿أُجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ تقرير للقرب ووعد للداعي بالإجابة.

﴿فليستجيبوا لي﴾ إذا دعوتهم للإيمان والطاعة، كما أجيبهم لمهامّهم إذ دعوني، عن النبي ﷺ أنّه قال: أعجز الناس من عجز عن الدعاء وأبخل الناس من بخل بالسلام.

﴿وليؤمنوا بي﴾ أي: وليصدّقوا بجميع ما أنزلته، أمر بالثبات والمداومة، عليه أو ليتحقّق أنّي قادر على إعطائهم ما سألوه، عن أبي عبد الله عليه السلام.

﴿لعلّهم يرشدون﴾ راجين إصابة الحقّ ويهتدون إليه، [واعلم أنّه] لمّا أمرهم بصوم الشهر ومراعاة العدّة والتكبير والشكر، عقّبه بهذه الآية الدالّة على أنّه تعالى خبير بأحوالهم، سميع لأقوالهم، مجيب لدعائهم، مجازيهم على أعمالهم.(١)

عن النبي ﷺ أنّه قال: ما من مسلم دعا الله سبحانه بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم إلّا أعطاه الله بها إحدى خصال ثلاث: إمّا أن يعجّل دعوته، وإمّا أن يدّخر له في الآخرة، وإمّا أن يدفع عنه من السوء مثلها.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: ربّما أُخّرت عن العبد إجابة الدعاء ليكون أعظم لأجر السائل وأجزل لعطاء الآمل.

وقيل لإبراهيم بن أدهم: ما بالنا ندعو الله سبحانه فلا يستجيب لنا؟ فقال: لأنّكم عرفتم الله فلم تطيعوه، وعرفتم الرسول فلم تتّبعوا سنّته، وعرفتم القرآن فلم تعملوا بما فيه، وأكلتم نعمة الله فلم تؤدّوا شكرها، وعرفتم الجنّة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدّوا له، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا بهم، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ١٧١، ومجمع البيان ٢ / ١٨.

الناس[١].

[١٨٧] ﴿أُحلّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾ الرفث كناية عن الجماع، روي أنّ المسلمين كانوا إذا أمسوا حلّ لهم الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلّوا العشاء، أو يرقدوا، ثمّ إنّ عمر باشر بعد العشاء فنزلت[٢].

وقال الصادق عليه السلام: كان الأكل محرّماً في شهر رمضان بالليل بعد النوم، وكان النكاح حراماً بالليل والنهار في شهر رمضان، وكان رجل من الصحابة يقال له: مطعم بن جبير صائماً فأبطأت عليه أهله بالطعام فنام قبل أن يفطر فلمّا انتبه قال لأهله: قد حرم عليّ الأكل فبات طاوياً فلمّا أصبح حضر حفر الخندق فأُغمي عليه فرآه رسول الله صلى الله عليه وآله فرقّ له، وكان قوم من الشبّان ينكحون بالليل سرّاً في شهر رمضان، فأنزل الله هذه الآية وأحلّ النكاح بالليل في شهر رمضان والأكل بعد النوم إلى طلوع الفجر[٣].

﴿هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهنّ﴾ أي: سكن لكم وأنتم سكن لهنّ، كما قال: ﴿وجعلنا الليل لباساً﴾[٤] كلا الزوجين كاللباس لصاحبه عند التجرّد للنوم؛ لكثرة المخالطة وشدّة الملابسة والمعانقة قال الجعدي:

إذا ما الضجيع ثنا عطفها   تثنّت فكانت عليه لباسا

أو لأنّ كلّاً منهما يستر حال صاحبه ويمنعه عن الفجر.

﴿علم الله أنّكم كنتم تختانون أنفسكم﴾ أي: تظلمونها بتعريضها للعقاب،

١. مجمع البيان ٢: ١٩.
٢. تفسير البيضاوي ج ١: ١٧٢.
٣. مجمع البيان ٢: ٢١.
٤. النبأ (٧٨)، الآية ١٠.

وتنقيص حظّها من الثواب بما تصيبون من الطعام والشراب بعد الرقاد، والاختيان أبلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب.

﴿فتاب عليكم﴾ لمّا تبتم ممّا اقترفتموه فرخّص لكم وأزال الحرج والشدائد عليكم.

﴿وعفا عنكم﴾ أي: ومحا عنكم أثره، وغفر لكم ما سلف من ذنوبكم، وقبل توبتكم.

﴿فالآن باشروهنّ﴾ بالليل، كناية عن النكاح، لما نسخ عنكم التحريم، وأصل المباشرة ملاقاة بشرة الرجل وبشرة المرأة.

﴿وابتغوا ما كتب الله لكم﴾ أي: واطلبوا ما قرّره لكم وأثبته في اللوح من الولد، والمعنى: أنّ المباشر ينبغي أن يكون غرضه الولد، فإنّه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر، وقيل: النهي عن العزل، أو عن غير المأتي[1] والتقدير وابتغوا المحلّ الذي كتب الله لكم من الحلال الذي بيّنه في كتابه.

﴿وكلوا واشربوا﴾ في ليالي الصوم.

﴿حتّى يتبيّن لكم﴾ أي: يظهر ويتميّز لكم على التحقيق.

﴿الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ أي: حتّى يتبيّن لكم ضوء النهار بطلوع الفجر المعترض في الأُفق من سواد الليل وظلمته.

روي أنّ عدي بن حاتم قال للنبي ﷺ: إنّي وضعت خيطين من شعر أبيض وأسود فكنتُ أنظر فيهما وآكل فلا [ي]تبيّن لي فضحك رسول الله ﷺ حتّى رؤي نواجذه ثمّ قال: يا ابن حاتم إنّما ذلك بياض النهار وسواد الليل فابتداء الصوم من

١. تفسير البيضاوي ١: ١٧٢.

هذا الوقت[١] فنزلت الآية وبيّن سبحانه الإبهام، فقال:

﴿ثمّ أتمّوا الصيام إلى الليل﴾ إلى غروب الشمس، وعلامة دخوله على الأحوط ذهاب الحمرة من جانب المشرق.

﴿ولا تباشروهنّ﴾ أي: لا تجامعوا النساء في ليل ولا نهار.

﴿وأنتم عاكفون في المساجد﴾ أي: وأنتم معتكفون فيها، والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد القربة، والمراد بالمباشرة الوطء، وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج إلى امرأته فيباشرها ثمّ يرجع فنهوا عن ذلك، وفيه دليل على أنّ الاعتكاف يكون في المسجد، ولا يختصّ بمسجد دون مسجد، وأنّ الوطي يحرم فيه ويفسده؛ لأنّ النهي في العبادات يوجب الفساد[٢]، وعندنا لا يصحّ الاعتكاف إلّا في المساجد الأربعة: المسجد الحرام، ومسجد النبي ﷺ، ومسجد الكوفة، ومسجد البصرة، وعند سائر الفقهاء يجوز في سائر المساجد، إلّا أنّ مالكاً قال: إنّه يختصّ بالجامع، ولا يصحّ الاعتكاف عندنا إلّا بصوم، وبه قال أبو حنيفة ومالك، وعند الشافعي يصحّ بغير صوم، وعندنا لا يكون إلّا ثلاثة أيّام، وعند أبو حنيفة يوم واحد، وعند مالك عشرة أيّام، وعند الشافعي ما شاء ولو ساعة واحدة[٣].

﴿تلك حدود الله﴾ أي: الأحكام التي ذكرت حرمات الله التي منع منها.

﴿فلا تقربوها﴾ نهى أن يقرب الحدّ الحاجز لئلّا يداني الباطل فضلاً [عن أن] يتخطّى، كما قال عليه السلام: إنّ لكلّ ملك حمى وإنّ حمى الله محارمه فمن يرتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه، وهو أبلغ من قوله: فلا تعتدوها.

---

١. مجمع البيان ٢: ٢٣.
٢. تفسير البيضاوي ١ / ٤٧١.
٣. مجمع البيان ٢: ٢٤.

﴿كذلك﴾ أي: مثل ذلك التبيّن.

﴿يبيّن الله آياته للناس﴾ رحمة عليهم وهداية لهم.

﴿لعلّهم يتّقون﴾ مخالفة الأوامر والنواهي.[١]

[١٨٨] ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ أي: ولا يأكل بعضكم مال بعض بالظلم والغصب، أي: على الوجه الذي لم يحبّه[٢] الله كاللهو واللعب والقمار واليمين الكاذبة.

﴿وتدلوا بها إلى الحكّام﴾ وتلقوا بها إلى القضاة. والإدلاء الإلقاء.

﴿لتأكلوا﴾ بالتحاكم.

﴿فريقاً﴾ طائفة.

﴿من أموال الناس بالإثم﴾ بما يوجب إثماً كشهادة الزور واليمين الكاذبة، أو متلبّسين بالإثم.

﴿وأنتم تعلمون﴾ أنّكم مبطلون، فإنّ ارتكاب المعصية مع العلم بها أقبح.

روي أنّ عبدان الحضرمي ادّعى على امرئ القيس الكندي قطعة أرض ولم يكن له بيّنة فحكم رسول الله ﷺ بأن يحلف امرؤ القيس، فهمّ به، فقرأ رسول الله ﷺ: ﴿إنّ الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً﴾[٣] فارتدع من اليمين وسلّم الأرض إلى عبدان فنزلت، وهي دليل على أنّ حكم القاضي لا ينفذ باطناً[٤].

[١٨٩] ﴿يسألونك عن الأهلّة﴾ عن أحوال الأهلّة في زيادتها ونقصانها ووجه

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٤٧٢.
٢. في البيضاوي: يبحه.
٣. آل عمران (٣)، الآية ٧٧.
٤. تفسير البيضاوي ١ / ١٧٣.

الحكمة فيها، سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا: ما بال الهلال يبدو دقيقاً كالخيط ثمّ يزيد حتّى يستوي ثمّ لا يزال ينقص حتّى يعود كما بدأ.

﴿قل هي مواقيت للناس والحجّ﴾ يحتاجون إليها في صومهم، وفطرهم، وعدد نسائهم، ومحلّ ديونهم، وحجّهم، فإنّهم سألوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدّل أمره، [فأمره] الله بأن يجيب: بأنّ الحكمة الظاهرة في ذلك، أن تكون معالم الناس، يؤقّتون بها أُمورهم، ومعالم للعبادات المؤقّتة يعرف بها أوقاتها، وخصوصاً الحجّ، فإنّ الوقت مراعى فيه أداء وقضاء، والمواقيت جمع ميقات من الوقت، والفرق بينه وبين المدّة والزمان، أنّ المدّة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها إلى منتهاها، والزمان مدّة مقسومة والوقت الزمان المفروض لأمرٍ. وفيه أوضح دلالة على أنّ الصوم لا يثبت بالعدد، وإنّما يثبت بالهلال.

﴿وليس البرّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ كانت العرب والأنصار إذا أحرموا لم يدخلوا داراً ولا فسطاطاً من بابه، وإنّما يدخلون ويخرجون من نقب أو فرجة وراءه ويعدّون ذلك برّاً، فبيّن لهم أنّه ليس ببرّ.

﴿ولكنّ البرّ من اتّقى﴾ المحارم والشهوات.

﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾ إذ ليس في العدول برّاً، وباشروا الأُمور من وجوهها، وقيل: البيوت بيوت العلم الذي استودعته الأنبياء وأبوابها أوصياؤهم، ويؤيّده قوله ﷺ: أنا مدينة العلم وعلي بابها ولا تؤتى المدينة إلّا من بابها.

﴿واتّقوا الله﴾ في تغيير أحكامه والاعتراض على أفعاله.

﴿لعلّكم تفلحون﴾ لكي تظفروا بالهدى والبرّ بالوصول إلى ثوابه.[1]

١. مجمع البيان ٢ / ٢٧؛ تفسير البيضاوي ١ / ١٧٤.

[١٩٠] ﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾ جاهدوا لإعلاء كلمته وإعزاز دينه.

﴿الذين يقاتلونكم﴾ قيل: كان ذلك قبل أن أُمروا بقتال المشركين كافّة، أو الذين يناصبونكم القتال منهم، دون غيرهم من النساء والأطفال والهرمى، ويؤيّد الأوّل ما روي أنّ المشركين صدّوا رسول الله ﷺ عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع من عامه ويعود من القابل[١] فيخلوا له مكّة ثلاثة أيّام، فرجع إلى المدينة وعاد من القابل لعمرة القضاء وخاف المسلمون أن لا تفي لهم قريش بذلك ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت.

﴿ولا تعتدوا﴾ بابتداء القتال أو بقتال المعاهد والمفاجأة به من غير دعوة، أو المثلة وقتل من نهيتم عن قتله.

﴿إنّ الله لا يحبّ المعتدين﴾ لا يريد بهم الخير، واختلف في الآية هل هي منسوخة أم لا؟[٢]

[١٩١] ﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾ حيث وجدتموهم في حلّ أو حرم. وأصل الثقف الحدق في إدراك الشيء علماً كان أو عملاً، وهو يتضمّن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها، كما قيل:

فإمّا تثقفوني فاقتلوني فمن أثقف فليس إلى خلود

أي: ليس صابر إلى البقاء.

﴿وأخرجوهم﴾ من مكّة.

﴿من حيث أخرجوكم﴾ منها إلى المدينة، وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح.

﴿والفتنة أشدّ من القتل﴾ أي: المحنة التي يفتتن بها الإنسان كالإخراج من

---

١. ن: القتال.

٢. مجمع البيان ٢ / ٢٨؛ تفسير البيضاوي ١ / ١٧٥.

الوطن أصعب عليه من القتل، لدوام تبعتها وتألّم النفس بها، وقيل معناه شركهم في الحرم وصدّهم إيّاكم عنه أشدّ خطأ من قتلكم إيّاهم فيه.

﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام﴾ لا تفاتحوهم بالقتال في الحرم وهتك حرمة المسجد الحرام.

﴿حتّى يقاتلوكم فيه﴾ أي: حتّى يبتدء المشركون بالقتال في الحرم وفي المسجد الحرام.

﴿فإن قاتلوكم فاقتلوهم﴾ فلا تبالوا بقتالهم ثمّة، فإنّهم هم الذين هتكوا حرمته، ولهذا نهى رسول الله ﷺ عن القتال يوم الفتح، فلم يقاتل إلّا خالد بن الوليد لقيه جماعة من المشركين فرموه بالنبل، فقاتلهم وقتل منهم ثمانية وعشرين رجلاً وقتل من المسلمين رجلان، وكان الفتح يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان سنة ثمان.

﴿كذلك جزاء الكافرين﴾ أي: مثل ذلك جزاؤهم، يفعل بهم مثل ما فعلوا، وأن يقتلوا حيث ما وجدوا، لقوله عليه السلام: لا يجتمع في جزيرة العرب دينان.

[١٩٢] ﴿فإن انتهوا﴾ عن القتال والكفر، بالتوبة ودخول الإسلام.[١]

﴿فإنّ الله غفور رحيم﴾ يغفر لهم ما قد سلف ويرحمهم، وفيه دلالة على أنّه يقبل توبة القاتل عمداً؛ لأنّه بيّن سبحانه أنّه يقبل توبة المشرك والشرك أعظم من القتل.

[١٩٣] ﴿وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة﴾ أي: شرك وعبادة غير الله.

﴿ويكون الدين لله﴾ أي: الطاعة والانقياد لأمر الله خالصاً له، ليس للشيطان فيه نصيب، ويظهر دين الإسلام على الأديان كلّها.

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ١٧٥؛ مجمع البيان ٢ / ٣١.

﴿فإن انتهوا﴾ عن الشرك وكفّوا عن قتالكم ودخلوا في ملّتكم.

﴿فلا عدوان إلّا على الظالمين﴾ أي: فلا تعتدوا على المنتهين، إذ لا يحسن أن يظلم إلّا من ظلم كقوله: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه﴾[1].

[١٩٤] ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام﴾ قاتلهم المشركون عام الحديبية سنة ستة في ذي القعدة، واتّفق خروجهم لعمرة القضاء فيه سنة سبع، فكرهوا أن يقاتلوهم فيه لحرمته، فقيل لهم هذا الشهر بذلك وهتك بهتك فلا تبالوا به. والأشهر الحرم أربعة: ذو القعدة وذو الحجّة والمحرّم ورجب، كانوا يحرّمون فيها القتال، حتّى لو أنّ رجلاً لقي قاتل أبيه أو أخيه لم يتعرّض له بسوء.

﴿والحرمات قصاص﴾ مجازاة، اقتصّ الله لنبيّه من المشركين، بأن أدخله عليهم مكّة في سنة سبع، عن صدّهم له عنها في سنة ست، والحرمات جمع حرمة وهي حرمة الشهر الحرام، والبلد الحرام، والإحرام.

﴿فمن اعتدى عليكم﴾ بغير حقّ.

﴿فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ أي: فجازوه باعتدائه وقابلوه بمثله، والثاني ليس باعتداء على الحقيقة ولكن سمّاه اعتداء؛ لأنّه مجازاة اعتداء وجعله مثله وإن كان ذلك جوراً وهذا عدل؛ لأنّه مثله في الجنس ومقدار الاستحقاق.

﴿واتّقوا الله﴾ في الانتصار ولا تعتدوا إلى ما لم يرخّص لكم.

﴿واعلموا أنّ الله مع المتّقين﴾ بالنصرة لهم فينصرهم ويحرسهم ويصلح شأنهم، وأصل مع، المصاحبة في المكان والزمان.

[١٩٥] ﴿وأنفقوا في سبيل الله﴾ ابذلوا أموالكم في الجهاد وطريق الدين

---

١. البقرة (٢)، الآية ١٩٤. تفسير البيضاوي ١ / ٤٧٧.

وأبواب الخير، ولا تمسكوا كلّ الإمساك.

﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ بالإسراف وتضييع وجه المعاش، أو بالكفّ عن الغزو والإنفاق فيه، فإنّه يقوّي العدوّ ويسلّطه على إهلاككم.

ويؤيّده ما روي عن أبي أيّوب الأنصاري أنّه قال: لمّا أعزّ الله الإسلام وكثّر أهله رجعنا إلى أهالينا وأموالنا نقيم فيها ونصلحها، فنزلت[١] ولا تقتحموا الحرب من غير كفاية في العدد ولا قدرة على الدفاع.

﴿وأحسنوا﴾ أعمالكم وأخلاقكم، أو تفضّلوا على المحاويج، أو أحسنوا الظنّ بالله.

﴿إنّ الله يحبّ المحسنين﴾ يعني: المقتصدين.

وفي هذه الآية دلالة على تحريم الإقدام على ما يخاف منه على النفس، وعلى جواز الصلح مع الكفّار والبغاة إذا خاف الإمام على نفسه أو على المسلمين، كما فعل رسول الله ﷺ عام الحديبية مع المشركين، وفعله أمير المؤمنين عليه السلام بصفّين، وفعله الحسن عليه السلام مع معاوية لمّا تشتّت أمره وخاف على نفسه وشيعته، فإن عورضنا بأنّ الحسين عليه السلام قاتل وحده، فالجواب أنّه ظنّ أنّهم لا يقتلونه[٢] لمكانه من رسول الله ﷺ، أو لأنّه غلب على ظنّه أنّه لو ترك قتالهم قتله ابن زياد صبراً كما فعله بابن عمّه مسلم بن عقيل، فكان القتل مع عز النفس والجهاد أهون عليه من أن

١. تفسير البيضاوي ١: ١٧٦.

٢. بل كان على يقين من مقتله، وقد صرّح بذلك مراراً، وصرّح قبله بذلك أبوه وجدّه، وكتب الفريقين متعاضدة بذلك. وهذا الكلام أخذه المصنف من الطبرسي في مجمع البيان ١ / ٥١٦، وكأنّ كلامه متجه على ذكر الاحتمالات العقلية مع غض النظر عمّا جاءت وتواترت به الأخبار.

يلطم في ذلّ.

[١٩٦] ﴿وأتمّوا الحجّ والعمرة لله﴾ أي: ائتوا بهما تامّين مستجمعي المناسك لوجه الله والتقرّب إليه، وهو يدلّ على وجوبهما. و[١]العمرة واجبة عندنا مثل الحجّ، وبه قال الشافعي، وقال [أهل] العراق إنّها مسنونة، لما روي أنّ رجلاً قال لعمر: إنّي وجدت الحجّ والعمرة مكتوبين عليّ أهللت بهما جميعاً، فقال: هديت [لـ]سنّة نبيك.

﴿فإن أُحصرتم﴾ منعتم وحبستم عن العمل والوصول إلى البيت الحرام من خوف أو عدوّ أو مرض، وهو المروي عن ابن عبّاس وأئمّتناعليهم السلام، وبه قال أبو حنيفة، والمراد حصر العدوّ، عند مالك والشافعي، لقوله: ﴿فإذا أمنتم﴾ ولنزوله في الحديبية[٢].

﴿فما استيسر من الهدي﴾ ما بين الشاة إلى البعير يبعث به إلى مكّة؛ لقوله:

﴿ولا تحلقوا رؤوسكم﴾ أي: لا تحلّوا من إحرامكم.

﴿حتّى يبلغ الهدي محلّه﴾ أي: مكانه الذي يجب أن ينحر فيه، وهو مكّة عندنا، والمكان الذي يصدّ فيه عند الأكثر؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وآله نحر هديه بالحديبية وليست من الحرم، وقيل: إنّه أرسل به إلى مكّة ونحره عثمان[٣]، كما قيل عنه [صلى الله عليه وآله]: حفر المبين جهّز الجيش أهدى الهدي لمّا أن صدّه الأعداء.

﴿فمن كان منكم مريضاً﴾ مرضاً يحوجه إلى الحلق.

﴿أو به أذىً من رأسه﴾ كجراحة وقمل.

﴿ففدية من صيام﴾ أي: فعليه إن حلق صوم ثلاثة أيّام، لما روي أنّه صلى الله عليه وآله قال

١. ن: أو. ومن هنا اقتبسه المصنف من مجمع البيان فصححناه عليه.
٢. تفسير البيضاوي ١: ١٧٧، ومجمع البيان ٢ / ٣٨.
٣. ن: ونحوه عثمان. ولم أجده في مصدر آخر. وما بعده لعله من قصيدة البوصيري.

لكعب بن عجرة: لعلّك آذاك هوامك؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: احلق وصم ثلاثة أيّام.

﴿أو صدقة﴾ على ثلاثة مساكين بثلاثة أصواع، وقيل: على ستّة أو على عشرة[1].

﴿أو نسك﴾ أو ذبح شاة وهو مخيّر فيها.

﴿فإذا أمنتم﴾ من العدوّ أو برأتم من المرض وكلّ مانع، أو كنتم في حال سعة وأمن.

﴿فمن تمتّع بالعمرة إلى الحجّ﴾ التمتّع هنا أن يهلّ الرجل بالحجّ فيحصره عدوّ أو مرض حتّى تذهب أيّام الحجّ فيفوته الحجّ فيجعلها عمرة، ويتمتّع بحلّه إلى العام المقبل، ثمّ يحجّ ويهدي هدياً. والتمتّع عندنا هو الفرض اللازم لمن لم يكن من حاضري المسجد الحرام، وهو [من] كان على اثني عشر ميلاً من كلّ جانب إلى مكّة.

﴿فما استيسر من الهدي﴾ أي: فعليه دم استيسره يذبحه إذا أحرم بالحجّ وإذا فرغ منه على خلاف في بعض ذلك بين الفقهاء. والهدي واجب على التمتّع بلا خلاف، لظاهر التنزيل، على خلاف في أنّه نسك أو جبران، وعندنا أنّه نسك.

﴿فمن لم يجد﴾ أي الهدي ولا ثمنه.

﴿فصيام ثلاثة أيّام في الحجّ﴾ في أيّام الاشتغال به بعد الإحرام وقبل التحلّل، متتابعات أو يوم قبل يوم التروية ويوم عرفة، وقال أبو حنيفة في أشهره بين الإحرامين، والأحبّ عندنا وعند الشافعي أن يصوم سابع ذي الحجّة وثامنه

---

١. مجمع البيان ٢: ٣٩، وتفسير البيضاوي ١ / ٤٨١.

وتاسعه، ولا يجوز يوم النحر وأيّام التشريق عند الأكثر.

﴿وسبعة إذا رجعتم﴾ إلى بلادكم وأهليكم وهو الصحيح عندنا، وبه قال قتادة والشافعي، وقيل: إذا رجعتم من منى فصوموها في الطريق عن مجاهد وأبي حنيفة[١].

﴿تلك عشرة كاملة﴾ أي: الثلاثة والسبعة إذا وقعت بدلاً من الهدي استكملت ثوابه، وإنّما قال كاملة للتوكيد، كما قال جرير:

ثلاثٌ واثنتان فهنّ خمسٌ وسادسةٌ تميل إلى شمام

﴿ذلك﴾ إشارة إلى التمتّع بالعمرة إلى الحجّ.

﴿لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾ وهو من كان بينه وبين مكّة أكثر من اثني عشر ميلاً من كلّ جانب عندنا، وعند الشافعي من كان من الحرم على مسافة القصر، وهي ستّة عشر فرسخاً عنده، وإن كان على أقلّ من ذلك فإنّه مقيم في[٢] الحرم، أو في حكمه، ومن مسكنه وراء الميقات عنده وأهل الحلّ عند طاوس وغير المكّي عند مالك.

﴿واتّقوا الله﴾ في المحافظة على أوامره ونواهيه وخصوصاً في الحجّ.

[١٩٧] ﴿واعلموا أنّ الله شديد العقاب﴾ لمن لم يتقه؛ كي يصدّكم العلم به عن العصيان.[٣]

﴿الحجّ أشهر﴾ أي: وقته.

﴿معلومات﴾ معروفات، لا يجوز فيها التبديل والتغيير بالتقديم والتأخير، وهي

١. راجع مجمع البيان ٢: ٣٩.
٢. ن: من قيم الحرم.
٣. تفسير البيضاوي ١ / ١٧٩، ومجمع البيان ٢ / ٣٩.

شوّال وذو القعدة وعشر من ذي الحجّة عندنا وعند أبي حنيفة، وتسع ذي الحجّة بليلة النحر عند الشافعي، وذو الحجّة كلّه عند مالك، وبناء الخلاف على أنّ المراد بوقته وقت إحرام ووقت أعماله ومناسكه، أو ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقاً، فإنّ مالكاً كره العمرة في بقية ذي الحجّة، وأبو حنيفة وإن صحّح الإحرام به قبل شوّال فقد استكرهه، وإنّما سمّى شهرين وبعض الشهر أشهرا إقامة للبعض مقام الكلّ، أو إطلاقاً للجمع على ما فوق الواحد، وإنّما صارت هذه أشهر الحجّ؛ لأنّه لا يصحّ إلّا فيها.

﴿فمن فرض فيهنّ الحجّ﴾ فمن أوجبه على نفسه بالإحرام فيهنّ بالحجّ عندنا وعند الشافعي، وبالتلبية أو سوق الهدي عند أبي حنيفة، أو بالعمرة التي يتمتّع بها إلى الحجّ على مذهبنا.

﴿فلا رفث﴾ فلا جماع، أو فلا فحش من الكلام، أو التعريض للنساء.

﴿ولا فسوق﴾ ولا خروج عن حدود الشرع بالسيّئات وارتكاب المحظورات كالكذب والتنابز بالألقاب؛ لقوله: ﴿بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾[1] وقيل: هو السباب؛ لقوله عليه السلام: سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر.

﴿ولا جدال في الحجّ﴾ في أيّامه، لا يجادل الرجل صاحبه وخدمه ورفيقه حتّى يغضبه، نفى الثلاثة على قصد النهي للمبالغة والدلالة على أنّه حقيقة بأن لا تكون، وما كانت منها مستقبحة في نفسها ففي الحجّ أقبح، كلبس الحرير في الصلاة والتطريب بقراءة القرآن؛ لأنّه خروج عن مقتضى الطبع والعادة إلى محض العبادة.

﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله﴾ ويجازيكم عليه؛ لأنّه العالم به على كلّ حال.

---

١. الحجرات (٤٩)، الآية ١١.

حثّ على الخير عقيب النهي عن الشرّ، ليستدلّ به ويستعمل مكانه.

﴿وتزوّدوا﴾ من الأعمال الصالحة لمعادكم.

﴿فإنّ خير الزاد التقوى﴾ فإنّها خير زاد، قيل: نزلت في أهل اليمن كانوا يحجّون ولا يتزوّدون، ويقولون نحن متوكّلون، فيكونون كلّاً على الناس، فأُمروا أن يتزوّدوا من الطعام، ويتّقوا الإبرام في السؤال والتثقيل على الناس[١].

﴿واتّقون﴾ فيما أمرتكم به ونهيتكم عنه.

﴿يا أُولي الألباب﴾ يا ذوي العقول، فإنّ قضية اللب خشية الله وتقواه، والتبري عن كلّ شيء سواه.

[١٩٨] ﴿ليس عليكم جناح﴾ أي: حرج.

﴿أن تبتغوا فضلاً من ربّكم﴾ عطاء ورزقاً منه، يريد الربح بالتجارة، قيل: كان عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقهم في الجاهلية، يقيمونها مواسم الحاج، وكانت معايشهم منها، فلمّا جاء الإسلام تأثموا منه فنزلت[٢]، وقيل: كان في الحجّ أُجراء ومكاريون وكان الناس يقولون لا حجّ لهم، فبيّن سبحانه أنّه لا إثم على الحاج أن يكون أجيراً لغيره أو مكارياً.

﴿فإذا أفضتم من عرفات﴾ دفعتم منها بعد الاجتماع فيها. وعرفات جمع، وإنّما سمّي عرفات؛ لأنّ إبراهيم عليه السلام عرفها بما تقدّم له من النعت لها، أو لأنّ آدم وحوى اجتمعا فيها فتعارفا بعد أن كان افترقا، ولأنّ الناس يتعارفون فيها.

﴿فاذكروا الله﴾ بالتلبية والتهليل والدعاء، وقيل: بصلاة العشائين.

﴿عند المشعر الحرام﴾ ممّا يليه ويقرب منه، وهو جبل يقف عليه الإمام، ويقال

---

١. تفسير البيضاوي ١: ١٨٠، ومجمع البيان ٢ / ٦٤.

٢. تفسير البيضاوي ١ / ١٨٠، ومجمع البيان ٢: ٤٧.

له: قزح. عن جابر بن عبد الله أنّ النبي ﷺ صلّى الفجر بالمزدلفة بغلس وركب ناقته حتّى أتى المشعر الحرام فدعا فيه وكبّر وهلّل ولم يزل واقفاً حتّى أسفر. وإنّما سمّي مشعراً؛ لأنّه معلم العبادة، ووصف بالحرام لحرمته.

﴿واذكروه كما هداكم﴾ أي: واذكروه ذكراً حسناً بالثناء والشكر على حسب نعمته عليكم بالهداية إلى المناسك وغيرها، فإنّ الشكر يجب أن يكون على حسب النعمة في عظم المنزلة، كما يجب أن يكون مقدارها لو صغرت النعمة.

﴿وإن كنتم من قبله﴾ أي: من قبل الهدى، وقيل: من قبل محمّد ﷺ، فتكون الهاء كناية عن غير مذكور.

﴿لمن الضالّين﴾ لمن الجاهلين بالإيمان والطاعة، أو عن النبوّة والشريعة فهداكم إليها.[1]

[١٩٩] ﴿ثمّ أفيضوا﴾ من عرفة لا من المزدلفة، والخطاب مع قريش، كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفّعاً عليهم، فأُمروا بأن يساووهم بقوله:

﴿من حيث أفاض الناس﴾ والمراد بالناس سائر العرب، عن ابن عبّاس وعائشة وعطاء ومجاهد والحسن وقتادة، وهو المروي عن الباقر عليه السلام، وقيل: من حيث أفاض إبراهيم وإسماعيل وإسحاق عن الضحّاك وأبي عبد الله عليه السلام.

﴿واستغفروا الله﴾ بالندم على ما سلف من المعاصي، أو من جهالتكم في تغيير المناسك ونحوه.

﴿إنّ الله غفور رحيم﴾ يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه[2].

---

١. مجمع البيان ٢ / ٤٧، وتفسير البيضاوي ١ / ١٨١.
٢. مجمع البيان ٢ / ٤٨، وتفسير البيضاوي ١ / ١٨١.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ قائلاً قال بحضرته: أستغفر الله، فقال له: ثكلتك أُمّك أتدري ما الاستغفار، الاستغفار درجة العليين، وهو اسم واقع على ستّة معان: أوّلها الندم على ما مضى. والثاني: العزم على ترك العود إليه أبداً. والثالث: أن تؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم حتّى تلقى الله عزّ وجلّ أملس ليس عليك تبعة. والرابع: أن تعمد إلى كلّ فريضة ضيّعتها فتؤدّي حقّها. والخامس: أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتّى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد. والسادس: أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول: أستغفر الله[1].

[٢٠٠] ﴿فإذا قضيتم مناسككم﴾ فإذا قضيتم العبادات الحجّية وفرغتم منها.

﴿فاذكروا الله﴾ بالتكبير المختصّ بأيّام منى؛ لأنّه الذكر المرغّب فيه والمندوب إليه في هذه الأيّام، أو بسائر الأدعية في تلك المواطن؛ لأنّ الدعاء فيها أفضل منه في غيرها.

﴿كذكركم آباءكم﴾ فأكثروا ذكر الله وبالغوا فيه، كما تفعلون بذكر آبائكم في المفاخرة بأيّامهم القديمة وأياديهم الجسيمة. وكانت العرب إذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن أيّامهم، فأمرهم الله أن يذكروه مكان ذكر آبائهم.

﴿أو أشدّ ذكراً﴾ أو زيدوا على ذلك، بأن يذكروا نعم الله سبحانه ويعددوا آلاءه ويشكروا نعماءه. لأنّ آباءهم وإن كانت لهم عليهم أيادٍ ونعم، فنعمة الله عليهم أعظم وأياديه عندهم أفخم.

---

١. نهج البلاغة: ٥٤٩، باب قصار الحكم: ٤١٧.

﴿فمن الناس من يقول﴾ في تلك المواطن.

﴿ربّنا آتنا في الدنيا﴾ منهم من يسأل نعم الدنيا ولا يسأل نعم الآخرة؛ لأنّه غير مؤمن بالبعث والنشور.

﴿وما له في الآخرة من خلاق﴾ من نصيب وحظّ من الخير موفر؛ لأنّ همّه مقصور على طلب الدنيا.[١]

[٢٠١] ﴿ومنهم من يقول ربّنا آتنا في الدنيا حسنة﴾ يعني: الصحّة والكفاف وتوفيق الخير وحسن الخلق.

﴿وفي الآخرة حسنة﴾ يعني: الثواب والرحمة ورضوان الله والجنّة.

﴿وقنا عذاب النار﴾ بالعفو والمغفرة، عن النبي ﷺ أنّه قال: من أُوتي قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وزوجة مؤمنة تعينه على أمر دنياه وآخرته فقد أُوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ووقي عذاب النار.

وعن علي عليه السلام: الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء[٢].

[٢٠٢] ﴿أُولئك﴾ إشارة إلى الفريق الثاني.

﴿لهم نصيب ممّا كسبوا﴾ أي: حظّ من كسبهم باستحقاقهم الثواب عليه، أو من جنسه وهو جزاؤه، أو ممّا دعوا به نعطيهم منه ما قدّرناه، فسمّى الدعاء كسباً؛ لأنّه من الأعمال.

﴿والله سريع الحساب﴾ يحاسب العباد كلّهم على كثرتهم وكثرة أعمالهم في مقدار نظرة، أو مقدار حلبة شاة، كما قال سبحانه: ﴿وما أمر الساعة إلّا كلمح البصر أو

---

١. مجمع البيان ٢ / ٥١، وتفسير البيضاوي ١ / ١٨٢.

٢. مجمع البيان ٢: ٥١، وتفسير البيضاوي ١ / ١٨٢.

هو أقرب﴾[١][٢].

[٢٠٣] ﴿واذكروا الله في أيّام معدودات﴾ كبّروه في أدبار الصلوات، وعند ذبح القرابين، ورمي الجمار، وغيرها في أيّام التشريق، أو في عشر ذي الحجّة، والذكر المأمور به أن يقول عقيب خمس عشر صلاة، أوّلها الظهر من يوم النحر، وآخرها عقيب صلاة الفجر من اليوم الرابع من النحر، هذا لمن كان بمنى، وفي الأمصار عقيب عشر، يقول: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلّا الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر على ما هدانا، والحمد لله على ما أولانا، والله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام.

﴿فمن تعجّل في يومين﴾ أي: فمن نفر من منى في ثاني أيّام التشريق بعد الزوال عندنا، وبعد رمي الجمار عند الشافعي، وقبل طلوع الفجر عند أبي حنيفة.

﴿فلا إثم عليه﴾ باستعجاله؛ لأنّ سيّئاته صارت مكفّرة بما كان من حجّه المبرور، والأفضل أن يقيم إلى النفر الآخر.

﴿ومن تأخّر فلا إثم عليه﴾ ومن تأخّر في النفر حتّى رمى [في] اليوم الثالث بعد الزوال عند الشافعي وعندنا، وعند أبي حنيفة يجوز تقديم رميه ونفره على الزوال. ومعنى نفي الإثم بالتعجّل والتأخّر التخيير بينهما، والردّ على أهل الجاهلية، فإنّ منهم من أثم المتعجّل ومنهم من أثم المتأخّر.

﴿لمن اتّقى﴾ أي: الذي ذكر من التخيير، أو من الأحكام لمن اتّقى الصيد والنساء، وقيل: لمن اتّقى الكبائر؛ لأنّه الحاج على الحقيقة والمنتفع به.

﴿واتّقوا الله﴾ اجتنبوا معاصي الله في مجامع أُموركم ليعبأ بكم.

---

١. النحل (١٦)، الآية ٧٧.

٢. مجمع البيان ٢ / ٥٣، وتفسير البيضاوي ١ / ١٨٢.

﴿واعلموا أنّكم إليه تحشرون﴾ بعد موتكم فيجازيكم بأعمالكم، وأصل الحشر الجمع وضمّ المتفرّق.[1]

[٢٠٤] ﴿ومن الناس من يعجبك قوله﴾ من تستحسن كلامه يا محمّد، ويعظم موقعه في قلبك.

﴿في الحياة الدنيا﴾ بما يقوله في أُمور الدنيا وأسباب المعاش بحلاوة وفصاحة، من ادّعاء المحبّة وإظهار الإيمان.

﴿ويشهد الله على ما في قلبه﴾ أي: يحلف بالله ويشهده على أنّ ما في قلبه موافق لكلامه[2] وضميره على خلافه.

﴿وهو ألدّ الخصام﴾ شديد العداوة والجدال للمسلمين، نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق، يوالي رسول الله ﷺ ويدّعي الإسلام، وقيل: المنافقين كلّهم.

[٢٠٥] ﴿وإذا تولّى﴾ إذا أدبر وانصرف عنك، وقيل: إذا غلب وصار والياً.

﴿سعى في الأرض ليفسد فيها﴾ بالمعاصي وسفك الدماء وقطع الرحم.

﴿ويهلك الحرث والنسل﴾ كما فعله الأخنس بثقيف؛ إذ بيّتهم وأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم، أو كما يفعله ولاة السوء بالقتل والظلم والإتلاف حتّى يمنع الله بشؤمه القطر، فيهلك الحرث والنسل، وقيل: إنّ الحرث النساء والنسل الأولاد؛ لقوله تعالى: ﴿نساؤكم حرث لكم﴾[3].

﴿والله لا يحبّ الفساد﴾ لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه، وفيه دلالة على بطلان

---

١. مجمع البيان ٢ / ٥٥، وتفسير البيضاوي ١ / ١٨٣.
٢. ن: الكلام.
٣. البقرة (٢)، الآية ٢٢٣.

قول المجبرة: إنّ الله سبحانه يريد القبائح؛ لأنّه نفى عن نفسه محبّة الفساد والمحبّة هي الإرادة.[١]

[٢٠٦] ﴿وإذا قيل له اتّق الله﴾ فيما نهاك عنه من السعي في الأرض بالفساد.

﴿أخذته العزّة بالإثم﴾ حملته الأنفة وحمية الجاهلية على الإثـم الذي يـؤمر باتقائه لجاجاً، كما يقال: أخذته بكذا إذا حملته عليه وألزمته إيّاه.

﴿فحسبه جهنّم﴾ كفته جزاءً وعذاباً من ضلاله أن يصلاها.

﴿ولبئس المهاد﴾ أي بئس القرار؛ لأنّ الإقرار كالوطاء في الثبوت عليه. والمهاد الفراش.[٢]

[٢٠٧] ﴿ومن الناس من يشري نفسه﴾ أي: من يبيعها ببذلها في الجهاد، أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، حتّى يقتل.

﴿ابتغاء مرضاة الله﴾ طلباً لرضاه.

روى السدّي عن ابن عبّاس أنّه قال: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب عليه السلام حين هرب النبي صلى الله عليه وآله من المشركين إلى الغار، وبات عليّ على فراش النـبي صلى الله عليه وآله، وأنشد عليّ عليه السلام في تلك الليلة:

وقيت بنفسي خير مـن وطأ الحـصى ... وأكرم خـلق طـاف بـالبيت والحـجر
وبتّ أراعـــي مـــنهم مـــا يســـوءني ... وقد صبّرت نفسي على القتل والأسـر
وبات رسول الله صلى الله عليه وآله في الغـار آمـناً ... وما زال في حفظ الإله وفي السـتر[٣]

---

١. مجمع البيان ٢: ٥٥، وتفسير البيضاوي ١ / ١٨٣.

٢. مجمع البيان ٢ / ٥٧، وتفسير البيضاوي ١ / ١٨٣.

٣. القصة وردت في مصادر عديدة عن السدّي وأبي سعيد الخدري وابن عباس وزين العابدين ⇦

ونزلت الآية بين مكّة والمدينة، وقيل: إنّها نزلت في صهيب بن سنان الرومي أخذه المشركون وعذّبوه ليرتدّ، فقال: إنّي شيخ كبير لا ينفعكم إن كنت معكم ولا يضرّكم إن كنت عليكم فخلّوني وما أنا عليه وخذوا مالي فقبلوه منه، وأتى المدينة فقيل له: ربح البيع يا صهيب.

﴿والله رؤوف بالعباد﴾ حيث أرشدهم إلى مثل هذا الشراء، وكلفهم بالجهاد، فعرّضهم لثواب الغزاة والشهداء.[1]

[٢٠٨] ﴿يا أيّها الذين آمنوا ادخلوا في السلم﴾ أي: في الإسلام، أو دوموا فيما دخلتم فيه، كقوله: ﴿يا أيّها الذين آمَنوا آمِنوا بالله ورسوله﴾[2].

﴿كافّة﴾ أي: ادخلوا جميعاً في الإسلام، أو استسلموا لله وأطيعوه جملة ظاهراً وباطناً. والخطاب للمنافقين، أو لأهل الكتاب، فإنّهم بعد إسلامهم عظّموا السبت وحرّموا لحوم الإبل وألبانها.

﴿ولا تتّبعوا خطوات الشيطان﴾ آثاره ونزعاته؛ لأنّ [ذلك] ترككم شيئاً من شرائع الإسلام اتّباع الشيطان.

﴿إنّه لكم عدوّ مبين﴾ ظاهر العداوة بامتناعه من السجود لآدم وبقوله: ﴿لاحتنكنّ ذرّيّته إلّا قليلاً﴾[3].

⇦وغيرهم، رواه الحاكم النيسابوري والحسكاني والثعلبي والخطيب وابن عساكر وأبو العباس الحسني وأبو جعفر الكوفي وأبو جعفر الطوسي وغيرهم، والظاهر أنّ المصنف لم يعتمد على مصدر معين بل لفق بين روايتين على الأقل.

١. مجمع البيان ٢ / ٥٧، وتفسير البيضاوي ١ / ١٨٣.

٢. النساء (٤)، الآية ١٣٦. وبما أنّه جمع بين كلام الطبرسي والبيضاوي باستعجال فقد حصل إرباك واضطراب في المعنى.

٣. الإسراء (١٧)، الآية ٦٢، مجمع البيان ٢ / ٦١، وتفسير البيضاوي ١ / ١٨٥.

[٢٠٩] ﴿فإن زللتم﴾ عن الدخول في السلم وعدلتم عن الطريق القويم.

﴿من بعد ما جاءتكم البيّنات﴾ الآيات والحجج الشاهدة على أنّه حقّ.

﴿فاعلموا أنّ الله عزيز﴾ لا يعجزه الانتقام.

﴿حكيم﴾ لا ينتقم إلّا بالحقّ بعد إقامة الحجة عليه.[١]

[٢١٠] ﴿هل ينظرون﴾ استفهام في معنى النفي، ولذلك جاء بعده.

﴿إلّا أن يأتيهم الله﴾ أي: يأتيهم أمره أو بأسه، كقوله: ﴿أو يأتي أمـر ربّك﴾[٢] ﴿فجاءها بأسنا﴾[٣]، أو يأتيهم الله ببأسه فحذف المأتي به للدلالة عليه بقوله: ﴿أنّ الله عزيز حكيم﴾.

﴿في ظلل من الغمام﴾ في ستر من السحاب الأبيض، جمع ظلّة. وإنّما يأتيهم العذاب فيه؛ لأنّه مظنّة الرحمة، فإذا جاء منه العذاب كان أفظع؛ لأنّ الشرّ إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أصعب، فكيف إذا جاء من حيث يـحتسب الخـير، كـقوله: ﴿وإذا غشيهم موج كالظلل﴾[٤] وكما قيل:

أتاني فلم أسرر به حين جاءني حديثٌ بأعلى القـبّتين عـجيب

﴿والملائكة﴾ فإنّهم الواسطة في إتيان أمر الله، أو الآتون على الحقيقة ببأسه، أو يأتيهم الله بجلا[ئـ]ـل آياته وبالملائكة.

﴿وقضي الأمر﴾ أي: تمّ أمر إهلاكهم وفرغ منه، وضع الماضي موضع المستقبل؛ لدنوّه وتيقّن وقوعه.

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ١٨٥، ومجمع البيان ٢ / ٦١.

٢. النحل (١٦)، الآية ٣٢.

٣. الأعراف (٧)، الآية ٤.

٤. لقمان (٣١)، الآية ٣٢.

﴿وإلى الله ترجع الأُمور﴾ لأنّ الأُمور كانت كلّها له في الابتداء، فملّك بعضها في الدنيا غيره ثمّ تصير كلّها إليه في الحشر، لا يملك أحد هناك شيئاً.[١]

[٢١١] ﴿سل بني إسرائيل﴾ أي: سل يا محمّد، أولاد يعقوب، وهم علماء اليهود الذين كانوا حول المدينة، وهو سؤال تقرير لتأكيد الحجّة عليهم.

﴿كم آتيناهم من آية بيّنة﴾ من معجزة ظاهرة، مثل اليد، والعصا، وفلق البحر، وتظليل الغمام، وإنزال المنّ والسلوى، وغير ذلك، أو آية في الكتب شاهدة على الحقّ والصواب على أيدي الأنبياء. وكم خبرية محلّها النصب على المفعولية.

﴿ومن يبدّل نعمة الله﴾ أي: آياته بعد معرفتها، فإنّها سبب الهدى والذي هو أجلّ النعم، يجعلها سبب الضلالة وازدياد الضلالة وازدياد الرجس، أو بالتحريف والتأويل الزائغ.

﴿من بعد ما جاءته﴾ بعد ما وصلت إليه وتمكّن من معرفتها، وفيه تعريض بأنّهم بدّلوها بعدما عقلوها؛ ولذلك قيل: تقديره فبدّلوها ومن يبدّل.

﴿فإنّ الله شديد العقاب﴾ فيعاقبه أشدّ عقوبة؛ لأنّه ارتكب أشدّ جريمة بتبديل [نعم الله. كما قال: ﴿يعرفون] نعمة الله ثمّ ينكرونها﴾[٢].

[٢١٢] ﴿زيّن للذين كفروا الحياة الدنيا﴾ حسنت في أعينهم، وأُشربت محبّتها في قلوبهم حتّى تهالكوا عليها وأعرضوا عن غيرها، والمزيِّن هو الشيطان؛ لأنّ الله سبحانه زهّد فيها أو أعلم أنّها دار الغرور، وقيل: هو الله تعالى، إذ ما من شيء إلّا وهو فاعله، وكلّ من الشيطان والقوّة الحيوانية وما خلق الله فيها من الأُمور البهية والأشياء الشهيّة مزيّن بالعرض، كما قال: ﴿زيّن للناس حبّ الشهوات من النساء

١. مجمع البيان ٢ / ٦١، وتفسير البيضاوي ١ / ١٨٥.

٢. النحل (١٦)، الآية ٨٣، مجمع البيان ٢ / ٦٢، وتفسير البيضاوي ١ / ١٨٥.

والبنين﴾[١] الآية، وقال النبي ﷺ: حفّت الجنّة بالمكاره وحفّت النار بالشهوات.

نزلت في أبي جهل وغيره من رؤساء قريش، بسطت لهم الدنيا وكانوا يسخرون من قوم من المؤمنين، كما قال سبحانه:

﴿ويسخرون من الذين آمنوا﴾ يريد فقراء المؤمنين، مثل: عبد الله بن مسعود وعمّار بن ياسر وبلال وخباب وصهيب وسلمان وحذيفة، ويسترذلونهم، ويستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا وإقبالهم على العقبى.

﴿والذين اتّقوا﴾ الكفر والمعاصي.

﴿فوقهم يوم القيامة﴾ لأنّهم في عليين والكفرة في أسفل السافلين، أو لأنّهم في كرامة وهم في مذلّة، أو لأنّهم يتطاولون عليهم يسخرون منهم في الآخرة كما سخروا منهم في الدنيا.

﴿والله يرزق من يشاء﴾ في الدارين.

﴿بغير حساب﴾ بغير تقدير فيوسّع في الدنيا استدراجاً تارة، وابتلاء أُخرى، فلا يدلّ بسط الرزق للكافر على منزلته عند الله.[٢]

[٢١٣] ﴿كان الناس أُمّة واحدة﴾ أهل ملّة واحدة وعلى دين واحد، متّفقين على الحقّ فيما بين آدم وإدريس، أو نوح، أو بعد الطوفان، أو متّفقين على الجهالة والكفر في فترة إدريس، أو نوح، وعن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: كانوا قبل نوح أُمّة واحدة على فطرة الله لا مهتدين ولا ضلّالاً، وعلى هذا فالمعنى: أنّهم كانوا متعبّدين بما في عقولهم غير معتمدين إلى نبوّة ولا شريعة.

﴿فبعث الله النبيين﴾ بالشرائع والأحكام؛ لعلمه أنّ مصالحهم فيها، أي: لمّا

١. آل عمران (٣)، الآية ١٤.

٢. مجمع البيان ٢ / ٦٢، وتفسير البيضاوي ١ / ١٨٦.

اختلفوا بعث الله، وإنّما حذف لدلالة قوله: ﴿فيما اختلفوا فيه﴾، وعن كعب: الذي علمته من عدد الأنبياء مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، والمرسل منهم ثلاثمئة وثلاثة عشر، والمذكور في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون.

﴿مبشّرين﴾ لمن أطاعهم بالجنّة.

﴿ومنذرين﴾ لمن عصاهم بالنار.

﴿وأنزل معهم الكتاب﴾ يريد به الجنس، ولا يريد به أنّه أنزل مع كلّ واحد كتاباً يخصّه، فإنّ أكثرهم لم يكن له كتاب، وإنّما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم، والتقدير وأنزل مع بعثهم الكتاب؛ إذ الأنبياء لم يكونوا منزلين حتّى ينزل الكتاب معهم.

﴿بالحقّ﴾ أي: بالصدق والعدل، حال من الكتاب، أي: ملتبساً بالحقّ شاهداً به.

﴿ليحكم بين الناس﴾ الضمير في يحكم يرجع إلى الله، أو إلى كتابه، أو إلى النبي المبعوث به، وأضاف الحكم إلى الكتاب أو إلى النبي ـ وإن كان الله هو الذي يحكم ـ على جهة التفخيم لأمر الكتاب أو النبي.

﴿فيما اختلفوا فيه﴾ في الحقّ الذي اختلفوا فيه أو فيما التبس عليهم.

﴿وما اختلف فيه﴾ في الحقّ، أو في الكتاب. وإذا قيل كانوا مختلفين في الحقّ فكيف عمّهم الكفر في قول من قال: إنّهم كانوا كلّهم كفّاراً. فالجواب أن يكون بعضهم يكفر [من] جهة الغلوّ وبعضهم من جهة التقصير، كما كفرت اليهود والنصارى في المسيح، فقالت النصارى: هو ربّ، وقالت اليهود: هو كاذب.

﴿إلّا الذين أُوتوه﴾ أي: الذين أُعطوا العلم بالكتاب المنزل لإزالة الخلاف، كاليهود فإنّهم كتموا صفة النبي ﷺ بعد ما أُعطوا العلم به في كتابهم، فعكسوا الأمر بأن جعلوا ما أُنزل مزيحاً للاختلاف سبباً لاستحكامه.

﴿من بعد ما جاءتهم البيّنات﴾ الدلالات الواضحة والمعجزات اللائحة.

﴿بغياً بينهم﴾ أي: حسداً بينهم وظلماً وطلباً للرئاسة؛ لحرصهم على الدنيا.

﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه﴾ أي: للحقّ الذي اختلف فيه من اختلف.

﴿من الحقّ﴾ بيان لما اختلفوا فيه.

﴿بإذنه﴾ بأمره أو بإرادته ولطفه، فعلى هذا يكون في الكلام محذوف، أي: اهتدوا بإذنه، والإذن بمعنى العلم، أي: بعلمه، وإنّما خصّ المؤمنين لأنّهم اختصوا بالاهتداء.

﴿والله يهدي من يشاء﴾ هدايته باللطف والتوفيق.

﴿إلى صراط مستقيم﴾ لا يضلّ سالكه، وهو الإسلام، أو طريق الجنّة، خصّ المؤمنين دون غيرهم.(١)

[٢١٤] ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة﴾ خاطب به النبي والمؤمنين يوم الخندق، أو يوم أُحد، ووعدهم بالنصر بعد ما ذكر اختلاف الأُمم على الأنبياء بعد مجيء الآيات، تشجيعاً لهم على الثبات مع مخالفيهم، و«أم» منقطعة، ومعنى الهمزة فيها الإنكار.

﴿ولمّا يأتكم﴾ ولم يأتكم، وأصله «لم» زيدت عليها ما، وفيها توقّع؛ ولذلك جعل مقابل قد.

﴿مثل الذين خلوا من قبلكم﴾ من النبيين والمؤمنين، فتمتحنوا بمثل ما امتحنوا به، فتصبروا كما صبروا، وهذا استدعاء إلى الصبر الذي بعده النصر.

---

١. مجمع البيان ٢ / ٦٥، وتفسير البيضاوي ١ / ١٨٦.

﴿مسّتهم البأساء والضرّاء﴾ بيان له على الاستئناف. والبأساء نقيض النعماء، والضرّاء نقيض السرور.

﴿وزلزلوا﴾ وأزعجوا إزعاجاً شديداً بما أصابهم من الشدائد بأنواع البلايا، لا من زلزلة الأرض وهو اضطرابها.

﴿حتّى يقول الرسول والذين آمنوا معه﴾ لتناهي الشدّة واستطالة المدّة بحيث تقطّعت حبال الصبر.

﴿متى نصر الله﴾ استبطاء للموعود على جهة التمنّي، كما يفعله الممتحن، لا على جهة الاستبطاء لنصر الله؛ لأنّ الرسول يعلم أنّ الله لا يؤخّره عن الوقت الذي توجبه الحكمة.

﴿ألا إنّ نصر الله قريب﴾ استئناف على إرادة القول، [أي:] فقيل لهم ذلك، إسعافاً لهم إلى طلبتهم من عاجل النصر، أو قال المؤمنون: متى نصر الله، فقال الرسول: ألا إنّ نصر الله قريب، وفيه إشارة إلى أنّ الوصول إلى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذّات ومكابدة الشدائد والرياضات، كما قال عليه‌السلام: حفّت الجنّة بالمكاره وحفّت النار بالشهوات[1].

[٢١٥] ﴿يسألونك﴾ يا محمّد.

﴿ماذا ينفقون﴾ سأله عمرو بن الجموع الأنصاري [و]كان شيخاً كبيراً ذا مال عظيم، فقال: يا رسول الله، ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها؟ فنزلت.

﴿قل ما أنفقتم من خير﴾ أي: من مال له مقدار؛ لأنّ ما لا ينتفع به لا يسمّى خيراً.

١. مجمع البيان ٢ / ٧٠، وتفسير البيضاوي ١ / ١٨٧.

﴿فللوالدين﴾ وهما الأب والأُمّ والجدّ والجدّة وإن عليا.

﴿والأقربين﴾ أقارب المعطي كالأخ والأُخت والعمّ والخال.

﴿واليتامى﴾ كلّ من لا أب له مع الصغر.

﴿والمساكين﴾ الفقراء من المؤمنين.

﴿وابن السبيل﴾ الغريب المنقطع به.

سئل عن المنفق، فأُجيب ببيان المصرف؛ لأنّه أهمّ، فإنّ اعتداد النفقة باعتباره، والمراد به نفقة التطوّع؛ لأنّه لا يجوز دفع الزكاة إلى الأب والأُمّ والجدّ والجدّة والأولاد، لأنّ النفقة عليهم واجبة إذا كانوا فقراء، وأمّا النفقة على ذي الرحم فلا تجب عندنا وعند الشافعي، وتجب عند أبي حنيفة.

﴿وما تفعلوا من خير﴾ من عمل صالح يقرّبكم إلى الله.

﴿فإنّ الله به عليم﴾ فيجازيكم به ويوفي ثوابه؛ لأنّه لا يخفى عليه شيء.[١]

[٢١٦] ﴿كتب عليكم القتال﴾ أي: فرض عليكم الجهاد في سبيل الله.

﴿وهو كره لكم﴾ شاقّ عليكم، مكروه طبعاً، من حيث تنفر عنه النفس، أو مكروه لكم قبل أن يكتب عليكم؛ لأنّ المؤمنين لا يكرهون ما كتب الله عليهم.

﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً﴾ أي: وقد تكرهون شيئاً في الحال.

﴿وهو خير لكم﴾ في العاقبة، وهو جميع ما كلّفوا به، فإنّ الطبع يكرهه، وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم؛ لأنّ فيه [إمّا] الظفر والغنيمة، وإمّا الشهادة والجنّة.

﴿وعسى أن تحبّوا شيئاً﴾ وهو القعود عن الجهاد لمحبّة الحياة.

﴿وهو شرّ لكم﴾ لما فيه من الذلّ والفقر في الدنيا، وحرمان الغنيمة والأجر في

١. مجمع البيان ٢: ٧٠، وتفسير البيضاوي ١: ١٨٧.

العقبى.

﴿والله يعلم﴾ ما هو خير لكم في عاقبة أُموركم، وما فيه مصالحكم ومنافعكم.

﴿وأنتم لا تعلمون﴾ ذلك فبادروا إلى ما يأمركم به وإن شقّ عليكم، وفيه دليل على وجوب الجهاد غير أنّه فرض على الكفاية، إذا قام به من في قيامه كفاية سقط عن الباقين.(١)

[٢١٧] ﴿يسألونك﴾ يا محمّد.

﴿عن الشهر الحرام﴾ وهو رجب، سمّي بذلك لتحريم القتال فيه، وكان يسمّى في الجاهلية منزع الأسنّة؛ لأنّهم كانوا ينزعون الأسنّة والنصال فيه عند دخوله، انطواء على ترك القتال فيه، والسائلون هم المشركون، كتبوا إليه على جهة العيب للمسلمين. روي أنّه عليه السلام بعث ابن عمّته عبد الله بن جحش الأسدي على سريّة في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصّد عير القريش، فانطلقوا حتّى هبطوا وادي نخلة، فوجدوا العير وفيهم عمرو بن الحضرمي وثلاثة معه، فقتلوه وأسروا اثنين، واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف، وهي أوّل غنيمة في الإسلام، وكان ذلك غرّة رجب وهم يظنّونه من جمادى الآخرة، فقالت قريش: استحلّ محمّد الشهر الحرام شهراً يأمن فيه الخائف ويذعر فيه الناس إلى معايشهم، وشقّ على أصحاب السريّة، وقالوا: ما نبرح حتّى تنزل توبتنا فأنزل الله هذه الآية.

﴿قتال فيه﴾ بدل الاشتمال عن الشهر.

﴿قل قتال فيه﴾ أي: في الشهر الحرام.

﴿كبير﴾ أي ذنب كبير، والأكثر على أنّه منسوخ بقوله: ﴿فاقتلوا المشركين حيث

---

١. مجمع البيان ٢: ٧٣، وتفسير البيضاوي ١: ١٨٨.

وجدتموهم﴾[١] خلافاً لعطاء، وهو نسخ الخاصّ بالعامّ، قال عطاء: هو باق على التحريم، وعندنا أنّه على التحريم فيمن يرى[٢] لهذه الأشهر حرمة، ولا يبتدرون فيه، [فإنّ قتال] نكرة [في حيز مثبت] فلا يعمّ.

﴿وصدّ﴾ صرف ومنع.

﴿عن سبيل الله﴾ أي: عن الإسلام وما يوصل العبد إلى الله من الطاعات.

﴿وكفر به﴾ أي: بالله.

﴿والمسجد الحرام﴾ على إرادة المضاف، أي: وصدّ المسجد الحرام، كقول أبي دؤاد:

أكلّ امرئ تحسبين امرأً ونارٍ توقّد بالليل نارا

أو والصدّ عن المسجد الحرام.

﴿وإخراج أهله منه﴾ أي: أهل المسجد الحرام، وهم النبي ﷺ والمؤمنون.

﴿أكبر عند الله﴾ ممّا فعلته السريّة خطأ وبناءً على الظنّ.

﴿والفتنة أكبر من القتل﴾ أي: ما يرتكبونه المشركون من الإخراج من المسجد الحرام والشرك بالله فيه أفظع وأعظم، ممّا ارتكب المسلمون من قتل الحضرمي في الشهر الحرام.

﴿ولا يزالون﴾ يعني أهل مكّة.

﴿يقاتلونكم﴾ يا معشر المسلمين.

﴿حتّى يردّوكم عن دينكم﴾ عن دين الإسلام ويلجؤوكم إلى الارتداد، إخبار عن دوام عداوة الكفّار لهم، وأنّهم لا ينفكّون عنها حتّى يردّوهم عن دينهم.

---

١. التوبة (٩)، الآية ٥.

٢. ن: لا يرى.

﴿إن استطاعوا﴾ إن قدروا على ذلك، وهو استبعاد لاستطاعتهم، كقول الواثـق بقوّته على قرنه: إن ظفرت بي فلا تبق عليّ، وإيذان بأنّـهم لا يـردّونهم، فـإنّ الله يوفّقهم.

﴿ومن يرتدد منكم عن دينه﴾ تحذير عن الارتداد ببيان استحقاق العقاب عليه.

﴿فيمت وهو كافر﴾ بأن مات على كفره.

﴿فأُولئك حبطت أعمالهم﴾ بطلت وذهبت أعمالهم النافعة.

﴿في الدنيا﴾ بطلان ما تخيّلوه، وفوات ما للإسلام من الفوائد الدنيوية.

﴿والآخرة﴾ لسقوط الثواب ووجوب العقاب.

﴿وأُولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ دائمون كسائر الكفرة.

[٢١٨] ﴿إنّ الذين آمنوا﴾ نزلت أيضاً في أصحاب السريّة؛ عبد الله بن جحش وأصحابه، لمّا قاتلوا في رجب وقتلوا ابن الحضرمي [و]ظنّ بهم أنّهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر.

﴿والذين هاجروا﴾ بأن قطعوا عشائرهم، وفارقوا منازلهم، وتركوا أموالهم.

﴿وجاهدوا﴾ الكفّار.

﴿في سبيل الله﴾ في طاعته المشروعة لعباده واتّباع مرضاته، وكرّر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد؛ لأنّ الثواب لا يستحقّ على أحدهما على الانفراد، وكأنّهما مستقلّان في تحقيق الرجاء.

﴿أُولئك يرجون رحمة الله﴾ أي: يأملون نـعمة الله، وهـي النـصرة فـي الدنـيا والمثوبة في العقبى.

﴿والله غفور﴾ لما فعلوه خطأً وقلّة احتياط ولم تتّفق لهم التوبة منها.

﴿رحيم﴾ بإجزال الثواب والأجر تفضّلاً. فمن الواجب على المؤمن أن لا ييأس

من رحمة الله ولا يأمن عقوبته، كقوله [سبحانه]: ﴿يدعون ربّهم خوفاً وطمعاً﴾[١]، وقوله: ﴿يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربّه﴾[٢][٣].

[٢١٩] ﴿يسألونك﴾ يا محمّد.

﴿عن الخمر والميسر﴾ أي: عن[٤] تعاطيهما. والخمر: عصير العنب إذا غلا واشتدّ، والميسر: القمار كلّه حتّى لعب الصبيان، سمّي به؛ لأنّه أخذ مال الغير بيسر، روي أنّه نزل بمكّة، قوله: ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراًورزقاً حسناً﴾[٥] فأخذ المسلمون يشربونها حتّى دعا عتبان بن مالك سعد بن أبي وقّاص في نفر، فلمّا سكروا افتخروا وتناشدوا فأنشد سعد شعراً فيه هجاء الأنصار، فضربه أنصاري بلحى بعير، فشجّه، فشكا إلى رسول الله ﷺ، ثمّ إنّ عمر ومعاذ في نفر من الصحابة أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: أفتنا يا رسول الله، في الخمر والميسر، فإنّهما مذهبة للعقل مسلبة للمال، فنزلت هذه الآية.

﴿قل فيهما﴾ أي: في الخمر والميسر.

﴿إثم كبير﴾ أي: في تعاطيهما وزر عظيم. والخمر يسمّى إثماً في اللغة، قال الشاعر:

شربت الإثم حتّى ضلّ عقلي كذاك الإثم يصنع بالعقول

وقال ابن الفارض:

---

١. الزمر (٣٩)، الآية ٩.

٢. الزمر (٣٩)، الآية ٩.

٣. مجمع البيان ٢: ٧٤، وتفسير البيضاوي ١: ١٨٩.

٤. ن: ان.

٥. النحل (١٦)، الآية ٦٧.

وقــالوا شــربت الإثـم كـلّا وإنّـما شربت التي في تركها عندي الإثم[١]

﴿ومنافع للناس﴾ من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وتشجيع الجبان.

﴿وإثمهما أكبر من نفعهما﴾ أي: المفاسد التي تنشأ منهما أعظم مـن المـنافع المتوقّعة منهما، فإنّ المفسدة إذا ترجّحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل، مع أنّ نفعهما في الدنيا، وإثمهما يوجب سخط الله في الآخرة، فلا يظهر في جنبه نفع إلّا قليل لا بقاء له.

﴿ويسألونك ماذا ينفقون﴾ والسائل عمرو بن الجموح، سأل عن النـفقة فـي الجهاد، بعد ما سأل عنها في الصدقات عن المنفق والمصرف، ثمّ سأل عن كـمّية الإنفاق.

﴿قل العفو﴾ ما فضل عن الأهل والعيال، أو ما فضل عن قوت السنة، وهو أن ينفق ما تيسّر له بذله ولا يبلغ منه الجهد. روي أنّ رجلاً أتى النبي ﷺ ببيضة من ذهب أصابها في بعض المغانم، فقال: خذها منّي صدقة، فأعرض عنه، ثمّ قال: يأتي أحدكم بماله كلّه يتصدّق به ويجلس يتكفف الناس، إنّما الصدقة عن ظهر غنى.

﴿كذلك يبيّن الله لكم الآيات﴾ أي: مثل ما بيّن أنّ العفو أصلح من الجهد، أو ما ذكر من الأحكام، والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف، أي: بيّنا تبييناً مثل هذا التبيين، وإنّما وحّد الكاف ـ والمخاطب به جـمع ـ عـلى تأويـل القـبيل والجمع؛ لأنّ الخطاب للنبي ﷺ وتدخل فيه الأُمّة.

﴿لعلّكم تتفكّرون﴾ في الدلائل والأحكام.[٢]

---

١. ديوان ابن الفارض ١٣٦ في قصيدة.

٢. مجمع البيان ٢: ٨١، وتفسير البيضاوي ١: ١٩٠.

[٢٢٠] ﴿في الدنيا والآخرة﴾ في أُمور الدارين، فتأخذون بـالأصلح والأنـفع منهما، وتتجنّبون عمّا يضرّكم ولا ينفعكم، أو يضرّكم أكثر ممّا ينفعكم.

﴿ويسألونك عن اليتامى﴾ لمّا نزلت: ﴿إنّ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً﴾[١] ﴿ولا تقربوا مال اليتيم﴾[٢] انطلق كلّ من كان عنده يتيم، فعزل طعامه من طعام[ه] فشقّ ذلك عليهم، فذكر لرسول الله ﷺ فنزلت.

﴿قل إصلاح لهم خير﴾ أي: مداخلتهم لإصلاحهم وإصلاح أموالهم مـن غـير أُجرة ولا أخذ عوض منهم خير من مجانبتهم وأعظم أجراً.

﴿وإن تخالطوهم﴾ أي: تشاركوهم في أموالهم وتخلطوها بأموالكم.

﴿فإخوانكم﴾ حثّ على المخالطة، أي: أنّهم إخوانكم في الدين، ومن حقّ الأخ أن يخالط الأخ ويعينه.

﴿والله يعلم المفسد من المصلح﴾ وعيد ووعد لمن خالطهم لإفساد وإصلاح، أي: يعلم أمره فيجازيه عليه.

﴿ولو شاء الله لأعنتكم﴾ أي: لو يشاء لكلّفكم ما يشقّ عليكم ـ من العنت وهي المشقّة ـ ولم يجوّز لكم مداخلتهم.

﴿إنّ الله عزيز﴾ غالب، يقدر على الإعنات، يفعل بعزّته ما يحبّ، لا يدفعه عنه دافع.

﴿حكيم﴾ يحكم ما تقتضيه الحكمة في تدبيره وأفعاله وتتسع له الطاقة، ليس له عمّا توجبه الحكمة مانع.[٣]

---

١. النساء (٤)، الآية ١٠.
٢. الأنعام (٦)، الآية ١٥٢.
٣. مجمع البيان ٢: ٨١، وتفسير البيضاوي ١: ١٩١.

[٢٢١] ﴿ولا تنكحوا المشركات﴾ أي: ولا تتزوّجوهنّ، وقرئ بالضمّ، أي: ولا تزوّجوهنّ من المسلمين.

﴿حتّى يؤمنّ﴾ بالله ورسوله، والمشركات يعمّ الكتابيات، لقوله تعالى: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾[١]، و[هي] عامّة عندنا في تحريم مناكحة جميع الكفّار، وليست بمنسوخة ولا مخصوصة، وقيل: خصّت عنها بقوله في المائدة: ﴿والمحصنات من الذين أُوتوا الكتاب﴾[٢]. روي أنّه عليه السلام بعث مرثد بن [أبي مرثد] الغنوي إلى مكّة ليخرج منها أُناساً من المسلمين، فأتته امرأة يقال لها: عناق وكان يهواها في الجاهلية فقالت: ألا تخلو؟ فقال: إنّ الإسلام حال بيننا، فقالت: هل لك أن تتزوّج بي؟ فقال: نعم ولكن أستأمر رسول الله صلى الله عليه وآله، فاستأمره فنزلت الآية.

﴿ولأمة﴾ مملوكة.

﴿مؤمنة﴾ بالله ورسوله.

﴿خير من﴾ حرّة.

﴿مشركة﴾ أي: ولامرأة مؤمنة حرّة أو مملوكة خير عند الله، فإنّ الناس عباد الله وإماؤه.

﴿ولو أعجبتكم﴾ بحسنها وشمايلها، والواو للحال، و«لو» بمعنى إن، وظاهر هذا يدلّ على أنّه يجوز نكاح الأمة المؤمنة مع وجود الطول، وأنّ النهي عنهنّ على التنزيه دون التحريم.

﴿ولا تنكحوا المشركين﴾ ولا تزوّجوا منهم المؤمنات.

---

١. التوبة (٩)، الآية ٣٠.

٢. المائدة (٥)، الآية ٥.

﴿حتّى يؤمنوا﴾ بالله ورسوله، فهو على عمومه يتناول جميع الكافرات.

﴿ولعبد مؤمن خير من مشرك﴾ أي: عبد مملوك مصدّق مسلم خير عند الله من حرّ نجيب مشرك؛ لأنّ بلال الحبشي خير من أبي لهب القرشي.

﴿ولو أعجبكم﴾ ماله أو حاله أو جماله، تعليل للنهي عن مواصلتهم، وترغيب في مواصلة المؤمنين.

﴿أُولئك﴾ إشارة إلى المذكورين من المشركين والمشركات.

﴿يدعون إلى النار﴾ أي: إلى الكفر المؤدّي إلى النار، فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم؛ لأنّ الزوج في الغالب يدعو زوجه إلى دينه.

﴿والله يدعو﴾ أولياءه المؤمنين.

﴿إلى الجنّة﴾ إلى فعل ما يوجب الجنّة من الإيمان والطاعة.

﴿والمغفرة﴾ بفعل يوجبها كالندم والتوبة والكفّارة.

﴿بإذنه﴾ بتوفيق الله وتيسيره، أو بقضائه وإرادته.

﴿ويبيّن آياته﴾ حججه [أو] أوامره ونواهيه.

﴿للناس لعلّهم يتذكّرون﴾ لكي يتذكّروا فعل الخير ومخالفة الهوى ويتّعظوا.[1]

[٢٢٢] ﴿ويسألونك عن المحيض﴾ روي أنّ أهل الجاهلية كانوا لا يساكنوا الحيّض ولا يواكلوها كفعل اليهود والمجوس، واستمرّ ذلك إلى أن سأل أبو الدحداح في نفر من الصحابة رسول الله ﷺ عن ذلك فنزلت.

﴿قل هو أذىً﴾ أي: الحيض مستقذر نجس مؤذ من يقربه نفرة منه.

﴿فاعتزلوا النساء في المحيض﴾ فاجتنبوا عن مجامعتهم في الفرج؛ لأنّه لا

---

١. مجمع البيان ٢: ٨٤، وتفسير البيضاوي ١: ١٩٢.

يحرم منها غير موضع الدم، لقوله عليه السلام: إنّما أُمرتم أن تعتزلوا النساء بمجامعتهنّ إذا حضن ولم يأمركم بإخراجهنّ من البيوت كفعل الأعاجم.

فهو الاقتصاد بين إفراط اليهود وتفريط النصارى، فإنّهم كانوا يجامعونهنّ ولا يبالون بالحيض، وقيل: يحرم ما دون الإزار ويحلّ ما فوقه، عن شريح وسعيد بن المسيّب وأبي حنيفة والشافعي.

﴿ولا تقربوهنّ﴾ بالجماع، أو مادون الإزار وما بين السرّة والركبة.

﴿حتّى يطهرن﴾ حتّى ينقطع عنهنّ دم الحيض، أو حتّى يغتسلن تأكيد للحكم وبيان لغايته وهو أن يغتسلن بعد الانقطاع.

﴿فإذا تطهّرن﴾ أي: اغتسلن بالماء للصلاة.

﴿فأتوهنّ﴾ أي: فجامعوهن، وهو إباحة وإن كانت صورته صورة الأمر، كقوله: ﴿وإذا حللتم فاصطادوا﴾[1] فإنّه يقتضي تأخّر جواز الإتيان عن الغسل، وقال أبو حنيفة: إن طهرت لأكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل.

﴿من حيث أمركم الله﴾ أي: المأتي الذي أمركم به وحلّله لكم وهو الفرج.

﴿إنّ الله يحبّ التوّابين﴾ من الذنوب.

﴿ويحبّ المتطهّرين﴾ المتنزّهين عن الفواحش والأقذار، كمجامعة الحائض والإتيان في غير المأتي، ولم يذكر المتطهّرات؛ لأنّ المؤنّث يدخل في المذكّر.[2]

[٢٢٣] ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ مواضع حرث وزرع لكم تحرثون الولد، شبّهن بالحرث تشبيهاً لما يلقى في أرحامهنّ من النطف بالبذر، وكما قيل:

إذا أكل الجراد حروث قومي فحرثي همّه أكل الجراد

---

١. المائدة (٥)، الآية ٢.

٢. تفسير البيضاوي ١: ١٩٣، ومجمع البيان ٢: ٨٩.

يريد امرأتي.

﴿فأتوا حرثكم﴾ أي: فأتوا موضع حرثكم، يعني: نساءكم كما تأتون المحارث، وهو كالبيان لقوله: ﴿فأتوهنّ من حيث أمركم الله﴾[١].

﴿أنّى شئتم﴾ أي: من [أي] جهة شئتم، أو كيف شئتم، أو متى شئتم نزلت ردّاً على اليهود؛ إذ قالوا: إذا أتى الرجل امرأته من خلفها في قبلها خرج الولد أحول، فأكذبهم الله تعالى، عن ابن عبّاس وجابر، والتحريم في الدبر مذهب الجمهور سوى مالك، لقوله عليه السلام: محاشّ النساء على أُمّتي حرام، والتحليل مذهب الشيعة على كراهية شديدة، وخالف في ذلك جميع الفقهاء؛ لأنّ الحرث لا يكون إلّا حيث يكون النسل.

﴿وقدّموا لأنفسكم﴾ بالطاعة فيما أُمرتم به ما يدخر لكم من الثواب، قيل: هو طلب الولد، وقيل: التسمية عند الوطء.

﴿واتّقوا الله﴾ بالاجتناب عن معاصيه، أو فيما بيّن لكم من ترك مجاوزة الحدّ.

﴿واعلموا أنّكم ملاقوه﴾ ملاقوا ثوابه إن أطعتموه، وعقابه إن عصيتموه، فتزوّدوا ما لا تفتضحون به.

﴿وبشّر المؤمنين﴾ الكاملين في الإيمان بالثواب والجنّة والكرامة والرضوان والنعيم الدائم، أَمَر الرسول صلى الله عليه وآله أن ينصحهم، ويبشّر مَن صدّقه وامتثل أمره منهم.

[٢٢٤] ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبرّوا وتتّقوا﴾ أي: لا تجعلوا اليمين بالله علّة مانعة لكم من البرّ والتقوى، فتعتلّوا بها وتقولوا حلفنا بالله. وأصله الاعتراض الذي هو المانع بينكم وبين البرّ والتقوى؛ لأنّ المعترض بين الشيئين

١. البقرة (٢)، الآية ٢٢٢.

يكون مانعاً من وصول أحدهما إلى الآخر، وعن أبي عبد الله عليه السلام: لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين، كقول امرئ القيس:

فـقلت يـمين الله أبـرح قـاعداً   ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

﴿وتصلحوا بين الناس﴾ نزلت في عبد الله بن رواحة حين حلف أن لا يكلّم ختنه بشير بن النعمان، ولا يصلح بينه وبين أُخته، أو في أبي بكر لمّا حلف أن لا ينفق على قرابته مسطح بن أثاثة؛ لافترائه على عائشة بالإفك.

﴿والله سميع﴾ لأيمانكم وأقوالكم.

﴿عليم﴾ بنيّاتكم وضمائركم.(١)

[٢٢٥] ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾ أصل اللغو الكلام الذي لا فائدة فيه، وهو ما يجري على عادة الناس من قول لا والله وبلى والله من غير عقد على يمين يقتطع بها، ولا يظلم بها أحد فلا إثم عليه ولا كفّارة، وقيل: إنّه الحالف ناسياً، أو يمين الغضبان. واللغو يطلق على كلّ كلام مذموم لا معنى له ولا يعتدّ به.

﴿ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم﴾ بما تعمّدت قلوبكم وهو الحالف عـلى الكذب فيها، والمعنى لا يؤاخذكم بعقوبة ولا كفّارة بما لا قصد معه، ولكن يؤاخذكم بهما أو بأحدهما بما قصدتم من الأيمان وواطأت فيها قلوبكم ألسنتكم.

﴿والله غفور﴾ حيث لم يؤاخذ باللغو.

﴿حليم﴾ حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجدّ تربّصاً للتوبة.(٢)

[٢٢٦] ﴿للذين يؤلون من نسائهم﴾ أي: يحلفون على أن لا يجامعوهنّ على وجه الإضرار بهنّ، والإيلاء الحلف، كما قيل:

---

١. مجمع البيان ٢: ٩٢، وتفسير البيضاوي ١: ١٩٤.

٢. مجمع البيان ٢: ٩٣، وتفسير البيضاوي ١: ١٩٥.

كفينا من تغيّب من نزار　　　وأحـنثنا أليّـة مـقسمينا

﴿تربّص أربعة أشهر﴾ والتربّص الانتظار والتوقّف، فلا يطالب الرجل المـولئ بفيء ولا طلاق في هذه المدّة، كما قيل:

تربّص بها ريب المنون لعـلّها　　　تطلّق يوماً أو يموت حـليلها

﴿فإن فاءوا﴾ فإن رجعوا في اليمين بالحنث، أو إلى ترك ما حلفوا عـليه مـن اعتزال نسائهم، أو إلى أمر الله بأن يجامعوا عند القدرة عليه.

﴿فإنّ الله غفور رحيم﴾ يغفر للمولئ إثم حنثه إذا كفّر، ولا يتبعه بعقاب ما ارتكبه بالايلاء، من ضرر المرأة ونحوه بالفئَة التي هي كالتوبة.

[٢٢٧] ﴿وإن عزموا الطلاق﴾ فإن اعتمدوا عليه وتـلفّظوا بـه عـلى الوجـه المشروع الذي تبين به المرأة.

﴿فإنّ الله سميع﴾ لطلاقهم.

﴿عليم﴾ بغرضهم فيه، وإلّا واجب[١] فيه عندنا أن ينظره الحاكم أربعة أشهر ثمّ يقول له: فئ أو طلّق، فإن لم يفعل حبسه حتّى يطلّق، وبه قال الشافعي، إلّا أنّه قال: متى امتنع من الطلاق أو الفئة طلّق عنه الحاكم طلقة رجعية، وقال أبو حـنيفة: إذا مضت أربعة أشهر ولم يفئ بانت منه بتطليقة لا رجعة له عليها، وعـليها العـدّة لا يخطبها فيها غيره.[٢]

[٢٢٨] ﴿والمطلقات﴾ المدخول بهنّ من ذوات الحيض غير الحوامل.

﴿يتربّصن بأنفسهنّ ثلاثة قروء﴾ أي: يتربّصن مضيها، وهي ثلاث حيض، أو هي الأطهار من الحيض. وقروء جمع قرء، وهو يطلق للحيض لقـوله عليه السلام: دعـي

١. كذا في النسخة، ولعله كان في الأصل: والواجب.

٢. مجمع البيان ٢: ٩٤، وتفسير البيضاوي ١: ١٩٥.

الصلاة أيّام أقرائكِ، وللطهر الفاصل بين حيضتين كقول الأعشى:

مورّثةٍ مالاً وفـي الحـي رفـعةً   لما ضاع فيها من قروء نسائكا

وأصله الانتقال من الطهر إلى الحيض، وهو المراد به في الآية؛ لأنّه الدالّ على براءة الرحم لا الحيض.

﴿ولا يحلّ لهنّ﴾ أي: للمطلّقات التي تجب عليهنّ العدّة.

﴿أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهنّ﴾ من الولد [أ]و الحيض استعجالاً في العدّة، وإبطالاً لحقّ الرجعة، وفيه دليل على أنّ قولها مقبول في ذلك.

﴿إن كنّ يؤمنّ بالله واليوم الآخر﴾ ليس المراد أنّها إذا لم تكن مؤمنة يحلّ لها الكتمان، ولكن المراد بأنّ الإيمان يمنع من ارتكاب هذه المعصية، [و]أنّ المؤمنة لا تجرأ عليها ولا ينبغي لها أن تفعلها.

﴿وبعولتهنّ﴾ أي: أزواج المطلّقات.

﴿أحقّ بردهنّ﴾ إلى النكاح والرجعة إليهنّ إذا كان الطلاق رجعياً، للآية التي تتلوها، وتفوت بانقضاء العدّة لقوله:

﴿في ذلك﴾ أي: في زمان التربّص.

﴿إن أرادوا إصلاحاً﴾ بالرجعة لا إضرار المرأة، وليس المراد منه شريطة قصد الإصلاح للرجعة، بل التحريض عليه والمنع من قصد الإضرار.

﴿ولهنّ مثل الذي عليهنّ﴾ أي: وللنساء حقوق على الرجال، مثل حقوقهم عليهنّ في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها، لا في الجنس.

﴿بالمعروف﴾ من حسن العشرة، وترك المضارّة، والسوية في القسم، والنفقة، والكسوة.

﴿وللرجال عليهنّ درجة﴾ زيادة في الحقّ وفضل فيه؛ لأنّ حقوقهم في أنفسهنّ،

وحقوقهنّ المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها، أو شرف وفضيلة؛ لأنّهم قوّامون عليهنّ، وحرّاس لهنّ، يشاركونهنّ في غرض الزواج، ويخصّون بفضيلة الرعاية والإنفاق.

﴿والله عزيز﴾ يقدر على الانتقام ممّن خالف الأحكام.

﴿حكيم﴾ يشرّعها لحكم ومصالح.[1]

[٢٢٩] ﴿الطلاق مرّتان﴾ أي: التطليق الرجعي اثنتان، لما روي أنّه عليه السلام سئل: أين الثالثة؟ فقال: أو تسريح بإحسان.

﴿فإمساك بمعروف﴾ بالمراجعة وحسن المعاشرة على وجه جميل سائغ في الشريعة، لا على وجه الإضرار بهنّ.

﴿أو تسريح بإحسان﴾ بالتطليقة الثالثة، أو بأن لا يراجعها حتّى تبين بانقضاء العدّة.

﴿ولا يحلّ لكم﴾ خطاب للأزواج.

﴿أن تأخذوا ممّا آتيتموهنّ شيئاً﴾ أي: من المهر والصدقات. روي أنّ جميلة بنت أُخت عبد الله بن أُبي [بن] سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس، فأتت رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: لا أنا ولا ثابت، لا يجمع رأسي ورأسه شيء، والله ما أعْيبه في دين ولا خلق، ولكنّي أكره الكفر في الإسلام [و]ما أُطيقه بغضاً، إنّي رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل في عدّة، فإذا هو أشدّهم سواداً، وأقصرهم قامة، وأقبحهم وجهاً، فنزلت الآية، فاختلعت منه بحديقة أصدقها إيّاها.

﴿إلّا أن يخافا﴾ أي: الزوجان بأن يغلبا على ظنّهما.

---

١. مجمع البيان ٢: ١٠٢، وتفسير البيضاوي ١: ١٩٧.

﴿ألّا يقيما حدود الله﴾ بترك إقامة أحكامه من مواجب الزوجية، لما بينهما من التباعد والتباغض.

﴿فإن خفتم﴾ أيّها الحكّام.

﴿ألّا يقيما حدود الله﴾ فإن ظننتم أن لا يكون بينهما صلاح في المقام.

﴿فلا جناح عليهما﴾ أي: فلا حرج ولا إثم عليهما، وإن كانت الإباحة للزوج، فإنّه لو خصّ بالذكر لأوهم أنّها عاصية، فبيّن الإذن لها لزوال الإيهام.

﴿فيما افتدت به﴾ في أخذ الرجل من المرأة ما افتدت به نفسها واختلعت، ولا إثم على المرأة في إعطائه.

﴿تلك﴾ إشارة إلى ما حدّ من الأحكام.

﴿حدود الله﴾ أوامره ونواهيه في الخلع والطلاق والعدّة والرجعة.

﴿فلا تعتدوها﴾ فلا تجاوزوها بالمخالفة.

﴿ومن يتعدّ حدود الله﴾ يتجاوزها بأن يخالف ما حدّ له.

﴿فأُولئك هم الظالمون﴾ تعقيب النهي بالوعيد مبالغة في التهديد، [و]ظاهر الآية يدلّ على أنّ الخلع لا يجوز من غير كراهية وشقاق، ولا بجميع ما ساق الزوج إليها، فضلاً عن الزائد، ويؤيّد ذلك قوله عليه السلام: أيّما امرأة سألت زوجها طلاقاً في غير بأس فحرام عليها رائحة الجنّة[1].

[٢٣٠] ﴿فإن طلّقها﴾ يعني التطليقة الثالثة بعد الثنتين.

﴿فلا تحلّ له من بعد﴾ من بعد ذلك الطلاق.

﴿حتّى تنكح زوجاً غيره﴾ حتّى تتزوّج زوجاً غيره ويجامعها، لا بمجرّد العقد،

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ١٩٨، ومجمع البيان ٢ / ١٠٥.

لِما روي أنّ امرأة رفاعة قالت لرسول الله ﷺ: إنّ رفاعة طلّقني فبتّ الطلاق وإنّ عبد الرحمن بن الزبير تزوّجني وإنّما معه مثل هدبة الثوب، فقال رسول الله ﷺ: أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ فقالت: نعم، فقال عليه السلام: لا حتّى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك، فالآية مطلقة قيّدتها السنّة.

﴿فإن طلّقها﴾ الزوج الثاني.

﴿فلا جناح عليهما أن يتراجعا﴾ أن يعودا إلى الحالة الأُولى بعقد مستأنف بعد انقضاء العدّة.

﴿إن ظنّا أن يقيما حدود الله﴾ إن كان في ظنّهما [أنّهما] يقيمان ما حدّه الله وشرّعه من حقوق الزوجية، وتفسير الظنّ بالعلم هاهنا غير سديد؛ لأنّ عواقب الأُمور غيب تظنّ ولا تعلم.

﴿وتلك حدود الله﴾ أي: الأحكام المذكورة.

﴿يبيّنها لقوم يعلمون﴾ يفهمون ويعملون بمقتضى العلم.[1]

[٢٣١] ﴿وإذا طلّقتم النساء فبلغن أجلهنّ﴾ أي: آخر عدّتهنّ على الوجه المشروع، والأجل يطلق للمدّة لمنتهاها، والبلوغ هو الوصول إلى الشيء.

﴿فأمسكوهنّ بمعروف﴾ راجعوهنّ قبل انقضاء العدّة، بما تقبله النفوس ولا تنكره العقول، من حسن العشرة وبذل النفقة من غير إضرار.

﴿أو سرحوهنّ بمعروف﴾ من غير تطويل؛ إذ لا إمساك بعد انقضاء الأجل، فيكنّ أملك بأنفسهنّ.

﴿ولا تمسكوهنّ ضراراً﴾ ولا تراجعوهنّ إرادة الإضرار بهنّ في تطويل العدّة،

---

١. تفسير البيضاوي ١: ١٩٨، ومجمع البيان ٢: ١٠٦.

أو تضييق النفقة، كأنّ المطلّق يترك المعتدّة حتّى تشارف الأجل ثمّ يراجعها ليطوّل العدّة عليها، فنهى عنه بعد الأمر بضدّه مبالغة، ونصب ضراراً على العلّة أو الحال بمعنى مضارين.

﴿لتعتدوا﴾ لتظلموهنّ بالتطويل، أو الإلجاء إلى الافتداء.

﴿ومن يفعل ذلك﴾ الإمساك للمضارّة.

﴿فقد ظلم نفسه﴾ بتعريضها للعقاب.

﴿ولا تتّخذوا آيات الله هزواً﴾ بالإعراض عنها والتهاون في العمل بما فيها، قيل: كان الرجل يتزوّج ويطلّق ويعتق ويقول كنت ألعب فنزلت، وعنه عليه السلام: ثلاث جدّهن جدّ وهزلهنّ جدّ، الطلاق والنكاح والعتاق.

﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾ فيما إباحه لكم من الأزواج والأموال، وما بيّن من الحلال والحرام، وبعثة محمّد عليه الصلاة والسلام، بالشكر والقيام بحقوقها.

﴿وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة﴾ من القرآن والسنّة، أفردهما بالذكر إظهاراً لشرفهما، والعلوم التي دلّا عليها، والشرائع التي بيّناها.

﴿يعظكم به﴾ بما أنزل عليكم لتتعظوا به فتؤجروا بفعل ما أمركم به وترك ما نهاكم عنه.

﴿واتّقوا الله﴾ بترك معاصيه التي تؤدّي إلى عقابه وحرمان ثوابه.

﴿واعلموا أنّ الله بكلّ شيء﴾ من أفعالكم وغيرها.

﴿عليم﴾ تأكيد وتهديد لهم.[١]

[٢٣٢] ﴿وإذا طلّقتم النساء﴾ خطاب للأولياء.

---

١. مجمع البيان ٢: ١٠٣، وتفسير البيضاوي ١ / ١٩٩.

﴿فبلغن أجلهنّ﴾ أي: انقضت عدّتهنّ.

﴿فلا تعضلوهنّ﴾ فلا تمنعوهنّ ظلماً عن التزويج. والعضل الحبس والتضييق.

﴿أن ينكحن أزواجهنّ﴾ أي: من يرضين بهم أزواجاً لهنّ، روي أنّها نزلت في معقل بن يسار حين عضل أُخته جملاً[1] أن ترجع إلى زوجها الأوّل عاصم بن عدي بالاستئناف، فإنّه كان طلّقها وخرجت من العدّة ثمّ أراد أن يجتمعا بعقد آخر، فمنعها معقل من ذلك، فنزلت الآية وهذا لا يصحّ عندنا، لأنّه لا ولاية للأخ ولا تأثير لعضله، فالوجه أن تحمل الآية على المطلّقين كما في الظاهر إذا تراضوا، أي: الخطاب والنساء.

﴿إذا تراضوا بينهم﴾ بالمهر قليلاً كان أو كثيراً.

﴿بالمعروف﴾ بما يعرفه الشرع وتستحسنه المروءة، ولا يكون مستنكراً في عادة ولا عقل.

﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما مضى ذكره من الأمر والنهي.

﴿يوعظ به﴾ أي: يزجر ويخوّف به.

﴿من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر﴾؛ لأنّه المتّعظ به والمنتفع دون الكافر؛ لأنّ الكافر إنّما يلزم الوعظ بعد قبوله الإيمان واعترافه بالله تعالى.

﴿ذلكم﴾ أي: العمل بمقتضى ما ذكر.

﴿أزكى لكم﴾ أي: خير لكم وأنفع وأفضل.

﴿وأطهر﴾ من دنس الآثام.

﴿والله يعلم﴾ ما فيه لكم من النفع والصلاح في العاجل والآجل.

---

١. في البيضاوي: جميلاء. وفي الإصابة: جمل بضم أوله وسكون الميم وقيل بصيغة التصغير. وسماها الطبري: جميلة. وقال الكلبي: جميل، والثعلبي: جميلة.

﴿وأنتم لا تعلمون﴾ لقصور علمكم.[1]

[٢٣٣] ﴿والوالدات﴾ أي: الأُمّهات.

﴿يرضعن أولادهنّ﴾ أمرٌ عبّر عنه بالخبر للمبالغة، ومعناه الندب، أو الوجوب إذا لم يرتضع الولد إلّا أُمّه، أو لم يوجد له ظئر ترضعه، أو عجز الوالد عن الاستئجار.

﴿حولين كاملين﴾ أربعة وعشرين شهراً، أكّده بصفة الكمال؛ لأنّه ممّا يتسامح فيه.

﴿لمن أراد أن يتمّ الرضاعة﴾ المفروضة فهذا منتهى الرضاع، ولا يحرم ما زاد على الحولين ولا ما نقص عنها، ولكن ما نقص عن إحدى وعشرين شهراً فهو جور على الصبي.

﴿وعلى المولود له﴾ يعني الأب.

﴿رزقهنّ وكسوتهنّ﴾ رزق المرضعة وكسوتها من الطعام واللباس ما دامت في الرضاعة اللازمة.

﴿بالمعروف﴾ حسب ما يراه الحاكم، ويفي به وسعه في الغنى والفقر.

﴿لا تكلّف نفس إلّا وسعها﴾ لا تلزم إلّا قدر طاقتها.

﴿لا تضارّ والدة بولدها﴾ بأن ينتزع الولد منها، ويسترضع امرأة غيرها مع إجابتها إلى الرضاع بأُجرة المثل؛ لأنّ الوالدة أشفق عليه من الأجنبية.

﴿ولا مولود له بولده﴾ أي: لا تمتنع هي من الإرضاع إذا أُعطيت أُجرة مثلها، فإن فعلت يستأجر الأب مرضعة غيرها، والمعنى: لا يكلّف كلّ منه[م]ا ما ليس في وسعه ولا يضارّه بسبب الولد.

١. مجمع البيان ٢ / ١٠٩، والبيضاوي ١ / ٢٠٠.

﴿وعلى الوارث﴾ أي: وارث الولد إذا كان الأب ميّتاً.

﴿مثل ذلك﴾ أي: مثل الذي كان على أبيه في حياته، من رزق المرضعة وكسوتها وترك المضارّة.

﴿فإن أرادا فصالاً﴾ أي: فطاماً قبل الحولين.

﴿عن تراضٍ منهما﴾ من الأب والأُمّ.

﴿وتشاور﴾ بينهما في مصلحة الولد.

﴿فلا جناح عليهما﴾ في ذلك، وإنّما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذاراً[١] أن يقدم أحدهما على ما يضرّ به لغرض أو غيره.

﴿وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم﴾ غير أُمّهاتهم، إذا أبين من رضاعهم.

﴿فلا جناح عليكم﴾ فيه، وإطلاقه يدلّ على أنّ للزوج أن يسترضع للولد ويمنع الزوجة من الإرضاع.

﴿إذا سلّمتم﴾ إلى المراضع.

﴿ما آتيتم﴾ ما أردتم إيتائه وقرئ أُوتيتم، أي: ما آتاكم الله وأقدركم عليه من الأجر.

﴿بالمعروف﴾ بالوجه المتعارف المستحسن شرعاً.

﴿واتّقوا الله﴾ مبالغة في المحافظة على ما شرّع في أمر الأطفال والمراضع.

﴿واعلموا أنّ الله بما تعملون بصير﴾ حثّ وتهديد، إذ لا يخفى عليه شيء من الأعمال.[٢]

[٢٣٤] ﴿والذين يتوفّون منكم ويذرون أزواجاً﴾ أي: يموتون ويتركون نساء.

---

١. في البيضاوي: وحذراً.

٢. تفسير البيضاوي ١ / ٢٠٣، ومجمع البيان ٢ / ١٢٣.

﴿يتربّصن بأنفسهنّ﴾ أي: ينتظرون انقضاء العدّة.

﴿أربعة أشهر وعشراً﴾ أي: وعشر ليالي وعشرة أيّام، وهذه عدّة المتوفّى عنها زوجها، سواء كانت مدخولاً بها، أو غير مدخول بها، حرّة كانت أو أمة، فإن كانت حبلى فعدّتها أبعد الأجلين من وضع الحمل أو مضي أربعة أشهر وعشراً، وافقنا في عدّة الأمة الأصمّ، وخالف باقي الفقهاء في ذلك، فقالوا: عدّتها نصف عدّة الحرّة شهرين وخمسة أيّام، وإليه ذهب قوم من أصحابنا، وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية والحرّة والأمة، وعن علي عليه السلام وابن عبّاس أنّها تعتدّ بأقصى الأجلين احتياطاً.

﴿فإذا بلغن أجلهنّ﴾ أي: انقضت عدّتهنّ.

﴿فلا جناح عليكم﴾ خطاب للأولياء، أو لجميع المسلمين؛ لأنّه يلزمهم منعهنّ عن التزويج في العدّة.

﴿فيما فعلن في أنفسهنّ﴾ من الزينة والتعرّض للخطاب والنكاح وسائر ما يحرم عليها للعدّة.

﴿بالمعروف﴾ بالوجه الذي لا ينكره الشرع، ومفهومه: أنّهنّ لو فعلن ما ينكره الشرع فعليهم أن يكفّوهنّ فإن قصّروا فعليهم الجناح.

﴿والله بما تعملون خبير﴾ أي: عليم فيجازيكم عليه، وهذه الآية ناسخة الآية الآتية التي فيها ﴿وصيّة لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج﴾[١] وإن كانت هذه متقدّمة عليها في التلاوة.[٢]

[٢٣٥] ﴿ولا جناح عليكم﴾ يا معشر الرجال.

---

١. البقرة (٢)، الآية ٢٤٠.

٢. مجمع البيان ٢ / ١٢٤، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٠٤.

﴿فيما عرّضتم به من خطبة النساء﴾ المعتدّات، ولا تصرّحوا بـه، والتـعريض والتلويح إبهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازاً، كقول السـائل: جـئتك لأُسلّم عليك، وتعريض خطبتها أن يقول لها: إنّك جميلة، أو نافعة ومن غرضي أن أتزوّج، وإنّك لموافقة لي ونحو ذلك.

﴿أو أكننتم في أنفسكم﴾ أي: أضمرتم في قلوبكم من نكاحهنّ فلم تـذكروه تصريحاً ولا تعريضاً بعد مضي عدّتهنّ.

﴿علم الله أنّكم ستذكرونهنّ﴾ برغبتكم فيهنّ ولا تصبرون على السكوت عنهنّ خوفاً منكم أن يسبقكم إليهنّ غيركم فأباح لكم ذلك.

﴿ولكن لا تواعدوهنّ سرّاً﴾ لأنّها أجنبية والمواعدة في السرّ تدعو إلى ما لا يحلّ، ومن السرّ أن يقول لها: موعدك بيت فلان.

﴿إلّا أن تقولوا قولاً معروفاً﴾ يعني: التعريض الذي أباحه الله تعالى، وهو أن تعرّضوا ولا تصرّحوا، وفيه دليل على حرمة تصريح خطبة المعتدّة، وجواز تعريضها إن كانت معتدّة عدّة وفاة، واختلف في معتدّة الفراق البائن والأظهر الجواز.

﴿ولا تعزموا عقدة النكاح﴾ أي: لا توجبوا العقد في العدّة، وذكر العزم مبالغة في النهي، فإنّ أصل العزم القطع، أي: لا تعزموا على عقد النكاح.

﴿حتّى يبلغ الكتاب أجله﴾ حتّى يبلغ ما فرض في القرآن من العدّة والأجـل المضروب لها، وعبّر بالكتاب عن الفرض.

﴿واعلموا أنّ الله يعلم ما في أنفسكم﴾ ما في ضمائركم من العزم على مـا لا يجوز.

﴿فاحذروه﴾ فاتّقوا عقابه، ولا تخالفوا أمره وتعزموا على ذلك.

﴿واعلموا أنّ الله غفور﴾ لمن عزم ولم يفعل خشية من الله.

﴿حليم﴾ لا يعاجلكم بالعقوبة المستحقّة؛ لتتوبوا منها.[١]

[٢٣٦] ﴿لا جناح عليكم﴾ لا تبعة وبال من مهر، وقيل من وزر؛ لأنّه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وهو الوطء، وقيل: كان النبي يكثر النهي عن الطلاق، فظنّ أنّ فيه حرجاً فنفى؛ لأنّه لا إثم على الطلاق قبل الدخول.

﴿إن طلّقتم النساء ما لم تمسوهنّ﴾ أي: ما لم تجامعوهنّ.

﴿أو تفرضوا لهنّ فريضة﴾ والمراد بالفريضة، نصب على المفعولية، والمعنى: أنّه لا تبعة على المطلّق من مطالبة المهر إذا كانت المطلّقة غير ممسوسة، ولم يسم لها مهراً، [و]إذا كانت ممسوسة فعليه المسمّى أو مهر المثل، ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمّى لها فلها نصف المسمّى.

﴿ومتّعوهنّ﴾ أي: فطلّقوهنّ واعطوهنّ متاعاً من مالكم ما يتّمتعن به.

﴿على الموسع قدره﴾ أي: على الغني الذي هو في سعة لغناه على قدر حاله.

﴿وعلى المقتر قدره﴾ أي: وعلى الفقير الذي هو في ضيق بقدر إمكانه وطاقته، والمتعة خادم أو كسوة أو رزق على حسب الحال بما يطيقه ويليق به، ويدلّ عليه قول النبي ﷺ لأنصاري طلّق امرأته المفوضة قبل أن يمسّها: متّعها بقلنسونك. والمقتر المقلّ.

﴿متاعاً بالمعروف﴾ بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروءة بغير إسراف ولا تقتير.

﴿حقّاً﴾ واجباً.

﴿على المحسنين﴾ الذين يحسنون إلى أنفسهم بالمسارعة إلى الامتثال، أو

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٢٠٤، ومجمع البيان ٢ / ١٢٥.

يحسنون الطاعة ويجتنبون المعصية، أو يحسنون إلى المطلّقات بالتمت[يي]ع، وسمّاهم محسنين تشريفاً لهم وترغيباً وتحريضاً على فعل الإحسان. والمتوفّى عنها زوجها إذا لم يفرض لها صداق فلها الميراث وعليها العدّة، وقيل: لها صداق أمثالها.[1]

[٢٣٧] ﴿وإن طلّقتموهنّ من قبل أن تمسّوهنّ﴾ بالجماع.

﴿وقد فرضتم لهنّ فريضة﴾ أوجبتم لهنّ صداقاً.

﴿فنصف ما فرضتم﴾ أي: فعليكم نصف ما قدرتم، وهو المهر المسمّى.

﴿إلّا أن يعفون﴾ أي: المطلّقات الحرائر البالغات، غير المولّى عليهنّ لفساد عقولهنّ فيتركن ما يجب لهنّ من نصف الصداق فلا يأخذن شيئاً.

﴿أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح﴾ وهو الولي على البكر غير البالغة، كالأب أو الجدّ له، وما عداهما فلا ولاية له عندنا وعند الشافعي، وقيل: هو الزوج المالك لعقده [وحلّه لـ]ما روي عن علي عليه السلام وشريح وسعيد بن المسيّب وقتادة والضحّاك وهو مذهب أبي حنيفة، ورواه أصحابنا، والأول أقرب وعليه المذهب.

﴿وأن تعفوا﴾ خطاب للزوج والمرأة، أو للزوج وحده، وإنّما جمع لأنّه خطاب لكلّ زوج.

﴿أقرب للتّقوى﴾ من وجهين: أحدهما أنّه أقرب إلى أن يتّقي أحدهما ظلم صاحبه؛ لأنّ من ترك لغيره حقّ نفسه كان أقرب إلى أن لا يظلم غيره بطلب ما ليس له. والثاني أنّه أقرب إلى اتّقاء معصية الله تعالى؛ لأنّ من ترك حقّ نفسه كان أقرب إلى أن لا يعصي الله تعالى بطلب ما ليس له؛ لأنّهم كانوا يسوقون المهر إلى النساء عند العقد، فمن طلّق قبل المسيس استحقّ استرداد النصف، فإذا لم يستردّه فقد عفا

١. مجمع البيان ٢ / ١٢٥، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٠٥.

عنه، وعن جبير بن مطعم أنّه تزوّج امرأة وطلّقها قبل الدخول فأكمل لها الصداق، وقال: أنا أحقّ بالعفو.

﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ أي: ولا تنسوا أن يتفضّل بعضكم على بعض؛ لأنّه ليس للزوج أن ينقصها من نصف المهر، ولا للمرأة أن تطالبه بالزيادة.

﴿إنّ الله بما تعملون بصير﴾ لا يضيع تفضّلكم وإحسانكم.[١]

[٢٣٨] ﴿حافظوا على الصلوات﴾ المكتوبات بالأداء في مواقيتها والمداومة عليها بتمام أركانها، ولعلّ الأمر بها في تضاعيف أحكام الأولاد والأزواج لئلّا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها.

﴿والصلاة الوسطى﴾ خصّ الوسطى تفخيماً لشأنها، كقوله: ﴿من كان عدوّاً لله وملائكته وجبريل وميكال﴾[٢] قيل: هي الوسطى بين الخمس، أو الفضل[ى] منها خصوصاً، قيل: هي صلاة العصر؛ لقوله عليه السلام يوم الأحزاب: شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم ناراً، وقال عليه السلام: إنّه الصلاة التي شغل عنها سليمان ابن داود حتّى توارت بالحجاب[٣]، وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة، وقيل: هي صلاة الظهر، لأنّها في وسط النهار، وكانت أشقّ الصلاة عليهم، وكانت أفضل، لقوله عليه السلام: أفضل العبادات أحمزها، وعن زيد بن ثابت أنّه عليه السلام قال: لقد هم[م]ت أن أحرق على قوم لا يشهدون صلاة الظهر بيوتهم فنزلت، وبه قال ابن عمر وأبو سعيد الخدري وأُسامة بن زيد وعائشة وأبو حنيفة وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، وقيل: صلاة الجمعة في يومها، وصلاة

١. تفسير البيضاوي ١ / ٢٠٥، ومجمع البيان ٢ / ١٢٦.
٢. البقرة (٢)؛ الآية ٩٨.
٣. الكشاف ١ / ٢٨٧، وسعد السعود ٢٩٨، وغرائب القرآن ١ / ٦٥٥.

الظهر في سائر الأيّام، وقيل: الفجر؛ لأنّها بين صلاتي النهار والليل والواقعة في الحدّ المشترك بينهما، ولأنّها مشهودة، وقيل: المغرب؛ لأنّها المتوسّطة بالعدد ووتر النهار، وقيل: العشاء؛ لأنّها بين جهرتين واقعتين طرفي النهار، أخفى الله سبحانه الصلاة الوسطى في جملة الصلوات الخمس المفروضة ليحافظوا على جميعها، كما أخفى ليلة القدر في ليالي شهر رمضان، واسمه الأعظم في جميع الأسماء، وساعة الإجابة في ساعات الجمعة.

﴿وقوموا لله﴾ في الصلاة.

﴿قانتين﴾ داعين ذاكرين له، والقنوت هو الدعاء في الصلاة حال القيام، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، قال أبو رجاء العطّار: صلّى بنا ابن عبّاس في مسجد البصرة صلاة الغداة فقنت بنا قبل الركوع ورفع يديه فلمّا فرغ قال: هذه صلاة الوسطى التي أمرنا أن نقوم فيها قانتين، أورده الثعلبي في تفسيره، وروى بإسناده إلى أنس بن مالك، قال: ما زال رسول الله صلى الله عليه وآله يقنت في صلاة الغداة حتّى فارق الدنيا، وقال ابن المسيّب: المراد به القنوت في الصبح، وبه قال الشافعي، وقيل: معناه طائعين، عن الحسن وسعيد بن جبير وقتادة والضحّاك وطاوس، وأحد الروايتين عن ابن عبّاس، وقيل: خاشعين عن ابن مسعود وزيد بن أرقم، والأصل فيه الإتيان بالدعاء في سائر العبادات في حال القيام[١].

[٢٣٩] ﴿فإن خفتم﴾ من عدوّ أو غيره فلم يمكنكم أن تقوموا قانتين موفين الصلاة حقّ[ه]ا لخوفٍ عرض لكم.

﴿فرجالاً أو ركباناً﴾ أي: فصلّوا رجالاً على أرجلكم، وقيل: مشاة أو راكبين

---

١. مجمع البيان ٢: ١٢٨، والبيضاوي ١ / ٢٠٥.

على ظهور دوابّكم، عنى به صلاة الخوف وهي ركعتان، ركعتان في السفر والحضر، إلّا المغرب فإنّها ثلاث ركعات، ويروى أنّ عليّاً عليه السلام صلّى ليلة الهرير ويومها خمس صلوات بالايماء، وقيل بالتكبير، وأنّ النبي صلى الله عليه وآله صلّى يوم الأحزاب إيماء. ورجال جمع راجل أو رجل كقائم وقيام، وفيه دليل على وجوب الصلاة حال المسايفة، وإليه ذهب الشافعي، قال أبو حنيفة: لا يصلّي حال المشي ما لم ي[م]كن الوقوف.

﴿فإذا أمنتم﴾ من الخوف وزال خوفكم.

﴿فاذكروا الله﴾ فصلّوا صلاة الأمن واشكروه على الأمن.

﴿كما علّمكم﴾ ذكراً، مثل ما علّمكم من أُمور دينكم، وغير ذلك من أُمور دنياكم من الشرائع، وكيفية الصلاة حالتي الخوف والأمن، أو شكراً يوازيه، وما مصدرية [أ]و موصولة.

﴿ما لم تكونوا تعلمون﴾ إلّا بتعليمه، مفعول علّمكم.[1]

[٢٤٠] ﴿والذين يتوفّون منكم﴾ أي: الذين يقا[ربون] الوفاة منكم؛ لأنّ المتوفّى لا يأمر ولا ينهى.

﴿ويذرون أزواجاً﴾ أي: يموتون ويتركون نساء.

﴿وصيّة لأزواجهم﴾ أي: فليوصوا وصيّة لهم، قرئ بالنصب على تقدير والذين يتوفّون منكم يوصون وصيّة، أو كتب عليهم وصيّة، ومن رفع فمعناه وصيّة من الله لأزواجهم.

﴿متاعاً إلى الحول﴾ ما ينتفعون به حولاً، من النفقة والكسوة والسكنى، وكان واجباً في المتوفّى عنها زوجها بالوصيّة من مال الزوج.

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٢٠٦، ومجمع البيان ٢ / ١٢٩.

﴿غير إخراج﴾ أي: غير مخرجات من بيوت الأزواج.

﴿فإن خرجن﴾ بأنفسهنّ عن منزل الأزواج قبل الحول من غير أن يخرجهنّ الورثة.

﴿فلا جناح عليكم﴾ فلا حرج على أولياء الميّت.

﴿في ما فعلن في أنفسهنّ﴾ كالتطيّب وترك الحداد.

﴿من معروف﴾ ما لم ينكره الشرع، وهذا دليل على سقوط النفقة عليهنّ بالخروج، وأنّ ذلك كان واجباً لهنّ بالإقامة إلى الحول، فإن خرجن قبله بطل الحقّ الذي وجب لهنّ للإقامة، وإنّما كنّ مخيّرات بين الملازمة وأخذ النفقة وبين الخروج وتركها.

﴿والله عزيز﴾ قادر لا يعجزه شيء، ينتقم ممّن خالفه منهم.

﴿حكيم﴾ [يـ]راعي مصالحهم، لا يصدر منه إلّا ما تقتضيه الحكمة، واتّفق العلماء على أنّ هذه الآية منسوخة، بقوله تعالى: ﴿يتربّصن بأنفسهنّ أربعة أشهر وعشراً﴾[١] وهو وإن كان متقدّماً في التلاوة فهو متأخّر في النزول، وسقطت النفقة بتوريثها الربع والثمن، والسكنى لها بعد ثابتة عند الشافعي، خلافاً لأبي حنيفة.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: كان الرجل إذا مات أُنفق على امرأته من صلب المال حولاً، ثمّ أُخرجت بلا ميراث، ثمّ نسختها آية الربع والثمن، فالمرأة ينفق عليها من نصيبها[٢].

[٢٤١] ﴿وللمطلّقات متاع بالمعروف حقّاً على المتّقين﴾ أثبت المتعة للمطلّقات جميعاً بعد ما أوجبها لواحدة منهنّ، وإفراد بعض العام بالحكم لا

١. البقرة (٢)، الآية ٢٣٤.

٢. مجمع البيان ٢: ١٣١، والبيضاوي ١ / ٢٠٥.

يخصصه، إلّا إذا جوّزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم، ولذلك أوجبها ابن جبير لكلّ مطلّقة، وأوّل غيره بما يعمّ التمت[يـ]ـع الواجب والمستحبّ، وعندنا لا تجب المتعة إلّا للمطلّقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها مهر، فأمّا المدخول بها فلها مهر مثلها إن لم يسمّ لها مهراً، وإن سمّي لها مهر فما سمّي لها، وغير المدخول بها المفروض مهرها لها نصف المهر ولا متعة، وقال قوم: المراد بالمتاع نفقة العدّة، ويجوز أن يكون اللام للعهد، والتكرير للتأكيد، أو لتكرّر القصّة.

[٢٤٢] ﴿كذلك﴾ إشارة إلى ما سبق من أحكام الطلاق والعدة.

﴿يبيّن الله لكم آياته﴾ وعد بأنّه سيبيّن لعباده من الدلائل والأحكام ما يحتاجون إليه معاشاً ومعاداً.

﴿لعلّكم تعقلون﴾ لعلّكم تفهمون آيات الله وتستعملون العقل فيها.[١]

[٢٤٣] ﴿ألم تر﴾ أي: ألم تعلم يا محمّد، أو أيّها السامع.

﴿إلى﴾ أي: إلى خبر هؤلاء.

﴿الذين خرجوا من ديارهم﴾ تعجّب وتقرير لمن سمع بقصّتهم من أهل الكتاب وأرباب التواريخ، وهم أهل داوردان قرية قبل واسط، أمرهم ملك من ملوك بني إسرائيل أن يخرجوا إلى قتال عدوّهم، فخرجوا فعسكروا، ثمّ جبنوا وكرهوا الموت واعتلّوا بعذر، فقال الملك: اللّهمّ ربّ يعقوب وإله موسى قد ترى معصية عبادك، فأرهم آية في أنفسهم، فوقع فيهم طاعون، فخرجوا هاربين من الطاعون.

﴿وهم ألوف﴾ أي: ألوف كثيرة، قيل: عشرة، وقيل: ثلاثون، وقيل: سبعون.

﴿حذر الموت﴾ أي: من خوف الموت.

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٢٠٦، ومجمع البيان ٢ / ١٣٢.

﴿فقال لهم الله موتوا﴾ فأماتهم الله جميعاً هم ودوابّهم، وأتى عليهم ثمانية أيّام حتّى انتفخوا وأروحت أجسادهم، فخرج إليهم الناس فعجزوا عن دفنهم، فحظروا عليهم حظيرة دون السباع، وتركوهم فيها حتّى بليت أجسادهم، وعريت عظامهم وتقطّعت أوصالهم، فمرّ عليهم حزقيل النبي عليه السلام وجعل يتفكّر فيهم متعجّباً، فأوحى الله يا حزقيل، تريد أن أُريك آية وأُريك كيف أُحيي الموتى؟ قال: نعم، فأحياهم الله، ليعتبروا ويتيقّنوا أن لا مفرّ من قضاء الله وقدره، وقيل: أوحى الله إلى حزقيل ناد فيهم أن قوموا بإذن الله، فنادى، فقاموا يقولون: سبحانك وبحمدك لا إله إلّا أنت.

﴿ثمّ أحياهم إنّ الله لذو فضل على النّاس﴾ حيث أحياهم، ليعتبروا ويفوزوا بحياتهم، وقصّ عليكم حالهم لتستبصروا.

﴿ولكنّ أكثر الناس لا يشكرون﴾ أي: لا يشكرون الله كما ينبغي، ويجوز أن يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار. وفي هذه الآية حجّة على من أنكر عذاب القبر والرجعة معاً؛ لأنّ إحياء أُولئك مثل إحياء الذين أحياهم الله للاعتبار.[١]

[٢٤٤] ﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾ الخطاب إلى الصحابة بعد ما ذكّرهم بحال من فرّ من الموت، أو إلى الذين جرى ذكرهم، على تقدير، وقيل لهم قاتلوا، لما بيّن أنّ الفرار عن الموت غير مخلّص [منه]، وأنّ المقدّر لا محالة واقع، أمرهم بالقتال؛ إذ لو جاء أجلهم ففي سبيل الله، وإلّا فالنصر والثواب.

﴿واعلموا أنّ الله سميع﴾ لما يقوله المتخلّف والسابق.

﴿عليم﴾ بما يضمرانه فاحذروا حاله.[٢]

[٢٤٥] ﴿من ذا الذي يقرض الله﴾ من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء، وذا

١. تفسير البيضاوي ١ / ٢٠٨، ومجمع البيان ٢ / ١٣٤.
٢. مجمع البيان ٢ / ١٣٧، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٠٩.

خبره، و«الذي» صفة ذا، أو بدله، وقرض الله، مثلٌ لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه، وليس هذا بقرض حاجة على ما ظنّه اليهود، فقالوا إنّما يستقرض منّا ربّنا عن عوز، فإذاً هو فقير ونحن أغنياء، بل سمّى سبحانه الإنفاق قرضاً تلطّفاً للدعاء إلى فعله، وتأكيداً للجزاء عليه، فإنّ القرض يوجب الجزاء.

﴿قرضاً حسناً﴾ مقروناً بالإخلاص وطيب النفس، أو مقرضاً حلالاً طيّباً، ولا يفسده بمنّ ولا أذىً، وقيل: القرض الحسن المجاهدة والإنفاق في سبيل الله.

﴿فيضاعفه له﴾ أي: فيضاعف له جزاؤه.

﴿أضعافاً كثيرة﴾ أي: فيزيده له زيادة لا يعلم قدرها إلّا الله سبحانه، كقوله: ﴿ويؤت من لدنه أجراً عظيماً في الدنيا والآخرة﴾[١].

﴿والله يقبض ويبسط﴾ يقتر على بعض ويوسّع على بعض، حيثما اقتضت حكمته، فلا تبخلوا عليه بما وسّع عليكم من الرزق لئلّا يبدّل حالكم، وقيل: يقبض الصدقات ويبسط الجزاء عليها عاجلاً أو آجلاً، قال الكلبي: إنّ النبي ﷺ قال: من تصدّق فله مثلها في الجنّة، فقال أبو الدحداح الأنصاري ـ واسمه عمرو بن الدحداح ـ: يا رسول الله، إنّ لي حديقتين إن تصدّقت بإحداهما فإنّ لي مثلها في الجنّة؟ فقال: نعم، قال: وأُمّ الدحداح معي؟ قال: نعم، قال: والصبية معي؟ قال: نعم، فتصدّق بأفضل حديقتيه، فدفعها إلى رسول الله ﷺ، فنزلت الآية، فضاعف الله صدقته ألفي ألف، وذلك قوله ﴿أضعافاً كثيرة﴾، فرجع أبو الدحداح، فوجد أُمّ الدحداح والصبية في الحديقة التي جعلها صدقة، فقام على باب الحديقة، وتحرّج أن يدخلها، فنادى يا أُمّ الدحداح، قالت: لبيك يا أبا الدحداح، قال: إنّي قد جعلت

---

١. النساء (٤)، الآية ٤٠.

حديقتي هذه صدقة، واشتريت مثلها في الجنّة وأُمّ الدحداح معي والصبية معي، فقالت: بارك الله لك فيما شريت وفيما اشتريت، فخرجوا منها وسلّموا الحديقة إلى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: كم نخلة متدلّ عذوقها لأبي الدحداح في الجنّة.

﴿وإليه ترجعون﴾ فيجازيكم على ما قدّمتم وهذا تأكيد للجزاء.[1]

[٢٤٦] ﴿ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل﴾ أي: ألم ينته علمك يا محمّد، إلى الملأ الأشراف من بني إسرائيل، والملأ جماعة يجتمعون للتشاور، كما قيل:

ألا غنياني وارفعا الصوت بالملأ فإن الملأ عندي يزيد المد[ى] بعدا

ومن للتبعيض.

﴿من بعد موسى﴾ أي: من بعد وفاته، ومن للابتداء.

﴿إذ قالوا لنبي لهم﴾ هو يوشع بن نون، أو شمعون بن صفية[2] من ولد لاوي بن يعقوب، أو شمويل واسمه بالعربية إسماعيل، وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام وأكثر المفسّرين والمؤرّخين.

﴿ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله﴾ أقم لنا أميراً ننهض معه للقتال يدير أمره ونصدر فيه عن رأيه، قال أبو عبد الله عليه السلام: كان الملك في ذلك الزمان هو الذي يسير بالجنود والنبي يقيم له أمره وينبئه بالخبر من عند ربّه فأجابهم نبيّهم بأن.

﴿قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال﴾ مع ذلك الملك.

﴿ألّا تقاتلوا﴾ أي: لا تفوا بما تقولون بحبسكم عن القتال، ومعنى عسيتم قاربتم، فصل بين عسى وخبره بالشرط، فأدخل «هل» على فعل التوقّع مستفهماً عمّا هو المتوقّع عنده تقريراً وتثبيتاً.

---

١. مجمع البيان ٢ / ١٣٧، وتفسير البيضاوي ١ / ٢١٠.

٢. ن: صيفة.

﴿قالوا وما لنا ألّا نقاتل في سبيل الله﴾ [أي:] أيّ غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه.

﴿وقد أُخرجنا من ديارنا وأبنائنا﴾ بالإخراج عن الأوطان والإفراد عن الأولاد، وذلك أنّ جالوت ومن تبعه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم، بين مصر وفلسطين، وظهروا على بني إسرائيل، فأخذوا ديارهم، وسبوا أولادهم، وأسروا أبناء الملوك أربعمئة وأربعين.

﴿فلمّا كتب عليهم القتال تولّوا﴾ أعرضوا عن القيام به وضيّعوا أمر الله.

﴿إلّا قليلاً منهم﴾ وهم الذين عبروا النهر ثلاثمئة وثلاثة عشر، بعدد أهل بدر.

﴿والله عليم بالظالمين﴾ وعيد وتهديد لمن تولّى منهم عن القتال؛ لأنّهم ظلموا أنفسهم في ترك الجهاد.[1]

[٢٤٧] ﴿وقال لهم نبيّهم﴾ شمويل، وكان آخر حكّام الشرع من بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وداود، بينهما مدّة أربعمئة وثمانين سنة.

﴿إنّ الله قد بعث لكم طالوت ملكاً﴾ أي: أميراً على الجيش، وكان طالوت من ولد بنيامين بن يعقوب، وكان اسمه شاول، قيل: كان راعياً، وقيل: دبّاغاً، وقيل: سقّاء، وطالوت علم عبري كداود، روي أنّ نبيهم لمّا دعا الله أن يملكهم أتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم، فلم يساوها إلّا طالوت.

﴿قالوا أنّى يكون له الملك علينا﴾ أي: من أين يكون له ذلك ويستأهل.

﴿ونحن أحقّ بالملك منه﴾ لأنّا من سبط النبوّة والمملكة.

﴿ولم يؤت سعة من المال﴾ فيتشرّف به، والحال أنّا أحقّ منه بالملك وراثةً

١. مجمع البيان ٢ / ١٤٠، والبيضاوي ١ / ٢١٠.

ومكنةً، وإنّه فقير لا مال له يعضد به، وإنّما قالوا ذلك؛ لأنّ طالوت كان فقيراً راعياً أو سقّاء أو دبّاغاً من أولاد بنيامين، ولم يكن فيهم النبوّة والملك، وإنّما كانت النبوّة [في] أولاد لاوي بن يعقوب، والملك في أولاد يهوذا بن يعقوب، وكان فيهم من السبطين خلق.

﴿قال إنّ الله اصطفاه عليكم﴾ أي: اختاره عليكم.

﴿وزاده بسطة في العلم والجسم﴾ وكان أعلم بني إسرائيل في وقته، كما قيل:

في العلم والجسم لا تخفى زيادته فهل أعادت لنا الأيّام طالوت[ا][1]

وسمّي طالوت لطوله وعظم جثته وقوّته وشجاعته.

﴿والله يؤتي ملكه من يشاء﴾ فلا تنكروا ملكه لفقره وسقوط نسبه.

﴿والله واسع﴾ أي: واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه.

﴿عليم﴾ بمن يليق بالملك من النسيب وغيره، إذ ليس بواجب أن يكون الملك وراثة وإنّما هو بحسب ما يعلمه الله من المصلحة، بل من شرط الإمام أن يكون أعلم من رعيته.[2]

[٢٤٨] ﴿وقال لهم نبيّهم﴾ شمويل لما طلبوا منه حجّة وآية تدلّ على أنّ الله سبحانه اصطفى طالوت وملّكه عليهم:

﴿إنّ آية ملكه﴾ أي: علامة تمليك الله إيّاه.

﴿أن يأتيكم التابوت﴾ أي: الصندوق، يريد به صندوق التوراة، وكان من خشب الشمشاد، مموّهاً بالذهب، نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين.

---

١. من قصيدة للغزي، انظر يتيمة الدهر ١ / ٢٩٨.

٢. مجمع البيان ٢ / ١٤٣، وتفسير البيضاوي ١ / ٢١٠.

﴿فيه سكينة من ربّكم﴾ أي: في إتيانه سكون لكم وطمأنينة[١]، أو مودع فيه ما تسكنون إليه وهو التوراة، وكان موسى عليه السلام إذا قاتل قدّمه فتسكن إليه نفوس بني إسرائيل ولا يفرّون، وقيل: كانت فيه صورة من زبرجد أو ياقوت، لها رأس وذنب كرأس الهرّة وذنبها، وجناحان فتأتي فيزفّ التابوت نحو العدوّ وهم يتّبعونه، فإذا استقرّ ثبتوا وسكنوا، ونزل النصر، وقيل: فيه صور الأنبياء من آدم إلى محمّد عليه وعليهم السلام، وعن أبي جعفر عليه السلام أنّ التابوت كان الذي أنزله الله على أُمّ موسى، فوضعت فيه ابنها موسى، وألقته في اليمّ، وكان في بني إسرائيل يتبرّكون به، فلمّا حضر موسى الوفاة، وضع فيه الألواح ودرعه وما كان عنده من آثار النبوّة، وأودعه وصيّه يوشع بن نون، فلم يزل التابوت بينهم وهم في عزّ وشرف حتّى استخفوا به، وكان الصبيان يلعبون به في الطرقات، فرفعه الله، عنهم فلمّا سألوا نبيّهم أن يبعث لهم ملكاً، بعث الله لهم طالوت، وردّ عليهم التابوت، وكانوا يقدّمونه بين أيديهم عند القتال فلا يقوم لهم أحد.

﴿وبقيّة ممّا ترك آل موسى وآل هارون﴾ رضاض الألواح، وعصا موسى، وثيابه، وعمامة هارون وآلهما أبناؤهما، أو أنفسهما، والآل مقحم، لتفخيم شأنهما، والعرب تقول آل فلان يريدون نفسه، أنشد أبو عبيدة:

فلا تبك ميتاً بعد ميتٍ أحبّه ... عليٌّ وعباسٌ وآل أبي بكر

يريد أبا بكر.

﴿تحمله الملائكة﴾ قيل: حملته الملائكة بين السماء والأرض حتّى رآه بنو إسرائيل عياناً، وقيل: رفعه الله بعد موسى، فنزلت به الملائكة وهم ينظرون إليه،

---

١. ن: تأنينة.

وقيل: كان بعده مع أنبيائهم يستفتحون به حتّى أفسدوا، فغلبهم الكفّار عليه، وكان في أرض جالوت إلى أن ملّك الله طالوت، فأصابهم ببلاء حتّى هلكت خمس مدائن، فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين، فساقتهما الملائكة إلى طالوت، فقوى عزمه على حرب جالوت(١).

﴿إنّ في ذلك لآية لكم﴾ أي: في رجوع التابوت إليكم علامة أنّ الله سبحانه ملّك طالوت عليكم.

﴿إن كنتم مؤمنين﴾ كما تزعمون، يحتمل أن يكون من تمام كلام النبي لهم، وأن يكون ابتداء خطاب من الله تعالى.

[٢٤٩] ﴿فلمّا فصل طالوت بالجنود﴾ [ا]نفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة، روي أنّه قال لهم لا يخرج معي إلّا الشاب النشيط الفارغ، فاجتمع إليه ممّن اختاره ثمانون ألفاً، وكان الوقت قيظاً، فسلكوا مفازة، وسألوا أن يجري الله لهم نهراً.

﴿قال﴾ يعني: طالوت.

﴿إنّ الله مبتليكم بنهر﴾ معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه، قال ابن عبّاس والسدّي: هو نهر فلسطين.

﴿فمن شرب منه فليس منّي﴾ فليس من أصحابي وممّن تبعني.

﴿ومن لم يطعمه فإنّه منّي﴾ أي: من لم يذقه، فإنّه من أهل ديني، وإنّما علم ذلك بالوحي إن كان نبيّاً، كما قيل، أو بإخبار النبي.

﴿إلّا من اغترف غرفة بيده﴾ مقدار ملء كفّه، والرخصة في القليل دون الكثير.

﴿فشربوا منه إلّا قليلاً منهم﴾ كانوا ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً على الأصحّ،

---

١. مجمع البيان ٢: ١٤٥، وتفسير البيضاوي ١ / ٢١١.

روي أنّ من اقتصر على الغرفة كفته لشربه وإداوته، ومن [لم] يقتصر غلب عليه عطشه واسودّت شفته، ولم يقدر أن يمضي. وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة.

﴿فلمّا جاوزه هو والذين آمنوا معه﴾ أي: فلمّا تعدّى طالوت النهر والقليل الذين لم يخالفوه.

﴿قالوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض.

﴿لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده﴾ لكثرتهم وقوّتهم، وكان جالوت من جبابرة الكنعانيين، وكان من الشدّة وطول القامة لا يمكن أحد أن يبارزه، فذكر شمويل علامة الرجل الذي يقتله، فوجدت في داود، فبرز لجالوت في جماعة.

﴿قال الذين يظنّون أنّهم ملاقو الله﴾ أي: قال الخلّص منهم، الذين تيقّنوا لقاء ثواب الله، أو علموا أنّهم يستشهدون عمّا قريب فيلقون الله بأعمالهم.

﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾ بحكمه وتيسيره، والفئة الفرقة من الناس، من فاء إذا رجع.

﴿والله مع الصابرين﴾ بالنصر والإثابة.[١]

[٢٥٠] ﴿ولمّا برزوا لجالوت وجنوده﴾ أي: ظهروا لهم ودنوا منهم.

﴿قالوا ربّنا أفرغ علينا صبراً﴾ أي: وفّقنا للصبر على الجهاد وشبهه. والإفراغ الصبّ على جهة إخلاء، ومنه ﴿وأصبح فؤاد أُمّ موسى فارغاً﴾[٢] أي: خالياً من الصبر.

﴿وثبّت أقدامنا﴾ حتّى لا نفرّ.

﴿وانصرنا على القوم الكافرين﴾ التجأوا إلى الله بالدعاء، وفيه ترتيب بليغ؛ إذ

١. تفسير البيضاوي ١ / ٢١٢، ومجمع البيان ٢ / ١٤٨.

٢. القصص (٢٨)، الآية ١٠.

سألوا أوّلاً إفراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الأمر، ثمّ ثبات القدم في مداحض الحرب المسبّب منه، ثمّ النصر على العدوّ المرتّب عليهما غالباً.[1]

[٢٥١] ﴿فهزموهم بإذن الله﴾ فكسروهم بنصره إيّاهم إجابة لدعائهم.

﴿وقتل داوود جالوت﴾ عن الصادق عليه السلام إنّ الله أوحى إلى شمويل أنّ جالوت يقتله من تستوي عليه درع موسى، وهو رجل من ولد لاوي بن يعقوب، اسمه داود ابن إيشا، راعٍ، وكان لإيشا عشرة بنين أصغرهم داود، فلمّا بعث الله طالوت إلى بني إسرائيل وجمعهم لحرب جالوت بعث إلى إيشا وبنيه أن احضروا، فلمّا حضروا ودعا واحداً واحداً من ولده فألبسهم درع موسى، فمنهم من طالت عليه، ومنهم من قصرت عنه، فقال لإيشا: هل خلفت من ولدك أحداً، قال: نعم أصغرهم، تركته في الغنم يرعاها، فبعث إليه، فجاء به ومعه مقلاع، فنادته ثلاث صخرات في طريقه يا داود خذنا [إنّك] بنا تقتل جالوت، فأخذها في مخلا[ت]ه، فلمّا جاء إلى طالوت ألبسه درع موسى فاستوى عليه، فجاء فوقف حذاء جالوت، وكان جالوت على الفيل، وعلى رأسه التاج، وفي جبهته ياقوتة تلمع نوراً، وجنوده بين يديه، فأخذ داود حجراً من تلك الأحجار فرمى به في ميمنة جالوت فانهزموا، فأخذ حجراً آخر ورمى به في ميسرة جالوت فانهزموا، ورمى بالثالث إلى جالوت، فأصابه في موضع الياقوتة في جبهته، فوصلت إلى دماغه ووقع على الأرض ميّتاً، فزوّجه طالوت بنته.

﴿وآتاه الله الملك﴾ أي: ملك بني إسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك.

﴿والحكمة﴾ والنبوّة.

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٢١٢، ومجمع البيان ٢ / ١٤٨.

﴿وعلّمه ممّا يشاء﴾ من أُمور الدين والدنيا وصنعة الدروع، واجتمعت عليه بنو إسرائيل، حتّى لم يكن يسمع لطالوت ذكر، وأنزل الله عليه الزبور، وأمر الجبال والطير أن تسبّح معه، وأعطاه صوتاً لم يسمع بمثله حسناً، وقوّة في العبادة، وقام في بني إسرائيل نبيّاً، واستوثق له الملك، ودخلت جميع الأسباط تحت طاعته، وانتقل إلى القدس وفتح أرض فلسطين، ومأرب، وحلب، ونصيبين، والأُردن، وملك أربعين سنة، وتوفّي وعمره سبعين سنة.

﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ أي: ولولا أنّه تعالى يدفع بجنود المسلمين الكفّار لغلبوا وخرّبوا البلاد وفسدت الأرض بشؤمهم ومعاصيهم.

﴿ولكنّ الله ذو فضل على العالمين﴾ في دينهم ودنياهم فيدفع بالبرّ الفاجر، أو يدفع بالبرّ عن الفاجر الهلاك، عن أبي عبد الله عليه السلام: إنّ الله يدفع بمن يصلّي منهم ولو اجتمعوا على ترك الصلاة لهلكوا، وعن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: لولا عباد ركّع وصبيان رضّع وبهائم رتّع لصبّ عليكم العذاب صبّاً، وقال عليه السلام: إنّ الله يصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله ما دام فيهم[1].

[٢٥٢] ﴿تلك آيات الله﴾ إشارة إلى ما قصّ من حديث الأُلوف، وتمليك طالوت، وإتيان التابوت، وانهزام الجبابرة، وقتل داود جالوت.

﴿نتلوها عليك﴾ نقرأها عليك يا محمّد.

﴿بالحقّ﴾ أي: بالوجه المطابق للحقّ الذي لا يشكّ فيه أهل الكتاب، وأرباب

١. مجمع البيان ٢: ١٥٢، وتفسير البيضاوي ١ / ٢١٣.

التواريخ.

﴿وإنّك لمن المرسلين﴾ لما أخبرت[1] بهذه الآيات من غير تعرّف واستماع، مع أنّك لم تشاهدها ولم تخالط أهلها إلّا بوحي من الله تعالى، والله لا يوحي إلّا إلى أنبيائه.[2]

[٢٥٣] ﴿تلك الرسل﴾ إشارة إلى الجماعة المذكورة قصصها في السورة، أو في الكتاب من الأنبياء. أتى بلفظ الإفراد الذي يكون للمؤنّث المفرد، كما يقال: القوم خرجت، أي: أُولئك الذين تقدّم ذكرهم من الأنبياء والرسل، واللام للاستغراق.

﴿فضّلنا بعضهم على بعض﴾ بأن خصصناه بمنقبة ليست لغيره، كالخلّة لإبراهيم، والتكلّم لموسى، والمائدة لعيسى، وإرسال محمّد إلى الكافّة من الجنّ والإنس، أو بالشرائع، فمنهم من شرّع، ومنهم من لم يشرّع.

﴿منهم من كلّم الله﴾ أي: كلّمه الله تفضيلاً له وهو موسى ومحمّد ﷺ، كلّم موسى ليلة الحيرة وفي الطور، ومحمّداً ليلة المعراج حين كان قاب قوسين أو أدنى، وبينهما بون بعيد، وقرئ (كلّم اللهَ) بالنصب، فإنّه كلّم الله كما أنّ الله كلّمه.

﴿ورفع بعضهم درجات﴾ بأن فضّله على غيره من وجوه متعدّدة، وبمراتب متباعدة، وهو محمّد ﷺ فإنّه خصّ بالدعوة العامّة، والحجج المتكاثرة، والمعجزات المستمرّة، والآيات المترقبة[3]، المتعاقبة بتعاقب الدهر، والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر، والإبهام لتفخيم شأنه، والحكمة تقتضي تأخّر أشرف الرسل لأعظم الأُمور، وقيل: إبراهيم عليه السلام خصصه بالخلّة التي هي أعلى المراتب، وقيل: إدريس،

١. في البيضاوي: اختبرت.
٢. تفسير البيضاوي ١ / ٢١٣، ومجمع البيان ٢ / ١٥٢.
٣. مهملة الباء في النسخة، ولم ترد في البيضاوي الذي هو مصدر المصنف هنا.

لقوله تعالى: ﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾[1] وقيل: أُولو العزم من الرسل.

﴿وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات﴾ الآيات الواضحات التي لم يستجمعها غيره؛ لأنّه ولد من غير فحل، وأحيى الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص، وجعل من الطين طائراً، وكان يمشي على الماء، ويلبس الشعر، ويأكل ورق الشجر، ولم يكن له بيت فيخرب، ولا ولد فيموت، وأينما أمسى بات، ولم يضع لبنة على لبنة، ورفع إلى السماء.

﴿وأيّدناه بروح القدس﴾ نصرناه بجبرئيل عليه السلام، خصّه بالتعيين؛ لإفراط[2] اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه، وجعل معجزاته سبب تفضيله؛ لأنّها آيات واضحة ومعجزات عظيمة.

﴿ولو شاء الله﴾ هدى الناس جميعاً.

﴿ما اقتتل الذين من بعدهم﴾ من بعد الرسل، بأن يلجئهم إلى الإيمان ويمنعهم من الكفر.

﴿من بعد ما جاءتهم البيّنات﴾ المعجزات الواضحة؛ لاختلافهم في الدين، فإنّ المقصود من بعثة الرسل قد حصل بإيمان من آمن قبل القتال وتضليل بعضهم بعضاً.

﴿ولكن اختلفوا فمنهم من آمن﴾ بتوفيق الله ولطفه، والتزام دين الأنبياء تفضّلاً.

﴿ومنهم من كفر﴾ لإعراضه عنه بخذلانه، أو بسوء اختياره.

﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا﴾ كرّره للتأكيد، وقيل: الأوّل مشيئة الإكراه، والثاني الأمر للمؤمنين بالكفّ عن قتالهم.

﴿ولكنّ الله يفعل ما يريد﴾ فيوفّق من يشاء فضلاً، ويخذل من يشاء عدلاً، بما

---

١. مريم (١٩)، الآية ٥٧.

٢. ن: لإفراد. وأثبتناه حسب البيضاوي.

تقتضيه المصلحة وتوجبه الحكمة، والآية دليل على أنّ الأنبياء متفاوتة الأقدار، وأنّه يجوز تفضيل بعضهم على بعض لكن بقاطع؛ لأنّ اعتبار الظنّ فيما يتعلّق بالعمل، وأنّ الحوادث بيد الله تابعة لمشيئته، خيراً كان أو شرّاً، إيماناً وكفراً على اعتقاد الأشاعرة.[١]

[٢٥٤] ﴿يا أيّها الذين آمنوا﴾ بمحمّد وما جاء به.

﴿أنفقوا ممّا رزقناكم﴾ ممّا أوجبت عليكم إنفاقه، كالزكاة ونحوها ويدخل فيه النفل.

﴿من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلّة ولا شفاعة﴾ من قبل أن يأتي يوم لا تقتدرون على تدارك ما فرّطتم، والخلاص من عذابه؛ إذ لا بيع فيه فتحصّلون بالتجارة ما تنفقونه، أو تفتدون به من العذاب، ولا خلّة حتّى يعينكم عليه أخلّاؤكم أو يسامحونكم به، إذ الأخلّاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ، ولا شفاعة إلّا لمن أذن له الرحمان ورضي له قولاً، حتّى تت[كـ]لوا على شفعاء تشفع لكم في حطّ ما في ذمّتكم، وإنّما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم؛ لأنّها في التقدير جواب: هل فيه بيع أو خلّة أو شفاعة؟

﴿والكافرون هم الظالمون﴾ أي: التاركون للزكاة هم الذين ظلموا أنفسهم، أو وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه، فوضع الكافرون موضعه تغليظاً وتهديداً، كقوله: ﴿ومن كفر﴾[٢] مكان من لم يحجّ، وإيذاناً بأنّ ترك الزكاة من صفات الكفّار كقوله: ﴿وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة﴾[٣].[٤]

١. مجمع البيان ٢ / ١٥٥، وتفسير البيضاوي ١ / ٢١٥.
٢. آل عمران (٣)، الآية ٩٧.
٣. فصلت (٤١)، الآية ٦.
٤. تفسير البيضاوي ١ / ٢١٥، ومجمع البيان ٢ / ١٥٨.

[٢٥٥] ﴿الله لا إله إلّا هو﴾ فلا يستحقّ العبادة غيره.

﴿الحيّ﴾ الذي لا يموت ولا يزول.

﴿القيّوم﴾ الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه، وإيصال أرزاقهم إليهم، كما قال: ﴿وما من دابّة في الأرض إلّا على الله رزقها﴾[1] أو قائم على كلّ نفس بما تكسب من خير أو شرّ

﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ السنة فتور يتقدّم النوم، وهو النعاس، قال عدي بن الرقاع:

وسنان أقصده النعاس فرنّقت   في عينه سنة وليس بنائم

والنوم حال يعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة، بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الإحساس رأساً، والجملة نفي للتشبيه، وتأكيد لكونه حيّاً قيّوماً، فإنّ من أخذه نعاس أو نوم [كان] مأيوس[2] الحياة قاصراً في الحفظ والتدبير.

﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾ تقرير لقيّوميّته، واحتجاج على تفرّده في الألوهية، والمراد بما فيهما، أي: له التصرّف في ما وجد فيهما، داخلاً في حقيقتهما أو خارجاً عنهما متمكّناً فيهما، فهو أبلغ من قوله: له السماوات والأرض وما فيهنّ.

﴿من ذا الذي يشفع عنده إلّا بإذنه﴾ استفهام إنكار، وبيان لكبرياء شأنه، وأنّه لا أحد يساويه أو يدانيه، يستقلّ بأن يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلاً [عن] أن يعاوقه عناداً ومناصبة، وذلك أنّ المشركين كانوا يزعمون أنّ الأصنام تشفع لهم،

---

١. هود (١١)، الآية ٦.

٢. في البيضاوي وهو مصدر المصنف: موؤف.

فأخبر سبحانه أن لا أحد ممّن له شفاعة يشفع إلّا بعد أن يأذن له الله في ذلك.

﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ يعلم ما مضى من الدنيا قبلهم، وما يأتي بعدهم من الآخرة، أو الغيب الذي تقدّمهم، والغيب الذي يأتي بعدهم، أو ما يدركونه وما لا يدركونه، والضمير لما في السماوات والأرض من العقلاء، كالملائكة والأنبياء.

﴿ولا يحيطون بشيء من علمه﴾ من معلوماته، والإحاطة بالشيء علماً أن يعلمه كما هو على الحقيقة.

﴿إلّا بما شاء﴾ أن يعلمهم بالعلم الذاتي التامّ الدالّ على وحدانيته ويطلعه عليه.

﴿وسع كرسيّه السماوات والأرض﴾ أي: وسع علمه السماوات والأرض، تصوير لعظمته، وتمثيل مجرّد، كقوله: ﴿وما قدروا الله حقّ قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويّات بيمينه﴾[1] ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد عليه، وقيل: كرسيّه مجاز عن علمه أو ملكه، مأخوذ من كرسي العالم والملك، والكرسي كلّ أصل يعتمد عليه، قال الشاعر:

تحفّ بهم بيض الوجوه وعصبةٌ كراسيُّ بالأحداث حين تنوب

أي: علماء بحوادث الأُمور، وقيل: جسم بين يدي العرش، ولذلك سمّى كرسيّاً محيط بالسماوات السبع، لقوله ﷺ: ما السماوات السبع والأرضون السبع مع[2] الكرسي إلّا كحلقة في فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة، ولعلّه الفلك المشهور بفلك البروج، وهو فلك الأفلاك، وسيره من المشرق إلى المغرب، والباقية بالعكس، ولله درّ القائل:

---

١. الزمر (٣٩)، الآية ٦٧.

٢. في البيضاوي وهو مصدر المؤلف: من.

أنحوكم ويـردّ وجـهي القـهقرى عنكم فسيري مثل سير الكوكب
القصد نحو المشرق الأقصى لكم والسير رأي العين نحو المغرب[١]

وقال علي عليه السلام: السموات والأرض وما فيهما [من مخلوق] في جوف الكرسي وله أربعة أملاك يحملونه بإذن الله.

وقال كعب: حملة العرش ملائكة أربعة أحدهم إسرافيل، وهو أقرب الملائكة ويمدّهم يوم القيامة بأربعة أُخرى، فيحمل عرش ربّك فوقهم يومئذٍ ثمانية[٢].

﴿ولا يؤوده حفظهما﴾ ولا يثقله ويشقّ عليه حفظ السماوات والأرض، مأخوذ من الأود وهو الاعوجاج.

﴿وهو العلي﴾ المتعالي عن الأنداد والأشباه.

﴿العظيم﴾ المستحقر بالإضافة إليه كلّ ما سواه.

وهذه الآية مشتملة على أُمّهات المسائل الإلهية، فإنّها دالّة على أنّه تعالى موجود واحد في الإلهية، متّصف بالحياة، واجب الوجود لذاته، موجد لغيره، إذ القيّوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره، منزّه عن التحيّز والحلول، مبرّأ عن التغيّر والفتور، لا يناسب الأشباح، ولا يعتريه ما يعتري الأرواح، مالك الملك والملكوت، ومبدع الأُصول والفروع، ذو البطش الشديد، الفعّال لما يريد، الذي لا يشفع عنده إلّا من أذن له، عالم بالأشياء كلّها، جليّها وخفيّها، كلّيها وجزئيها، واسع الملك والقدرة [على] كلّ ما يصحّ أن يملك ويقدر عليه، لا يؤده شاقّ، ولا يشغله شأن، متعالٍ عمّا يدركه، وهو عظيم لا يحيط به فهم.

---

١. من قصيدة للأرّجاني انظر وفيات الأعيان ١ / ١٥٣، وكشكول البهائي ١ / ٣١٠ وغيرهما.
٢. لم أعثر عليه، وذكر بعضه ابن عبد البر في التمهيد ونسبه إلى كعب، وذكر الزمخشري في الكشاف ٤ / ٦٠٢ نحوه مع مغايرات ومرفوعاً، ولعل المصنف جمع بين عدّة أحاديث.

قال أُبيّ بن كعب: قال لي رسول الله ﷺ: يا أبا المنذر أيّ آية في كتاب الله أعظم قلت: الله لا إله إلّا هو الحيّ القيّوم، فضرب في صدري ثمّ قال: ليهنك العلم والذي نفس محمّد بيده إنّ لهذه الآية لساناً وشفتين تقدّس الملك عند ساق العرش.

وعن علي عليه السلام قال: سمعت نبيّكم ﷺ على أعواد المنبر وهو يقول: من قرأ آية الكرسي في دبر كلّ صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنّة إلّا الموت، ولا يواظب عليها إلّا صدّيق أو عابد، ومن قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره.

وقال: يا علي، سيّد البشر آدم عليه السلام، وسيّد العرب محمّد ﷺ ولا فخر، وسيّد الفرس سلمان، وسيّد الروم صهيب، وسيّد الحبشة بلال، وسيّد الجبال الطور، وسيّد الشجر السدر، وسيّد الشهور الأشهر الحرم، وسيّد الأيّام الجمعة، وسيّد الكلام القرآن، وسيّد القرآن البقرة، وسيّد البقرة آية الكرسي، يا علي، إنّ فيها لخمسين كلمة في كلّ كلمة خمسون بركة[1].

[٢٥٦] ﴿لا إكراه في الدين﴾ إذ الإكراه في الحقيقة إلزام الغير فعلاً لا يرى فيه خيراً يحمله عليه، قيل: إنّها منسوخة بآية السيف، بقوله: ﴿جاهد الكفّار والمنافقين واغلظ عليهم﴾[2] وخاصّة بأهل الكتاب الذين تؤخذ منهم الجزية، لما روي أنّ أنصارياً كان له ابنان تنصّرا قبل المبعث، ثمّ قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال: والله لا أدعكما حتّى تسلما فأبيا، فاختصموا إلى رسول الله ﷺ فنزلت.

﴿قد تبيّن الرشد من الغيّ﴾ قد ظهر الإيمان من الكفر، والحقّ من الباطل، بالآيات الواضحة، والمعجزات اللائحة، ودلّت الدلائل على أنّ الإيمان رشد يوصل

١. مجمع البيان ٢: ١٥٧، وتفسير البيضاوي ١ / ٢١٦.
٢. التوبة (٩)، الآية ٧٣.

إلى السعادة الأبدية، والكفر غيّ يؤدّي إلى الشقاوة السرمدية، والعاقل متى تبيّن له ذلك بادرت نفسه إلى الإيمان طلباً للفوز بالسعادة والنجاة، ولم يحتج إلى الإكراه والإلجاء.

﴿فمن يكفر بالطاغوت﴾ [بـ]الشيطان والأصنام، أو كلّ ما عبد من دون الله، أو صدّ عن عبادة الله، و[الرشد نقيض الغي، تقول: غوي إذا][١] سلك طريق الهلاك، و[من][٢] غوى فقد خاب، كما قيل:

ومن يلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يغوِ لا يعدم على الغي لائما

﴿ويؤمن بالله﴾ بالتوحيد، وتصديق الرسل، والكتب المنزلة، وعمل بما فيها قبل النسخ، واتّبع القرآن وما جاء به محمّد ﷺ.

﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ فقد اعتصم بالعصمة الوثيقة، وعقد لنفسه من الدين ـ بالإيمان الذي به يعتصم المؤمن ـ عقداً وثيقاً لا تحلّه شبهة، وهو الإيمان بالله، ورسوله، وما جاء به، من الحبل الوثيق، كما قال: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا﴾[٣] وحبل الله القرآن يتمسّك به المحقّ بالنظر الصحيح والفكر القويم.

﴿لا انفصام لها﴾ لا انقطاع لها، يقال: فصمته فانفصم، أي: كسرته فانكسر، يعني: كما لا ينقطع من تمسّك بالعروة الوثقى كذلك لا ينقطع أمر من تمسّك بالإيمان.

﴿والله سميع﴾ بالأقوال فيسمع أقوالكم.

﴿عليم﴾ بالنيّات فيعلم بما في ضمائركم، ولعلّه تهديد [على] النفاق.[٤]

١. أخذناه من مجمع البيان وهو مصدره لتتميم الكلام، وما قبله من البيضاوي.
٢. إضافة منا لتنظيم السياق. وفي المجمع: وغوى إذا خاب.
٣. آل عمران (٣)، الآية ١٠٣.
٤. مجمع البيان ٢ / ١٦٢، والبيضاوي ١ / ٢١٧

[٢٥٧] ﴿الله وليّ الذين آمنوا﴾ أي، نصيرهم ومعينهم ومتولّي أُمور دينهم ودنياهم وآخرتهم ومثواهم، والمراد بهم من أراد إيمانه وثبت في علمه أنّه يؤمن.

﴿يخرجهم﴾ بهدايته وتوفيقه.

﴿من الظلمات﴾ من ظلمات الجهل والضلالة، واتّباع الهوى، وقبول الوساوس والشبه المؤدّية إلى الكفر، ويرشدهم.

﴿إلى النور﴾ إلى نور الهدى الموصل إلى الإيمان، والجملة خبر بعد خبر.

﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت﴾ أي: الشياطين، أو المضلّات من الهوى والشيطان وغيرهما، والطاغوت هنا واحد أُريد به الجمع، وهذا جائز في اللغة إذا كان في الكلام دليل على الجماعة، كما قيل:

بها جيف الحسرى فأمّا عظامها فبيضٌ وأمّا جلدها فصليب

وجلدها في معنى جلودها.

﴿يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾ من النور الذي منحوه بالفطرة إلى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات، أو من نور البيّنات إلى ظلمات الشكوك والشبهات.

فإن قيل: كيف يخرجونهم من النور وهم لم يدخلوا فيه، فذلك كقول القائل: أخرجني والدي من ميراثه، فمنعه من الدخول فيه إخراج، ومثله قول يوسف: ﴿إنّي تركت ملّة قوم لا يؤمنون بالله﴾[1] ولم يكن في ملّتهم قطّ، وقوله: ﴿ومنكم من يردّ إلى أرذل العمر﴾[2] وقول الشاعر:

فإن تكن الأيّام أحسن مرّةً إليّ فقد عادت لهنّ ذنوب

١. يوسف (١٢)، الآية ٣٧.
٢. النحل (١٦)، الآية ٧٠؛ الحجّ (٢٢)، الآية ٥.

ولم يكن لهنّ ذنوب قبل ذلك، وقيل: إنّها نزلت في قوم ارتدّوا عن الإسلام.

﴿أُولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ وعيد وتهديد وتحذير.[١]

[٢٥٨] ﴿ألم تر إلى الذي حاجّ إبراهيم في ربّه﴾ تعجّب من محاجّة نمرود بن كنعان وحماقته، وهو أوّل من تجبّر وادّعى الربوبية.

﴿أن آتاه الله الملك﴾؛ لأن آتاه نعيم الدنيا وسعة المال فبطر وحاجج إبراهيم، أو حاجّ لأجل الملك، وهو حجّة على المعتزلة، لمنعهم من إتيان الله الملك للكافر؛ لأنّ الهاء من آتاه تعود إلى الحاجّ، وقيل: تعود إلى إبراهيم.

﴿إذ قال إبراهيم ربّي الذي يحيي ويميت﴾ يخلق[٢] الموت والحياة في الأجساد، بدأ بذكر الحياة لأنّها أوّل نعمة أنعم الله بها على خلقه، ولا يَقْدر عليها غيره.

﴿قال أنا أُحيي وأُميت﴾ بالعفو عن القتل و[ب]القتل، روي أنّ إبراهيم قال له: أحي من قتلته إن كنت صادقاً.

﴿قال إبراهيم فإنّ الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب﴾ أعرض إبراهيم عن الاعتراض على معارضته الفاسدة إلى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعاً للمجادلة، وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي إلى مثال جلي من مقدوراته تعالى التي يعجز عن الإتيان بها غيره، لا عن حجّة إلى أُخرى، فإن قيل: فهلّا قال له نمرود: فليأت بها ربّك من المغرب؟ فالجواب أنّه علم بما رأى من الآيات أنّه لو اقترح ذلك لأتى بها من المغرب، تصديقاً لإبراهيم، وازداد نمرود فضيحة، ولعلّ نمرود زعم أنّه يقدر أن يفعل كلّ جنس يفعله الله تعالى فنقضه

١. مجمع البيان ٢ / ١٦٦، تفسير البيضاوي ١ / ٢١٨.

٢. في البيضاوي: بخلق.

إبراهيم بذلك، وإنّما حمله عليه بطر الملك وحماقته، أو اعتقاد الحلول، وقيل: لما كسر إبراهيم الأصنام سجنه نمرود أيّاماً، ثمّ أخرجه ليحرقه، فقال له: من ربّك الذي تدعو إليه وحاجّه فيه.

﴿فبهت الذي كفر﴾ أي: تحيّر نمرود، فصار [م]بهوتاً بما بان له وبطلت حجّته.

﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ بالمعونة على بلوغ البغية من الفساد كنمرود وأمثاله، أو بالامتناع عن قبول الهداية، أو لا يهديهم محجّة[1] الاحتجاج، أو سبيل النجاة، أو طريق الجنّة يوم القيامة.[2]

[٢٥٩] ﴿أو كالذي مرّ على قرية﴾ وهو عزير بن شرخيا، وقيل: ارميا، أو الخضر، أو كافر بالبعث لنظمه مع نمرود، والقرية بيت المقدس حين خرّبه بخت نصر، وقيل: القرية التي خرج منها الألوف، وتقديره إن كنت تحيي فأحي كإحياء الله الذي مرّ على القرية.

﴿وهي خاوية على عروشها﴾ خالية ساقطة حيطانها على سقوفها.

﴿قال أنّى يحيي هذه الله بعد موتها﴾ أي: كيف يعمر الله هذه القرية بعد خرابها، أو كيف يحيي الله أهلها بعد ما ماتوا، اعترافاً بالقصور عن معرفة طريق الإحياء، واستعظاماً لقدرة المحيي إن كان القائل مؤمناً، عزير أو ارميا أو الخضر، واستبعاداً إن كان كافراً، كما قيل.

﴿فأماته الله مئة عام﴾ فألبثه ميّتاً مئة سنة.

﴿ثمّ بعثه﴾ بالإحياء.

﴿قال كم لبثت﴾ القائل هو الله، وساغ أن يكلّمه وإن كان كافراً؛ لأنّه آمن بعد

---

١. ن: بحجة.

٢. مجمع البيان ٢ / ١٦٩، والبيضاوي ١ / ٢١٩.

البعث، أو شارف الإيمان، وقيل ملك، أو نبي، أو بعض المعمّرين ممّن شاهده عند موته وإحيائه.

﴿قال لبثت يوماً أو بعض يوم﴾ كقول الظانّ؛ لأنّ الله أماته ضحى النهار وأحياه بالبعث بعد مئة سنة في آخر النهار وقبل الغروب، فقال قبل النظر إلى الشمس يوماً، ثمّ التفت فرأى بقية منها فقال أو بعض يوم على الإضراب.

﴿قال بل لبثت مئة عام﴾ أي: بقيت في مكانك مئة سنة.

﴿فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنّه﴾ أي: لم تغيّره السنون ومرور الزمان، واشتقاقه من السنه، أو لم يتسنن من الحمأ المسنون، وإنّما أفرد الضمير؛ لأنّ الطعام والشراب كالجنس الواحد، قيل: كان طعامه تيناً وعنباً، وشرابه عصيراً أو لبناً، وكان الكل على حالة العصير حلواً، والتين والعنب كما جنيا.

﴿وانظر إلى حمارك﴾ كيف تفرّقت عظامه وتبدّدت أجزاؤه، وانظر إليه سالماً في مكانه كما ربطته، حفظناه بلا ماء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من التغيّر، والأوّل أدلّ على الحال وأوفق لِما بعده.

﴿ولنجعلك آية للناس﴾ أي: فعلنا ذلك لنجعلك آية لهم في البعث، روي أنّه أتى قومه على حماره وقال، أنا عزير فكذّبوه فقرأ التوراة من الحفظ ولم يحفظها أحد قبله، فعرفوه بذلك، وقالوا هو ابن الله.

وعن علي عليه السلام أنّ عزيراً خرج من أهله وامرأته حامل وله خمسون سنة، فأماته الله مئة سنة، ثمّ بعثه، فرجع إلى أهله ابن خمسين سنة، وله ابن له مئة سنة فكان ابنه أكبر منه.

وكان بخت نصر قد أحرق التوراة، فأملاها من ظهر قلبه، فقال رجل منهم: حدّثني أبي عن جدّي أنّه دفن التوراة في كرم فإن أريتموني كرم جدي أُخرجها

لكم، فأروه، فأخرجها، فعارضوا ذلك بما أملى، فما اختلفا في حرف، فقالوا: ما جعل الله التوراة في قلبه إلّا وهو ابنه فقالوا عزير ابن الله.

﴿وانظر إلى العظام﴾ يعني عظام الحمار والأموات الذين تعجب من إحيائهم، وقيل: إلى عظامه، عن الضحّاك وقتادة والربيع، قالوا: أوّل ما أحيى الله منه عينيه فجعل ينظر إلى العظام البالية المتفرّقة تجمع إليه واللحم يلف عليها حتّى قام وقام حماره.

﴿كيف ننشزها﴾ كيف نحييها، أو نرفع بعضها على بعض ونركّبه عليه. النشز الارتفاع ومنه النشوز من المرأة، وقرئ ننشرها من نشر الله الموتى.

﴿ثمّ نكسوها لحماً﴾ أي: نلبسها لحماً.

﴿فلمّا تبيّن له﴾ فاعل تبيّن مضمر يفسّره ما بعده، تقديره فلمّا تبيّن له أنّ الله على كلّ شيء قدير.

﴿قال أعلم أنّ الله على كلّ شيء قدير﴾ فحذف الأوّل لدلالة الثاني عليه، أو ما قبله، أي: فلمّا تبيّن له ما أشكل عليه، [وقرأ حمزة والكسائي] «قال اعلم» على الأمر، والأمر مخاطبه، أو هو نفسه خاطبها به على طريقة التبكيت.[1]

[٢٦٠] ﴿وإذ قال إبراهيم ربّ أرني كيف تحيي الموتى﴾ إنّما سأل ذلك ليصير علمه عياناً، وقيل: لمّا قال نمرود: أنا أُحيي وأُميت قال له: إنّ الله يردّ الروح إلى بدنها، فقال نمرود: هل عاينت؟ فلم يقدر أن يقول: نعم وانتقل إلى تقرير آخر، ثمّ سأل ربّه أن يريه ليطمئنّ قلبه على الجواب إن سئل عنه مرّة أُخرى، وعن ابن عبّاس وسعيد بن جبير والسدّي أنّ الملك لما بشّر إبراهيم بأنّ الله قد اتّخذه خليلاً وأنّه يحيى الموتى بدعائه، فسأل الله ذلك ليطمئنّ قلبه بأنّه قد اتّخذه خليلاً.

---

١. مجمع البيان ٢ / ١٧٤؛ تفسير البيضاوي ١ / ٢١٩.

﴿قال أوَ لم تؤمن﴾ استفهام يراد به التقرير، أي: ألم تصدّق بأنّي قادر على الإحياء بإعادة التركيب أو الحياة، قال له ذلك وقد علم أنّه أعرف[1] الناس في الإيمان، ليجيب بما أجاب فيعلم السامعون غرضه.

﴿قال بلى ولكن ليطمئنّ قلبي﴾ أي: بل[ى] آمنت ولكن سألته لأزداد يقيناً، وسكون قلب بمضامة العيان إلى الوحي [أ]و الاستدلال.

﴿قال فخذ أربعة من الطير﴾ مختلفة الأجناس، قيل: أخذ طاووساً وديكاً وغراباً وحمامة، ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة، وإنّما خصّ الطير من بين سائر الحيوانات لخاصية الطيران، ولأنّه أقرب إلى الإنسان، وأجمع لخواصّ الحيوان.

﴿فصرهنّ إليك﴾ فأملهنّ واضممهنّ إليك لتتأمّلها، وتعرف شأنها، لئلّا تلتبس عليك بعد الإحياء، وقطّعها، واخلط ريشها بدمها ولحمها بعظمها.

﴿ثمّ اجعل على كلّ جبل منهنّ جزءاً﴾ أي: ثمّ جزّءهنّ وفرّق أجزاءهنّ على الجبال التي بحضرتك، وكانت أربعة جبال، وقيل: سبعة، وقيل: عشرة.

﴿ثمّ ادعهنّ﴾ بالاسم الأعظم، [قل لهنّ] تعالين بإذن الله.

﴿يأتينك سعياً﴾ ساعيات مسرعات طيراناً، أو مشياً، روي أنّه أمر بأن يذبحها، وينتف ريشها، ويقطّعها، فيمسك رؤوسها، ويخلط سائر أجزائها، ويوزّعها على الجبال، ثمّ يناديهنّ، ففعل ذلك، فجعل كلّ جزء يطير إلى الآخر حتّى صارت جثثاً، ثمّ أقبلن فانضممن إلى رؤسهنّ.

﴿واعلم أنّ الله عزيز﴾ أي: قويّ لا يعجز عمّا يريده ولا يمتنع عليه شيء.

﴿حكيم﴾ ذو حكمة بالغة في كلّ ما يفعله ويذره.[2]

---

١. في البيضاوي: أغرق.

٢. مجمع البيان ٢ / ١٧٨، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٢٠.

[٢٦١] ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾ في الجهاد، وغيره من أبواب البرّ.

﴿كمثل حبّة﴾ أي: مثل نفقتهم كمثل زراع حبّة.

﴿أنبتت سبع سنابل﴾ أي: أخرجت سبع سنابل، أسند الإنبات إلى الحبّة، لما كانت من الأسباب كما يسند إلى الأرض والماء، والمنبت على الحقيقة هو الله، والمعنى: أنّه يخرج منها ساق تنشعب منها سبع شعب لكلّ منها سنبلة.

﴿في كلّ سنبلة مئة حبّة﴾ وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه، كقول امرئ القيس:

أتقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وقد يكون ذلك في الذرّة والدخن، وفي البرّ في الأرض المغلة، والمعنى: أنّ النفقة في سبيل الله تتضاعف سبعمئة ضعف.

﴿والله يضاعف﴾ تلك المضاعفة.

﴿لمن يشاء﴾ بفضله، وعلى حسب حال المنفق من إخلاصه وتعبه، ومن أجله تفاوتت الأعمال في مقادير الثواب.

﴿والله واسع﴾ أي: واسع الفضل لا يضيّق عليه ما يتفضّل به من الزيادة.

﴿عليم﴾ بنيّة المنفق وقدر إنفاقه، روي أنّه لمّا نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: ربّ زد أمّتي، فنزل قوله: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾ فقال: ربّ زد أمّتي فنزل: ﴿إنّما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾[1].[2]

[٢٦٢] ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾ في الجهاد.

١. الزمر (٣٩)، الآية ١٠.

٢. مجمع البيان ٢: ١٨٠، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٢١.

﴿ثمّ لا يتبعون ما أنفقوا منّاً ولا أذىً﴾ قيل: نزلت في عثمان وأمثاله فإنّه جهّز جيش العسرة بألف بعير بأقتابها وأحلاسها، وعبد الرحمن بن عوف فإنّه أتى النبي ﷺ بأربعة آلاف درهم صدقة، وتصدّق عاصم بن عدي بمئة وسق تمر، وذلك في رجب سنة تسع في غزوة تبوك، وكان الحرّ شديداً، والناس في عسرة، والبلاد في جدب، ولذلك سمّي جيش العسرة، فأمر رسول الله ﷺ بالنفقة، فأنفق من قدر على النفقة، والمنّ أن يعتد بإحسانه على من أحسن إليه كأن يقول له: ألم أعطك كذا، ألم أحسن إليك، والأذى أن يتطاول عليه بسبب ما أنعم عليه ولو بعبس الوجه، وثمّ للتفاوت بين الإنفاق وترك المنّ والأذى.

﴿لهم أجرهم عند ربّهم﴾ لا يخاف عليه فوت ولا نقص.

﴿ولا خوف عليهم﴾ من فوات الأجر.

﴿ولا هم يحزنون﴾ على نقصان الثواب.(١)

[٢٦٣] ﴿قول معروف﴾ ردّ جميل على السائل نحو أغناك الله.

﴿ومغفرة﴾ وتجاوز عن السائل [و]الحاجة(٢) وستر على سؤاله، أو نيل مغفرة من الله بالردّ الجميل، أو عفو من السائل بأن يعذره ويغتفر ردّه.

﴿خير من صدقة يتبعها أذىً﴾ امتنان وتشك، عن النبي ﷺ أنّه قال: إذا سأل السائل فلا تقطعوا عليه مسألته حتّى يفرغ منها ثمّ ردّوا عليه بوقار ولين، إمّا بذل يسير أو ردّ جميل، فإنّه قد يأتيكم من ليس بإنس ولا جانّ، ينظرون كيف صنيعتكم فيما خوّلكم الله تعالى.

﴿والله غنيّ﴾ عن صدقاتكم، أو عن الإنفاق بمنّ وإيذاء.

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٢٢٢، ومجمع البيان ٢ / ١٨١.

٢. كذا في البيضاوي، ولعل الصواب: وإلحاحه.

﴿حليم﴾ عن معاجلة من يمنّ ويؤذي بالعقوبة.[١]

[٢٦٤] ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى﴾ لا تحبطوا أجرها بكلّ واحد منه[م]ا.

﴿كالذي ينفق ماله رئاء الناس﴾ يبغي الثناء والذكر.

﴿ولا يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ كإبطال المنافق الذي يرائي بإنفاقه ولا يريد رضا الله ولا ثواب الآخرة.

﴿فمثله﴾ فمثل المرائي في إنفاقه.

﴿كمثل صفوان﴾ كمثل حجر أملس.

﴿عليه تراب فأصابه وابل﴾ مطر عظيم القطر شديد الوقوع.

﴿فتركه صلداً﴾ حجراً صلباً أملس نقيّاً من التراب، كما قيل:

ولست بـجلبٍ جـلب ريـحٍ وقـرّةٍ ولا بصفا صلدٍ عـن الخـير مـعزل

والصلد من الأرض ما لا ينبت شيئاً لصلابته، والصلد البخيل من الناس.

﴿لا يقدرون على شيء ممّا كسبوا﴾ لا ينتفعون بما فعلوا ريـاءً ولا يـجدون ثوابه، والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى؛ لأنّ المراد به الجنس أو الجمع كما في قوله:

إنّ الذي حانت بفلجٍ دماؤهم هم القوم كلّ القوم يا أُمّ خالد

شبّه سبحانه فعل المنافق والمنّان، بالصفا الذي أزال المطر ما عليه من التـراب وأنّه لا يقدر أحد على ردّ ذلك التراب عليه، وكذلك إذا دفع[٢] المنّان صدقته وقرن المنّ بها فقد أوقعها على وجه لا طريق له إلى استدراكه وتلافيه، لوقوعها على وجه

١. مجمع البيان ٢ / ١٨٣، والبيضاوي ١ / ٢٢٢.

٢. ن: إذ وقع.

لا يستحقّ عليه الثواب، فإنّ وجوه الأفعال تابعة لحدوث الأفعال، فإذا فاتت فـلا طريق إلى تلافيها.

﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ إلى الخير والرشاد، وفيه تعريض بأنّ الرياء والمنّ والأذى على الإنفاق من صفة الكفّار، ولا بدّ للمؤمن أن يجتنب عنها.

وعن النبي ﷺ: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ يُسمع أهل الجمع: أين الذين كانوا يعبدون الناس قوموا خذوا أُجوركم ممّن عملتم لهم فإنّي لا أقبل عملاً خالطه شيء من الدنيا وأهلها. وعنه ﷺ: من أسدى إلى مؤمن معروفاً، ثمّ آذاه بالكلام، أو منّ عليه فقد أبطل الله صدقته. وضرب فيه مثلاً ﴿كالذي ينفق ماله رئاء الناس﴾[1].[2]

[٢٦٥] ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله﴾ أي: طلباً لرضا الله.

﴿وتثبيتاً من أنفسهم﴾ أي: وتثبيتاً لبعض أنفسهم على الإيمان، بـقوّة اليـقين والبصيرة في الدين، فإنّ المال شقيق الروح، فمن بذل ماله لوجه الله ثـبّت بـعض نفسه، ومن بذل ماله وروحه ثبّتها كلّها، أو تصديقاً للإسلام وتحقيقاً للجزاء، مبتدءً من أصل أنفسهم وتوطيناً لها على الثبوت على طاعة الله.

﴿كمثل جنّة بربوة﴾ أي: ومثل نفقة هؤلاء في الزكاة كمثل بستان بموضع مرتفع، فإنّ شجره يكون أحسن منظراً وأزكى ثمراً من البستان المنخفض الذي يسيل الماء إليه ويجتمع فيه فلا يطيب ريعه كقول الأعشى:

ما روضةٌ من رياض الحزن معشبةٌ — خضراء جاد عـليها مسـبلٌ هـطل

﴿أصابها وابل﴾ أي: أصاب هذه الحبّة مطر عظيم شديد القطر.

﴿فآتت أُكلها﴾ ثمرها والشيء المأكول منها.

---

١. البقرة (٢)، الآية ٢٦٤.

٢. مجمع البيان ٢ / ١٨٥، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٢٣.

﴿ضعفين﴾ أي: فأعطت غلّتها مثلي ما كانت تعطي من ثمر بسبب الوابل، والمراد بالضعف المثل، كما أُريد بالزوج الواحد في قوله: ﴿من كلّ زوجين اثنين﴾[١].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: تتضاعف ثمرتها كما يتضاعف أجر من أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله.

﴿فإن لم يصبها وابل﴾ أي: مطر شديد.

﴿فطلّ﴾ أي: فيصيبها طلّ، وهو المطر اليسير، أو الندا يكفيها، لكرم منبتها وبرودة هواها، لارتفاع مكانها، والمعنى أنّ نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال، وإن كانت تتفاوت باعتبار ما ينضمّ إليها من أحواله.

﴿والله بما تعملون بصير﴾ أي: عالم بأفعالكم فيجازيكم بحسبها، تحذير عن الرياء، وترغيب في الإخلاص.[٢]

[٢٦٦] ﴿أيودّ أحدكم﴾ الهمزة فيه للإنكار، أي: أيحبّ أحدكم متمنّياً والفرق بين المودّة والمحبة: أنّ المودّة قد تكون بمعنى التمنّي نحو قولك: أودّ لو قدم زيد بمعنى أتمنّى لو قدم، ولا يجوز أُحبّ لو قدم.

﴿أن تكون له جنّة﴾ أي: بستان.

﴿من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار﴾ أي: تشتمل على النخيل والأعناب والأنهار الجارية.

﴿له فيها من كلّ الثمرات﴾ جعل الجنّة منهما، مع ما فيها من سائر أنواع الأشجار، تغليباً لهما، لشرفهما وكثرة منافعهما، ثمّ ذكر أنّ فيها [من] كلّ الثمرات ليدلّ على احتوائها على سائر الأشجار.

---

١. هود (١١)، الآية ٤.

٢. مجمع البيان ٢ / ١٨٧، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٢٤.

﴿وأصابه الكبر﴾ أي: ولحقه كبر السنّ والعجز، فإنّ الفاقة والعالة في الشيخوخة أصعب، والواو للحال، أو للعطف حملاً على المعنى، فكأنّه قيل: أيودّ أحدكم لو كانت له جنّة وأصابه الكبر.

﴿وله ذرّيّة ضعفاء﴾ أولاد صغار لا قدرة لهم على الكسب.

﴿فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت﴾ أي: فأصاب تلك الجنّة إعصار، والإعصار ريح شديدة عاصفة، تهب من الأرض نحو السماء مستديرة كعمود، يقال له الزوبعة، والمعنى: تمثيل حال من يفعل الأفعال الحسنة، ويضمّ إليها ما يحبطها، كرياء وإيذاء، في الحسرة والأسف، [فـ]إذا كان يوم القيامة في أشدّ حاجته إليها وجدها محتبطة، بحال من هذا شأنه.

﴿كذلك يبيّن الله لكم الآيات﴾ أي: الدلالات التي تحتاجون إليها في أُمور دينكم.

﴿لعلّكم تتفكّرون﴾ أي: تنظرون [وتـ]تفهمون فتعتبر[و]ن بها.[1]

[٢٦٧] ﴿يا أيّها الذين آمنوا أنفقوا من طيّبات ما كسبتم﴾ من حلاله، أو جياده، كقوله: ﴿لن تنالوا البرّ حتّى تنفقوا ممّا تحبّون﴾[2].

﴿وممّا أخرجنا لكم من الأرض﴾ أي: ومن طيّبات ما أخرجنا من الحبوب والثمار والمعادن الواجب فيها الزكاة.

﴿ولا تيمّموا الخبيث منه﴾ ولا تقصدوا الرديء من المال أو ممّا أخرجنا.

﴿تنفقون﴾ عن علي عليه السلام أنّها نزلت في قوم كانوا يأتون بالحشف فيدخلونه في تمر الصدقة.

---

١. مجمع البيان ٢ / ١٩١، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٢٥.

٢. آل عمران (٣)، الآية ٩٢.

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنّها نزلت في قوم لهم أموال من ربا الجاهلية وكانوا يتصدّقون منها فنهاهم الله عن ذلك.

﴿ولستم بآخذيه﴾ في حقوقكم لرداءته.

﴿إلّا أن تغمضوا فيه﴾ إلّا أن تتسامحوا فيه؛ لأنّ الإغماض لا يكون إلّا في الشيء الرديء.

﴿واعلموا أنّ الله غنيّ﴾ عن إنفاقكم، وإنّما يأمركم به لانتفاعكم.

﴿حميد﴾ بقبوله وإثابته، أو مستحقّ للحمد على نعمه.[1]

[٢٦٨] ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ بالإنفاق في وجوه البرّ، وبإنفاق الجيّد من المال.

﴿ويأمركم بالفحشاء﴾ بالمعاصي وترك الطاعات، والإنفاق من الرديء، ويغريكم على البخل. والعرب تسمّي البخيل فاحشاً.

﴿والله يعدكم مغفرة منه﴾ أي: يعدكم [في] الإنفاق مغفرة ذنبكم.

﴿وفضلاً﴾ خلفاً أفضل ممّا أنفقتم في الدنيا أو في الآخرة، عن ابن عبّاس أنّه قال: اثنان من الله واثنان من الشيطان، فاللذان من الله المغفرة على المعاصي والفضل في الرزق، واللذان من الشيطان الوعد بالفقر والأمر بالفحشاء.

﴿والله واسع﴾ أي: واسع الفضل لمن أنفق.

﴿عليم﴾ بإنفاقه.

[٢٦٩] ﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾ من عباده، والحكمة تحقيق العلم وإتقان العمل، أو علم القرآن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدّمه ومؤخّره،

---

١. مجمع البيان ٢ / ١٩٣، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٢٥.

وحلاله وحرامه، وأمثاله، أو النبوّة.

﴿ومن يؤت الحكمة﴾ بناؤه للمفعول؛ لأنّه المقصود، وقرئ بالكسر، أي: ومن يؤته الله.

﴿فقد أُوتي خيراً كثيراً﴾ إذ حيز[1] له خير الدارين، عن النبي ﷺ أنّه قال: إنّ الله آتاني القرآن وآتاني الحكمة مثل القرآن، وما من بيت ليس فيه من الحكمة إلّا كان خراباً، ألا فتفقّهوا وتعلّموا ولا تموتوا جهّالاً.

﴿وما يذّكّر﴾ وما يتّعظ بما قصّ من الآيات، أو بما أودع في قلبه من العلوم بالقوّة.

﴿إلّا أُولو الألباب﴾ ذو العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون إلى متابعة الهوى، وهم الذين يستعملون ما توجبه عقولهم، من طاعة الله في كلّ ما أمر به ودعا إليه، وسمّي العقل لبّاً؛ لأنّه أشرف ما في الإنسان، كما أنّ لبّ الثمرة أنفس ما فيها.[2]

[٢٧٠] ﴿وما أنفقتم من نفقة﴾ قليلة أو كثيرة، سرّاً أو علانية، في حقّ أو باطل، واجبة أو مندوبة.

﴿أو نذرتم من نذر﴾ بشرط أو غير شرط، في طاعة أو معصية، فوفيتم به.

﴿فإنّ الله يعلمه﴾ فيجازيكم عليه؛ لأنّه عالم به.

﴿وما للظالمين﴾ الذين ينفقون في المعاصي وينذورن فيها، أو يمنعون الصدقات ولا يوفون بالنذور، أو ينفقون رياء ومن مال مغصوب.

﴿من أنصار﴾ من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه.[3]

---

١. ن: خيرت.

٢. مجمع البيان ٢ / ١٩٤، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٢٥.

٣. مجمع البيان ٢ / ١٩٨، والبيضاوي ١ / ٢٢٥.

[٢٧١] ﴿إن تبدوا الصدقات﴾ إن تعطوها. وإظهار المفروض منها خير من إخفائه وإخفاء التطوّع أفضل من إبدائه.

﴿فنعمّا هي﴾ فنعم شيئاً إبداءها وإعلانها.

﴿وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء﴾ تؤدّوها إليهم في السرّ.

﴿فهو خير لكم﴾ فالإخفاء خير لكم، وهذا في التطوّع، لقوله ﷺ: صدقة السرّ تطفئ غضب الربّ وتدفع الخطيئة كما يطفئ الماء النار وتدفع سبعين باباً من البلاء. وعن ابن عبّاس: صدقة السرّ في التطوّع تفضل علانيتها سبعين ضعفاً، وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرّها بخمسة وعشرين ضعفاً و[إبداء الغرض أفضل] لنفي التهمة.

﴿ويكفّر عنكم من سيّئاتكم﴾ ونمح عنكم من خطاياكم ونغفرها لكم، [وهي] التي بين العبد وبين الله.

﴿والله بما تعملون خبير﴾ فيجازيكم عليه، ترغيب في الإسرار.[1]

[٢٧٢] ﴿ليس عليك هداهم﴾ لا يجب عليك أن تجعل الناس مهديين، وإنّما عليك الإرشاد، والحثّ على المحاسن، والنهي عن القبائح كالمنّ والأذى وإنفاق الخبيث.

﴿ولكنّ الله يهدي من يشاء﴾ وهذا تسلية للنبي ﷺ؛ لأنّه كان يغتمّ بترك قبولهم منه وامتناعهم عن الإيمان، لعلمه بما يؤول إليه أمرهم من العقاب الدائم، فسلّاه الله بهذا القول، وإن كان صريحاً بأنّ الهداية من الله وبمشيئته، وأنّها تختصّ بقوم دون قوم.

١. مجمع البيان ٢ / ١٩٨، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٢٦.

﴿وما تنفقوا من خير﴾ من مال ونفقة في وجوه البرّ.

﴿فلأنفسكم﴾ ثوابه، لا ينتفع به غيركم، فلا تمنّوا عليه، ولا تنفقوا الخبيث، والغرض فيه الترغيب في الإنفاق.

﴿وما تنفقون إلّا ابتغاء وجه الله﴾ إلّا طلب رضوان الله وثوابه، فما لكم تمنّون بها.

﴿وما تنفقوا من خير يوفَ إليكم﴾ ثوابه أضعافاً مضاعفة، فهو تأكيد للشرطية السابقة، أو ما يخلف استجابة لقوله عليه السلام: اللّهمّ اجعل لمنفق خلفاً ولممسك تلفاً روي أنّ أُناساً من المسلمين كانت لهم أصهار ورضاع[1] في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لمّا أسلموا أن ينفعوهم فنزلت، وقيل: كانت أسماء بنت أبي بكر مع رسول الله صلى الله عليه وآله في عمرة القضاء، فجاءتها أُمّها فسألتها، فقالت: لا أُعطيك شيئاً حتّى أستأمر رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّك لستي على ديني، فاستأمرته في ذلك فنزلت الآية، وهذا في غير الواجب، أمّا الواجب فلا يجوز صرفه إلى الكافر.

﴿وأنتم لا تظلمون﴾ أي: لا تنقصون ثواب نفقتكم، أو بمنع ثوابه ونقصان جزائه، كقوله: ﴿آتت أُكلها ولم تظلم منه شيئاً﴾[2].

﴿للفقراء﴾ متعلّق بمحذوف، أي: اجعلوا ما تنفقون من صدقاتكم للفقراء.

[٢٧٣] ﴿الذين أُحصروا في سبيل الله﴾ حصرهم الجهاد والفقر أو العدم.

﴿لا يستطيعون ضرباً في الأرض﴾ ذهاباً فيها للكسب بالتجارة، وهم أصحاب الصفّة، عن ابن عبّاس وأبي جعفر، وكانوا نحو أربعمئة رجل من فقراء المهاجرين يسكنون صفّة المسجد يصرفون أوقاتهم في العلم والعبادة، لم يكن لهم مساكن

---

١. ن: وضياع.

٢. الكهف (١٨)، الآية ٣٣، ومجمع البيان ٢ / ٢٠٢، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٢٧.

بالمدينة، ولا عشائر يأوون إليهم، فجعلوا أنفسهم في المسجد، وقالوا: نخرج في كلّ سرية يبعثها رسول الله ﷺ، فحثّ الله سبحانه الناس عليهم، وكان الرجل إذا أكل وفضل عنده فضل أتاهم به إذا أمسى. من مشا[هير]هم أبو هريرة وأبو ذرّ [و]واثلة بن الأسقع.

﴿يحسبهم الجاهل﴾ بحالهم وباطن أُمورهم.

﴿أغنياء من التعفّف﴾ من أجل تعفّفهم عن السؤال، والستر ممّا هم فيه من الفقر.

﴿تعرفهم بسيماهم﴾ من الضعف ورثاثة الحال، والخطاب للرسول صلّى الله عليه، أو لكلّ أحد.

﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾ إلحاحاً، وألحف ألح، وهو أن يلازم المسؤل حتّى يعطيه، والمعنى: أنّهم لا يسألون، وإن سألوا عن ضرورة لم يلحّوا، ونصبه على المصدر أو على الحال، وعنه عليه السلام إنّ الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال، ونهى عن عقوق الأُمّهات ووأد البنات، وعن منع وهات. وقال عليه السلام: الأيدي ثلاثة: يد الله العليا، ويد المعطي التي تليها، ويد السائل السفلى إلى يوم القيامة، ومن سأل وله ما يغنيه جاءت مسألته يوم القيامة خموشاً في وجهه.

﴿وما تنفقوا من خير فإنّ الله به عليم﴾ ترغيب في الإنفاق وخصوصاً على هؤلاء.(١)

[٢٧٤] ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانيّة﴾ أي: يعمّون الأوقات والأحوال بالخير والصدقات على الدوام، قال ابن عبّاس والباقر والصادق عليهما السلام: نزلت هذه الآية في عليّ عليه السلام كانت معه أربعة دراهم فتصدّق بدرهم ليلاً ودرهم نهاراً ودرهم سرّاً ودرهم علانية. وحكمها سائر في كلّ من فعل مثل

١. مجمع البيان ٢ / ٢٠٣، والبيضاوي ١ / ٢٢٨.

فعله لقوله:

﴿فلهم أجرهم عند ربّهم﴾ أتى بالفاء ليدلّ على أنّ الأجر إنّما هو من أجل الإنفاق في طاعة الله، و[هو] خبر الذين ينفقون، والفاء للسببية.

﴿ولا خوف عليهم﴾ من أهوال القيامة وأفزاعها.

﴿ولا هم يحزنون﴾ فيها على نقصان الأجر.[١]

[٢٧٥] ﴿الذين يأكلون الربوا﴾ أي: الآخذون له، أصل الربا الزيادة على رأس المال، وإنّما ذكر الأكل؛ لأنّه أعظم منافع المال، ولأنّ الربا شائع في المطعومات، وهو زيادة في الأجل بأن يباع مطعوم بمطعوم ونقد بنقد إلى أجل، أو في المعوّض بأن يباع أحدهما بأكثر منه من جنسه، وإنّما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم، على لغة، وزيدت الألف بعدها تشبيهاً بواو الجمع.

﴿لا يقومون﴾ يوم القيامة إذا بعثوا من قبورهم.

﴿إلّا كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان﴾ إلّا قياماً كقيام المصروع، والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء، قال زهير:

رأيت المنايا خبط عشواء من تُصب   تُمته ومن تُخطئ يُعمّر فيَهرم

﴿من المسّ﴾ أي: من الجنون بسبب أكل الربا، لا لاختلال عقولهم، ولكن لأنّ الله أربى في بطونهم ما أكلوه من الربا فأثقلهم، عن النبي ﷺ أنّه قال: لمّا أُسري بي إلى السماء رأيت رجالاً بطونهم كالبيوت فيها الحيّات ترى من خارج بطونهم، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا لا يقدر أحدهم أن يقوم من عظم بطنه، وهم مثل آل فرعون يعرضون على النار غدوّاً وعشياً.

---

١. مجمع البيان ٢ / ٢٠٤، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٢٨.

﴿ذلك بأنّهم قالوا إنّما البيع مثل الربوا﴾ أي: ذلك العقاب بسبب أنّهم نظموا الربا والبيع في سلك واحد، لإفضائهما إلى الربح، فاستحلّوا استحلاله، قال ابن عبّاس: كان الرجل منهم إذا حلّ دَينه على غريمه فطالبه به قال المطلوب منه زدني في الأجل وأزيدك في المال، فيتراضيان عليه ويعملان به، فإذا قيل لهم: هذا رباً، قالوا: هما سواء، يعنون بذلك الزيادة في الثمن حال البيع والزيادة فيه بسبب الأجل عند محلّ الدين سواء، فذمّهم الله به وألحق الوعيد بهم، وخطّأهم في ذلك، بقوله:

﴿وأحلّ الله البيع وحرّم الربوا﴾ إنكار لتسويتهم، وإبطال للقياس، لمعارضة النص، والمنصوص عن النبي ﷺ تحريم التفاضل في ستّة أشياء: الذهب والفضّة والحنطة والشعير والملح والتمر، إلّا مثلاً بمثل يداً بيد، فمن زاد واستزاد فقد أربى. لا خلاف في حصول الربا في هذه الستّة، وفي غيرهما خلاف بين الفقهاء، وعندنا أنّ الربا لا يكون إلّا فيما يكال أو يوزن.

﴿فمن جاءه موعظة من ربّه﴾ بالنهي عن الربا.

﴿فانتهى﴾ فاتّعظ وتبع النهي.

﴿فله ما سلف﴾ أي: فله ما أخذ وأكل من الربا قبل النهي، وليس عليه ردّه.

﴿وأمره إلى الله﴾ يجازيه على انتهائه إن كان عن قبول الموعظة وصدق النيّة، وقيل: يحكم في شأنه ولا اعتراض لكم عليه.

﴿ومن عاد﴾ إلى تحليل الربا بعد التحريم.

﴿فأُولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ لأنّهم كفروا به، عن علي عليه السلام قال: لعن رسول الله ﷺ في الربا خمسة: آكله وموكله وشاهديه وكاتبه. وعنه عليه السلام قال: إذا أراد الله بقرية هلاكاً ظهر فيهم الربا. وقال: الربا سبعون باباً أهونها عند الله عزّ وجلّ كالذي ينكح أُمّه. وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: درهم رباً أعظم عند الله من

سبعين زنية كلّها بذات محرم في بيت الله الحرام[١].

[٢٧٦] ﴿يمحق الله الربوا﴾ يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه، قيل للصادق عليه السلام: قد نرى الرجل يربي فيكثر ماله؟ فقال: يمحق الله دينه وإن كثر ماله. وقيل: يمحقه في الدنيا بسقوط عدالته، والحكم بفسقه، وتسميته بالفسق.

﴿ويربي الصدقات﴾ يضاعف ثوابها ويبارك فيما أُخرجت منه، وعن النبي صلى الله عليه وآله أنّ الله يقبل الصدقة فيربيها كما يربي أحدكم مهره. وعنه: ما نقصت زكاة من مال قطّ.

﴿والله لا يحبّ﴾ لا يرتضي ولا يحبّ محبّته للتوّابين.

﴿كلّ كفّار﴾ مصرّ على تحليل المحرّمات.

﴿أثيم﴾ منهمك في ارتكابه، وعن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: يأتي على الناس زمان لا يبقى أحد إلّا أكل الربا فإن لم يأكله أصابه من غباره[٢].

[٢٧٧] ﴿إنّ الذين آمنوا﴾ بالله ورسوله وبما جاءهم منه.

﴿وعملوا الصالحات﴾ سائر الأعمال الصالحة.

﴿وأقاموا الصلاة﴾ في أوقاتها.

﴿وآتوا الزكاة﴾ عند محلّها.

﴿لهم أجرهم عند ربّهم﴾ لا يضيع.

﴿ولا خوف عليهم﴾ من آت.

﴿ولا هم يحزنون﴾ على فائت.

[٢٧٨] ﴿يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله﴾ في أمر الربا وفي جميع ما نهاكم عنه.

---

١. مجمع البيان ٢: ٢٠٨، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٢٨.

٢. مجمع البيان ٢: ٢٠٩، وتفسير البيضاوي ١: ٢٢٩.

﴿وذروا ما بقي من الربا﴾ واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربا.

﴿إن كنتم مؤمنين﴾ فإنّ دليل الإيمان امتثال ما أُمرتم به، روي أنّه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحلّ بالمال والربا فنزلت.

وعن أبي جعفر عليه السلام أنّ الوليد بن المغيرة كان يرابي في الجاهلية وقد بقي له بقايا على ثقيف، وأراد ابنه خالد المطالبة بعد أن أسلم، فنزلت الآية[1].

[٢٧٩] ﴿فإن لم تفعلوا﴾ فإن لم تقبلوا أمر الله وتتركوا بقيّة الربا.

﴿فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ أي: فاعلموا أنّكم تستحقّون القتل في الدنيا والنار في الآخرة، من أذن بالشيء إذا علم به، روي أنّها لمّا نزلت قال ثقيف: لا يدي لنا بحرب الله ورسوله، عن ابن عبّاس وقتادة والربيع أنّ من عامل بالربا استتابه الإمام فإن تاب وإلّا قتله، وقال الصادق عليه السلام: آكل الربا بعد البيّنة يؤدّب فإن عاد قتل.

﴿وإن تبتم﴾ من الارتباء واعتقاد حلّه وأقررتم بتحريمه.

﴿فلكم رؤوس أموالكم﴾ دون الزيادة.

﴿لا تظلمون﴾ بأخذ الزيادة.

﴿ولا تظلمون﴾ بالمطل والنقصان من رأس المال، ويفهم منه أنّهم إن لم يتوبوا فليس لهم رأس مالهم، إذ المصرّ على التحليل مرتدّ وماله فيء.[2]

[٢٨٠] ﴿وإن كان ذو عسرة﴾ وإن وقع غريم ذو عسرة.

﴿فنظرة إلى ميسرة﴾ فانظروه إلى وقت يساره، كما قال عدي بن زيد:

أبلغ النعمان عنّي مألكاً أنّه قد طال حبسي وانتظاري

واختلف في حدّ الإعسار، فعن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: هو إذا لم يقدر على ما

---

١. مجمع البيان ٢ / ٢١١، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٢٩.

٢. مجمع البيان ٢ / ٢١١، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٢٩.

يفضل عن قوته وقوت عياله على الاقتصاد، وقال أبو علي الجبّائي: هو التعذّر بالإعدام، أو بكساد المتاع ونحوه، واختلف في وجوب إنظار المعسر على ثلاثة أقوال: أحدها أنّه واجب على كلّ دين عن ابن عبّاس والضحّاك والحسن، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، وثانيها أنّه واجب على دين الربا خاصّة عن شريح وإبراهيم النخعي، وثالثها أنّه واجب في دين الربا بالآية وفي كلّ دين بالقياس، وقال الباقر عليه السلام: ميسرة معناه إلى أن يبلغ خبره للإمام، فيقضي عنه في سهم الغارمين إذا كان أنفقه في معروف.

﴿وأن تصدّقوا﴾ على المعسر بالإبراء بما عليه من الدين.

﴿خير لكم﴾ أكثر ثواباً من الإنظار، أو خير ممّا تأخذوه لمضاعفة ثوابه ودوامه، وقيل: المراد بالتصدّق الإنظار، لقوله عليه السلام: لا يحلّ دين رجل مسلم فيؤخره إلّا كان[1] له بكلّ يوم صدقة، وقال صلى الله عليه وآله: من أنظر معسراً أو وضع عنه أظلّه الله في ظلّ عرشه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه.

﴿إن كنتم تعلمون﴾ ما فيه من الذكر الجميل والأجر الجزيل.[2]

[٢٨١] ﴿واتّقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ تردّون فيه إلى جزائه، وهو يوم القيامة، أو يوم الموت، فتأهّبوا لمصيركم إليه.

﴿ثمّ توفّى كلّ نفس ما كسبت﴾ جزاء ما عملت من خير أو شرّ كما يكسب المال.

﴿وهم لا يظلمون﴾ بنقص ثواب وتضعيف عقاب، وعن ابن عبّاس أنّها آخر آية نزل بها جبرئيل، وقال: ضعها في رأس المئتين والثمانين من البقرة، وعاش رسول

---

١. ن: كتب.

٢. مجمع البيان ٢ / ٢١٣، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٣٠.

الله ﷺ بعدها أحداً وعشرين يوماً، وقيل: أحداً وثمانين يوماً، وقيل: سبعة أيّام، وقيل: ثلاث ساعات. قال المفسّرون: لمّا نزلت ﴿إنّك ميّت وإنّهم ميّتون﴾[١] قال رسول الله ﷺ: أما إنّ نفسي نعيت إليّ، ثمّ بكا بكاء شديداً فقيل: يا رسول الله أو تبكي من الموت وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر، قال: فأين هول المطلع وأين ضيق القبر وظلمة اللحد وأين القيامة والأهوال؟ فعاش رسول الله ﷺ بعدها عاماً، ثمّ نزلت ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾[٢] إلى آخر سورة براءة، وهي آخر سورة كاملة نزلت من القرآن، فعاش رسول الله ﷺ بعدها ستّة أشهر ثمّ لمّا خرج رسول الله ﷺ إلى حجّة الوداع نزلت عليه في الطريق ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾[٣]، ثمّ نزل عليه وهو واقف بعرفة ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾[٤] فعاش بعدها أحداً وثمانين يوماً، ثمّ أنزلت عليه آيات الربا، ثمّ أُنزلت بعهدها ﴿واتّقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾[٥] وهي آخر آية نزلت[٦].

[٢٨٢] ﴿يا أيّها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين﴾ إذا داين بعضكم بعضاً، تقول: داينته إذا عاملته نسيئة معطياً أو آخذاً، وفائدة ذكر الدين أن لا يتوهّم من التداين المجازاة، ويعلم تنوّعه إلى المؤجّل والحال، وأنّه الباعث على الكتبة، ويكون مرجع ضمير فاكتبوه.

﴿إلى أجل مسمّى﴾ معلوم بالأيّام والأشهر، لا بالحصاد وقدوم الحاج.

---

١. الزمر (٣٩)، الآية ٣٠.
٢. التوبة (٩)، الآية ١٢٨.
٣. النساء (٤)، الآية ١٧٦.
٤. المائدة (٥)، الآية ٣.
٥. البقرة (٢)، الآية ٢٨١.
٦. مجمع البيان ٢: ٢١٤، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٣٠.

﴿فاكتبوه﴾ فاكتبوا الدين في صكّ لئلّا يقع فيه نسيان أو جحود؛ لأنّه أوثق وأدفع للنزاع، والجمهور على أنّه أمر استحباب مندوب إليه، عن أبي سعيد الخدري والحسن والشعبي، وهو الأصحّ وعليه الأكثر[١]، ويدلّ على ذلك قوله ﴿فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤدّي الذي اُوتمن أمانته﴾[٢] وعن ابن عبّاس أنّ المراد به السلم، وقال: لمّا حرّم الله الربا أباح السلف.

﴿وليكتب بينكم كاتب بالعدل﴾ من يكتب كتاب المداينة بالسوية والإنصاف والحقّ لا يزيد ولا ينقص، وهو في الحقيقة أمر للمتداينيين باختيار كاتب فقيه ديّن، حتّى يجيء مكتوبه موثوقاً به معدّلاً بالشرع، ولا يكتب شيئاً يضرّ بأحدهما إلّا بعلمه.

﴿ولا يأب كاتب﴾ ولا يمتنع أحد من الكتّاب.

﴿أن يكتب كما علّمه الله﴾ من الكتابة بالعدل، أو لا يأب أن ينفع الناس بكتابته، كما نفعه الله بتعليمها، كقوله: ﴿وأحسن كما أحسن الله إليك﴾[٣] وهي فرض على الكفاية، وقيل: كانت واجبة فنسخت بقوله: ﴿ولا يضارّ كاتب ولا شهيد﴾.

﴿فليكتب﴾ الصكّ على الوجه المأمور به، وكانت الكتبة على عهد رسول الله ﷺ قليلة فلذلك أكّد بقوله: فليكتب إذ الجمع بين الأمر بالشيء والنهي عن تركه أدعى إلى فعله من الاقتصار على أحدهما.

﴿وليملل الذي عليه الحقّ﴾ وليكن المملل من عليه الحقّ، يعني: المديون؛ لأنّ[ه] المقرّ المشهود عليه.

١. مجمع البيان ٢: ٢١٩.
٢. البقرة (٢)، الآية ٢٨٣.
٣. القصص (٢٨)، الآية ٧٧.

﴿وليتّق الله ربّه﴾ أي: المملل أو الكاتب في الإملاء أو الكتابة.

﴿ولا يبخس منه شيئاً﴾ ولا ينقص من الحقّ شيئاً ممّا أملّ عليه لا من قدره ولا من صفته.

﴿فإن كان الذي عليه الحقّ سفيهاً﴾ ناقص العقل مبذّراً، أو جاهلاً بالإملاء، وقيل: صغيراً طفلاً.

﴿أو ضعيفاً﴾ أي: ضعيف العقل صبيّاً، أو شيخاً مختلّاً خرفاً.

﴿أو لا يستطيع أن يملّ هو﴾ أو غير مستطيع للإملاء لخرس أو جهل باللغة.

﴿فليملل وليّه بالعدل﴾ أي: فليملل ولي الذي عليه الحقّ وهو من يلي أمره ويقوم مقام[ه] من قيّم إن كان صبيّاً، أو مختل عقل، أو وكيل، أو مترجم بالحقّ.

﴿واستشهدوا شهيدين﴾ واطلبوا أن يشهد على الدين شاهدان.

﴿من رجالكم﴾ من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط إسلام الشهود، وإليه ذهب عامّة العلماء، وقال أبو حنيفة: تسمع شهادة الكفّار بعضهم على بعض.

﴿فإن لم يكونا رجلين﴾ فإن لم يكن الشهيدان رجلين.

﴿فرجل وامرأتان﴾ وهذا مخصوص بالأموال عندنا وعند الشافعي، وبما عدا الحدود والقصاص عند أبي حنيفة.

﴿ممّن ترضون من الشهداء﴾ لعلمكم بعدالتهم، ولم يقل: من المرضيين؛ لأنّه لا طريق لنا إلى معرفة من هو مرضي عند الله، وإنّما تعبّدنا بإشهاد من هو مرضي عندنا في الظاهر، وهو من نرضى دينه وأمانته ونعرفه بالستر والصلاح.

﴿أن تضلّ إحداهما﴾ أن تنسى إحدى المرأتين.

﴿فتذكّر إحداهما الأُخرى﴾ من الذكر الذي هو ضدّ النسيان، والتقدير فتذكّر إحداهما الأُخرى الشهادة التي تحملتاها إنّ ضلّت، بأن نسيتها، وفيه إشعار بنقصان

عقلهنّ وقلّة ضبطهنّ.

﴿ولا يأب الشهداء﴾ لا يمتنعوا عن الإجابة.

﴿إذا ما دعوا﴾ لأداء الشهادة، أو لتحمّلها إذا كانوا عالمين بالشهادة على وجه لا يرتابون فيه، ولم يخافوا من أدائها ضرراً، وسمّوا شهداء [قبل التحمّل] تنزيلاً لما يشارف [منزلة] الواقع، وما مزيدة.

﴿ولا تسأموا أن تكتبوه﴾ فلا تملّوا وتكسلوا أن تكتبوا الدين، أو الحق [أ]و الكتاب، كنّى بالسأم عن الكسل؛ لأنّه صفة المنافق، ولذلك قال ﷺ: لا يقول المؤمن كسلت، يعني عجزت.

﴿صغيراً﴾ كان الحقّ.

﴿أو كبيراً﴾ أو مختصراً كان الكتاب أو مشبعاً.

﴿إلى أجله﴾ إلى وقت حلوله الذي أقرّ به المديون.

﴿ذلكم﴾ إشارة إلى أن تكتبوه.

﴿أقسط عند الله﴾ أكثر قسطاً، أي: أكثر عدلاً عند الله؛ لأنّه أمر به، واتّباع أمره أعدل من تركه.

﴿وأقوم للشهادة﴾ وأثبت لها وأعون على إقامتها، وأبعد من الزيادة والنقصان والسهو والغلط والنسيان، مأخوذ من القيام على الشيء بمعنى الحفظ له.

﴿وأدنى ألّا ترتابوا﴾ وأقرب في أن لا تشكّوا في جنس الدين وقدره وأجله والشهود، ونحو ذلك.

﴿إلّا أن تكون تجارة حاضرة﴾ حالّة يداً بيد لا نسية.

﴿تديرونها بينكم﴾ تتناقلونها من يد إلى يد.

﴿فليس عليكم جناح ألّا تكتبوها﴾ أي: فلا حرج عليكم ولا إثم في ترك كتابتها

لبعدها عن التنازع والنسيان.

﴿وأشهدوا إذا تبايعتم﴾ هذا التبايع، أو مطلقاً؛ لأنّه أحوط، والأوامر التي في هذه الآية للاستحباب عند أكثر الفقهاء، وقيل: إنّها للوجوب، واختلف في إحكامها ونسخها.

﴿ولا يضارّ كاتب ولا شهيد﴾ قيل: هو الرجل يدعو الكاتب والشهيد وهما على حاجة فيعتذران، فعليه أن يطلب غيرهما ولا يضارّهما وهو يجد غيرهما.

﴿وإن تفعلوا﴾ مضارّة الكاتب والشهيد [أ]و ما نهيتم عنه.

﴿فإنّه فسوق بكم﴾ خروج عن الطاعة لاحق بكم.

﴿واتّقوا الله﴾ فيما أمركم به ونهاكم عنه.

﴿ويعلّمكم الله﴾ أحكامه المتضمّنة لمصالحكم وأُمور دينكم.

﴿والله بكلّ شيء عليم﴾ كرّر لفظة الله في الجمل الثلاث لاستقلالها، فإنّ الأُولى حثّ على التقوى، والثانية وعد بإنعامه، والثالثة تعظيم لشأنه، ولأنّه أدخل في التعظيم من الكناية. وذكر علي بن إبراهيم في تفسيره أنّ في البقرة خمسمئة حكم، في هذه الآية خاصّة خمسة عشر حكماً[1].

[٢٨٣] ﴿وإن كنتم﴾ أيّها المتداينون.

﴿على سفر﴾ أي: مسافرين.

﴿ولم تجدوا كاتباً﴾ للصكّ ولا شهود تشهدونهم.

﴿فرهان مقبوضة﴾ تقوم مقام الوثيقة بالصكّ والشهود، والقبض شرط في صحّة الرهن، فإن لم يقبض لم ينعقد الرهن بالإجماع، وليس هذا التعليق لاشتراط السفر

١. مجمع البيان ٢: ٢٢٣، وتفسير البيضاوي ١: ٢٣٢.

في الارتهان كما [ظنّه] مجاهد والضحّاك؛ لأنّه عليه‌السلام رهن درعه في المدينة عند يهودي بعشرين صاعاً من شعير أخذه لأهله، بل لإقامة التوثيق بالارتهان مقام التوثيق بالكتب في السفر الذي هو مظنّة إعوازها.

﴿فإن أمن بعضكم بعضاً﴾ واستغنى بأمانته عن الارتهان.

﴿فليؤدّ الذي اؤتمن أمانته﴾ أي: دينه، سمّاه أمانةً لائتمانه عليه بترك الارتهان به.

﴿وليتّق الله ربّه﴾ في الخيانة وإنكار الحقّ، أو النقصان منه.

﴿ولا تكتموا الشهادة﴾ بعد تحمّلها أيّها الشهود أو المديونون، والشهادة شهادتهم على أنفسهم.

﴿ومن يكتمها﴾ مع علمه بها بعد ما دُعي إلى أقامتها.

﴿فإنّه آثم قلبه﴾ أي: يأثم قلبه بكتمان الشهادة، أضاف الإثم إلى القلب؛ لأنّه رئيس الأعضاء، وأفعاله أعظم الأفعال، ولأنّ الكتمان يقع بالقلب، وعن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله أنّه قال: لا ينقضي كلام شاهد زور من بين يدي الحاكم حتّى يتبوّأ مقعده من النار، وكذلك من كتم الشهادة.

﴿والله بما تعملون عليم﴾ تهديد لمن كتم الشهادة من غير ضرورة.

[٢٨٤] ﴿لله ما في السماوات وما في الأرض﴾ خلقاً أو ملكاً، أي: له التصرّف في جميع ما فيهما، واللام لام الملك.

﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم﴾ من الطاعة والمعصية.

﴿أو تخفوه﴾ أو تكتموه، يعني: ما فيها من السوء والعزم عليه، لترتّب المغفرة والعذاب عليه.

﴿يحاسبكم به الله﴾ لأنّه يعلم ذلك فيجازيكم عليه يوم القيامة، وهو حجّة على

من أنكر الحساب.

﴿فيغفر لمن يشاء﴾ مغفرته رحمة وفضلاً.

﴿ويعذّب من يشاء﴾ تعذيبه، وهو صريح في نفي وجوب التعذيب.

﴿والله على كلّ شيء قدير﴾ فيقدر على الإحياء والمحاسبة.(١)

[٢٨٥] ﴿آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربّه﴾ شهادة وتنصيص من الله على صحّة إيمان رسوله محمّد ﷺ، والاعتداد به، وأنّه جازم في أمره وغير شاكّ فيه، مصدّق بجميع الأحكام المذكورة في هذه السورة وغيرها.

﴿والمؤمنون كلّ آمن بالله﴾ كلّ واحد منهم صدّق بأنّ الله ربّه، بإثباته وصفاته ونفي التشبيه عنه، وتنزيهه عمّا لا يليق به كالصاحبة والولد والشريك.

﴿وملائكته﴾ بأنّهم عباد مكرمون، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

﴿وكتبه﴾ صدّقوا بالقرآن وغيره من كتب الله.

﴿ورسله﴾ صدّقوا بجميع أنبيائه.

﴿لا نفرّق بين أحد من رسله﴾ بالتصديق والتكذيب فنؤمن ببعض ونكفر ببعض، كما فعله أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

﴿وقالوا سمعنا﴾ قولك.

﴿وأطعنا﴾ أمرك إذا جعلته راجعاً إلى الله، أو سمعنا قوله وأطعنا أمره إذا جعلته راجعاً إلى النبي ﷺ.

﴿غفرانك ربّنا﴾ أي: اغفر لنا يا ربّنا، أو نطلب غفرانك.

﴿وإليك المصير﴾ المرجع بعد الموت، وهو إقرار منهم بالبعث والنشور.(٢)

١. مجمع البيان ٢ / ٢٢٥، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٣٣.

٢. مجمع البيان ٢ / ٢٢٦، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٣٤.

[٢٨٦] ﴿لا يكلّف الله نفساً إلّا وسعها﴾ إلّا ما تسعه قدرتها فضلاً ورحمة، كقوله: ﴿يريد الله بكم اليسر﴾[١].

﴿لها ما كسبت﴾ من خير.

﴿وعليها ما اكتسبت﴾ من شرّ، لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها.

﴿ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ أي: لا تؤاخذنا بما أدّى بنا إلى نسيان أو خطأ، من تفريط وقلّة مبالاة، أو بأنفسهما؛ إذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلاً، فإنّ الذنوب كالسموم، فكما أنّ تناولها يؤدّي إلى الهلاك وإن كان خطأ، فتعاطي الذنوب لا يبعد أن يفضي إلى العقاب وإن لم يكن عزيمة، لكنّه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلاً، ويؤيّد[٢] ذلك مفهوم قوله ﷺ: رفع عن أُمّتي الخطأ والنسيان، وقيل: المراد بنسينا تركنا، كقوله: ﴿نسوا الله فنسيهم﴾[٣] أي: تركوا طاعته فتركهم من ثوابه، كما قيل:

ولم أك عند الجود للجود قاليا ... ولا كنت يوم الروع للطعن ناسيا

﴿ربّنا ولا تحمل علينا إصراً﴾ أي: ثقلاً نعجز عن القيام به، يريد به التكاليف الشاقّة. والإصر في اللغة الثقل، قال النابغة:

يا مانع الضيم أن يغشى سراتهم ... والحامل الإصر عنهم بعد ما عرفوا

﴿كما حملته على الذين من قبلنا﴾ من الأُمم الماضية، والمراد به ما كلّف به بني إسرائيل من قتل الأنفس، وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة في اليوم والليلة، وصرف ربع المال للزكاة، أو ما أصابهم من الشدائد والمحن.

---

١. البقرة (٢)، الآية ١٨٥.

٢. ن: ويؤدي.

٣. التوبة (٩)، الآية ٦٧.

﴿ربّنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به﴾ من البلاء والعقوبة عاجلاً وآجلاً، أو من التكاليف التي لا تفي بها الطاقة البشرية.

﴿واعف عنّا﴾ وامح عنّا ذنوبنا.

﴿واغفر لنا﴾ خطايانا واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة.

﴿وارحمنا﴾ بإنعامك علينا في الدنيا والآخرة، والرحمة في الآخرة إدخال الجنّة.

﴿أنت مولانا﴾ أنت سيّدنا ومتولّي أمرنا.

﴿فانصرنا على القوم الكافرين﴾ فإنّ من حقّ المولى أن ينصر مواليه على الأعداء، [أ]و المراد به عامّة الكفرة، روي أنّه عليه السلام لمّا دعا بهذه الدعوات قيل له: [عند كلّ كلمة] فعلت، وعنه عليه السلام: أنزل الله آيتين من كنوز الجنّة كتبهما الرحمان بيده قبل أن يخلق الخلق بألفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة أجزأتاه عن قيام الليل، وعن ابن عبّاس قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله إذ سمع صوتاً فرفع رأسه، فإذا باب من السماء قد فتح، فنزل عليه ملك وقال: إنّ الله يبشّرك بنورين لم يعطهما نبيّاً قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لا يقرأهما [أحد إلّا] أعطاه الله حاجته[1].

١. مجمع البيان ٢: ٢٣١، وتفسير البيضاوي ١: ٢٣٥.

[٣]
سورة آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿الم﴾ ذكرنا الاختلاف فيه في أوّل سورة البقرة، وأنّه من المتشابهات التي استأثر الله بعلمها.

[٢] ﴿الله لا إله إلّا هو الحيّ القيّوم﴾ قيّوم على كلّ شيء يحفظه ويكلوه، روي أنّه عليه الصلاة والسلام قال: إنّ اسم الله الأعظم في ثلاث سور: في البقرة ﴿الله لا إله إلّا هو الحيّ القيّوم﴾[١]، وفي آل عمران ﴿الله لا إله إلّا هو الحيّ القيّوم﴾، وفي طه ﴿وعنت الوجوه للحيّ القيّوم﴾[٢]، وعن ابن عبّاس أنّه قال: الحي القيّوم اسم الله الأعظم، وهو الذي دعا به آصف بن برخيا صاحب سليمان في حمل عرش بلقيس من سبأ إلى سليمان قبل أن يرتدّ إليه طرفه[٣].

[٣] ﴿نزّل عليك﴾ يا محمّد.

﴿الكتاب﴾ القرآن نجوماً.

﴿بالحقّ﴾ بالعدل، أو بالصدق في أخباره، أو بالحجج المحقّقة أنّه من عند الله،

---

١. البقرة (٢)، الآية ٢٥٥.

٢. طه (٢٠)، الآية ١١١.

٣. مجمع البيان ٢: ٢٣٥، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٣٦.

أو بما توجبه الحكمة.

﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ لما قبله من الكتب والرسل.

﴿وأنزل التوراة والإنجيل﴾ جملة على موسى وعيسى، واشتقاقهما من الورى والنجل.[١]

[٤] ﴿من قبل﴾ أي: من قبل تنزيل القرآن.

﴿هدى للناس﴾ على العموم، إن قلنا إنّا متعبّدون بشرع من قبلنا، وإلّا فالمراد به قومهما من اليهود والنصارى.

﴿وأنزل الفرقان﴾ يعني به القرآن، أو كرّر ذكره بما هو نعت له مدحاً وتعظيماً، وإظهاراً لفضله من حيث إنّه يشاركهما في كونه وحياً منزلاً، ويتميّز بأنّه معجز يفرّق به بين المحقّ والمبطل، أو يريد به جنس الكتب الإلهية فإنّها فارقة بين الحقّ والباطل، ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلاثة، ليعمّ ما عداها، كأنّه قال: وأنزل سائر ما يفرّق به بين الحق والباطل، وأراد الزبور المنزل على داود، أو المعجزات، وعن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: الفرقان هو كلّ آية محكمة في الكتاب.

﴿إنّ الذين كفروا بآيات الله﴾ من كتبه المنزلة وغيرها، قال الكلبي ومحمّد بن إسحاق والربيع بن أنس نزلت أوائل السورة إلى نيف وثمانين آية في وفد نجران من النصارى.

﴿لهم عذاب شديد﴾ بسبب كفرهم.

﴿والله عزيز﴾ غالب لا يمنع من التعذيب، وأصل العزّة الامتناع.

﴿ذو انتقام﴾ لا يقدر على مثله منتقم، والنقمة عقوبة المجرم، وهو وعيد جيء

---

١. مجمع البيان ٢ / ٢٣٤، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٣٦.

به بعد تقرير التوحيد والإشارة إلى ما هو العمدة في إثبات النبوّة تعظيماً للأمر وزجراً عن الأعراض عنه.

[٥] ﴿إنّ الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء﴾ أيّ شيء كائن في العالم، كلّياً كان أو جزئياً، إيماناً [أ]و كفراً، فعبّر عنه بالسماء والأرض، إذ الحس لا يتجاوزهما، وإنّما قدّم الأرض ترقّياً من الأدنى إلى الأعلى؛ ولأنّ المقصود بالذكر ما اقترف فيها، وهو كالدليل على كونه حيّاً.

[٦] ﴿هو الذي يصوّركم في الأرحام كيف يشاء﴾ يخلق صوركم فيها على أيّ صورة شاء من ذكر أو أُنثى، أو صبيح أو ذميم، أو طويل أو قصير، والأرحام جمع رحم وأصله الرحمة؛ لأنّها ممّا يتراحم به ويتعاطف.

﴿لا إله إلّا هو﴾ إذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه، ولا يقدر على مثل ما يفعله.

﴿العزيز﴾ في سلطانه.

﴿الحكيم﴾ في أفعاله، إشارة إلى كمال قدرته وتناهي حكمته، وهذا حجاج على من زعم أنّ عيسى كان ربّاً، فإنّ وفد نجران لمّا حاجّوا فيه رسول الله ﷺ، نزلت السورة من أوّلها إلى نيف وثمانين آية تقريراً لما احتجّ به عليهم، وأجاب عن شبههم، بأن قال لهم: ألستم تعلمون أنّه لا يكون ولد إلّا ويشبه أباه، قالوا: بلى، قال: ألستم تعلمون أنّ الله حيّ لا يموت وأنّ عيسى يأتي عليه الفناء، قالوا: بلى، قال: ألستم تعلمون أنّ ربّنا قيّم على كلّ شيء يحفظه ويرزقه فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً؟ قالوا: لا[١].

[٧] ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب﴾ أي: القرآن.

---

١. مجمع البيان ٢: ٢٣٥، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٣٨.

﴿منه آيات محكمات﴾ أُحكمت عبارتها، بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه، وأُثبتت دلالتها على ما أُنزل فيها من حلال وحرام ووعد ووعيد.

﴿هنّ أُمّ الكتاب﴾ أصله، يردّ إليها غيرها، وهي التي فيها الحدود والفرائض.

﴿وأُخر متشابهات﴾ محتملات لا يتّضح مقصودها، لإجمال أو مخالفة ظاهر، إلّا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء، فينالوا بها معالي الدرجات، وعن جابر بن عبد الله أنّ المحكم ما يعلم تأويله، والمتشابه ما لا يعلم تأويله، كقيام الساعة، وعن ابن عبّاس أنّ المحكم الناسخ، والمتشابه المنسوخ.

﴿فأمّا الذين في قلوبهم زيغ﴾ ميل وعدول عن الحقّ كالمبتدعة، وإنّما يحصل الزيغ بشكّ أو جهل.

﴿فيتّبعون ما تشابه منه﴾ فيتعلّقون بظاهره، أو بتأويل باطل يحتجّون به على باطلهم.

﴿ابتغاء الفتنة﴾ طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه، والمراد بالفتنة هاهنا الكفر، وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام.

﴿وابتغاء تأويله﴾ وطلب أن يؤوّلوه على ما يشتهونه.

﴿وما يعلم تأويله﴾ الذي يجب أن يحمل عليه.

﴿إلّا الله والراسخون في العلم﴾ أي: الثابتون في العلم الضابطون له المتمكّنون فيه، ومن وقف على (الله) فسّر المتشابه بما استأثر الله بعلمه، كمدّة بقاء الدنيا، ووقت قيام الساعة، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدجّال، ونزول عيسى، وخواص الأعداد، كعدد الزبانية، أو بما دلّ القاطع على أنّ ظاهره غير مراد ولم يدلّ على ما هو المراد.

﴿يقولون آمنّا به﴾ استئناف موضح لحال (الراسخين)، و(يقولون) على هذا في

موضع نصب على الحال وتقديره: قائلين آمنّا به.

﴿كلّ من عند ربّنا﴾ أي: كلّ من المتشابه والمحكم من عنده، كما قيل:

الريــح تــبكي شـجوة والبرق يلمع في غـمامه

﴿وما يذّكّر إلّا أُولو الألباب﴾ مدح للراسخين بجودة الذهن وحسـن النـظر، وإشارة إلى ما سعدوا به للاهتداء إلى تأويله.[1]

[٨] ﴿ربّنا لا تزغ قلوبنا﴾ من مقال الراسخين، وقيل: استئناف، والمعنى لا تزغ قلوبنا عن الايمان ونهج الحقّ إلى اتّباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه، قال عليه السلام: قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه على الحقّ وإن شاء أزاغه عنه. وإنّما أُضيف الزيغ إلى الله لأنّه مسبب عن امتحانه وخذلانه.

﴿بعد إذ هديتنا﴾ إلى الحقّ والإيمان بالمحكم والمتشابه.

﴿وهب لنا من لدنك رحمة﴾ تقرّبنا إليك ونفوز بها عندك، أو تـوفيقاً للـثبات على الحقّ، أو مغفرة للذنوب.

﴿إنّك أنت الوهاب﴾ لكلّ سؤل، المعطي النعمة، المتفضّل بها على عباده.

[٩] ﴿ربّنا إنّك جامع الناس ليوم﴾ لحساب يوم [أ]و جزائه، وهو يوم القيامة.

﴿لا ريب فيه﴾ لا شكّ في وقوعه، لوضوحه، وسبق الوعد به.

﴿إنّ الله لا يخلف الميعاد﴾ أي: الوعد فإنّ الإلهية تنافيه.

[١٠] ﴿إنّ الذين كفروا﴾ عامّ في الكفرة، وقيل: المراد به وفد نجران، أو اليهود، أو مشركو العرب، لكفرهم بآيات الله ورسله.

﴿لن تغني عنهم﴾ أي: تدفع عنهم.

١. تفسير البيضاوي ١ / ٢٤٠، ومجمع البيان ٢ / ٢٤٠.

﴿أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً﴾ من عذابه، ومن بمعنى عند.

﴿وأُولئك هم وقود النار﴾ أي: حطبها، تنفذ النار بأجسامهم.(١)

[١١] ﴿كدأب آل فرعون﴾ كعادتهم وسنّتهم، والدأب العادة، أي، كعادة آل فرعون، والتكذيب برسولهم وبما أُنزل إليه، لن تغني عنهم كما لم تغن عن أُولئك، أو توقد بهم كما توقد بأُولئك، وتقديره دأب هؤلاء كدأبهم في الكفر والعذاب.

﴿والذين من قبلهم﴾ يعني كفّار الأُمم الماضية، من عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم.

﴿كذّبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم﴾ أي: عاقبهم بسبب ذنوبهم، وسمّى المعاقبة مؤاخذة، لأنّها أخذ بالذنب، والأخذ بالذنب عقوبة.

﴿والله شديد العقاب﴾ لمن عصاه وكذّب بآياته، تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف الكفرة.

[١٢] ﴿قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنّم﴾ أي: قل لمشركي مكّة ستغلبون يعني يوم بدر، وقيل: لليهود، وأنّه عليه السلام جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذّرهم أن ينزل بهم ما نزل بقريش، فقالوا: لا يغرّنّك إنّك أصبت أغماراً لا علم لهم بالحرب، لئن قاتلتنا لعلمت أنّا نحن الناس، فنزلت، وصدق الله وعده بقتل قريظة، وإجلاء بني النضير، وفتح خيبر، وضرب الجزية على من عداهم، وهو من دلائل النبوّة.

﴿وبئس المهاد﴾ ما مهّدوه لأنفسهم.(٢)

[١٣] ﴿قد كان لكم آية﴾ الخطاب لقريش، أو لليهود، وقيل: للمؤمنين.

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٢٤٠، ومجمع البيان ٢ / ٢٤٥.

٢. تفسير البيضاوي ١ / ٢٤٠، ومجمع البيان ٢ / ٢٥٠.

﴿في فئتين التقتا﴾ يوم بدر.

﴿فئة تقاتل في سبيل الله﴾ وهم رسول الله ﷺ وأصحابه، وكانوا ثلاثمئة وبضعة عشر.

﴿وأُخرى كافرة﴾ وهم [ال]مشركون [من] أهل مكّة.

﴿يرونهم مثليهم رأي العين﴾ رؤية ظاهرة معاينة، يرى المشركون المؤمنين مثلي عدد المشركين وكانوا قرب ألف.

﴿والله يؤيّد بنصره من يشاء﴾ نصره كما أيّد أهل بدر.

﴿إنّ في ذلك﴾ أي: في ظهور المسلمين مع قلّتهم على المشركين مع كثرتهم.

﴿لعبرة لأُولي الأبصار﴾ لعظة لذوي البصائر والعقول.[١]

[١٤] ﴿زيّن للناس﴾ المزيّن هو الله، لقوله: ﴿إنّا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم﴾[٢]، أو الشيطان فإنّ الآية في معرض الذمّ، ولا يعلم أحد أذمّ للدنيا من خالقها.

﴿حبّ الشهوات من النساء والبنين﴾ قدّم ذكر النساء؛ لأنّ الفتنة بهنّ أعظم، قال النبي ﷺ: ما تركت بعدي فتنة أضرّ على الرجال من النساء، زيّن الله ما يحسن منهنّ وزيّن الشيطان ما يقبح. وقال: أوّل ما عصي الله به ستّ: حبّ الدنيا وحبّ الرئاسة وحبّ الطعام وحبّ النوم وحبّ الراحة وحبّ النساء[٣].

﴿والقناطير المقنطرة من الذهب والفضّة﴾ جمع قنطار، قيل: هو مئة ألف دينار [أ]و اثنى عشر ألف درهم، والاختلاف في عدد ذلك كثير.

---

١. مجمع البيان ٢ / ٢٥٢، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٤٢.

٢. الكهف (١٨)، الآية ٧.

٣. أُصول الكافي ٢: ٢٨٩، ح ٣.

﴿والخيل المسوّمة﴾ المعلمة من السومة وهي العلامة، أو المرعية من أسام الدابّة، وقيل: الحسان.

﴿والأنعام﴾ جمع نعم، وهي الإبل والبقر والغنم.

﴿والحرث﴾ الزرع.

﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما ذكر.

﴿متاع الحياة الدنيا﴾ ما يستمتع به فيها.

﴿والله عنده حسن المآب﴾ المرجع والمنقلب إلى الجنّة.[1]

[١٥] ﴿قل أؤنبئكم بخير من ذلكم﴾ يريد به تقرير أنّ ثواب الله خير من مستلذّات الدنيا وزهراتها.

﴿للذين اتّقوا﴾ ما حرّم الله عليهم.

﴿عند ربّهم﴾ يوم القيامة.

﴿جنّات تجري من تحتها الأنهار﴾ أي: ذلك الخير جنّات هذه صفتها.

﴿خالدين فيها﴾ مقيمين في تلك الجنّات.

﴿وأزواج مطهّرة﴾ من الحيض والنفاس وجميع الأقذار.

﴿ورضوان من الله﴾ ووراء هذه الجنّات رضوان الله، وهو أعظم، لقوله: ﴿ورضوان من الله أكبر﴾[2].

﴿والله بصير بالعباد﴾ خبير بأعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء.

[١٦] ﴿الذين يقولون ربّنا إنّنا آمنّا﴾ أي: صدّقنا الله ورسوله.

﴿فاغفر لنا ذنوبنا﴾ استرها علينا وتجاوزها عنّا.

---

١. مجمع البيان ٢ / ٢٥٣، وتفسير البيضاوي ٢ / ٢٤٣.

٢. ٧٩: التوبة (٩).

﴿وقنا عذاب النار﴾ ادفع عنّا عذابها.

[١٧] ﴿الصابرين﴾ على طاعة الله.

﴿والصادقين﴾ في إيمانهم وأقوالهم.

﴿والقانتين﴾ في الوتر من الليل، أو المطيعين.

﴿والمنفقين﴾ أموالهم في سبيل الله.

﴿والمستغفرين بالأسحار﴾ أي: المصلّين وقت السحر، الطالبين المغفرة؛ لأنّ المغفرة أعظم المطالب، قال الصادق عليه السلام: من استغفر سبعين مرّة في السحر فهو من أهل هذه الآية[١].

[١٨] ﴿شهد الله أنّه لا إله إلّا هو﴾ بيّن وحدانيته بنصب الدلائل الدالّة عليها، وإنز[ا]ل الآيات الناطقة بها، قال سعيد بن جبير: كان حول الكعبة ثلاثمئة وستّون صنماً فلمّا نزلت خرّوا سجّداً.

﴿والملائكة﴾ بالإقرار.

﴿وأُولو العلم﴾ بالإيمان بها.

﴿قائماً بالقسط﴾ بالعدل الذي قامت به السماوات والأرض.

﴿لا إله إلّا هو﴾ كرّره للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة أدلّة التوحيد.

﴿العزيز الحكيم﴾ فيعلم أنّه الموصوف بهما، وقدّم العزيز لتقدّم العلم بقدرته على العلم بحكمته.[٢]

[١٩] ﴿إنّ الدين عند الله الإسلام﴾ أي: لا دين مرضي، عند الله سوى الإسلام، وهو التوحيد والتدرّع بالشرع الذي جاء به محمّد صلى الله عليه وآله.

---

١. مجمع البيان ٢: ٢٥٥، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٤٤.

٢. مجمع البيان ٢ / ٢٥٩، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٤٤.

﴿وما اختلف الذين أُوتوا الكتاب﴾ من اليهود والنصارى، أو من أرباب الكتب المتقدّمة اختلفوا من بعده، وقيل: هم النصارى اختلفوا في أمر عيسى، وقيل: هم اليهود والنصارى اختلفوا في نبوّة محمّد صلى الله عليه وآله.

﴿إلّا من بعد ما جاءهم العلم﴾ أي: بعد ما علموا حقيقة الأمر[1]، أو تمكّنوا من العلم بها بالآيات والحجج.

﴿بغياً بينهم﴾ حسداً بينهم وطلباً للرئاسة، لا لشبهة وخفاء في الأمر.

﴿ومن يكفر بآيات الله فإنّ الله سريع الحساب﴾ وعيد لمن كفر منهم.

[٢٠] ﴿فإن حاجّوك﴾ فإن جادلوك في الدين بعد ما أقمت الحجج.

﴿فقل أسلمت وجهي لله﴾ أخلصت نفسي بالعبادة له لا أُشرك فيها غيره.

﴿ومن اتّبعن﴾ ومن اقتدى بي من المسلمين.

﴿وقل للذين أُوتوا الكتاب﴾ من اليهود والنصارى.

﴿والأُمّيين﴾ الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب.

﴿أأسلمتم﴾ كما أسلمت لمّا وضحت لكم الحجّة، أم أنتم بعد على كفركم.

﴿فإن أسلموا فقد اهتدوا﴾ إلى طريق الحقّ.

﴿وإن تولّوا﴾ ولم يقبلوا.

﴿فإنّما عليك البلاغ﴾ وقد بلّغت.

﴿والله بصير بالعباد﴾ وعد ووعيد.[2]

[٢١] ﴿إنّ الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حقّ ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشّرهم بعذاب أليم﴾ هم أهل الكتاب الذين في

---

١. ن: الآية.

٢. مجمع البيان ٢ / ٢٦١، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٤٥.

عصره، قتل أوّلهم[١] الأنبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي ﷺ، قال أبو عبيدة: يا رسول الله، أيّ الناس أشدّ عذاباً يوم القيامة؟ قال: رجل قتل نبيّاً أو قتل رجلاً أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، يا أبا عبيدة، قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيّاً من أوّل النهار في ساعة واحدة، فقام مئة رجل واثنى عشر رجلاً من عبّاد بني إسرائيل، فأمروا مَن قتلهم حيث أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، فقتلوا جميعاً في آخر النهار في ذلك اليوم.

﴿فبشّرهم بعذاب أليم﴾ وقال ﷺ: لن يعمل ابن آدم عملاً أعظم عند الله من رجل قتل نبيّاً أو إماماً، أو هدم الكعبة التي جعلها الله قبلة لعباده، أو أفرغ ماءه في امرأة حراماً[٢].

[٢٢] ﴿أُولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين﴾ يدفعون عنهم العذاب.[٣]

[٢٣] ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم﴾ الداعي محمّد ﷺ، وكتاب الله القرآن، أو التوراة، لما روي أنّه عليه السلام دخل مدراسهم، فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أيّ دين أنت؟ فقال: على دين إبراهيم، فقالا له: إنّ إبراهيم كان يهودياً، فقال: هلّموا إلى التوراة فإنّها بيننا وبينكم، فأبيا، فنزلت. وقيل: نزلت بالرجم.

﴿ثمّ يتولّى فريق منهم وهم معرضون﴾ عن اتّباع الحقّ.

[٢٤] ﴿ذلك بأنّهم قالوا لن تمسّنا النار إلّا أيّاماً معدودات﴾ بسبب تسهيلهم

---

١. ن: أولوهم.
٢. الخصال ١٢٠، ومن لا يحضره الفقيه ٣ / ٥٥٩: ٤٩٢١. وما قبله من الطبرسي والبيضاوي.
٣. تفسير البيضاوي ١ / ٢٤٥، ومجمع البيان ٢ / ٢٦٣.

أمر العقاب على أنفسهم بهذا الاعتقاد الزايغ والطمع الفارغ.

﴿وغرّهم في دينهم ما كانوا يفترون﴾ من أنّ النار لن تمسّهم إلّا عدد أيّام عبادتهم العجل، أو أيّاماً قلائل، [أ]و أنّ آباءهم الأنبياء يشفعون لهم، [أ]و أنّه تعالى وعد يعقوب عليه السلام أن لا يعذّب أولاده إلّا تحلّة القسم.

[٢٥] ﴿فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه﴾ استعظام لما يحيق بهم في الآخرة، وتكذيب لقولهم لن تمسّنا النار إلّا أيّاماً [معدودات]، روي أنّ أوّل راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفّار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤوس الأشهاد ثمّ يأمر بهم إلى النار.

﴿ووفّيت كلّ نفس ما كسبت﴾ جزاء ما كسبت من خير وشرّ.

﴿وهم لا يظلمون﴾ بنقصان ثواب وزيادة عقاب.[١]

[٢٦] ﴿قل اللّهمّ مالك الملك﴾ أي: مالك أمر الدنيا والآخرة، والعباد والبلاد، يتصرّف فيها كيف شاء.

﴿تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممّن تشاء﴾ على ما توجبه الحكمة وتقتضيه المصلحة، قيل: المراد بالملك النبوّة، ونزعها [نقلها] من قوم إلى قوم، وقيل: الملك أعطاه الله لمحمّد وأُمّته، وانتزعه من فارس والروم.

﴿وتعزّ من تشاء﴾ بالإيمان والطاعة.

﴿وتذلّ من تشاء﴾ بالكفر والمعاصي، بالتوفيق والخذلان.

﴿بيدك الخير إنّك على كلّ شيء قدير﴾ روي عن سلمان الفارسي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا حفر الخندق ضرب بمعول على صخرة ثلاث ضربات، فلمعت بكلّ

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٢٤٦، ومجمع البيان ٢ / ٢٦٥.

ضربة لمعة فكبّر، وكبّر معه المسلمون، وقال: فتح الله عليّ بالأُولى اليمن، وبالثانية الشام والمغرب، وبالثالثة المشرق، فقال المنافقون: ألا تعجبون يمنّيكم ويعدكم الباطل فنزلت.

[٢٧] ﴿تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل﴾ فالليل يلج في النهار، والنهار في الليل، فيزيد هذا بنقصان هذا.

﴿وتخرج الحيّ من الميّت وتخرج الميّت من الحيّ﴾ يخرج الحيّ من النطفة الميتة، والنطفة من الحيّ، والنخلة من النواة، والنواة من النخلة، والبيض من الطير، والطير من البيض، والكافر من المؤمن، والمؤمن من الكافر.

﴿وترزق من تشاء بغير حساب﴾ لا تنقص خزائنه ولا ما عنده.[١]

[٢٨] ﴿لا يتّخذ المؤمنون الكافرين أولياء﴾ نهوا عن موالاتهم لقرابة أو صداقة جاهلية ونحوهما، حتّى لا يكون حبّهم وبغضهم إلّا في الله.

﴿من دون المؤمنين﴾ إشارة إلى أنّهم أحقّ بالموالاة.

﴿ومن يفعل ذلك﴾ أي: اتّخاذهم أولياء.

﴿فليس من الله في شيء﴾ من ولايته.

﴿إلّا أن تتّقوا منهم تقاة﴾ إلّا أن تخافوا في جهتهم ما يجب اتّقاؤه.

﴿ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير﴾ فلا تتعرّضوا لسخطه، بمخالفة أحكامه وموالاة أعدائه، وهو تهديد[٢] عظيم.

[٢٩] ﴿قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله﴾ أي: يعلم ضمائركم، من ولاية الكفّار وغيرها، لا يبالي إن تخفوها أو تبدوها.

١. تفسير البيضاوي ١ / ٢٤٧، ومجمع البيان ٢ / ٢٧١.
٢. ن: تقدير.

﴿ويعلم ما في السماوات وما في الأرض﴾ فيعلم سرّكم وعلانيتكم.

﴿والله على كلّ شيء قدير﴾ فيقدر على عقوبتكم إن لم تنتهوا عمّا نهيتم عنه.

[٣٠] ﴿يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تودّ لو أنّ بينها وبينه أمداً بعيداً﴾ يوم منصوب بتودّ، أي: تتمنّى كلّ نفس يوم تجد صحائف أعمالها أو جزاء أعمالها من الخير والشرّ حاضرة لو أنّ بينها وبين ذلك اليوم وهوله، أو عمل السوء غاية بعيدة.

﴿ويحذّركم الله نفسه﴾ عقابه، كرّره للتوكيد والتذكير.

﴿والله رؤوف بالعباد﴾ ومن تمام رأفته بهم أن حذّرهم عقابه على معاصيه.

[٣١] ﴿قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني﴾ على ديني حتّى يصحّ ما تدّعونه، قيل: نزلت في وفد نجران لمّا قالوا: نعظّم المسيح حبّاً لله، أو في اليهود لمّا قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه.

﴿يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ أي: يرض عنكم بالتجاوز عمّا فرط منكم، فيقرّبكم من جناب عزه، ويبوّئكم في جوار قدسه.

﴿والله غفور رحيم﴾ لمن تحبّب إليه بطاعته واتّباع نبيّه.[١]

[٣٢] ﴿قل أطيعوا الله والرسول﴾ إن كنتم تحبّون الله كما تزعمون.

﴿فإن تولّوا﴾ فإن أعرضوا عن ذلك.

﴿فإنّ الله لا يحبّ الكافرين﴾ ولا يريد ثوابهم.

[٣٣] ﴿إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾ بأن جعل الأنبياء منهم، وبه استدلّ على فضلهم على الملائكة، وآل إبراهيم إسماعيل

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٢٤١، ومجمع البيان ٢ / ٢٧٣.

وإسحاق وأولادهما، وقد دخل فيهم الرسول ﷺ، وآل عمران موسى وهارون.

[٣٤] ﴿ذرّيّة بعضها من بعض﴾ في الدين، أو ذرّيّة واحدة متشعبة بعضها من بعض.

﴿والله سميع عليم﴾ بأقوال الناس وأعمالهم، فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل، أو سميع بقول امرأة عمران عليم بنيّتها.

[٣٥] ﴿إذ قالت امرأة عمران ربّ إنّي نذرت لك ما في بطني﴾ روي أنّها كانت عاقراً عجوزاً[١]، واسمها حنة.

﴿محرّراً﴾ معتقاً لعبادتك لا ينتفع بشيءٍ من أُمور الدنيا.

﴿فتقبّل منّي﴾ ما نذرته.

﴿إنّك أنت السميع العليم﴾ لقولي ونيّتي.

[٣٦] ﴿فلمّا وضعتها﴾ بعد موت عمران.

﴿قالت ربّ إنّي وضعتها أُنثى﴾ وإنّما قالته تحسّراً وتحزّناً إلى ربّها؛ لأنّها كانت ترجو أن تلد ذكراً، ولذلك نذرت تحريره.

﴿والله أعلم بما وضعت﴾ أي: بالشيء الذي وضعت.

﴿وليس الذكر كالأُنثى﴾ أي: وليس الذكر الذي طلبت كالأُنثى التي وهبت؛ لأنّ الذكر أقوى لما نذرت به من الخدمة والعبادة.

﴿وإنّي سمّيتها مريم﴾ وإنّما ذكرت ذلك لربّها، تقرّباً إليه، وطلباً لأن يعصمها ويصلحها، حتّى يكون فعلها مطابقاً لاسمها، فإنّ مريم في لغتهم بمعنى العابدة.

﴿وإنّي أُعيذها بك﴾ أجيرها بحفظك.

---

١. تفسير البيضاوي ١: ٢٥٠، ومجمع البيان ٢ / ٢٨٠.

﴿وذرّيّتها من الشيطان الرجيم﴾ المطرود، وأصل الرجم الرمي بالحجارة، وعن النبي ﷺ: ما من مولود يولد إلّا والشيطان يمسّه حين يولد فيستهل من مسّه، إلّا مريم وابنها. فإنّ الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة[١].

[٣٧] ﴿فتقبّلها ربّها﴾ في النذر مكان الذكر.

﴿بقبول حسن﴾ بوجه حسن تقبل به النذائر وهو إقامتها مقام الذكر.

﴿وأنبتها نباتاً حسناً﴾ مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع أحوالها.

﴿وكفّلها زكريّا﴾ أي: جعله كافلاً لها وضامناً بمصالحها، روي أنّ حنة لمّا ولدتها لفّتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار، وقالت: دونكم هذه النذيرة، فتنافسوا فيها، لأنّها كانت بنت إمامهم، وصاحب قربانهم، فقال زكريّا: أنا أحقّ بها، عندي خالتها، فأبوا إلّا القرعة، وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا إلى نهر، فألقوا فيه أقلامهم، فطفى قلم زكريّا ورسبت أقلامهم، فتكفّلها، وجعل.

﴿كلّما دخل عليها زكريّا المحراب﴾ أي: الغرفة التي بنى لها، أو المسجد، أو أشرف مواضعه ومقدّمها، سمّي به لأنّه محلّ محاربة الشيطان.

﴿وجد عندها رزقاً﴾ روي أنّه كان لا يدخل عليها غيره وإذا خرج أغلق عليها سبعة أبواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس[٢].

﴿قال يا مريم أنّى لك هذا﴾ من أين لك هذا الرزق الآتي في غير أوانه والأبواب مغلقة عليك.

﴿قالت هو من عند الله﴾ فلا تستبعد[ه]، قيل: تكلّمت صغيرة كعيسى، ولم ترضع ثدياً قطّ، وكان رزقها ينزل عليها من الجنّة.

---

١. تفسير البيضاوي ١: ٢٥١؛ مجمع البيان ٢: ٢٨٣.

٢. تفسير البيضاوي ١: ٢٥٢.

﴿إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ بغير تقدير لكثرته، أو بغير استحقاق تفضّلاً به، روي أنّ فاطمة عليها السلام أهدت لرسول الله صلى الله عليه وآله رغيفين وبضعة لحم، فرجع بها إليها وقال: هلمّي يا بنية، فكشفت عن الطبق فإذا هو مملوء خبزاً ولحماً، فقال لها: أنّى لك هذا؟ فقالت: هو من عند الله إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب، فقال: الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيّدة نساء بني إسرائيل، ثمّ جمع عليّاً والحسن والحسين، وجمع أهل بيته [عليه] فأكلوا حتّى شبعوا، وبقي الطعام كما هو، فأوسعت على جيرانها[1].

[٣٨] ﴿هنالك دعا زكريّا ربّه﴾ في ذلك المكان أو الوقت، لمّا رأى [كرامة] مريم ومنزلتها من الله.

﴿قال ربّ هب لي من لدنك ذرّيّة طيّبة﴾ كما وهبتها لحنّة العجوز العاقر.

﴿إنّك سميع الدعاء﴾ مجيبه.

[٣٩] ﴿فنادته الملائكة﴾ أي: من جنسهم ـ كقولهم: زيد يركب الخيل ـ فإنّ المنادي كان جبرئيل وحده.

﴿وهو قائم يصلّي في المحراب﴾ أي: قائماً في الصلاة في محراب المسجد.

﴿أنّ الله يبشّرك بيحيى﴾ قال ابن عبّاس: سمّاه الله بهذا الاسم قبل مولده؛ لأنّ الله أحيا به عقر أُمّه.

﴿مصدّقاً بكلمة من الله﴾ بعيسى عليه السلام؛ لأنّه حصل بكلام الله من غير أب، أو بكتاب الله، وكان يحيى ابن خالة مريم.

﴿وسيّداً﴾ يسود قومه، ويفوقهم في أنّه ما همَّ بمعصية.

---

١. تفسير البيضاوي ٢ / ٢٥٢، ومجمع البيان ٢ / ٢٨٦.

﴿وحصوراً﴾ مبالغاً في حبس[1] النفس عن الشهوات والملاهي، روي أنّه [مرّ] في صباه بصبيان فدعوه إلى اللعب، فقال: ما للعب خلقت.

﴿ونبيّاً من الصالحين﴾ ناشئاً منهم، أو كائناً من عداد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة، وكان أكبر من عيسى بستّة أشهر، وكلّف التصديق به، فكان أوّل من صدّقه وشهد أنّه كلمة الله وروحه.[2]

[٤٠] ﴿قال ربّ أنّى يكون لي غلام﴾ استبعاداً من حيث العادة، أو استعظاماً، [أ]و تعجّباً، أو استفهاماً عن كيفية حدوثه.

﴿وقد بلغني الكبر﴾ أدركني كبر السنّ وأثّر فيّ، فكان له تسع وتسعون سنة، ولامرأته ثمان وتسعون.

﴿وامرأتي عاقر﴾ لا تلد من العقر وهو القطع؛ لأنّها ذات عقر من الأولاد.

﴿قال كذلك الله يفعل ما يشاء﴾ من العجائب، وهو إنشاء الولد من شيخ فانٍ وعجوز عاقر.

[٤١] ﴿قال ربّ اجعل لي آية﴾ علامة أعرف بها الحبل لأستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقّة الانتظار.

﴿قال آيتك ألّا تكلّم الناس ثلاثة أيّام﴾ أن لا تقدر على تكليم الناس ثلاثاً وإنّما حبس[3] لسانه عن مكالمتهم خاصّة لتخلص المدّة لذكر الله وشكره قضاء لحقّ النعمة.

﴿إلّا رمزاً﴾ إيماء بالشفتين، أو بالحاجبين، أو بالعينين، أو كتب لهم على

---

١. ن: وحصوراً في جنس مانعاً. وصوّبناه حسب البيضاوي.
٢. تفسير البيضاوي ٢ / ٢٥٤، ومجمع البيان ٢ / ٢٨٦.
٣. ن: حبسه.

الأرض.

﴿واذكر ربّك كثيراً﴾ في أيّام الحبسة.

﴿وسبّح بالعشي﴾ من الزوال إلى الغروب.

﴿والإبكار﴾ من طلوع الفجر إلى الضحى.

[٤٢] ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين﴾ كلّموها شفاهاً كرامة لها، والاصطفاء الأوّل تقبّلها من أمّها، ولم يقبل قبلها أُنثى، وتفريغها للعبادة، وإغناؤها برزق الجنّة عن الكسب، وتطهيرها عمّا يستقذر من النساء، والاصطفاء الثاني هدايتها، وإرسال الملائكة إليها، وتخصيصها بالكرامات السنية، كالولد من غير أب، وتبرئتها ممّا قذفته اليهود بإنطاق الطفل، وجعلها وابنها آية للعالمين.

[٤٣] ﴿يا مريم اقنتي لربّك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾ أُمرت بالصلاة في الجماعة، وقدّم السجود على الركوع إمّا لكونه كذلك في شريعتهم أو للتنبيه على أنّ الواو لا يوجب الترتيب، أو المراد بالقنوت إدامة الطاعة، كقوله: ﴿أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً﴾[١]، وبالسجود الصلاة، كقوله: ﴿وأدبار السجود﴾[٢]، وبالركوع الخشوع والإخبات.

[٤٤] ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك﴾ أي: ما ذكرنا من القصص من الغيوب التي لم تعرفها إلّا بالوحي.

﴿وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم﴾ التي كانوا يكتبون بها التوراة، تساهموا بها تبرّكاً على كفالة مريم، كما قال.

---

١. الزمر (٣٩)، الآية ٩.

٢. غافر (٥٠)، الآية ٤٠.

﴿أيّهم يكفل مريم﴾ أي: يلقونها ليعلموا، فكفّلها الله زكريّا.

﴿وما كنت لديهم إذ يختصمون﴾ تنافساً في كفالتها.[1]

[٤٥] ﴿إذ قالت الملائكة﴾ قال ابن عبّاس: يريد جبرئيل وحده.

﴿يا مريم إنّ الله يبشّرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم﴾ المسيح لقبه، وهو من الألقاب المشرّفة كالصدّيق، لأنّه مسح[2] بالبركة، أو بما طهّره من الذنوب، أو مسح الأرض ولم يقم في موضع، أو مسحه جبرئيل، وإنّما قيل ابن مريم والخطاب لها، تنبيهاً على أنّه يولد من غير أب، إذ الأولاد تنسب إلى الآباء، ولا تنسب إلى الأُمّ إلّا إذا فقد الأب.

﴿وجيهاً في الدنيا والآخرة﴾ والوجاهة في الدنيا النبوّة، وفي الآخرة الشفاعة.

﴿ومن المقرّبين﴾ من الله، وقيل: إشارة إلى علوّ درجته في الجنّة، أو رفعه إلى السماء وصحبته الملائكة.

[٤٦] ﴿ويكلّم الناس في المهد وكهلاً﴾ أي: ويكلّمهم حال كونه طفلاً وكهلاً كلام الأنبياء من غير تفاوت، وقيل: إنّه رفع شاباً والمراد كهلاً بعد نزوله، وذكر أحواله المختلفة المتنافية إرشاداً إلى أنّه بمعزل عن [ال]ألوهية.

﴿ومن الصالحين﴾ للنبوّة مثل إبراهيم وموسى.

[٤٧] ﴿قالت ربّ أنّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر﴾ تعجّب، [أ]و استبعاد عادي، أو استفهام على أنّها تكون تتزوّج، أو غيره.

﴿قال كذلك الله يخلق ما يشاء﴾ القائل جبرئيل، أو الله وجبرئيل حكى لها قوله تعالى.

---

١. مجمع البيان ٢ / ٢٩٤، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٥٦.

٢. ن: مسيح.

﴿إذا قضى أمراً فإنّما يقول له كن فيكون﴾ إشارة إلى أنّه تعالى كما يـقدر أن يخلق الأشياء مدرجاً بأسباب ومواد، يقدر أن يخلقها دفعة من غير ذلك.[١]

[٤٨] ﴿ويعلّمه الكتاب﴾ الكتبة، وأُعطي تسعة أجزاء الخطّ وسائر الناس جزءً واحداً، أو جنس الكتب المنزلة.

﴿والحكمة﴾ قال ابن عبّاس: هي التفقّه وعلم الحلال والحرام.

﴿والتوراة والإنجيل﴾ ذكر ذلك تطييباً لقلبها وإزاحة لما همّها من خوف اللوم لما علمت أنّها تلد من غير زواج.

[٤٩] ﴿ورسولاً إلى بني إسرائيل﴾ وتخصيص بني إسرائيل لخصوص بـعثته إليهم، أو للردّ على من زعم أنّه مبعوث إلى غيرهم.

﴿أنّي قد جئتكم بآية من ربّكم﴾ دالّة على نبوّتي.

﴿أنّي أخلق لكم من الطين كهيئة الطير﴾ قيل: هو الخفّاش الذي يطير الليل[٢].

﴿فأنفخ فيه﴾ أي: في ذلك الطين المصوّر.

﴿فيكون طيراً بإذن الله﴾ فيصير حيّاً طيّاراً بأمر الله، نبّه به على أنّ إحياءه من الله لا منه.

﴿وأُبرئ الأكمه والأبرص﴾ والأكمه الذي ولد أعمى، والأبرص الذي به فصح، روي أنّه ربما كان يجتمع عليه أُلوف من المرضى، من أطاق منهم أتاه، ومن لم يطق أتاه عيسى، وما يداوي إلّا بالدعاء.

﴿وأُحيي الموتى بإذن الله﴾ قيل: إنّه أحيا أربعة أنفس، أحدهم عازب، وكان قد مات منذ ثلاثة أيّام، فخرج من قبره، وبقي وولد له، والثاني سـام بـن نـوح عليه السلام،

---

١. مجمع البيان ٢ / ٢٩٨، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٥٦.

٢. الكشّاف ١: ٣٦٤.

ورجلين آخرين، وامرأة وجارية.

﴿وأُنبّئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم﴾ بالمغيّبات من أحوالكم التي لا تشكّون فيها.

﴿إنّ في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾ موفّقين للإيمان، فإنّ غيرهم لا ينتفع بالمعجزات، أو مصدّقين للحقّ غير معاندين.[١]

[٥٠] ﴿ومصدّقاً لما بين يدي من التوراة﴾ وما فيها من البشارة بي وبمن أُرسل من قبلي من الأنبياء.

﴿ولأُحلّ لكم بعض الذي حرّم عليكم﴾ أي: في شريعة موسى، كالشحوم، والسمك، ولحوم الإبل، والعمل في السبت.

﴿وجئتكم بآية من ربّكم﴾ أي: بحجّة تشهد بصدقي.

﴿فاتّقوا الله﴾ بترك مخالفتي.

﴿وأطيعون﴾ كما أمركم الله.

[٥١] ﴿إنّ الله ربّي وربّكم﴾ أي: مالكي ومالككم.

﴿فاعبدوه﴾ وحده لا تشركوا به.

﴿هذا صراط مستقيم﴾ أي: الطريق المفضي إلى الجنّة، المشهود له بالاستقامة.

[٥٢] ﴿فلمّا أحسّ عيسى منهم الكفر﴾ تحقّق كفرهم عنده، تحقّق ما يدرك بالحواسّ.

﴿قال من أنصاري إلى الله﴾ أي: مَنْ الذين يضيفون أنفسهم إلى الله في نصري.

﴿قال الحواريون﴾ حواري الرجل خاصته[٢]، قال النبي ﷺ: الزبير ابن عمّتي

---

١. مجمع البيان ٢ / ٢٩٩، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٥٧.

٢. ن: خالصته.

وحواريي من أُمّتي. وكان الحواريّون الذين له اثنى عشر رجلاً، وهم شمعون الصفا، وشمعون الصاري، ويعقوب بن ريدي، ويعقوب بن خلعي، وعربوس، ومارقوس، واندواس، وتمريلا، ويوحنا، ولوقا، وتوما، ومتى، وهم الذين سألوه المائدة.

﴿نحن أنصار الله﴾ أي: أنصار دينه.

﴿آمنّا بالله﴾ أي: صدّقنا أنّه واحد لا شريك له.

﴿واشهد بأنّا مسلمون﴾ لتشهد لنا يوم القيامة حين تشهد الرسل لقومهم وعليهم.(١)

[٥٣] ﴿ربّنا آمنّا بما أنزلت واتّبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين﴾ أي: مع الشاهدين بوحدانيّتك، أو مع الأنبياء الذين يشهدون لأتباعهم، أو مع أُمّة محمّد ﷺ فإنّهم شهداء على الناس.

[٥٤] ﴿ومكروا﴾ أي الذي أحسّ منهم الكفر من اليهود، بأن وكّلوا عليه من يقتله غيلة.

﴿ومكر الله﴾ حين رفع عيسى، وألقى شبهه على من قصد اغتياله حتّى قتل.

﴿والله خير الماكرين﴾ وعد لهم، لأنّ مكرهم ظلم، ومكره عدل وإنصاف.

[٥٥] ﴿إذ قال الله يا عيسى إنّي متوفّيك﴾ قيل: وفاة النوم، وقيل: أماته الله سبع ساعات ثمّ رفعه إلى السماء، وإليه ذهب النصارى. قال النبي ﷺ: إنّ عيسى لم يمت وإنّه راجع إليكم قبل يوم القيامة فكيف أنتم إذا نزل فيكم وإمامكم منكم. يعني المهدي عليه السلام.

﴿ورافعك إليّ﴾ إلى محلّ كرامتي ومقرّ ملائكتي.

---

١. مجمع البيان ٢ / ٣٠٣، تفسير البيضاوي ١ / ٢٥٨.

﴿ومطهّرك من الذين كفروا﴾ بإخراجك من جوارهم فإنّهم أرجاس.

﴿وجاعل الذين اتّبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة﴾ بالعزّ والغلبة والظفر والحجّة، ومتّبعوه من آمن بنبوّته من المسلمين والنصارى، وإلى الآن لم يسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتّفق لهم ملك ولا دولة، وقيل: المعنيّ به أُمّة محمّد ﷺ، يقال: فلان يتبع فلان إذا جاء بعده.

﴿ثمّ إليّ مرجعكم﴾ الضمير لعيسى ومن تبعه و[من] كفر به.

﴿فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾ من أمر الدين.[1]

[٥٦] ﴿فأمّا الذين كفروا فأُعذّبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة﴾ في الدنيا بالقتل والأسر والخسف والجزية، وفي الآخرة بالنار.

﴿وما لهم من ناصرين﴾ من أعوان.

[٥٧] ﴿وأمّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفّيهم أُجورهم﴾ تفسير للحكم وتفصيل له.

﴿والله لا يحبّ الظالمين﴾ تقرير لذلك.

[٥٨] ﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما سبق من نبأ عيسى وغيره.

﴿نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم﴾ المشتمل على الحكم، أو المحكم الممنوع من تطرّق الخلل إليه، يريد به القرآن، وقيل: اللوح.

[٥٩] ﴿إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب﴾ ولم يخلق قبله أحد من التراب، كذلك عيسى خلقه من الريح، ولم يخلق قبله أحد منها، وهذا ردّ على من قال: إنّ المسيح ابن الله.

---

١. مجمع البيان ٢ / ٣٠٧، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٥٩.

﴿ثمّ قال له كن فيكون﴾ أي: أنشأه بشراً كقوله [سبحانه]: ﴿ثمّ أنشأناه خلقاً آخر﴾[١] أو قدّر تكوينه من التراب ثمّ كوّنه.

[٦٠] ﴿الحقّ من ربّك﴾ أي: الحقّ المذكور من الله.

﴿فلا تكن من الممترين﴾ من الشاكّين.

[٦١] ﴿فمن حاجّك﴾ من النصارى.

﴿فيه﴾ في عيسى.

﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾ أي: من البيّنات الموجبة للعلم.

﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾ أي: يدع كلّ منّا ومنكم نفسه وأعزّة أهله إلى المباهلة، وإنّما قدّمهم على النفس؛ لأنّ الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم.

﴿ثمّ نبتهل﴾ أي: نتباهل، بأن نلعن الكاذب منّا، كما قال:

﴿فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ روي أنّهم لمّا دعوا إلى المباهلة قالوا: حتّى ننظر، فلمّا تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم: ما ترى؟ فقال: والله لقد عرفتم نبوّته، ولقد جاءكم بالفصل في أمر صاحبكم، والله ما باهل قوم نبيّاً إلّا هلكوا، فإن أبيتم إلّا إلف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا، فأتوا رسول الله ﷺ، وقد غدا محتضناً الحسين، آخذاً بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعلي خلفها، وهو يقول: إذا أنا دعوت فأمّنوا، فقال أسقفهم: يا معشر النصارى إنّي لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تباهلوا فتهلكوا، فأذعنوا لرسول الله وبذل[وا له] الجزية، ألفي حلّة حمراء وثلاثين درعاً من حديد، فقال عليه السلام: والذي نفسي بيده لو

١. المؤمنون (٢٣)، الآية ١٤.

تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير، و[ل]اضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتّى الطير على الشجر. وهو دليل على نبوّته، وفضل من أتى بهم من أهل بيته.[1]

[٦٢] ﴿إنّ هذا﴾ أي: ما قصّ من نبأ عيسى ومريم.

﴿لهو القصص الحقّ وما من إله إلّا الله﴾ ردّ على النصارى في تثليثهم.

﴿وإنّ الله لهو العزيز الحكيم﴾ لا أحد سواه، يساويه في القدرة التامّة والحكمة البالغة، ليشاركه في الألوهية.

[٦٣] ﴿فإن تولّوا فإنّ الله عليم بالمفسدين﴾ وعيد لهم.

[٦٤] ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ لا يختلف فيها الرسل والكتب، وتفسيرها ما بعدها.

﴿ألّا نعبد إلّا الله﴾ أن نوحّده بالعبادة ونخلص فيها.

﴿ولا نشرك به شيئاً﴾ ولا نجعل غيره شريكاً له في استحقاق العبادة.

﴿ولا يتّخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾ ولا نقول عزير ابن الله، ولا المسيح ابن الله، فإنّهما كانا بعض الناس، روي أنّه لمّا نزلت ﴿اتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾[2] قال عدي بن حاتم: ما كنّا نعبدهم يا رسول الله، قال: أليس كانوا يحلّون لكم ويحرّمون فتأخذون بقولهم؟ قال: نعم، قال: هو ذاك[3].

﴿فإن تولّوا﴾ عن التوحيد.

﴿فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون﴾ أي: لزمتكم الحجّة فاعترفوا بأنّا مسلمون

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٢٦١، ومجمع البيان ٢ / ٣١٢.

٢. التوبة: (٩)، الآية ٣١.

٣. مجمع البيان ٢: ٣١٤، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٦٢.

دونكم.

[٦٥] ﴿**يا أهل الكتاب لم تحاجّون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلّا من بعده**﴾ وتنازعت اليهودية والنصرانية في إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وزعم كلّ فريق أنّه منهم، وترافعوا إلى رسول الله ﷺ فنزلت. والمعنى أنّ اليهودية والنصرانية حدثتا بنزول التوراة والإنجيل على موسى وعيسى وكان إبراهيم قبل موسى بألف سنة وعيسى بألفين فكيف يكون عليهما.

﴿**أفلا تعقلون**﴾ فتدّعون المحال.

[٦٦] ﴿**ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم**﴾ لوجود اسمه في التوراة والإنجيل.

﴿**فلم تحاجّون فيما ليس لكم به علم**﴾ ولا ذكر في كتابكم من دين إبراهيم.

﴿**والله يعلم**﴾ ما حاججتم فيه.

﴿**وأنتم لا تعلمون**﴾ وأنتم جاهلون به.

[٦٧] ﴿**ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً**﴾ تصريح بمقتضى ما قرّره من البرهان.

﴿**ولكن كان حنيفاً**﴾ مائلاً عن العقائد الزائغة.

﴿**مسلماً**﴾ منقاداً إلى الله.

﴿**وما كان من المشركين**﴾ تعريض بأنّهم مشركون؛ لإشراكهم به عزيراً والمسيح، وردّ لادّعاء المشركين أنّهم على ملّة إبراهيم.

[٦٨] ﴿**إنّ أولى الناس بإبراهيم**﴾ إنّ أخصّهم به وأقربهم منه.

﴿**للذين اتّبعوه**﴾ من أُمّته.

﴿**وهذا النبي**﴾ محمّد ﷺ.

﴿والذين آمنوا﴾ لموافقتهم له في أكثر ما شرع لهم.

﴿والله ولي المؤمنين﴾ ينصرهم ويجازيهم الحسنى لإيمانهم.

[٦٩] ﴿ودّت طائفة من أهل الكتاب لو يضلّونكم﴾ نزلت في اليهود لمّا دعوا حذيفة وعماراً ومعاذاً إلى اليهودية، و«لو» بمعنى «أن».

﴿وما يضلّون إلّا أنفسهم﴾ ولا يعود وباله إلّا عليهم؛ إذ يضاعف به عذابهم.

﴿وما يشعرون﴾ وزره.(١)

[٧٠] ﴿يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله﴾ بما نطقت به من التوراة والإنجيل، ودلّت على نبوّة محمّد ﷺ.

﴿وأنتم تشهدون﴾ أنّها آيات الله.

[٧١] ﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون الحقّ بالباطل﴾ والباطل ما حرّفوه من التوراة، والحقّ ما تركوه على حاله.

﴿وتكتمون الحقّ﴾ نبوّة محمّد ﷺ ونعته.

﴿وأنتم تعلمون﴾ أنّه رسول الله.

[٧٢] ﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب﴾ قال بعضهم لبعض.

﴿آمنوا بالذي أُنزل على الذين آمنوا وجه النهار﴾ أي: أظهروا الإيمان بالقرآن أوّل النهار.

﴿واكفروا آخره﴾ وارجعوا عنه آخر النهار.

﴿لعلّهم يرجعون﴾ عن دين الإسلام، ظنّاً بأنّكم رجعتم لخلل ظهر لكم، والمراد بالطائفة كعب بن الأشرف وأمثاله، قالوا لأصحابهم لمّا حوّلت القبلة: آمنوا بما أُنزل

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٢٦٣، ومجمع البيان ٢ / ٣٢٣.

عليهم من الصلاة إلى الكعبة وصلّوا إليها أوّل النهار، ثمّ صلّوا إلى الصخرة آخـره، لعلّهم يقولون هم أعلم منّا وقد رجعوا فيرجعون.

[٧٣] ﴿ولا تؤمنوا إلّا لمن تبع دينكم﴾ ولا تظهروا إيمانكم وجه النهار إلّا لمن كان على دينكم، فإنّ رجوعهم أرجى وأهمّ.

﴿قل إنّ الهدى هدى الله﴾ يهدي من يشاء إلى الإيمان ويثبت[ه] عليه.

﴿أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم﴾ أي: دبرتم ذلك وقلتم لأن يؤتى أحد، والمعنى أنّ الحسد حملكم على ذلك.

﴿أو يحاجّوكم عند ربّكم﴾ أي حتّى يحاجّوكم عند ربّكم فيدحضوا حجّتكم.

﴿قل إنّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ بمصالح عباده حيث يجعل رسالته.

[٧٤] ﴿يختصّ برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ والنبوّة من الفضل.

[٧٥] ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤدّه إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤدّه إليك﴾ قال ابن عبّاس: إنّ عبد الله بن سلّام أودعه رجل ألف ومئتا أوقية من الذهب فأدّاها إليه فمدحه الله سبحانه، وفيحاض بن عـاز[و]راء أودعـه رجل من قريش دينار[اً] فخانه[١].

﴿إلّا ما دمت عليه قائماً﴾ إلّا مدّة دوامك قائماً على رأسه، مبالغاً في مطالبته بالتقاضي والترافع وإقامة البيّنة.

﴿ذلك بأنّهم قالوا ليس علينا في الأمّيين سبيل﴾ وكانت اليـهود تـقول: ليس علينا فيما أصبنا من أموال من ليسوا أهل كتاب ولم يكونوا على ديننا حرج ولا

١. مجمع البيان ٢: ٣٢٥، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٦٥.

عتاب.

﴿ويقولون على الله الكذب﴾ بادّعائهم ذلك.

﴿وهم يعلمون﴾ أنّهم كاذبون، وعن النبي ﷺ أنّه قال عند نزولها: كذب أعداء الله ما من شيء في الجاهلية إلّا وهو تحت قدمي إلّا الأمانة فإنّها مؤداة إلى البرّ والفاجر[١].

[٧٦] ﴿بلى﴾ إثبات لما نفوه.

﴿من أوفى بعهده واتّقى﴾ الخيانة ونقض العهد.

﴿فإنّ الله يحبّ المتّقين﴾ من المؤمنين ولا يحبّ اليهود.

[٧٧] ﴿إنّ الذين يشترون﴾ يستبدلون.

﴿بعهد الله﴾ بما عاهدوا عليه من الإيمان بالرسول، والوفاء بالأمانات.

﴿وأيمانهم﴾ وبما حلفوا به من قولهم لتؤمننّ به ولتنصرنّه.

﴿ثمناً قليلاً﴾ متاع الدنيا.

﴿أُولئك لا خلاق لهم في الآخرة﴾ لا نصيب لهم فيها.

﴿ولا يكلّمهم الله﴾ بما يسرّهم وقت الحساب أو بشيء أصلاً، وإن الملائكة يسألونهم يوم القيامة.

﴿ولا ينظر إليهم يوم القيامة﴾ فإنّ من سخط على غيره واستهان به أعرض عنه وعن التكلّم معه والالتفات نحوه.

﴿ولا يزكّيهم﴾ ولا يثني عليهم، أو لا يطهّرهم من دنس الذنوب.

﴿ولهم عذاب أليم﴾ على ما فعلوه، قيل: إنّها نزلت في أحبار حرّفوا التوراة،

---

١. تفسير البيضاوي ١: ٢٦٦، ومجمع البيان ٢ / ٣٢٨.

وبدّلوا نعت محمّد ﷺ، وحكم الأمانات وغيرها، وأخذوا على ذلك رشوة[١].

[٧٨] ﴿وإنّ منهم لفريقاً﴾ يعني المحرّفين ككعب ومالك وحيي بن أحطب.

﴿يلوون ألسنتهم بالكتاب﴾ يفتلونه بقراءته، فيميلونها عن المنزّل إلى المحرّف.

﴿لتحسبوه من الكتاب﴾ وقرئ بالياء.

﴿وما هو من الكتاب﴾ المنزّل على موسى.

﴿ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله﴾ تأكيد لقوله ﴿وما هو من الكتاب﴾ وتشنيع عليهم.

﴿ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ أنّ ذلك كذب يعاقبون عليه.

[٧٩] ﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوّة ثمّ يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله﴾ تكذيب وردّ على عبدة عيسى، وقال ابن عبّاس: إنّ أبا رافع القرظي من اليهود، ورئيس وفد نجران من النصارى قالا: يا محمّد، نريد أن نعبدك ونتّخذك ربّاً، فقال: معاذ الله أن نعبد غير الله، وأن نأمر بغير عبادة الله، فما بذلك بعثني ربّي ولا بذلك أمرني، فنزلت.

﴿ولكن كونوا ربانيّين﴾ أي: كونوا حكماء علماء، والربّاني منسوب إلى الربّ وهو الذي يربّي الناس، أي: يصلح أُمورهم، وعن محمّد ابن الحنفية أنّه قال حين مات ابن عبّاس: اليوم مات ربّاني هذه الأُمّة.

﴿بما كنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ بسبب كونكم معلّمين الكتاب و[بـ]سبب كونكم دارسين له، فإنّ فائدة التعليم والتعلّم معرفة الحقّ.[٢]

[٨٠] ﴿ولا يأمركم أن تتّخذوا الملائكة والنبيّين أرباباً﴾ كما فعله الصابئون

---

١. تفسير البيضاوي ١: ٢٦٦، ومجمع البيان ٢ / ٣٣٠.

٢. مجمع البيان ٢ / ٣٣١، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٦٧.

والنصارى.

﴿أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾ إنكار، معناه أنّ الله إنّما بعث النبي ليدعو الناس إلى الايمان، فلا يبعث من يدعو المسلمين إلى الكفر.

[٨١] ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيّين﴾ الذي وثّقه الأنبياء على أُممهم.

﴿لما آتيتكم من كتاب وحكمة﴾ أي: لأجل إيتائي إيّاكم بعض الكتاب، وهم بنو إسرائيل؛ لأنّهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوّة من محمّد ﷺ، لأنّا أهل الكتاب والنبيّون كانوا منّا.

﴿ثمّ جاءكم رسول مصدّق لما معكم﴾ من الكتب، يعني: محمّد ﷺ.

﴿لتؤمننّ به﴾ أي: بالرسول.

﴿ولتنصرنّه﴾ بالتصديق والحجّة.

﴿قال أأقررتم﴾ بالميثاق الذي أخذ الله عليهم.

﴿وأخذتم على ذلكم إصري﴾ أي: عهدي، وسمّي به لأنّه يؤصر، أي: يشدّ، ومعنى الأخذ القبول والرضى.

﴿قالوا أقررنا قال فاشهدوا﴾ أي: فليشهد بعضكم على بعض بالإقرار، وقيل: الخطاب فيه للملائكة.

﴿وأنا معكم من الشاهدين﴾ عليكم وعلى أُممكم عن علي عليه السلام[1].

[٨٢] ﴿فمن تولّى بعد ذلك﴾ بعد الميثاق والتوكيد بالإقرار والشهادة.

﴿فأُولئك هم الفاسقون﴾ المتمرّدون من الكفرة.

[٨٣] ﴿أفغير دين الله يبغون﴾ قال ابن عبّاس: اختصم أهل الكتاب إلى رسول

١. مجمع البيان ٢: ٣٣٥، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٦٨.

الله ﷺ فيما اختلفوا بينهم من دين إبراهيم، كلّ فرقة زعمت أنّهم أولى بدينه، فقال لهم: كلّ الفريقين بريء من دين إبراهيم، فغضبوا وقالوا: والله ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك، فنزلت.

﴿وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً﴾ قيل: طوعاً لأهل السماوات خاصّة، وأمّا أهل الأرض فمنهم من أسلم طوعاً بالنظر في الأدلّة، ومنهم من أسلم كرهاً حذر السيف.

﴿وإليه يرجعون﴾ وقرئ بالتاء.[1]

[٨٤] ﴿قل آمنّا بالله وما أُنزل علينا وما أُنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أُوتي موسى وعيسى والنبيّون من ربّهم لا نفرّق بين أحد منهم﴾ بالتصديق والتكذيب.

﴿ونحن له مسلمون﴾ منقادون، أو مخلصون في عبادته.

[٨٥] ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً﴾ أي: غير التوحيد والانقياد لحكم الله.

﴿فلن يقبل منه﴾ بل يعاقب عليه.

﴿وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ الواقعين في الخسران.

[٨٦] ﴿كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أنّ الرسول حقّ وجاءهم البيّنات﴾ استبعاد لأن يهديهم، فإنّ الحايد عن الحقّ بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد.

﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالإخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الإيمان، فكيف من جاءه الحقّ وعرفه ثمّ أعرض عنه وهم اليهود.

---

١. مجمع البيان ٢ / ٣٣٦، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٦٩.

[٨٧] ﴿أُولئك جزاؤهم أنّ عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾ يدلّ بمنطوقه على جواز لعنهم، وبمفهومه على نفي جواز لعن غيرهم، ولعلّ الفرق أنّهم مطبوعون على الكفر، ممنوعون عن الهدى، مأيوسون[١] عن الرحمة رأساً، بخلاف غيرهم.

[٨٨] ﴿خالدين فيها﴾ في اللعنة، أو العقوبة أو النار وإن لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما.

﴿لا يخفّف عنهم العذاب ولا هم ينظرون﴾ لا يمهلون.

[٨٩] ﴿إلّا الذين تابوا من بعد ذلك﴾ أي: من بعد الارتداد.

﴿وأصلحوا﴾ ما أفسدوا.

﴿فإنّ الله غفور﴾ يقبل توبته.

﴿رحيم﴾ يتفضّل عليه، قيل: إنّها نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردّته، فأرسل إلى قومه أن سلوا هل لي من توبة، فأرسل إليه أخوه الجلاس بالآية، فرجع إلى المدينة فتاب[٢].

[٩٠] ﴿إنّ الذين كفروا بعد إيمانهم ثمّ ازدادوا كفراً﴾ كاليهود كفروا بعيسى والإنجيل بعد الإيمان بموسى والتوراة، ثمّ ازدادوا كفراً بمحمّد والقرآن، أو كفروا بمحمّد بعد ما آمنوا به قبل مبعثه، ثمّ ازدادوا كفراً بالإصرار والعناد والطعن فيه والصدّ عن الإيمان ونقض الميثاق، أو كقومٍ ارتدّوا ولحقوا بمكّة، ثمّ ازدادوا كفراً بقولهم نتربّص بمحمّد ريب المنون.

﴿لن تقبل توبتهم﴾ لأنّها لا تقع على وجه الإخلاص.

---

١. البيضاوي: مؤيسون.

٢. مجمع البيان ٢: ٣٣٨، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٧٠.

﴿وأُولئك هم الضالّون﴾ الثابتون على الضلال.

[٩١] ﴿إنّ الذين كفروا وماتوا وهم كفّار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً﴾ تغليظاً في شأنهم وانزجاراً لهم.

﴿ولو افتدى به﴾ أي: ولو افتدى بمثله، كقوله: ﴿ولو أنّ للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه﴾(١).

﴿أُولئك لهم عذاب أليم﴾ مبالغة في التحذير وإقناط؛ لأنّ من لا يقبل منه الفداء ربّما يعفى عنه تكرّماً.

﴿وما لهم من ناصرين﴾ في دفع العذاب، قيل: نزلت في أصحاب الحارث بن سويد الذين أقاموا بمكّة على الكفر حتّى ماتوا(٢).

[٩٢] ﴿لن تنالوا البرّ﴾ أي: لن تبلغوا برّ الله، الذي هو الرحمة والرضا والجنّة.

﴿حتّى تنفقوا ممّا تحبّون﴾ من المال وغيره، كبذل الجاه في معاونة الناس، والبدن في طاعة الله، والمهجة في سبيل الله.

﴿وما تنفقوا من شيء﴾ محبوب أو غيره.

﴿فإنّ الله به عليم﴾ فيجازيكم بحسبه.

[٩٣] ﴿كلّ الطعام كان حلّاً لبني إسرائيل﴾ كلّ المأكولات كانت حلالاً لهم.

﴿إلّا ما حرّم إسرائيل﴾ يعقوب.

﴿على نفسه﴾ كلحوم الابل وألبانها، قيل: كان به عرق النسا فنذر إن شفي لم يأكلها، وقيل: فعل ذلك للتداوي بإشارة الأطبّاء، فقال اليهود: إنّما نحرّم ما حرّم إسرائيل على نفسه وبه نزلت التوراة.

---

١. الزمر (٣٩)، الآية ٤٧.

٢. مجمع البيان ٢ / ٣٤٠، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٧١.

﴿من قبل أن تنزل التوراة﴾ بتحريم ما حرّم على اليهود لظلمهم، كقوله: ﴿فبظلم من الذين هادوا حرّمنا عليهم طيّبات أُحلّت لهم﴾[1].

﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾ أمر بمحاجّتهم بكتابهم، وتكذيبهم بما فيه، من أنّه قد حرّم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرّماً، روي أنّه عليه السلام لمّا قال لهم بهتوا ولم يجسروا أن يخرجوا التوراة[2].

[٩٤] ﴿فمن افترى على الله الكذب﴾ ابتدعه على الله بزعمه أنّه حرّم ذلك قبل نزول التوراة على بني إسرائيل ومن قبلهم.

﴿من بعد ذلك﴾ من بعد ما لزم[تـ]هم الحجّة.

﴿فأُولئك هم الظالمون﴾ الذين يكابرون الحقّ بعد ما وضح.

[٩٥] ﴿قل صدق الله﴾ فيما أنزل وأنتم الكاذبون.

﴿فاتّبعوا ملّة إبراهيم﴾ في استباحة لحوم الإبل وألبانها.

﴿حنيفاً﴾ مستقيماً على ملّة الإسلام التي هي في الأصل ملّة إبراهيم.

﴿وما كان من المشركين﴾ فيه إشارة إلى أنّ اتّباعه واجب في التوحيد، وتعريض بشرك اليهود.

[٩٦] ﴿إنّ أوّل بيت وضع للناس﴾ أي: وضع للعبادة وجعل متعبّداً لهم، والواضع هو الله تعالى، خلقه قبل الأرض بألفي عام، وكان زبدة بيضاء على الماء، ودحيت الأرض من تحته في الخامس والعشرين من ذي القعدة، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه سئل عن أوّل مسجد وضع للناس فقال: المسجد الحرام، ثمّ بيت المقدس، وسئل كم بينهما؟ قال: أربعون سنة. وعن علي عليه السلام أنّ رجلاً قال له: أهو

---

١. النساء (٤)، الآية ١٦٠.

٢. تفسير البيضاوي ١: ٢٧٢، ومجمع البيان ٢ / ٣٤٤.

أوّل بيت؟ قال: لا قد كان قبله بيوت ولكنّه أوّل بيت وضع للناس. قال مجاهد: قالت اليهود: بيت المقدس أعظم وأفضل من الكعبة وقال المسلمون: بالعكس فنزلت.

﴿للذي ببكّة﴾ للبيت الذي ببكّة، قيل: هو موضع المسجد، أو البيت، ومكّة البلد، وسمّي بكّة؛ لأنّ الناس يتباكون فيه.

﴿مباركاً﴾ كثير الخير والنفع لمن حجّه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله.

﴿وهدىً للعالمين﴾ لأنّه قبلتهم ومتعبّدهم.[١]

[٩٧] ﴿فيه آيات بيّنات﴾ كانحراف الطير عن موازاة البيت على مدى الأعصار، وأنّ ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرّض لها، وأنّ كلّ جبّار قصده بسوء قهره، كأصحاب الفيل وغيرهم.

﴿مقام إبراهيم﴾ أي: من الآيات مقام إبراهيم وأثر قدمه في الصخرة الصمّاء.

﴿ومن دخله كان آمناً﴾ كان الرجل في الجاهلية يجني ما جنى فيعوذ بالبيت فلا يعرض له أحد، وأمّا في الإسلام يضيّق عليه حتّى يخرج، وإن جنى فيه أُقيم عليه الحدّ فيه.

﴿ولله على الناس حجّ البيت﴾ قصده للزيارة على الوجه المخصوص.

﴿من استطاع إليه سبيلاً﴾ والسبيل الزاد والراحلة والصحّة، وقال مالك: إنّها بالبدن، فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق.

﴿ومن كفر فإنّ الله غني عن العالمين﴾ لأنّ الامتثال بما قال الله شكر النعمة، وترك المأمور به كفران لنعمته، قال النبي ﷺ: من مات ولم يحجّ فليمت إن شاء

---

١. مجمع البيان ٢ / ٣٤٨، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٧٣.

يهودياً وإن شاء نصرانياً[١].

[٩٨] ﴿قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله﴾ الدالّة على صدق محمّد ﷺ من وجوب الحجّ وغيره.

﴿والله شهيد على ما تعملون﴾ والحال أنّه شهيد مطّلع على أعمالكم فيجازيكم عليها، لا ينفعكم التحريف والاستسرار.

[٩٩] ﴿قل يا أهل الكتاب لم تصدّون عن سبيل الله من آمن﴾ كرّر الخطاب، والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي لعذرهم، وسبيل الله دينه الحقّ المأمور بسلوكه، وهو الإسلام، قيل: كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم، حتّى أتوا الأوس والخزرج فذكّروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب، ليعودوا لمثله، ويحتالون لصدّهم.

﴿تبغونها عوجاً﴾ أي: باغين طالبين لها اعوجاجاً عن الحقّ بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله ونحوهما، أو بأن تحرشوا بين المؤمنين، لتختلف كلمتهم ويختلّ أمر دينهم.

﴿وأنتم شهداء﴾ بتقديم البشارة بمحمّد في كتبكم.

﴿وما الله بغافل عمّا تعملون﴾ تهديد لهم على الكفر.

[١٠٠] ﴿يا أيّها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أُوتوا الكتاب يردّوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ نزلت في نفر من الأوس والخزرج، كانوا جلوساً يتحدّثون، فمر بهم شاس بن قيس اليهودي، فغاظه تآلفهم واجتماعهم، فأمر شاباً من اليهود أن يجلس إليهم ويذكّرهم يوم بغاث[٢]، وينشدهم بعض ما قيل فيه، وكان الظفر في ذلك

---

١. تفسير البيضاوي ١: ٢٧٥، ومجمع البيان ٢ / ٣٥٢.

٢. كذا في النسخة ومثله في بعض المصادر، والأكثر ضبطوه بالعين المهملة ومثله في البيضاوي وهو مصدر المصنف، وانظر معجم البلدان في حرف الباء فقد ذكر الاختلاف فيه.

اليوم للأوس، ففعل، فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا، وقالوا: السلاح السلاح، واجتمع من القبيلتين خلق عظيم، فتوجّه إليهم رسول الله ﷺ وأصحابه، وقال: أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألّف بينكم. فعلموا أنّها نزغة من الشيطان، وكيد من عدوّهم، فألقوا السلاح واستغفروا، وعانق بعضهم بعضاً، وانصرفوا مع الرسول عليه السلام[١].

[١٠١] ﴿وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله﴾ إنكار وتعجّب لكفرهم في حال اجتمع لهم الأسباب الداعية إلى الإيمان الصارفة عن الكفر.

﴿ومن يعتصم بالله﴾ ومن يتمسّك بدينه أو يلتجئ إليه في مجامع أُموره.

﴿فقد هدي إلى صراط مستقيم﴾ فقد اهتدى لا محالة إلى طريق واضح.

[١٠٢] ﴿يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله حقّ تقاته﴾ حقّ تقواه وما يجب منها، وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب، والاجتناب عن المحارم، كقوله: ﴿فاتّقوا الله ما استطعتم﴾[٢] وعن ابن مسعود: هو أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى.

﴿ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون﴾ أي: ولا تكونن على حال سوى حال الإسلام، حتّى إذا أدرككم الموت صادفكم عليه.[٣]

[١٠٣] ﴿واعتصموا بحبل الله﴾ استمسكوا بكتاب الله، لقوله عليه السلام: القرآن حبل الله المتين أو بدين الإسلام.

---

١. تفسير البيضاوي ١: ٢٧٦، ومجمع البيان ٢ / ٣٥٤.
٢. التغابن (٦٤)، الآية ١٦.
٣. مجمع البيان ٢ / ٣٥٦، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٧٧.

﴿جميعاً﴾ مجتمعين عليه.

﴿ولا تفرّقوا﴾ أي: ولا تتفرّقوا عن الحقّ بوقوع الاختلاف منكم كأهل الكتاب.

﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾ التي من جملتها الهداية والتوفيق للإسلام المؤدّي إلى التآلف وزوال الغلّ.

﴿إذ كنتم أعداء﴾ في الجاهلية متقاتلين.

﴿فألّف بين قلوبكم﴾ بالإسلام.

﴿فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾ متحابّين مجتمعين على الأُخوة في الله، قيل: كان الأوس والخزرج أخوين لأبوين، فوقع بين أولادهما العداوة، وتطاولت بينهم الحروب مئة وعشرين سنة، حتّى أطفأها الله بالإسلام، وألّف بينهم برسوله عليه السلام.

﴿وكنتم على شفا حفرة من النار﴾ مشرفين على الوقوع في نار جهنّم، لكفركم، إذ لو أدرككم الموت على تلك الحال لوقعتم في النار.

﴿فأنقذكم منها﴾ بالإسلام، والضمير للحفرة أو للشفا، وتأنيثه لتأنيث ما أُضيف إليه.

﴿كذلك﴾ مثل ذلك التبيين.

﴿يبيّن الله لكم آياته﴾ دلائله.

﴿لعلكم تهتدون﴾ إلى الحقّ والصواب.

[١٠٤] ﴿ولتكن منكم أُمّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ من للتبعيض؛ لأنّ الأمر بالمعروف والنهي عن [المنكر] من فروض الكفاية.

﴿وأُولئك هم المفلحون﴾ الفائزون المخصوصون بكمال الفلاح، روي أنّه عليه السلام سئل من خير الناس؟ فقال: آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله

وأوصلهم للرحم[١].

[١٠٥] ﴿**ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا**﴾ كاليهود والنصارى، اختلفوا في التوحيد والتنزيه وأحوال الآخرة على ما عرفت.

﴿**من بعد ما جاءهم البيّنات**﴾ الآيات والحجج المبيّنة للحقّ الموجبة للاتّفاق عليه.

﴿**وأُولئك لهم عذاب عظيم**﴾ وعيد للذين تفرّقوا، وتهديد على التشبّه بهم.

[١٠٦] ﴿**يوم تبيّض وجوه وتسودّ وجوه**﴾ كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه.

﴿**فأمّا الذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم**﴾ أي: فيقال لهم: أكفرتم، والهمزة للتوبيخ، والتعجّب من حالهم، وهم المرتدّون أو أهل الكتاب أو جميع الكفّار كفروا بعد ما أقرّوا به حين أشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى، وقال علي عليه السلام: هم أهل البدع والأهواء من هذه الأُمّة.

﴿**فذوقوا العذاب**﴾ أمر إهانة.

﴿**بما كنتم تكفرون**﴾ بسبب كفركم.[٢]

[١٠٧] ﴿**وأمّا الذين ابيضّت وجوههم ففي رحمة الله**﴾ يعني: الجنّة والثواب المخلد، عبّر عن ذلك بالرحمة تنبيهاً على أنّ المؤمن وإن استغرق عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنّة إلّا برحمة الله وفضله ﴿**هم فيها خالدون**﴾.

[١٠٨] ﴿**تلك آيات الله**﴾ الواردة في وعده ووعيده.

﴿**نتلوها عليك بالحقّ**﴾ ملتبسة بالحقّ لا شبهة فيها.

---

١. تفسير البيضاوي ١: ٢٧٨، ومجمع البيان ٢ / ٣٥٧.

٢. مجمع البيان ٢ / ٣٦٠، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٧٩.

﴿وما الله يريد ظلماً للعالمين﴾ بأن يحمّلهم من العقاب ما لا يستحقّوه.

[١٠٩] ﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأُمور﴾ فيجازي كلّاً بما وعد له وأوعد.

[١١٠] ﴿كنتم خير أُمّة﴾ كنتم في علم الله أو في اللوح.

﴿أُخرجت للناس﴾ أُظهرت لهم.

﴿تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ وهم أُمّة محمّد ﷺ، واستدلّ بهذه الآية على أنّ الإجماع حجّة، لأنّها تقتضي كونهم آمرين بكلّ معروف وناهين عن كلّ منكر، إذ اللام فيهما للاستغراق، فلو أجمعوا على باطل، كان أمرهم على خلاف ذلك.

﴿ولو آمن أهل الكتاب﴾ من اليهود والنصارى.

﴿لكان خيراً لهم﴾ لكان الإيمان خيراً لهم ممّا هم عليه.

﴿منهم المؤمنون﴾ كعبد الله بن سلّام وأصحابه من اليهود، والنجاشي وأصحابه من النصارى.

﴿وأكثرهم الفاسقون﴾ الخارجون عن طاعة الله.

[١١١] ﴿لن يضرّوكم إلّا أذىً﴾ ضرراً يسيراً كعطن وتهديد.

﴿وإن يقاتلوكم يولّوكم الأدبار﴾ ينهزموا ولا يضرّوكم بقتل وأسر.

﴿ثمّ لا ينصرون﴾ ثمّ لا يكون أحد ينصرهم عليكم أو يدفع بأسكم عنهم.[1]

[١١٢] ﴿ضربت عليهم الذلّة﴾ هدر النفس والمال والأهل وفرض الجزية.

﴿أين ما ثقفوا﴾ أينما وجدوا.

---

١. مجمع البيان ٢ / ٣٦٥، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٨٠.

﴿إلّا بحبل من الله وحبل من الناس﴾ والحبل السبب الذي يأمنون بـه كـعهد وجزية وذمّة واتّباع سبيل المؤمنين.

﴿وباؤوا بغضب من الله﴾ رجعوا به مستوجبين له.

﴿وضربت عليهم المسكنة﴾ فهي محيطة بهم إحاطة البيت المـضروب عـلى أهله، واليهود في غالب الأمر فقراء مساكين.

﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلّة والمسكنة والبوء بالغضب.

﴿بأنّهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حـقّ﴾ بسـبب كـفرهم بالآيات وقتلهم الأنبياء.

﴿ذلك﴾ أي الكفر والقتل.

﴿بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ بسبب عـصيانهم واعـتدائـهم حـدود الله، فـإنّ الإصرار على الصغائر يفضي إلى الكبائر، والاستمرار عليها يؤدّي إلى الكفر.

[١١٣] ﴿ليسوا سواء﴾ في المساوي، والضمير لأهل الكتاب.

﴿من أهل الكتاب أُمّة قائمة﴾ عادلة مطيعة، وهم الذين أسلموا منهم، كعبد الله بن سلّام وأصحابه.

﴿يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون﴾ يقرؤون القرآن في تهجّدهم، عبّر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون أبين وأبلغ في المدح.(١)

[١١٤] ﴿يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات﴾ صفات أُخر للأُمّة، وصفهم بـخصائص مـا كـانت فـي اليهود، لأنّهم منحرفون عن الحقّ، غير متعبّدين بالليل، مشركون بالله، ملحدون في

١. مجمع البيان ٢ / ٣٦٨، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٨١.

صفاته، واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته، مداهنون في الاحتساب، متباطئون عن الخيرات.

﴿وأُولئك من الصالحين﴾ أي: الموصوفون بتلك الصفات ممّن صلحت أحوالهم عند الله، واستحقّوا رضاه وثناءه.

[١١٥] ﴿وما يفعلوا من خير فلن يكفروه﴾ فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة.

﴿والله عليم بالمتّقين﴾ بشارة لهم، وإشعار بأنّ التقوى مبدأ الخير وحسن العمل، وأنّ الفائزون عند الله هم أهل التقوى.

[١١٦] ﴿إنّ الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً﴾ من العذاب.

﴿وأُولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ ملازموها دائماً.

[١١٧] ﴿مثل ما ينفقون﴾ أي: ما ينفق الكفرة قربة، أو مفاخرة وسمعة، أو المنافقون رياء [أ]و خوفاً.

﴿في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صرّ﴾ برد شديد.

﴿أصابت حرث قوم﴾ زرع قوم أملوا دراكه.

﴿ظلموا أنفسهم﴾ بالكفر والمعاصي.

﴿فأهلكته﴾ عقوبة لهم.

﴿وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون﴾ بارتكاب ما استحقّوا به العقوبة.[1]

[١١٨] ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تتّخذوا بطانة﴾ وليجة، وهو الذي يعرّفه الرجل أسراره ثقة به، شبّه ببطانة الثوب كما شبّه بالشعار، قال عليه السلام: الأنصار شعاري

١. تفسير البيضاوي ١ / ٢٨٢، ومجمع البيان ٢ / ٣٧٠.

والناس دثاري.

﴿من دونكم﴾ من دون المسلمين.

﴿لا يألونكم خبالاً﴾ لا يقصرون لكم في الفساد.

﴿ودّوا ما عنتّم﴾ تمنّوا عنتكم، وهو شدّة الضرر والمشقّة، قيل: نزلت في رجال من المسلمين كانوا يواصلون رجالاً من اليهود، لِما كان بينهم من الصداقة والجوار والحلف والرضاع.

﴿قد بدت البغضاء من أفواههم﴾ أي: في كلامهم، لأنّهم لا يتمالكون أنفسهم لفرط بغضهم.

﴿وما تخفي صدورهم أكبر﴾ ممّا بدا؛ لأنّ بدوّه ليس عن رويّة واختيار.

﴿قد بيّنا لكم الآيات﴾ الدالّة على وجوب الإخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين.

﴿إن كنتم تعقلون﴾ ما بيّن لكم من مواعظ الله ومنافعها.

[١١٩] ﴿ها أنتم أُولاء تحبّونهم﴾؛ لأنّكم تريدون لهم الإسلام وتدعونهم إلى الجنّة.

﴿ولا يحبّونكم﴾؛ لأنّهم يريدون لكم الكفر والضلال وفيه الهلاك.

﴿وتؤمنون بالكتاب كلّه﴾ بجنس الكتب المنزلة على الأنبياء وبكتابهم أيضاً، وهم لا يؤمنون بكتابكم فما بالكم تحبّونهم.

﴿وإذا لقوكم قالوا آمنّا﴾ نفاقاً وتغريراً.

﴿وإذا خلوا عضّوا عليكم الأنامل من الغيظ﴾ من أجله تأسّفاً وتحسّراً، حيث لم يجدوا إلى التشفي سبيلاً.

﴿قل موتوا بغيظكم﴾ دعا عليهم بدوام الغيظ وزيادته بعلوّ كلمة الإسلام.

﴿إنّ الله عليم بذات الصدور﴾ يعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق.[١]

[١٢٠] ﴿إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيّئة يفرحوا بها﴾ بيان لتناهي عداوتهم إلى حدّ حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة، وشمتوا بما أصابهم من ضرّ وشدّة.

﴿وإن تصبروا﴾ على عداوتهم أو على مشاقّ التكاليف.

﴿وتتّقوا﴾ موالاتهم، أو ما حرّم الله عليكم.

﴿لا يضرّكم كيدهم شيئاً﴾ بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتّقين.

﴿إنّ الله بما يعملون﴾ من الصبر والتقوى وغيرهما.

﴿محيط﴾ أي: محيط علمه فيجازيكم بما أنتم أهله. وقرئ بالتاء، أي: بما تعملون[٢] في عداوتكم، به عالم، فيعاقبهم عليه.[٣]

[١٢١] ﴿وإذ غدوت﴾ أي: واذكر إذ غدوت.

﴿من أهلك﴾ قيل: من حجرة عائشة.

﴿تبوّئ المؤمنين﴾ تنزلهم.

﴿مقاعد للقتال﴾ مواقف وأماكن له.

﴿والله سميع﴾ لأقوالكم.

﴿عليم﴾ بنيّاتكم، روي أنّ المشركين من قريش خرجوا من مكّة في ثلاثة آلاف فارس، وألفي راجل، وسبعمئة درع، قائدهم أبو سفيان بن حرب، وعلى

١. مجمع البيان ٢ / ٣٧٣، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٨٣.

٢. ن: بالياء أي بما يعملون. ومثله في البيضاوي، وإذا صحّ هذا فينبغي أن يكون الأول المذكور في السطر السالف بالتاء وهو خلاف القراءة المشهورة.

٣. تفسير البيضاوي ١ / ٢٨٤، ومجمع البيان ٢ / ٣٧٥.

ميمنته خالد بن الوليد، وعلى ميسرته عكرمة بن أبي جهل، ورايته مع طلحة بن أبي طلحة العبدي، ومعه زوجته هند بنت عتبة أُمّ معاوية، في خمسة عشر امرأة يضربن بالدفوف، يحرّضن على ثار قتلى بدر، ونزلوا بأُحد يوم الأربعاء ثاني عشر شوّال سنة ثلاث من الهجرة، فاستشار رسول الله ﷺ أصحابه، وقد دعا عبد الله بن أُبيّ ولم يدعه قبل، فقال هو وأكثر الأنصار: أقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها على عدوّ إلّا [أ]صاب منّا ولا دخلها علينا إلّا [أ]صبنا منه، فكيف وأنت فينا، فدعهم فإن أقاموا أقاموا بشرّ محبس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة، وإن رجعوا رجعوا خائبين، وأشار بعضهم إلى الخروج، فقال عليه السلام: رأيت في منامي بقراً مذبوحة حولي فأوّلتها خيراً، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً فأوّلته هزيمة، ورأيت كأنّي [أ]دخلت يدي في درع حصينة فأوّلتها المدينة، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم، فقال رجال قد فاتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أُحُد: أُخرج بنا إلى أعدائنا، وبالغوا حتّى دخل فلبس لامته، فلمّا رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا: اصنع يا رسول الله ما رأيت، فقال: لا ينبغي لنبي أن يلبس لامته فيضعها حتّى يقاتل، فخرج بعد صلاة الجمعة وأصبح بشعب أُحد يوم السبت، ونزل في عدوة الوادي، وجعل ظهره وعسكره إلى أُحد، وسوّى صفّهم، وأمّر عبد الله بن جبير على الرماة وقال: انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا[1].

[١٢٢] ﴿**إذ همّت طائفتان منكم**﴾ بنو مسلمة من الخزرج، وبنو حارثة من الأوس، وكانا جناحي العسكر.

١. تفسير البيضاوي ١: ٢٨٥، ومجمع البيان ٢: ٣٧٧.

﴿أن تفشلا﴾ أن تجبنا وتضعفا، روي أنّه عليه‌السلام خرج في زهاء ألف رجل، ووعدهم النصر إن صبروا، فلمّا بلغوا الشرط اختزل ابن أُبيّ في ثلاثمئة، وقال: أطاعهم وعصاني، علام نقتل أنفسنا وأولادنا، فتبعهم عمرو بن حزم الأنصاري وقال: أُنشدكم الله في نبيّكم وأنفسكم، فقال ابن أُبيّ: لو نعلم قتالاً لاتّبعناكم، فهمّ الحيّان باتّباعه فعصمهم الله، فمضوا مع رسول الله. والظاهر أنّه ما كانت عزيمة؛ لقوله:

﴿والله وليّهما﴾ المدافع عنهما، وعاصمهما عن اتّباع تلك الخطرة.

﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ لينصرهم كما نصرهم ببدر.[١]

[١٢٣] ﴿ولقد نصركم الله ببدر﴾ تذكير ببعض ما أفادهم التوكّل.

﴿وأنتم أذلّة﴾ ضعفاء عن المقاومة قليلي العدد.

﴿فاتّقوا الله﴾ في الثبات.

﴿لعلّكم تشكرون﴾ ما أنعم عليكم بتقواكم من نصره.

[١٢٤] ﴿إذ تقول للمؤمنين﴾ يوم أحد.

﴿ألن يكفيكم أن يمدّكم ربّكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين﴾ إنكار أن لا يكفيهم ذلك، وإنّما جيء بلن إشعاراً بأنّهم كانوا كالآيسين من النصر، لضعفهم وقلّتهم وقوّة العدوّ وكثرتهم.

[١٢٥] ﴿بلى﴾ أي: بلى يكفيكم.

﴿إن تصبروا وتتّقوا ويأتوكم﴾ أي: المشركون.

﴿من فورهم هذا﴾ من ساعتهم هذه، أي: يأتوكم في الحال.

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٢٨٥، ومجمع البيان ٢ / ٢٧٩.

﴿يمددكم ربّكم بخمسة آلاف من الملائكة﴾ في حال إتيانهم بلا تراخ وتأخير.

﴿مسوّمين﴾ معلّمين، من التسويم الذي هو إظهار سيماء الشيء، لقوله عليه السلام لأصحابه: تسوّموا فإنّ الملائكة قد تسوّمت، قيل: تسوّمت الملائكة يوم بدر بصوف في نواصي خيولهم، وقيل: بعمائم صفر [وقيل: بيض أذناب]ها بين أكتافهم، فلمّا لم يصبروا [عن] الغنائم يوم أُحد وخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله لم تنزل الملائكة.

[١٢٦] ﴿وما جعله الله﴾ وما جعل إمدادكم بالملائكة.

﴿إلّا بشرى لكم﴾ إلّا بشارة لكم بالنصر.

﴿ولتطمئنّ قلوبكم به﴾ ولتسكن إليه من الخوف.

﴿وما النصر إلّا من عند الله العزيز﴾ الذي لا يغالب في أقضيته.

﴿الحكيم﴾ الذي ينصر ويخذل بوسط وغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة.[١]

[١٢٧] ﴿ليقطع طرفاً﴾ أي: طائفة.

﴿من الذين كفروا﴾ أي: لينقص[٢] منهم بقتل بعض وأسر آخرين، وهو ما كان يوم بدر من قتله سبعين وأسر سبعين من صناديدهم.

﴿أو يكبتهم﴾ أو يخزيهم، والكبت شدّة غيظ أو وهن.

﴿فينقلبوا خائبين﴾ فينهزموا منقطعي الآمال.

[١٢٨] ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ اعتراض.

﴿أو يتوب عليهم﴾ إن أسلموا.

﴿أو يعذّبهم﴾ إن أصرّوا، وليس لك من أمرهم شيء، وإنّما أنت عبد مأمور

---

١. مجمع البيان ٢ / ٣٨٣، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٨٦.

٢. ن: ليقتص.

لإنذارهم وجهادهم، قيل: همّ أن يدعو عليهم، فنهاه الله لعلمه بأنّ فيهم من يؤمن، وروي أنّ عتبة بن أبي وقّاص شجّه يوم أُحد، وكسر رباعيته، فجعل يمسح الدم عن وجهه، ويقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيّهم بالدم، فنزلت.

﴿فإنّهم ظالمون﴾ قد استحقّوا العذاب بظلمهم.

[١٢٩] ﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض﴾ خلقاً وملكاً، فله الأمر كلّه.

﴿يغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء﴾ صريح في نفي وجوب التعذيب، والتقي[ي]د بالتوبة وعدمها كالمنافي له.

﴿والله غفور رحيم﴾ لعباده فلا تبادر إلى الدعاء عليهم.

[١٣٠] ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة﴾ لا تزيدوا زيادات مكرّرة، ولعلّ التخصيص بحسب الواقع إذ كان الرجل يربي إلى أجل ثمّ يزيد فيه بزيادة أُخرى حتّى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون.[١]

﴿واتّقوا الله﴾ فيما نهيتم عنه.

﴿لعلّكم تفلحون﴾ بإدراك ما تأملون به ثواب الجنّة.[٢]

[١٣١] ﴿واتّقوا النار التي أُعدت للكافرين﴾ بالتحرّز عن متابعتهم وتعاطي أفعالهم.

[١٣٢] ﴿وأطيعوا الله والرسول لعلّكم ترحمون﴾ أتبع الوعيد بالوعد ترهيباً عن المخالفة وترغيباً في الطاعة.

[١٣٣] ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربّكم﴾ بادروا إلى ما تستحقّ به المغفرة كالإسلام والتوبة والإخلاص.

---

١. ن: إلى الرجل منهم ثمّ يزيد... مال المربون.

٢. مجمع البيان ٢ / ٣٨٥، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٨٨.

﴿وجنّة عرضها السموات والأرض﴾ أي: عرضها كعرضهما، وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة على طريقة التمثيل؛ لأنّه دون الطول وعن ابن عبّاس: كسبع سماوات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض.

﴿أُعدت للمتّقين﴾ هيّئت لهم، وفيه دليل على أنّ الجنّة مخلوقة، وأنّها خارجة عن هذا العالم.

[١٣٤] ﴿الذين ينفقون في السرّاء والضرّاء﴾ في حال الرخاء والشدّة.

﴿والكاظمين الغيظ﴾ الممسكين عليه مع القدرة، وعن النبي ﷺ: من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً.

﴿والعافين عن الناس﴾ التاركين عقوبة من استحقّوا مؤاخذته، وعن النبي ﷺ: إنّ هؤلاء في أُمّتي قليل إلّا من عصمه الله وقد كانوا كثيراً في الأُمم التي مضت.

﴿والله يحبّ المحسنين﴾ والمحسن هو المنعم على غيره.[١]

[١٣٥] ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة﴾ كالزنا.

﴿أو ظلموا أنفسهم﴾ بأن أذنبوا أيّ ذنب كان، وقيل: الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة.

﴿ذكروا الله﴾ تذكّروا وعيده، أو حكمه، أو حقّه العظيم.

﴿فاستغفروا﴾ الله.

﴿لذنوبهم﴾ بالندم والتوبة.

﴿ومن يغفر الذنوب إلّا الله﴾ استفهام بمعنى النفي، والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة، والحث على الاستغفار، والوعد بقبول التوبة، وعن

١. تفسير مجمع البيان ٢ / ٣٩٤، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٨٩.

النبي ﷺ: ما من مسلم يذنب ذنباً ثمّ يتوضّأ فيصلّي ركعتين ويستغفر الله لذلك الذنب إلّا غفر له.

﴿ولم يصرّوا على ما فعلوا﴾ ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين، لقوله ﷺ: ما أصرّ من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرّة، قال ابن مسعود: إنّ قوماً من المؤمنين قالوا: يا رسول الله، بنو إسرائيل أكرم على الله تعالى منّا! كان أحدهم إذا أذنب أصبحت كفّارة ذنب[ه] مكتوبة على عتبة بابه فنزلت فقال: ألا أُخبركم بخير من ذلكم وقرأها عليهم.

﴿وهم يعلمون﴾ أي: ولم يصرّوا على قبيح فعلهم عالمين به.

[١٣٦] ﴿أُولئك﴾ إشارة إلى من تقدّم وصفهم من المتّقين.

﴿جزاؤهم﴾ على أعمالهم.

﴿مغفرة من ربّهم﴾ لذنوبهم.

﴿وجنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾؛ لأنّ المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوّت على نفسه، وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والأجير.[١]

[١٣٧] ﴿قد خلت من قبلكم سنن﴾ وقائع سنّها الله في الأُمم الماضية التي كذبت حتّى بلغ الكتاب أجله كقوله: ﴿وقتّلوا تقتيلاً [سنة الله في الذين خلوا من قبل]﴾[٢].

﴿فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذّبين﴾ لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم.

١. تفسير البيضاوي ١ / ٢٨٩، ومجمع البيان ٢ / ٣٩٤.
٢. ٦١: الأحزاب (٣٣).

[١٣٨] ﴿هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتّقين﴾ يعني القرآن، مع كونه بياناً للمكذّبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتّقين.

[١٣٩] ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا﴾ تسلية لهم عمّا أصابهم يوم أُحُد، والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما أصابكم، ولا تحزنوا على من قتل منكم، واستشهد من المسلمين يومئذٍ سبعون رجلاً، وقتل من المشركين اثنان وعشرون، وانصرف أبو سفيان بمن معه وقال: يوم بيوم بدر، الحرب سجال، والموعد العام القابل إن شئت يا محمّد، فقال عليه السلام: إن شاء الله.

﴿وأنتم الأعلون﴾ وحالكم أنّكم أعلى منهم شأناً، فإنّكم على الحقّ وقتالكم لله وقتلاكم في الجنّة، وإنّهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار.

﴿إن كنتم مؤمنين﴾ أي لا تهنوا إن صحّ إيمانكم، فإنّه يقتضي قوّة القلب بالوثوق على الله.(١)

[١٤٠] ﴿إن يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله﴾ إن أصابوا منكم يوم أُحد فقد أصبتم منهم يوم بدر مثله، ثمّ إنّهم لم يضعفوا ولم يجبنوا، فأنتم أولى بأن لا تضعفوا فإنّكم ترجون من الله ما لا يرجون.

﴿وتلك الأيّام نداولها بين الناس﴾ نصرّفها بينهم، نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء أُخرى.

﴿وليعلم الله الذين آمنوا﴾ وليتميّز الثابتون على الإيمان من الذين على حرف، والقصد ليس إلى إثبات علمه ونفيه، بل إلى إثبات المعلوم ونفيه على طريقة البرهان.

---

١. مجمع البيان ٢ / ٣٩٦، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٩٠.

﴿ويتّخذ منكم شهداء﴾ ويكرم أُناساً منكم بالشهادة، يريد شهداء أُحد، قيل: كان المسلمون يسألون يوماً كيوم بدر يبتغون فيه الشهادة، فلمّا لقوا المشركين بأُحد، رزق الله الشهادة من أسعده وفرّ من فرّ، أو يتّخذ منكم شهوداً معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد.

﴿والله لا يحبّ الظالمين﴾ الذين يضمرون خلاف ما يظهرون، أو الكافرين وأنّه تعالى لا ينصرهم على الحقيقة، وإنّما يغلبهم أحياناً استدراجاً لهم وابتلاءً للمؤمنين.

[١٤١] ﴿وليمحّص الله الذين آمنوا﴾ ليطهّرهم ويصفيهم من الذنوب إن كانت الدولة عليهم.

﴿ويمحق الكافرين﴾ ويهلكهم إن كانت عليهم، والمحق نقص الشيء قليلاً قليلاً، ومحاق القمر نقصانه وفناؤه.

[١٤٢] ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة﴾ بل أحسبتم، ومعناه الإنكار.

﴿ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم﴾ ولمّا يجاهد بعضكم، والفرق بين لمّا ولم أنّ فيه توقّع الفعل فيما يستقبل.

﴿ويعلم الصابرين﴾ على القتال.[١]

[١٤٣] ﴿ولقد كنتم تمنّون الموت﴾ أي: الحرب، فإنّها من أسباب الموت، أو الموت بالشهادة، والخطاب للذين لم يشهدوا بدراً وتمنّوا أن يشهدوا مع رسول الله مشهداً لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة، فألحّوا يوم أُحد على الخروج.

﴿من قبل أن تلقوه﴾ من قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدّته.

﴿فقد رأيتموه﴾ يوم أُحد حين القتال فصددتم عنه.

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٢٩١، ومجمع البيان ٢ / ٤٠٠.

﴿وأنتم تنظرون﴾ إلى محمّد وإلى من قتل من أصحابه، وهو توبيخ لهم على أنّهم تمنّوا الحرب والشهادة ثمّ جبنوا وانهزموا عنها.

[١٤٤] ﴿وما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ [فسيخلو] كما خلوا بالموت أو القتل.

﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ إنكار لارتدادهم وانقلابهم عن الدين، لخلوّه بموت أو قتل، بعد علمهم بخلوّ الرسل قبله وبقاء دينهم متمسّكاً به، روي أنّه لمّا شجّ رسول الله ﷺ فذب عنه مصعب بن عمير، وكان صاحب الراية يومئذ حتّى قتله ابن قميئة الحارثي، وهو يرى أنّه قتل النبي ﷺ، فقال: قد قتلت محمّداً وصرخ صارخ ألا إنّ محمّداً قتل، فانكفـ[ـأ] الناس وجعل الرسول عليه السلام يدعو إليّ عباد الله، فانحاز إليه ثلاثون من أصحابه وحموه حتّى كشفوا عنه المشركين وتفرّق الباقون.

وروي أنّه لم يبق مع رسول الله ﷺ غير أبي دجانة سماك بن خرشة وعلي بن أبي طالب عليه السلام، فكلّ ما حمل طائفة على رسول الله، استقبلهم عليّ فيدفعهم عنه حتّى انقطع سيفه، فدفع إليه رسول الله سيفه ذو الفقار، فلم يزل يقاتلهم حتّى أصابه سبعون جراحة، ونظر رسول الله إلى جبرئيل بين السماء والأرض على كرسي من ذهب وهو يقول: لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي.[١]

﴿ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً﴾ بارتداده بل يضرّ نفسه، وقيل: قال أناس من المنافقين لو كان نبيّاً لما قتل، ارجعوا إلى إخوانكم ودينكم، فقال: أنس بن النضر عمّ أنس بن مالك: يا قوم، إن قتل محمّد فإنّ ربّ محمّد حيّ لا يموت، وما تصنعون بالحياة بعده، فقاتلوا على ما قاتل عليه، ثمّ قال: اللّهمّ إنّي أعتذر إليك ممّا

---

١. مجمع البيان ذيل الآية ١٢٢ من آل عمران.

يقولون وأبرأ منه وشدّ بسيفه فقاتل حتّى قتل، فنزلت.

﴿وسيجزي الله الشاكرين﴾ على نعمة الإسلام بالثبات عليه كأنس وأضرابه.[1]

[١٤٥] ﴿وما كان لنفس أن تموت إلّا بإذن الله﴾ فلا تتركوا الجهاد خشية القتل.

﴿كتاباً مؤجّلاً﴾ لا يموت أحد إلّا عند بلوغ أجله كقوله: ﴿لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾[2].

﴿ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها﴾ تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم أُحد، فإنّ المسلمين حملوا على المشركين [وهزموهم وأخذوا ينهبون، فلمّا رأى الرماة ذلك أقبلوا على النهب، وخلوا مكانهم، فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم، وقتل][3] عبد الله بن جبير واثنى عشر رجلاً ممّن بقي من الرماة.

﴿ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها﴾ أي: من ثوابها مع رزقه في الدنيا.

﴿وسنجزي الشاكرين﴾ الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد.

[١٤٦] ﴿وكأيّن من نبي﴾ بمعنى وكم من نبي.

﴿قاتل معه ربّيون كثير﴾ ربّانيون علماء أتقياء، أو عابدون لربّهم، وقيل: جماعات، والربّي منسوب إلى الربة وهي الجماعة للمبالغة.

﴿فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله﴾ فما افترقوا ولم ينكسر حدّهم لما أصابهم من قتل النبي أو بعضهم.

﴿وما ضعفوا﴾ عن العدوّ، أو في الدين.

---

١. مجمع البيان ٢ / ٤٠٦، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٩٢.

٢. النحل (١٦)، الآية ٦١.

٣. استدركنا أوله من البيضاوي في هذا الموضع، وآخره من مجمع البيان في الآيات السالفة ذيل الآية ١٢٢ من آل عمران.

﴿وما استكانوا﴾ وما خضعوا للعدوّ؛ لأنّ الخاضع يسكن لصاحبه.

﴿والله يحبّ الصابرين﴾ فينصرهم ويعظّم قدرهم.[١]

[١٤٧] ﴿وما كان قولهم إلّا أن قالوا ربّنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾ أي: وما كان قولهم مع ثباتهم وقوّتهم في الدين وكونهم ربّانيين إلّا هذا القول، وهو إضافة الذنوب والإسراف إلى أنفسهم، هضماً لها، وإضافة لما أصابهم إلى سوء أعمالها، والاستغفار عنها.

﴿فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحبّ المحسنين﴾ فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجأ إلى الله النصر[٢] والغنيمة والعزّ وحسن الذكر في الدنيا والجنّة والنعيم في الآخرة.

[١٤٩] ﴿يا أيّها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردّوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين﴾ نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة بأُحد: ارجعوا إلى دينكم وإخوانكم [و]لو كان محمّد نبيّاً لما قتل، وقيل: عامّ في مطاوعة الكفرة[٣].

[١٥٠] ﴿بل الله مولاكم﴾ ناصركم.

﴿وهو خير الناصرين﴾ فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره.

[١٥١] ﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم أُحد حتّى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب، ونادى أبو سفيان يا محمّد موعدنا موسم بدر القابل إن شئت، فقال عليه السلام: إن شاء الله.

﴿بما أشركوا بالله﴾ بسبب إشراكهم به.

---

١. مجمع البيان ٢ / ٤٠٩، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٩٤.

٢. ن: في النصر.

٣. مجمع البيان ٢: ٤١٣، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٩٥.

﴿ما لم ينزل به سلطاناً﴾ أي: حجّة وبرهان[اً].

﴿ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين﴾ أي: مثواهم.

[١٥٢] ﴿ولقد صدقكم الله وعده﴾ أي: وعده إيّاكم[١] بالنصر بشرط التقوى والصبر، وكان كذلك حتّى خالف الرماة، فإنّ المشركين لما أقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتّى انهزموا والمسلمون على آثارهم.

﴿إذ تحسّونهم بإذنه﴾ تقتلونهم بإذن الله، من حسّه إذا أبطل حسّه.

﴿حتّى إذا فشلتم﴾ جبنتم وضعف رأيكم وملتم إلى الغنيمة.

﴿وتنازعتم في الأمر﴾ يعني: اختلاف الرماة حين انهزم المشركون، فقال بعضهم فما [مو]قفنا هاهنا، وقال آخرون: لا نخالف أمر رسول الله فثبت مكانه أميرهم في نفر دون العشرة، ونفر الباقون للنهب، وهو المعني بقوله:

﴿وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبّون﴾ من الظفر والغنيمة وانهزام العدوّ.

﴿منكم من يريد الدنيا﴾ وهم التاركون المركز للغنيمة.

﴿ومنكم من يريد الآخرة﴾ وهم الثابتون محافظةً على أمر الرسول.

﴿ثمّ صرفكم عنهم﴾ ثمّ كفّكم عنهم حتّى جالت الخيل فغلبوكم.

﴿ليبتليكم﴾ على المصائب ويمتحن ثباتكم على الإيمان عندها.

﴿ولقد عفا عنكم﴾ تفضّلاً لِما علم من ندمكم[٢] على المخالفة.

﴿والله ذو فضل على المؤمنين﴾ بغفران ذنوبهم.

[١٥٣] ﴿إذ تصعدون﴾ والإصعاد الذهاب والإبعاد في الأرض.

﴿ولا تلوون على أحد﴾ لا يقف أحد لأحد ولا ينتظره.

---

١. ن: إياهم.

٢. ن: ندمهم.

﴿والرسول يدعوكم﴾ كان يقول: إليَّ عباد الله، أنا رسول الله، من يكرّ فله الجنّة.

﴿في أُخراكم﴾ في ساقتكم [أ]و جماعتكم الأُخرى.

﴿فأثابكم غمّاً بغمّ لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم﴾ والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غمّاً متّصلاً بغمّ، من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والإرجاف بقتل الرسول.

﴿والله خبير بما تعملون﴾ عالم بأعمالكم وبما قصدتم بها.[1]

[١٥٤] ﴿ثمّ أنزل عليكم من بعد الغمّ أمنة نعاساً﴾ أنزل الله عليكم الأمن حتّى أخذكم النعاس، وعن أبي طلحة غشينا النعاس في المصاف، حتّى كان السيف يسقط من يد أحدنا فيه فيأخذه، ثمّ يسقط فيأخذه[2] والأمنة من الأمن.

﴿يغشى طائفة منكم﴾ أي النعاس، والطائفة المؤمنون حقّاً.

﴿وطائفة﴾ هم المنافقون.

﴿قد أهمّتهم أنفسهم﴾ أوقعتهم أنفسهم في الهموم، إذ ما بهم[3] إلّا همّ أنفسهم وطلب خلاصها.

﴿يظنّون بالله غير الحقّ ظنّ الجاهلية﴾ ظنّ الشرك، غير الظنّ الحقّ الذي يحقّ أن يظنّ به.

﴿يقولون﴾ أي: لرسول الله.

﴿هل لنا من الأمر من شيء﴾ هل لنا ممّا أمر الله ووعد من النصر والظفر نصيب.

﴿قل إنّ الأمر كلّه لله﴾ أي: الغلبة الحقيقية لله وأوليائه، فإنّ حزب الله هم الغالبون.

---

١. مجمع البيان ٢ / ٤١٧، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٩٧.

٢. الكشّاف ١: ٤٢٨.

٣. في البيضاوي: يهمّهم.

﴿يخفون في أنفسهم﴾ الشكّ والنفاق.

﴿ما لا يبدون لك يقولون﴾ أي: في أنفسهم وإذا خلا بعضهم إلى بعض.

﴿لو كان لنا من الأمر شيء﴾ كما وعد محمّد، [أ]و زعم أنّ الأمر كلّه لله ولأوليائه.

﴿ما قتلنا هاهنا﴾ لما غلبنا ولما قتل من قتل منّا في هذه المعركة.

﴿قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم﴾ أي: لخرج الذين قدّر الله عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ إلى مصارعهم، ولم تنفع الإقامة بالمدينة، ولم ينج منه أحد، فإنّه قدّر الأمور ودبّرها في سابق قضائه لا معقّب لحكمه.

﴿وليبتلي الله ما في صدوركم﴾ وليمتحن ما في صدوركم، ويظهر سرائرها من الإخلاص والنفاق.

﴿وليمحّص ما في قلوبكم﴾ ويطهّرها من الشكّ.

﴿والله عليم بذات الصدور﴾ بخفيّاتها قبل إظهارها، وإنّما فعل ذلك لتمييز المؤمنين، وإظهار حال المنافقين.(١)

[١٥٥] ﴿إنّ الذين تولّوا منكم يوم التقى الجمعان إنّما استزلّهم الشيطان ببعض ما كسبوا﴾ يعني: إنّ الذين انهزموا يوم أُحد إنّما كان السبب في انهزامهم أنّ الشيطان طلب منهم الزلل فأطاعوه، واقترفوا ذنوباً بترك المركز، والحرص على الغنيمة، أو الحياة، لمخالفة النبي، فمنعوا التأييد وقوّة القلب.

﴿ولقد عفا الله عنهم﴾ لتوبتهم واعتذارهم.

﴿إنّ الله غفور﴾ للذنوب.

---

١. مجمع البيان ٢ / ٤٢٠، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٩٨.

﴿حليم﴾ لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب.

[١٥٦] ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا﴾ يعني: المنافقين.

﴿وقالوا لإخوانهم﴾ في النسب أو المذهب.

﴿إذا ضربوا في الأرض﴾ إذا سافروا فيها وأبعدوا لتجارة أو غيرها.

﴿أو كانوا غزىً﴾ خارجين في غزاة.

﴿لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا﴾ أي: لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد.

﴿ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم﴾ خاصّة.

﴿والله يحيي ويميت﴾ في الحضر والسفر عند حضور الأجل.

﴿والله بما تعملون بصير﴾ تهديد للمؤمنين.

[١٥٧] ﴿ولئن قتلتم في سبيل الله أو متّم﴾ أي: متّم في سبيله.

﴿لمغفرة من الله ورحمة خير ممّا يجمعون﴾ والمعنى: أنّ السفر والغزاة ليس ممّا يجلب الموت ويقدّم الأجل، وإن وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير ممّا تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا.

[١٥٨] ﴿ولئن متّم أو قتلتم﴾ على أيّ وجه اتّفق هلاككم.

﴿لإلى الله تحشرون﴾ لا إلى غيره فيا[و]في جزاءكم ويعظّم ثوابكم.[١]

[١٥٩] ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾ أي: ما كان لينه لهم إلّا برحمة من الله وهو ربطه على قلب النبي وتوفيقه للرفق بهم حتّى اغتمّ لهم بعد أن خالفوه.

﴿ولو كنت فظاً﴾ سيّء الخلق جافياً.

﴿غليظ القلب﴾ قاسيه.

---

١. مجمع البيان ٢ / ٤٢٥، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٩٩.

﴿لانفضّوا من حولك﴾ لنفروا عنك ولم يسكنوا إليك.

﴿فاعف عنهم﴾ فيما يختصّ بك.

﴿واستغفر لهم﴾ فيما لله.

﴿وشاورهم في الأمر﴾ أي: في أمر الحرب، إذ الكلام فيه، أو فيما يـصحّ أن يشاورهم فيه، استظهاراً برأيهم وتطييباً لأنفسهم.

﴿فإذا عزمت﴾ بعد الشورى.

﴿فتوكّل على الله﴾ في إمضاء أمرك على ما هو أصلح لك، فإنّه لا يعلمه سواه.

﴿إنّ الله يحبّ المتوكّلين﴾ فينصرهم ويهديهم إلى الصلاح.

[١٦٠] ﴿إن ينصركم الله﴾ كما نصركم يوم بدر.

﴿فلا غالب لكم﴾ وإن كثر عدد من يناويكم.

﴿وإن يخذلكم﴾ كما خذلكم يوم أُحد.

﴿فمن ذا الذي ينصركم من بعده﴾ من بعد خذلانه أو من بعد الله.

﴿وعلى الله فليتوكّل المؤمنون﴾ ويعتمدوا عليه فلا ناصر سواه.

[١٦١] ﴿وما كان لنبي أن يغلّ﴾ وما صحّ لنبي أن يخون في الغنائم، فإنّ النبوّة تنافي الخيانة، والمراد منه براءة الرسول عمّا اتهم به يوم بدر، أو يوم أُحد بأنّه أخذ شيئاً من المغنم.

﴿ومن يغلل يأت بما غلّ يوم القيامة﴾ يأت بالذي غلّه، يحمله على عنقه، أو بما احتمل من وباله وإثمه.

﴿ثمّ توفّى كلّ نفس ما كسبت﴾ تعطى جزاء ما كسبت وافياً.

﴿وهم لا يظلمون﴾ فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب عاصيهم.(١)

١. مجمع البيان ٢ / ٤٣١، وتفسير البيضاوي ١ / ٣٠٠.

[١٦٢] ﴿أفمن اتبع رضوان الله﴾ بالطاعة.

﴿كمن باء﴾ رجع.

﴿بسخط من الله﴾ بسبب المعاصي.

﴿ومأواه جهنّم وبئس المصير﴾ المكان الذي صار إليه.

[١٦٣] ﴿هم درجات عند الله﴾ في الثواب والعقاب.

﴿والله بصير بما يعملون﴾ عالم بأعمالهم فيجازيهم على حسبها.

[١٦٤] ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ أنعم [على] من آمن مع الرسول من قومه.

﴿إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾ من نسبهم، أو جنسهم عربياً مثلهم، ليفهموا كلامه بسهولة، ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والأمانة مفتخرين به.

﴿يتلو عليهم آياته﴾ أي: القرآن بعد ما كانوا جهّالاً لم يسمعوا الوحي.

﴿ويزكيهم﴾ يطهّرهم من دنس الطباع والعقائد والأعمال.

﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ القرآن والسنّة.

﴿وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ أي: كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال ظاهر، فأنقذهم الله بالنبي ﷺ.

[١٦٥] ﴿أو لمّا أصابتكم مصيبة﴾ وهي قتل سبعين منكم يوم أُحد.

﴿قد أصبتم مثليها﴾ يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين.

﴿قلتم أنّى هذا﴾ من أين هذا الذي أصابنا وقد وعدنا الله النصر.

﴿قل هو من عند أنفسكم﴾ بمخالفة الأمر بترك المركز، أو اختيار الخروج من المدينة، وعن علي عليه السلام اختيار الفداء يوم بدر.

﴿إنّ الله على كلّ شيء قدير﴾ فيقدر على نصركم فيما بعد.[1]

[١٦٦] ﴿وما أصابكم يوم التقى الجمعان﴾ جمع المسلمين وجمع المشركين يوم أُحد.

﴿فبإذن الله﴾ فهو كائن بقضائه وتخلية الكفّار.

[١٦٧] ﴿وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا﴾ وليتميز المؤمنون والمنافقون، فيظهر إيمان هؤلاء وكفر هؤلاء.

﴿وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا﴾ عن الأنفس والأموال، أو كثّروا سوادنا.

﴿قالوا لو نعلم قتالاً لاتّبعناكم﴾ فيه، لكن ما أنتم عليه ليس بقتال، بل إلقاء بالأنفس إلى التهلكة.

﴿هم للكفر يومئذٍ أقرب منهم للإيمان﴾ لانخزالهم وكلامهم هذا، وقيل: [هم] لأهل الكفر أقرب نصر منهم لأهل الايمان.

﴿يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم﴾ يظهرون خلاف ما يضمرونه، لا تواطئ قلوبهم ألسنتهم بالإيمان.

﴿والله أعلم بما يكتمون﴾ من النفاق وما يخلو به بعضهم إلى بعض.

[١٦٨] ﴿الذين قالوا لإخوانهم﴾ الذين قتلوا يوم أُحد من أقاربهم أو من جنسهم.

﴿وقعدوا﴾ عن القتال.

﴿لو أطاعونا﴾ في القعود.

﴿ما قتلوا﴾ كما لم نقتل.

---

١. مجمع البيان ٢ / ٤٣٦، وتفسير البيضاوي ١ / ٣٠١.

﴿قل فادرؤا عن أنفسكم الموت [إن كنتم صادقين]﴾ فإنّه أحرى بكم.[١]

[١٦٩] ﴿ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً﴾ نزلت في شهداء أُحد، وكانوا سبعين، وقيل في شهداء بدر، وكانوا أربعة عشر.

﴿بل أحياء﴾ بل هم أحياء عند الله، أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنّة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب تحت العرش، تمنّى الشهداء أن يعلم إخوانهم في الدنيا بما أفضوا إليه من رحمة الله، فقال الله عزّ وجلّ أنا أبلّغهم عنكم، فأنزل هذه الآية، عن ابن عبّاس وابن مسعود وجابر عن النبي ﷺ.

﴿عند ربّهم﴾ ذو زلفى منه.

﴿يرزقون﴾ من الجنّة وهو تأكيد لكونهم أحياء.[٢]

[١٧٠] ﴿فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾ وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الأبدية والقرب من الله والتمتّع بنعيم الجنّة.

﴿ويستبشرون﴾ يسرّون بالبشارة.

﴿بالذين لم يلحقوا بهم﴾ أي: بإخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم.

﴿من خلفهم﴾ أي: الذين من خلفهم زماناً أو رتبة.

﴿ألّا خوف عليهم﴾ فيما يقدمون عليه.

﴿ولا هم يحزنون﴾ على مفارقة الدنيا.

[١٧١] ﴿يستبشرون بنعمة من الله﴾ ثواباً لأعمالهم.

﴿وفضل﴾ زيادة عليه كقوله: ﴿للذين أحسنوا الحسني وزيادة﴾[٣] وتنكيرهما

---

١. مجمع البيان ٢ / ٤٤٢، وتفسير البيضاوي ١ / ٣٠٢.

٢. مجمع البيان ٢ / ٤٤٢، وتفسير البيضاوي ١ / ٣٠٣.

٣. يونس (١٠)، الآية ٢٦.

للتعظيم.

﴿وأنّ الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾ بل يوفّر جزاءهم.

[١٧٢] ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح﴾ ما كان بهم من الألم والجراح.

﴿للذين أحسنوا منهم واتّقوا أجر عظيم﴾ روي أنّ أبا سفيان وأصحابه لمّا رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهمّوا بالرجوع، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فندب أصحابه للخروج في طلبه، وقال: لا يخرجنّ معنا إلّا من حضر يومنا بالأمس، فخرج مع جماعة حتّى بلغوا حمراء الأسد، وهي على ثمانية أميال من المدينة، وكان بأصحابه القرح، فتحاملوا على أنفسهم حتّى لا يفوتهم الأجر، وألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا، فنزلت.

[١٧٣] ﴿الذين قال لهم الناس﴾ يعني الركب الذي استقبلهم من عبد قيس أو نعيم بن مسعود الأشجعي، وأطلق عليه الناس؛ لأنّه من جنسهم، كما قال: ﴿فنادته الملائكة﴾[١] وكان جبرئيل وحده.

﴿إنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم﴾ يعني أبا سفيان وأصحابه، فقال عليه السلام: والذي نفسي بيده لأخرجنّ ولو لم يخرج معي أحد، فخرج في سبعين راكباً، وهم يقولون: حسبنا الله ونعم الوكيل، [وهو] ذلك القول.

﴿فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ نعم الكافي والمعتمد.[٢]

[١٧٤] ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل﴾ فرجعوا [مع] النبي وأصحابه بعافية

١. آل عمران (٣)، الآية ٣٩، وكان في النسخة: إذ نادته، وهذا التمثيل لم يرد هنا في مجمع البيان ولا البيضاوي، وقد تقدّم ذكر الآية وتفسيرها فلاحظ.

٢. تفسير البيضاوي ١ / ٣٠٥، ومجمع البيان ٢ / ٤٥٠.

وثبات على الايمان وزيادة ربح.

﴿لم يمسسهم سوء﴾ من جراحة وكيد عدوّ.

﴿واتّبعوا رضوان الله﴾ بالخروج إلى لقاء العدوّ.

﴿والله ذو فضل عظيم﴾ قد تفضّل عليهم بالتثب[ي]ت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة إلى الجهاد.

[١٧٥] ﴿إنّما ذلكم الشيطان يخوّف أولياءه﴾ القاعدين عن الخروج مع الرسول، أو يخوّفكم أولياء[ه] الذين هم أبو سفيان وأصحابه.

﴿فلا تخافوهم وخافون﴾ من مخالفة أمري فجاهدوا مع رسولي.

﴿إن كنتم مؤمنين﴾ فإنّ الايمان يقتضي إيثار خوف الله على خوف الناس.

[١٧٦] ﴿ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ وهم المنافقون من المتخلّفين، أو قوم ارتدّوا عن الإسلام.

﴿إنّهم لن يضرّوا الله شيئاً﴾ أي: لن يضرّوا أولياء الله بمسارعتهم في الكفر، وإنّما يضرّون بها أنفسهم.

﴿يريد الله ألّا يجعل لهم حظّاً في الآخرة﴾ نصيباً من الثواب في الجنّة.

﴿ولهم عذاب عظيم﴾ مع الحرمان من الثواب.

[١٧٧] ﴿إنّ الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضرّوا الله شيئاً ولهم عذاب أليم﴾ تكرير للتأكيد، أو تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلّفين.

[١٧٨] ﴿ولا يحسبنّ الذين كفروا أنّما نملي لهم خير لأنفسهم﴾ وهم مشركوا مكّة، والإملاء الإنساء في الأجل.

﴿إنّما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين﴾ يهينهم في جهنّم.[1]

---

١. مجمع البيان ٢ / ٤٥٦، وتفسير البيضاوي ١ / ٣٠٧.

[١٧٩] ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتّى يميز الخبيث من الطيّب﴾ الخطاب لعامّة المخلصين والمنافقين في عصره، والمعنى لا يترككم مخ[تـ]لطين لا يُعرف مخلصكم من منافقكم، حتّى يميز المنافق من المخلص، بالوحي إلى نبيّه بأحوالكم، أو بالتكاليف الشاقّة.

﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾ وما كان الله ليؤتي أحدكم علم الغيب، فيطّلع على ما في القلوب من كفر وإيمان.

﴿ولكنّ الله يجتبي من رسله من يشاء﴾ فيوحي إليه ويخبره ببعض المغيّبات، أو ينصب له ما يدلّ عليها.

﴿فآمنوا بالله ورسله﴾ بصفة الإخلاص، روي أنّ الكفرة قالوا: إن كان محمّد صادقاً فليخبرنا من يؤمن منّا ومن يكفر فنزلت، وعن السدّي أنّه عليه‌السلام قال: عرضت عليّ أُمّتي في صورها كما عرضت على آدم وأُعلمت من يؤمن بي ومن يكفر، فقال المنافقون: إنّه يزعم أنّه يعرف من يؤمن به ومن يكفر، ونحن معه فلا يعرفنا، فنزلت.

﴿وإن تؤمنوا﴾ حقّ الإيمان.

﴿وتتّقوا﴾ النفاق.

﴿فلكم أجر عظيم﴾ لا يقادر قدره.

[١٨٠] ﴿ولا يحسبنّ الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله﴾ والبخل هنا منع الزكاة.

﴿هو خيراً لهم بل هو شرّ لهم﴾ لاستجلاب العقاب عليهم.

﴿سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾ والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به إلزام الطوق، وعنه عليه‌السلام: ما من رجل لا يؤدّي زكاة ماله إلّا جعل الله له شجاعاً في عنقه يوم القيامة، يعني: ثعباناً.

﴿ولله ميراث السماوات والأرض﴾ له ما فيهما ممّا يتوارث، فما لهؤلاء يبخلون عليه بما له.

﴿والله بما تعملون﴾ من المنع والإعطاء.

﴿خبير﴾ فيجازيكم.[1]

[١٨١] ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إنّ الله فقير ونحن أغنياء﴾ روي في [تفسير] البيضاوي ومجمع البيان أنّه عليه السلام كتب مع أبي بكر إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الإسلام وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضاً حسناً، فقال فنحاص بن عازورا: إنّ الله فقير حين سأل القرض فلطمه أبو بكر وقال: لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك، فشكاه إلى رسول الله، وجحد ما قاله، فنزلت ردّاً على فنحاص وتصديقاً لأبي بكر.

﴿سنكتب ما قالوا﴾ في صحائف أعمالهم.

﴿وقتلهم الأنبياء بغير حقّ﴾ تنبيه على أنّه ليس أوّل جريمة ارتكبوها، وإنّ من اجترأ على [قتل] الأنبياء لم يستبعد منه أمثال هذا القول، وإنّما قتل أسلافهم الأنبياء ورضوا هم به.

﴿ونقول ذوقوا عذاب الحريق﴾ مبالغة في الوعيد.

[١٨٢] ﴿ذلك﴾ إشارة إلى العذاب.

﴿بما قدمت أيديكم﴾ من قتل الأنبياء، وقولهم هذا، وسائر معاصيهم.

﴿وأنّ الله ليس بظلّام للعبيد﴾ ونفي الظلم يستلزم العدل، المقتضي إثابة المحسن ومعاقبة المسيء.[2]

---

١. مجمع البيان ٢ / ٤٥٨، وتفسير البيضاوي ١ / ٣٠٨.

٢. مجمع البيان ٢ / ٤٦٠، وتفسير البيضاوي ١ / ٣٠٩.

[١٨٣] ﴿الذين قالوا﴾ هم كعب بن الأشرف ومالك وحيي وفنحاص ووهب بن يهود[أ].

﴿إنّ الله عهد إلينا﴾ أمرنا في التوراة وأوصانا.

﴿ألّا نؤمن لرسول حتّى يأتينا بقربان تأكله النار﴾ أي: لا نؤمن لرسول حتّى يأتينا بهذه المعجزة الخاصّة التي كانت لأنبياء بني إسرائيل، وهو أن يقرّب بقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار سماوية فتأكله.

﴿قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم﴾ كزكريّا ويحيى وغيرهما.

﴿فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين﴾ فيما عهد إليكم.

[١٨٤] ﴿فإن كذّبوك فقد كذّب رسل من قبلك جاءوا بالبيّنات والزبر والكتاب المنير﴾ الهادي إلى الحقّ، وهذا تسلية للرسول من تكذيب قومه واليهود. والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم أو المواعظ. والكتاب في عرف القرآن ما يتضمّن الشرائع والأحكام، ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامّة القرآن.

[١٨٥] ﴿كلّ نفس ذائقة الموت﴾ وعد ووعيد للمصدّق والمكذّب.

﴿وإنّما توفّون أُجوركم﴾ تعطون جزاء أعمالكم، خيراً كان أو شرّاً، تامّاً وافياً.

﴿يوم القيامة﴾ يوم قيامكم عن القبور، ولفظ التوفية يشعر بأنّه قد يكون قبلها بعض الأُجور، ويؤيّده قوله عليه السلام: القبر روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النيران.

﴿فمن زحزح عن النار﴾ بُعّد عنها.

﴿وأُدخل الجنّة فقد فاز﴾ بالنجاة ونيل المراد، والفوز الظفر بالبغية.

﴿وما الحياة الدنيا﴾ أي: لذاتها وزخرفها.

﴿إلّا متاع الغرور﴾ الذي لا حقيقة له، كما قيل:

إنّما هذه الحياة متاع والسفيه الغوي من يصطفيها
ما مضى فات والمؤمّل غيبٌ ولك الساعة التي أنت فيها[١]

[١٨٦] ﴿لتبلونّ في أموالكم﴾ بذهابها ونقصانها.

﴿وأنفسكم﴾ بالجهاد والقتل والأسر والمصائب.

﴿ولتسمعنّ من الذين أُوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً﴾ من هجاء الرسول، والطعن في الدين، وإغراء الكفرة على المسلمين.

﴿وإن تصبروا﴾ على ذلك.

﴿وتتّقوا﴾ مخالفة أمر الله.

﴿فإنّ ذلك﴾ يعني: الصبر والتقوى.

﴿من عزم الأُمور﴾ التي يجب العزم عليها، أو ممّا عزم الله عليه وأمركم به.[٢]

[١٨٧] ﴿وإذ أخذ الله﴾ أي: اذكر وقت أخذه.

﴿ميثاق الذين أُوتوا الكتاب﴾ يريد العلماء به.

﴿لتبيّننه للناس ولا تكتمونه﴾ حكاية لمخاطبتهم، وقرئ بالياء.

﴿فنبذوه﴾ أي: الميثاق.

﴿وراء ظهورهم﴾ فلم يراعوه ولم يلتفتوا إليه.

﴿واشتروا به ثمناً قليلاً﴾ من حطام الدنيا وأعراضها.

﴿فبئس ما يشترون﴾ ما يختارون لأنفسهم، وعن النبي ﷺ: من كتم علماً عن

---

١. الكامل لابن الأثير ١٠ / ٦٦٦ ونسبها إلى إبراهيم الغزي.

٢. مجمع البيان ٢ / ٤٦٣، وتفسير البيضاوي ١ / ٣١٠.

أهله اُلجم بلجام من نار. وعن علي عليه السلام: ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلّموا حتّى أخذ على أهل العلم أن يعلّموا.

[١٨٨] ﴿لا تحسبنّ الذين يفرحون بما أتوا﴾ بما فعلوا من التدليس وكتمان الحقّ.

﴿ويحبّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا﴾ من الوفاء بالميثاق وإظهار الحقّ والإخبار بالصدق.

﴿فلا تحسبنّهم بمفازة من العذاب﴾ بمنجاة منه.

﴿ولهم عذاب أليم﴾ بكفرهم وتدليسهم، وعنه عليه السلام سأل اليهود عن شيء ممّا في التوراة فأخبروه بخلاف ما كان فيها، وأروه أنّهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت، وقيل: نزلت في قوم تخلّفوا عن الغزو، وقيل: في المنافقين[١].

[١٨٩] ﴿ولله ملك السماوات والأرض﴾ فهو يملك أمرهم.

﴿والله على كلّ شيء قدير﴾ فيقدر على عقابهم.

[١٩٠] ﴿إنّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأُولي الألباب﴾ لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته، وكمال علمه وقدرته، لذوي العقول الخالصة عن الوهم، وعن النبي صلى الله عليه وآله: ويل لمن قرأها ولم يتفكّر.

[١٩١] ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾ أي: يذكرونه دائماً على الحالات كلّها، قائمين وقاعدين ومضطجعين، وعنه عليه السلام: من أحبّ أن يرتع في رياض الجنّة فليكثر ذكر الله، وقيل: معناه يصلّون على الهيئات الثلاث حسب طاقتهم، لقوله عليه السلام لعمران بن حصين: صلّ قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب، تومئ إيماءً.

١. مجمع البيان ٢: ٤٦٩، وتفسير البيضاوي ١ / ٣١١.

﴿ويتفكّرون في خلق السماوات والأرض﴾ استدلالاً واعتباراً، وهو أفضل العبادات، كما قال ﷺ: لا عبادة كالتفكّر؛ لأنّه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق.

﴿ربّنا ما خلقت هذا باطلاً﴾ أي: ما خلقته عبثاً ضائعاً من غير حكمة، بل خلقته لحكم عظيمة، من جملتها أن يكون مبدأ لوجود الإنسان، وسبباً لمعاشه، ودليلاً يدلّه على معرفتك، ويحثّه على طاعتك، لينال الحياة الأبدية، والسعادة السرمدية في جوارك.

﴿سبحانك﴾ تنزيهاً لك من العبث وخلق الباطل.

﴿فقنا عذاب النار﴾ للإخلال بالنظر فيه، والقيام بما يقتضيه.

[١٩٢] ﴿ربّنا إنّك من تدخل النار فقد أخزيته﴾ غاية الإخزاء وفضحته على رؤوس الخلائق.

﴿وما للظالمين من أنصار﴾ أراد بهم المدخلين، وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها، ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة.(١)

[١٩٣] ﴿ربّنا إنّنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان﴾ والمراد بالمنادي الرسول، وقيل: القرآن، إذ ليس كلّ المسلمين لقى محمّداً ﷺ.

﴿أن آمنوا بربّكم فآمنّا﴾ أي: بأن آمنوا فامتثلنا.

﴿ربّنا فاغفر لنا ذنوبنا﴾ كبائرنا فإنّها ذات تبعة.

﴿وكفّر عنّا سيّئاتنا﴾ صغائرنا فإنّها مستقبحة ولكن مكفّرة عن مجتنب الكبائر.

﴿وتوفّنا مع الأبرار﴾ مخصوصين بصحبتهم، معدودين في زمرتهم، وهم الذين برّوا الله بطاعتهم إيّاه حتّى رضي عنهم.

---

١. مجمع البيان ٢ / ٤٧٣، وتفسير البيضاوي ١ / ٣١٣.

[١٩٤] ﴿ربّنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك﴾ أي: ما وعدتنا على تصديق رسلك، من الثواب والنصر على الأعداء.

﴿ولا تخزنا يوم القيامة﴾ بأن تعصمنا عمّا يقتضيه.

﴿إنّك لا تخلف الميعاد﴾ بإثابة المؤمن وإجابة الداعي، وعن ابن عبّاس: الميعاد البعث بعد الموت[1].

[١٩٥] ﴿فاستجاب لهم ربّهم﴾ إلى طلبتهم.

﴿أنّي لا أُضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أُنثى﴾ من رجل أو امرأة.

﴿بعضكم من بعض﴾؛ لأنّ الذكر من الأُنثى، والأُنثى من الذكر، روي أنّ أُمّ سلمة قالت: يا رسول الله، إنّي أسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء، فنزلت.

﴿فالذين هاجروا﴾ أي: هاجروا الشرك والأوطان والعشائر للدين.

﴿وأُخرجوا من ديارهم﴾ وفارقوا قومهم.

﴿وأُوذوا في سبيلي﴾ بسبب طاعتي وديني.

﴿وقاتلوا﴾ الكفّار.

﴿وقتلوا﴾ في الجهاد.

﴿لأُكفرنّ عنهم سيّئاتهم﴾ لأمحونّها عنهم.

﴿ولأُدخلنّهم جنّات تجري من تحتها الأنهار ثواباً﴾ أي: أُثيبهم بذلك إثابة.

﴿من عند الله﴾ تفضّلاً منه.

﴿والله عنده حسن الثواب﴾ على الطاعات قادر عليه.

[١٩٦] ﴿لا يغرّنّك تقلّب الذين كفروا في البلاد﴾ الخطاب للنبي والمراد أُمّته، روي أنّ بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش، فيقولون إنّ

---

١. تفسير البيضاوي ١: ٣١٤، ومجمع البيان ٢: ٤٧٧.

أعداء الله فيما ترى من الخير، وقد هلكنا من الجوع والجهد، فنزلت.

[١٩٧] ﴿متاع قليل﴾ أي: ذلك التقلّب متاع قليل، لقصر مدّته وفي جنب ما أعدّ الله للمؤمنين، قال عليه السلام: ما الدنيا في الآخرة إلّا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليمّ فلينظر بما يرجع.

﴿ثمّ مأواهم جهنّم وبئس المهاد﴾ ما مهّدوا لأنفسهم.

[١٩٨] ﴿لكن الذين اتّقوا ربّهم لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلاً من عند الله﴾ النزل والنزل [بسكون الزاي وضمّها] ما يعدّ للنازل من طعام وشراب.

﴿وما عند الله﴾ لكثرته ودوامه.

﴿خير للأبرار﴾ ممّا يتقلب فيه الفجّار، لقلّته وسرعة زواله.[١]

[١٩٩] ﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله﴾ نزلت في عبد الله بن سلّام وأصحابه، وقيل: في أربعين من نجران، واثنين وثلاثين من الحبشة، وثمانية من الروم، كانوا نصارى فأسلموا. وقيل[٢]: في أصحمة النجاشي لمّا نعاه جبرئيل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فصلّى عليه في سنة تسع فقال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلّي على علج نصراني لم يره قطّ.

﴿وما أُنزل إليكم﴾ من القرآن.

﴿وما أُنزل إليهم﴾ من التوراة والإنجيل.

﴿خاشعين لله﴾ خاضعين له بالطاعة.

﴿لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً﴾ كما يفعله المحرّفون من أحبارهم.

---

١. مجمع البيان ٢ / ٤٨٠، وتفسير البيضاوي ١ / ٣١٦.

٢. ن: وقال.

﴿أُولئك لهم أجرهم عند ربّهم﴾ ما خصّ بهم من الأجر، ووعدوه في قوله تعالى: ﴿أُولئك يؤتون أجرهم مرّتين﴾[1].

﴿إنّ الله سريع الحساب﴾ لعلمه بالأعمال وما يستوجبه من الجزاء، واستغنائه عن التأمّل والاحتياط.

[٢٠٠] ﴿يا أيّها الذين آمنوا اصبروا﴾ على مشاقّ الطاعات وما يصيبكم من الشدائد.

﴿وصابروا﴾ الكفّار على الجهاد.

﴿ورابطوا﴾ أبدانكم وخيولكم في الثغور مترصّدين للغزا[ة]، وأنفسكم على الطاعة، كما قال عليه السلام: من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة.

﴿واتّقوا الله﴾ بالتبري عمّا سواه ولا تخالفوه فيما يأمركم به.

﴿لعلّكم تفلحون﴾ غاية الفلاح بنيل المقامات الثلاث، التي هي الصبر على مضض الطاعات، ومصابرة النفس في رفض العادات، ومرابطة السرّ على جناب الحق.[2]

---

١. القصص (٢٨)، الآية ٥٤.

٢. تفسير البيضاوي ١ / ٣١٧، ومجمع البيان ٢ / ٤٨٢.

[٤]
سورة النساء

مئة وست وسبعون[١] آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿يا أيّها الناس﴾ خطاب يعمّ بني آدم.

﴿اتّقوا ربّكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ من آدم عليه السلام.

﴿وخلق منها زوجها﴾ عطف على خلقكم، أي: خلقكم من صورة واحدة، وخلق منها أُمّكم حوّاء[٢]، وقيل: من ضلع من أضلاعه، وإنّما سمّيت حوّاء لأنّها خلقت من شيء حيّ[٣].

﴿وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساء﴾ أي: ونشر من تلك النفس والزوجة المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة.

﴿واتّقوا الله الذي تساءلون به﴾ أي: يسأل بعضكم بعضاً، فيقول: أسألك بالله.

﴿والأرحام﴾ أي: اتّقوا الله واتّقوا الأرحام، فصلوها ولا تقطعوها، وعنه عليه السلام: الرحم معلّقة بالعرش تقول: ألا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله.

---

١. ن: وستون.

٢. ن: حوى. وهكذا التالي.

٣. مجمع البيان ذيل الآية ٣٥ من سورة البقرة.

﴿إنّ الله كان عليكم رقيباً﴾ حافظاً مطلعاً.[١]

[٢] ﴿وآتوا اليتامى أموالهم﴾ أي: إذا بلغوا وآنستم منهم رشداً.

﴿ولا تتبدّلوا الخبيث بالطيّب﴾ ولا تستبدلوا الحرام من أموالهم بالحلال من أموالكم، قيل: كان الرجل يأخذ من مال يتيمه شاة ويجعل مكانها دونها.

﴿ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم﴾ ولا تأكلوها مضمومة إلى أموالكم.

﴿إنّه كان حوباً كبيراً﴾ ذنباً عظيماً، روي أنّ رجلاً من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم، فلمّا بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت، فلمّا سمعها العمّ قال: أطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير.

[٣] ﴿وإن خفتم ألّا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾ أي: إن خفتم ألّا تعدلوا في يتامى النساء إذا تزوّجتم بهنّ، فتزوّجوا ما طاب من غيرهنّ، روي أنّه تعالى لمّا عظّم أمر اليتامى، تحرّجوا من ولايتهم، وما كانوا يتحرّجون من تكثير النساء وإضاعتهنّ فنزلت، وفيه اختلاف.

﴿مثنى وثلاث ورباع﴾ أي: اثنتين اثنتين، وثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة، فلا يقال: إنّ ذلك يؤدّي إلى جواز نكاح التسع فإنّ اثنتين وثلاثة وأربعة تسعة.

﴿فإن خفتم ألّا تعدلوا﴾ بين هذه الأعداد.

﴿فواحدة﴾ وذروا الجمع.

﴿أو ما ملكت أيمانكم﴾ سوّى بين الواحدة من الأزواج والعدد من السراري، لخفّة مؤنتهنّ، وعدم وجوب القسم بينهنّ.

﴿ذلك﴾ أي: التقليل منهنّ واختيار الواحدة أو التسرّي.

﴿أدنى ألّا تعولوا﴾ أقرب من أن لا تميلوا، يقال: عال الميزان إذا مال، وعال

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٣١٩، ومجمع البيان ٣ / ٨. وفي النسخة: حافظاً مطلقاً.

الحاكم إذا جار، وعول الفريضة الميل عن حدّ السهام المسمّاة، وفسّر بأن لا يكثر عيالكم.[١]

[٤] ﴿وآتوا النساء صدقاتهنّ﴾ مهورهنّ.

﴿نحلة﴾ عطية عن طيب نفس بلا توقّع عوض.

﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً﴾ أي: من الصداق، فإن وهبن لكم منه عن طيب نفس من غير إضرار بهنّ ولا خديعة لهنّ.

﴿فكلوه هنيئاً مريئاً﴾ فخذوه، وأنفقوا حلالاً بلا تبعة، روي أنّ أُناساً كانوا يتأثّمون أن يقبل أحدهم من زوجه شيئاً ممّا ساق إليها، فنزلت.

[٥] ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم﴾ نهي للأولياء عن أن يؤتوا الذين لا رشد لهم أموالهم فيضيعوها.

﴿التي جعل الله لكم قياماً﴾ أي: تقومون بها وتتعيّشون.

﴿وارزقوهم فيها واكسوهم﴾ واجعلوها مكاناً لرزقهم وكسوتهم، بأن تتجروا فيها، وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون[٢] إليه.

﴿وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾ عدة جميلة تطيب بها نفوسهم.[٣]

[٦] ﴿وابتلوا اليتامى﴾ اختبروهم قبل البلوغ بتتبّع أحوالهم في صلاح الدين، والتهدي إلى ضبط المال، وحسن التصرّف فيه، بأن يكل إليه مقدّمات العقد.

﴿حتّى إذا بلغوا النكاح﴾ بأن يحتلم الذكر، أو يستكمل خمسة عشر سنة، لقوله عليه السلام: إذا استكمل المولود خمسة عشر سنة كتب ما له وعليه وأُقيمت عليه

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٣٢٠، ومجمع البيان ٣ / ١٠.

٢. ن: تحتاجون.

٣. تفسير البيضاوي ١ / ٣٢٢، ومجمع البيان ٣ / ١٥.

الحدود وبلوغ الأُنثى تسعة.

﴿فإن آنستم منهم رشداً﴾ فإن أبصرتم منهم عقلاً وديناً.

﴿فادفعوا إليهم أموالهم﴾ من غير تأخير عن حدّ البلوغ.

﴿ولا تأكلوها إسرافاً﴾ بغير ما أباحه الله لكم.

﴿وبداراً﴾ مبادرة لأكل مالهم.

﴿أن يكبروا﴾ حذاراً أن يكبروا فيلزمكم تسليم المال إليهم.

﴿ومن كان غنياً فليستعفف﴾ بماله عن أكل مال اليتيم.

﴿ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف﴾ بقدر حاجته وأُجرة سعيه، وعنه عليه السلام أنّ رجلاً قال له: إنّ في حجري يتيماً أفآكل من ماله؟ قال: بالمعروف غير متاثل ـ أي: جامع ـ مالاً ولا واق مالك بماله.

﴿فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم﴾ بأنّهم قبضوها، فإنّه أنفى للتهمة وأبعد من الخصومة.

﴿وكفى بالله حسيباً﴾ محاسباً فلا تخالفوا ما أُمرتم ولا تتجاوزوا ما حدّ لكم.

[٧] ﴿للرجال نصيب ممّا ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب ممّا ترك الوالدان والأقربون﴾ يريد بهم المتوارثين بالقرابة، وعنى بالرجال الذكور من أولاد الميّت، وكانت العرب في الجاهلية يورثون الذكور دون الإناث.

﴿ممّا قلّ منه أو كثر نصيباً مفروضاً﴾ روي أنّ أوس بن صامت الأنصاري خلّف زوجته وثلاث بنات، فزوى ابنا عمّه ميراثه عنهنّ على سنّة الجاهلية، فإنّهم كانوا لا يورثون النساء والأطفال، ويقولون إنّما يرث من يحارب ويذبّ عن الحوزة، فجاءت الزوجة إلى رسول الله في مسجد الفضيح فشكت إليه، فقال: ارجعي حتّى أنظر ما يحدث الله، فنزلت، فبعث إليهما لا تفرقا من مال أوس شيئاً، فإنّ الله قد

جعل لهنّ نصيباً، ولم يبيّن حتّى يبيّن، فنزل ﴿يوصيكم الله﴾ فأعطى الزوجة الثمن، والبنات الثلثين، والباقي ابني العمّ، وعلى ذلك عمل الجمهور، وفي رواياتنا[١] بردّ الباقي على البنات.[٢]

[٨] ﴿وإذا حضر القسمة أُولو القربى﴾ ممّن لا يرث.

﴿واليتامى والمساكين فارزقوهم منه﴾ فأعطوهم شيئاً من المقسوم، تطييباً لقلوبهم، وتصدّقاً عليهم، وهو أمر ندب للبلغ من الورثة، وقيل: أمر وجوب، ثمّ اختلف في نسخه.

﴿وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾ وهو أن يدعو لهم، ويستقلّوا ما أعطوهم، ولا يمنّوا عليهم.

[٩] ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرّيّة ضعافاً﴾ أولاداً صغاراً.

﴿خافوا عليهم﴾ الفقر.

﴿فليتّقوا الله﴾ ولا يزيد وصيّتهم عن الثلث.

﴿وليقولوا قولاً سديداً﴾ عدلاً وفعلاً حميداً.

[١٠] ﴿إنّ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً﴾ بغير حقّ.

﴿إنّما يأكلون في بطونهم﴾ ملء بطونهم.

﴿ناراً﴾ ما جرّ إلى النار ويؤول إليها، وعن أبي بردة أنّه ﷺ قال: يبعث الله قوماً من قبورهم تتأجّج أفواههم ناراً، فقيل: من هم؟ فتلا هذه الآية.

﴿وسيصلون سعيراً﴾ سيدخلون ناراً وأيّ نار.[٣]

---

١. ن: ومن رد آياتنا.
٢. تفسير البيضاوي ١ / ٣٢٣.
٣. تفسير البيضاوي ١ / ٣٢٥، ومجمع البيان ٣ / ٢٧.

[١١] ﴿يوصيكم الله﴾ يأمركم ويعهد إليكم.

﴿في أولادكم﴾ في بيان ميراثكم.

﴿للذكر مثل حظّ الأُنثيين﴾ للابن مثل نصيب البنتين من الميراث.

﴿فإن كنّ نساء﴾ أي: إن كان الأولاد نساء ليس معهنّ ذكر.

﴿فوق اثنتين﴾ أي: نساء زائدات على اثنتين.

﴿فلهنّ ثلثا ما ترك﴾ المتوفّى منكم.

﴿وإن كانت واحدة فلها النصف﴾ أي: وإن كانت المولودة واحدة فلها نصف ما ترك الميّت.

﴿ولأبويه﴾ لأبوي الميّت.

﴿لكلّ واحد منهما﴾ من الأب والأُمّ.

﴿السدس ممّا ترك إن كان له﴾ للميّت.

﴿ولد﴾ ذكراً أو أُنثى، فللأب السدس، وكذلك الأُمّ.

﴿فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأُمّه الثلث﴾ والباقي للأب.

﴿فإن كان له إخوة فلأُمّه السدس﴾ إن كان هناك أب، فإنّ الإخوة يردّونها من الثلث الى السدس، وإن كانوا لا يرثون مع الأب، قال ابن عبّاس: لا يحجب الأُمّ من الثلث ما دون الثلاثة.

﴿من بعد وصيّة يوصي بها أو دين﴾ والدين مقدّم على الوصيّة والميراث وإن قدّمت الوصيّة على الدين في الآية، فإنّ لفظة أن لا توجب الترتيب.

﴿آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيّهم أقرب لكم نفعاً فريضة﴾ والله يعلمه، فاقسموا الميراث على [ما] بيّنه فريضة.

﴿من الله﴾ فرضها عليكم.

﴿إنّ الله كان عليماً﴾ بالمصالح والرتب.

﴿حكيماً﴾ فيما قضى وقدّر.[١]

[١٢] ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهنّ ولد فإن كان لهنّ ولد فلكم الربع ممّا تركن﴾ أي: ولد وارث من بطنها، أو من صلب بنيها، أو بني بنيها وإن سفل ذكراً كان أو أُنثى، منكم أو من غيركم.

﴿من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهنّ الربع ممّا تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهنّ الثمن ممّا تركتم من بعد وصيّة توصون بها أو دين﴾ فرض للرجل بحقّ الزواج ضعف ما للمرأة كما في النسب، وهكذا حكم كلّ رجل وامرأة اشتركا في الجهة والقرب، ولا يستثنى عنه إلّا أولاد الأمّ، والمعتق والمعتقة، ويستوي الواحدة والعدد منهنّ في الربع والثمن.

﴿وإن كان رجل﴾ أي: الميّت.

﴿يورث﴾ أي: يورث منه من ورث، صفة رجل.

﴿كلالة﴾ قرابة ليست من جهة [الوالد] والولد[٢]، وروي أنّ الكلالة الإخوة والأخوات، وكلالة خبر كان، أو يورث خبره، وكلالة حال من الضمير فيه.

﴿أو امرأة وله أخ أو أخت﴾ أي: من الأُمّ.

﴿فلكلّ واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث﴾ الذكور والإناث هنا سواء[٣].

﴿من بعد وصيّة يوصى بها أو دين غير مضارّ﴾ لورثته بالزيادة على الثلث.

---

١. مجمع البيان ٣ / ٣١، وتفسير البيضاوي ١ / ٣٢٧.

٢. ن: من جهته والوالد.

٣. ن: سوى.

﴿وصيّة من الله﴾ بالأولاد.

﴿والله عليم﴾ بالمضارّ وغيره.

﴿حليم﴾ لا يعاجل بعقوبته.

[١٣] ﴿تلك حدود الله﴾ التي لا ينبغي مجاوزتها.

﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم﴾ الفلاح العظيم.

[١٤] ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين﴾ على وجه الإهانة.(١)

[١٥] ﴿واللّاتي يأتين الفاحشة من نسائكم﴾ أي: يفعلن الزنا من الحرائر، وسمّى الزنا فاحشة لزيادة قبحه وشناعته.

﴿فاستشهدوا عليهنّ أربعة منكم﴾ فاطلبوا ممّن قذفهنّ أربعة من رجال المؤمنين تشهد عليهنّ.

﴿فإن شهدوا فأمسكوهنّ في البيوت﴾ واجعلوها سجناً عليهنّ.

﴿حتّى يتوفّاهنّ الموت﴾ فيموتنّ في البيوت، كان ذلك عقوبتهنّ في أوائل الإسلام فنسخ بالحدود، بالرجم في المحصنين والجلد في البكرين.

﴿أو يجعل الله لهنّ سبيلاً﴾ كتعيين الحدّ المخلّص عن الحبس، أو النكاح المغني عن السفاح.

[١٦] ﴿واللذان يأتيانها منكم﴾ يعني الزاني والزانية.

﴿فآذوهما﴾ بالتوبيخ والتقريع، وقيل: بالتعيير والجلد.

﴿فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما﴾ بالإغماض والستر، وقطع الإيذاء.

---

١. مجمع البيان ٣ / ٣٥، وتفسير البيضاوي ١ / ٣٢٨.

﴿إنّ الله كان توّاباً رحيماً﴾ يقبل التوبة عن عباده ويرحمهم، قيل: الآية الأُولى في السحاقات، وهذه في اللواطين والزانية والزاني في الزناة.[١]

[١٧] ﴿إنّما التوبة على الله﴾ أي: إنّ قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه إذا قبل توبته.

﴿للذين يعملون السوء بجهالة﴾ متلبّسين بها سفهاً، فإنّ ارتكاب الذنب سفه وتجاهل.

﴿ثمّ يتوبون من قريب﴾ من زمان قريب، أي: قبل حضور الموت، لقوله تعالى [في الآية التالية]: ﴿حتّى إذا حضر أحدهم الموت﴾، وقوله عليه السلام: إنّ الله تعالى يقبل توبة عبده ما لم يغرغر، وسمّاه قريباً؛ لأنّ أمد الحياة قريب لقوله: ﴿متاع الدنيا قليل﴾[٢].

﴿فأُولئك يتوب الله عليهم﴾ وعد بالوفاء بما وعد به، وكتب على نفسه بقوله [في أوّل الآية]: ﴿إنّما التوبة على الله﴾.

﴿وكان الله عليماً﴾ بإخلاصهم في التوبة.

﴿حكيماً﴾ والحكيم لا يعاقب التائب.

[١٨] ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيّئات حتّى إذا حضر أحدهم الموت قال إنّي تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفّار﴾ سوّى بين من سوّف التوبة [إلى حضور الموت] من الفسقة والكفّار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة، للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحال.

﴿أُولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾ تأكيد لعدم قبول توبتهم، وبيان [أنّ] العذاب

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٣٣٠، ومجمع البيان ٣ / ٤٠.
٢. النساء (٤)، الآية ٧٧.

أعدّه لهم.

[١٩] ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا يحلّ لكم أن ترثوا النساء كرهاً﴾ كان الرجل إذا مات وله عصبة ألقى أحدهم ثوبه على امرأته، وقال: أنا أحقّ بها، ثمّ إن شاء تزوّجها بصداقها الأوّل، وإن شاء زوّجها غيره وأخذ صداقها، وإن شاء عضلها لتفتدى بما ورثت من زوجها، فنهوا عن ذلك، وقيل: لا يحلّ لكم أن تأخذوهنّ على سبيل الإرث، فتزوّجوهنّ كارهات لذلك أو مكروهات عليه.

﴿ولا تعضلوهنّ﴾ ولا تمنعوهنّ من التزويج.

﴿لتذهبوا ببعض ما آتيتموهنّ﴾ كانوا يحبسون النساء عن التزويج من غير حاجة ورغبة حتّى يرثوا منهنّ.

﴿إلّا أن يأتين بفاحشة مبيّنة﴾ إلّا أن تزني فله الإضرار بها لتفتدي منه بما آتاها من صداقها.

﴿وعاشروهنّ بالمعروف﴾ بالإنصاف بالفعل والإجمال في القول.

﴿فإن كرهتموهنّ فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ أي: فلا تفارقوهنّ لكراهة النفس، فإنّها قد تكره ما هو أصلح ديناً وأكثر خيراً، وقد تحبّ ما هو بخلافه.(١)

[٢٠] ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج﴾ تطليق امرأة وتزوّج أُخرى.

﴿وآتيتم إحداهنّ﴾ أي: إحدى الزوجات.

﴿قنطاراً﴾ مالاً كثيراً.

﴿فلا تأخذوا منه شيئاً﴾ أي: من القنطار.

﴿أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً﴾ استفهام إنكار وتوبيخ، أي: تأخذونه باهتين

١. تفسير البيضاوي ١ / ٣٣١، ومجمع البيان ٣ / ٤٥.

وآثمين، قيل: كان الرجل منهم إذا أراد [امرأة] جديدة بهت التي تحته، بفاحشة تلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها، ليصرفه إلى تزوّج الجديدة، فنهوا عن ذلك، والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه.

[٢١] ﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾ إنكار لاسترداد المهر والحال أنّه وصل إليها بالملامسة ودخل بها وتقرّر المهر.

﴿وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً﴾ عهداً وثيقاً بقوله: ﴿فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾[١] أو بما أشار إليه النبي ﷺ بقوله: واتّقوا الله في النساء فإنّكم أخذتموهنّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله[٢].

[٢٢] ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء﴾ ولا تنكحوا التي نكحها آباؤكم، وفيه دلالة على أنّ كلّ [من] عقد عليها الأب تحرم على الابن، دخل بها الأب أو لم يدخل، وهو إجماع، فإن دخل بها الأب على وجه السفاح فهل تحرم على الابن؟ ففيه خلاف، والأظهر التحريم.

﴿إلّا ما قد سلف﴾ قبل نزول التحريم فإنّه لا مؤاخذة عليه.

﴿إنّه كان فاحشة﴾ معصية محرّمة قبيحة.

﴿ومقتاً﴾ ممقوتاً عند ذوي المروءات.

﴿وساء سبيلاً﴾ سبيل من يراه ويفعله.[٣]

[٢٣] ﴿حرّمت عليكم أُمّهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعمّاتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأُخت﴾ ليس المراد تحريم ذ[و]اتهنّ بل تحريم نكاحهنّ؛ لأنّه معظم ما

١. البقرة (٢)، الآية ٢٢٩.
٢. تفسير البيضاوي ١: ٣٣٢، ومجمع البيان ٣ / ٥٠.
٣. تفسير البيضاوي ١ / ٣٣٤، ومجمع البيان ٣ / ٥٥.

يقصد منهنّ.

﴿وأُمّهاتكم اللّاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة﴾ قال عليه السلام: يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب، وشروطه أربعة، أن يكون اللبن عن نكاح، ويكون خمسة عشر رضعة، أو رضاع يوم وليلة، وأن يكون في الحولين، وأن يكون اللبن لفحل واحد.

﴿وأُمّهات نسائكم وربائبكم اللّاتي في حجوركم من نسائكم اللّاتي دخلتم بهنّ﴾ ولا يجوز تعليقها بالأُمّهات، [والربائب جمع] ربيبة وهي ابنة امرأة الرجل لتربيته إيّاها، وقوله: دخلتم بهنّ كناية عن الجماع.

﴿فإن لم تكونوا دخلتم بهنّ فلا جناح عليكم﴾ في نكاح بناتهنّ.

﴿وحلائل أبنائكم﴾ زوجاتهم.

﴿الذين من أصلابكم﴾ احترازاً عن المتبني[ن] لا عن أبناء الولد.

﴿وأن تجمعوا بين الأُختين﴾ لا بزواج ولا بملك يمين، فإنّ الحرمة غير مقصورة على النكاح، فإنّ المحرّمات المعدودة كما هي محرّمة في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين، ولذلك قال عليّ وعثمان: حرّمتهما آية وأحلّتهما آية، يعنيان هذه الآية وقوله: ﴿أو ما ملكت أيمانكم﴾[1]، فرجّح عليّ التحريم وعثمان التحليل، وقول عليّ أظهر؛ لأنّ آية التحليل مخصوصة في غير ذلك، ولقوله عليه السلام: ما اجتمع الحلال والحرام إلّا غلب الحرام.

﴿إلّا ما قد سلف﴾ فإنّه مغفور، كما كان من يعقوب، إذ جمع بين الأُختين: ليا أُمّ يهوذا وراحيل أُمّ يوسف.

﴿إنّ الله كان غفوراً رحيماً﴾ لا يؤاخذكم بحكم ما قد سلف قبل نزول

---

١. النساء (٤)، الآية ٣.

التحريم.[1]

[٢٤] ﴿والمحصنات من النساء﴾ ذوات الأزواج أحصنهنّ التزويج أو الأزواج.

﴿إلّا ما ملكت أيمانكم﴾ يريد ما ملكت أيمانكم من اللاتي سبين ولهنّ أزواج كفّار فهنّ حلال للسابين، والنكاح مرتفع بالسبي، لقول أبي سعيد: أصبنا سب[ا]يا يوم أوطاس ولهنّ أزواج فكرهنا أن نقع عليهنّ، فسألنا النبي ﷺ فنزلت الآية، فاستحللناهنّ، وقال أبو حنيفة: لو سبى الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحلّ للسابي، وإطلاق الآية والحديث حجّة عليه.

﴿كتاب الله عليكم﴾ أي: كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتاباً فلا تخالفوه.

﴿وأُحلّ لكم ما وراء ذلكم﴾ ما سوى المحرّمات الثمان المذكورة، وخصّ عنه بالسنّة ما في معنى المذكور[ات]، كسائر محرّمات الرضاع، والجمع بين المرأة وعمّتها أو خالتها.

﴿أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين﴾ أي: أُحلّ لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم بالصرف في مهورهنّ أو أثمانهنّ في حال كونكم محصنين غير مسافحين، والإحصان العفة فإنّها تحصين للنفس عن اللوم والعقاب، والسفاح الزنا، من السفح وهو صبّ المني، فإنّه الغرض منه.

﴿فما استمتعتم به منهنّ﴾ فمن تمتعتم به من المنكوحات، أو فما استمتعتم به منهنّ من جماع أو عقد عليهنّ.

﴿فآتوهنّ أُجورهنّ﴾ مهورهنّ فإنّ المهر في مقابلة الاستمتاع.

﴿فريضة﴾ حال من الأُجور بمعنى مفروضة.

﴿ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة﴾ فيما يزاد على المسمّى،

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٣٣٥، ومجمع البيان ٣ / ٥٨.

أو يحطّ عنه بالتراضي، أو فيما تراضيا به من نفقة أو مقام أو فراق، قيل: نزلت الآية في نكاح المتعة، وكان سائغاً في صدر الإسلام، وفعله الصحابة في زمن النبي وزمن أبي بكر وبرهة من ولاية عمر، ثمّ نهى عنه وادّعى أنّه منسوخ، وفي صحيح الترمذي أنّ رجلاً من أهل الشام سأل ابن عمر عن متعة النساء؟ فقال: هي حلال فقال: إنّ أباك قد نهى عنها، فقال ابن عمر: أرأيت إن كان أبي قد نهى عنها وأباحها رسول الله أنترك السنّة ونتّبع قول أبي، وقال البيضاوي: إنّما كانت المتعة ثلاثة أيّام حين فتحت مكّة ثمّ نسخت،: لما روي أنّه عليه السلام أباحها ثمّ أصبح يقول: (أيّها الناس إنّي كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء، ألا إنّ الله حرّم ذلك إلى يوم القيامة)، وهي النكاح المؤقّت بوقت معلوم سمّي به، إذ الغرض منه مجرّد الاستمتاع بالمرأة [أ]و تمتيعها بما تعطى. فإن صحّ الحديث فلِمَ لَمْ ينهَ عن المتعة أبو بكر قبل عمر.

﴿إنّ الله كان عليماً﴾ بالمصالح.

﴿حكيماً﴾ فيما شرّع من الأحكام.[١]

[٢٥] ﴿ومن لم يستطع منكم طولاً﴾ غنىً واعتلاء، وأصله الفضل والزيادة في المال.

﴿أن ينكح المحصنات المؤمنات﴾ أي: من لم يقدر على شيء ممّا يصلح لنكاح الحرائر من المهر والنفقة.

﴿فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات﴾ يعنى الإماء المؤمنات، والمراد به إماء الغير، لأنّه لا يجوز أن يتزوّج الرجل بأمته، والمحذور في نكاح الأمة رقّ الولد، وما فيه من المهانة.

﴿والله أعلم بإيمانكم﴾ فإنّه العالم بالسرائر فربّ أمة تفضل الحرّة.

١. تفسير البيضاوي ١ / ٣٣٦، ومجمع البيان ٣ / ٦٠.

﴿بعضكم من بعض﴾ أنتم وأرقّاؤكم متناسبون، نسبكم[١] من آدم ودينكم الإسلام.

﴿فانكحوهنّ بإذن أهلهنّ﴾ يريد أربابهنّ.

﴿وآتوهنّ أجورهنّ﴾ أي: أدّوا إليهنّ مهورهنّ بإذن أهلنّ، فحذف ذلك لتقدّم ذكره.

﴿بالمعروف﴾ بغير مطل وضرار و نقصان.

﴿محصنات﴾ عفايف.

﴿غير مسافحات﴾ غير مجاهرات بالسفاح.

﴿ولا متّخذات أخدان﴾ أخلّاء في السرّ، قيل: كان في الجاهلية يحرّمون ما ظهر من الزنا ويستحلّون ما خفي منه، عن ابن عبّاس.

﴿فإذا أُحصنّ﴾ بالتزويج.

﴿فإن أتين بفاحشة﴾ فإن زنين.

﴿فعليهنّ نصف ما على المحصنات﴾ يعني الحرائر.

﴿من العذاب﴾ من الحدّ، لقوله: ﴿وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾[٢] وهو يدلّ على أنّ حدّ العبد نصف حدّ الحرّ، وأنّه لا يرجم؛ لأنّ الرجم لا يتنصف.

﴿ذلك﴾ أي: نكاح الإماء.

﴿لمن خشي العنت منكم﴾ لمن خاف الوقوع في الزنا، وقيل: الضرر في دينه وبدنه.

﴿وأن تصبروا خير لكم﴾ أي: وصبركم عن نكاح الإماء متعفّفين خير لكم،

---

١. ن: وأقاربكم متناسبون نسبتكم.

٢. النور (٢٤)، الآية ٢.

قال عليه السلام: الحرائر صلاح البيت والإماء هلاكه.

﴿والله غفور﴾ لمن لم يصبر.

﴿رحيم﴾ بأن رخّص له.[١]

[٢٦] ﴿يريد الله ليبيّن لكم﴾ أحكام دينكم وما خفي عليكم من مصالحكم.

﴿ويهديكم سنن الذين من قبلكم﴾ منهاج من تقدّمكم من أهل الرشد لتسلكوا طريقهم.

﴿ويتوب عليكم﴾ ويغفر لكم ذنوبكم، أو يرشدكم إلى ما يمنعكم من المعاصي، ويحثّكم على التوبة.

﴿والله عليم﴾ بها.

﴿حكيم﴾ في وضعها.

[٢٧] ﴿والله يريد أن يتوب عليكم﴾ إن تبتم، كرّره للتأكيد والمبالغة.

﴿ويريد الذين يتّبعون الشهوات﴾ يعني الفجرة الزناة، وقيل: المجوس، وقيل: اليهود، فإنّهم يحلّون الأخوات من الأب وبنات الأخ والأُخت.

﴿أن تميلوا﴾ عن الحقّ.

﴿ميلاً عظيماً﴾ بموافقتهم على اتّباع الشهوات واستحلال المحرّمات.

[٢٨] ﴿يريد الله أن يخفّف عنكم﴾ فلذلك شرع لكم الشريعة الحنيفية السمحة السهلة، ورخّص لكم في المضايق كإحلال نكاح الأمة.

﴿وخلق الإنسان ضعيفاً﴾ لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمّل مشاقّ الطاعات.

[٢٩] ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ بما لم يبحه الشرع كالغصب والربا والقمار.

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٣٣٨، ومجمع البيان ٣ / ٦٧.

﴿إلّا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ غير منهي عنه، على وجه مكارم الأخلاق، يرضى كلّ واحد منكم.

﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ بإلقاء النفس إلى التهلكة، لما روي أنّ عمرو بن العاص تأوّله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي ﷺ، أو بارتكاب ما يؤدّي إلى قتلها.

﴿إنّ الله كان بكم رحيماً﴾ أي: أمر ما أمر ونهى عمّا نهى لفرط رحمته عليكم، [قيل:] معناه إنّه كان بكم يا أُمّة محمّد رحيماً لمّا أمر بني إسرائيل بقتل الأنفس ونهاكم عنه.(١)

[٣٠] ﴿ومن يفعل ذلك﴾ إشارة إلى القتل، أو ما سبق من المحرّمات.

﴿عدواناً وظلماً﴾ بغير حقّ، وقيل: أراد بالعدوان التعدّي على الغير، وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب.

﴿فسوف نصليه ناراً﴾ ندخله إيّاها ونحرقه بها.

﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾ لا عسر فيه ولا صارف عنه.

[٣١] ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾ كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها.

﴿نكفّر عنكم سيّئاتكم﴾ نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم، واختلف في الكبائر، والأقرب أنّ الكبيرة كلّ ذنب رتّب الشارع عليه حدّاً، أو صرّح بالوعيد فيه، وعن النبي ﷺ أنّها سبع: الإشراك بالله، وقتل النفس التي حرّم الله، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والفرار من الزحف، وعقوق الوالدين.

﴿وندخلكم مدخلاً كريماً﴾ مكاناً حسناً طيّباً، وهو الجنّة وما وعد من الثواب،

---

١. تفسير البيضاوي ٢ / ١٧٧، ومجمع البيان ٣ / ٦٨.

أو إدخالاً مع كرامة.[١]

[٣٢] ﴿ولا تتمنّوا ما فضّل الله به بعضكم على بعض﴾ من الأُمور الدنيوية كالجاه والمال، فلعلّ عدمه خير، والمقتضى للمنع كونه ذريعة إلى التحاسد والتعادي، معربة عن عدم الرضا بما قسم الله له، وأنّه تشه لحصول الشيء له من غير طلب، وهو مذموم؛ لأنّ تمنّي ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر.

﴿للرجال نصيب ممّا اكتسبوا وللنساء نصيب ممّا اكتسبن واسألوا الله من فضله﴾ أي: لكلّ من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن أجله، فاطلبوا الفضل بالعمل، لا بالحسد والتمنّي، كما قال ﷺ: ليس الإيمان بالتمنّي. وقيل: المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه.

﴿إنّ الله كان بكلّ شيء عليماً﴾ فهو يعلم ما يستحقّه كلّ إنسان، فيفضل عن علم وتبيان، روي أنّ أُمّ سلمة قالت: يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو، وإنّما لنا نصف الميراث ليتنا كنّا رجالاً، فنزلت.[٢]

[٣٣] ﴿ولكلّ جعلنا موالي ممّا ترك الوالدان والأقربون﴾ أي: ولكلّ تركة جعلنا ورّاثاً يلونها ويحرزونها[٣].

﴿والذين عقدت أيمانكم﴾ موالي الموالاة، كان الحليف يورث السدس من مال حليفه، فنسخ وصار التوارث با[لإ]يمان والهجرة، وإليه أشار بقوله ﴿الذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتّى يهاجروا﴾[٤] فنسخ بقوله: ﴿وأُولو الأرحام

١. تفسير البيضاوي ٢ / ١٧٨، ومجمع البيان ٣ / ٦٩.
٢. تفسير البيضاوي ٢ / ١٨٢، ومجمع البيان ٣ / ٧٠.
٣. ن: ويجوزونها. وأثبتناه حسب البيضاوي.
٤. الأنفال (٨)، الآية ٧٢.

بعضهم أولى ببعض﴾[1].

﴿فآتوهم نصيبهم إنّ الله كان على كلّ شيء شهيداً﴾ تهديد على منع نصيبهم.

[٣٤] ﴿الرجال قوّامون على النساء﴾ يقومون عليهنّ قيام الولاة على الرعية.

﴿بما فضّل الله بعضهم على بعض﴾ بالعلم، والعقل، وحسن الرأي، والشهادة، ووجوب الجهاد، والجمعة، وزيادة السهم في الميراث، ونحو ذلك.

﴿وبما أنفقوا من أموالهم﴾ في نكاحهنّ كالمهر والنفقة، روي أنّ سعد بن الربيع أحد نقباء الأنصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير فلطمها فانطلق بها أبوها إلى رسول الله ﷺ فشكى، فقال ﷺ: لتقتصّ منه، فنزلت، فقال: أردنا أمراً وأراد الله أمراً، والذي أراد الله خير.

﴿فالصالحات قانتات﴾ مطيعات لله قائمات بحقوق الأزواج.

﴿حافظات للغيب﴾ لمواجب الغيب، أي: يحفظن في غيبة الأزواج ما يجب حفظه في النفس والمال، وعنه ﷺ: خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرّتك، وإن أمرتها أطاعتك، وإن غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها.

﴿بما حفظ الله﴾ يحفظ الله إيّاهنّ بالأمر على حفظ الغيب والحثّ عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له، أو بالذي حفظه الله لهنّ عليهم، من المهر والنفقة والقيام بحقّهنّ والذبّ عنهنّ.

﴿واللّاتي تخافون نشوزهنّ﴾ عصيانهنّ وترفعّهنّ عن مطاوعة الأزواج، وأصل النشوز الارتفاع.

﴿فعظوهنّ﴾ باللسان وأمروهنّ بتقوى الله.

﴿واهجروهنّ في المضاجع﴾ أعرضوا عن مجامعتهنّ في المراقد.

١. الأنفال (٨)، الآية ٧٥.

﴿واضربوهنّ﴾ ضرباً غير مبرح بحيث لا يتبيّن أثره.

﴿فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهنّ سبيلاً﴾ بالتوبيخ والإيذاء.

﴿إن الله كان عليّاً كبيراً﴾ فاحذروه على علوّ شأنه.[1]

[٣٥] ﴿وإن خفتم شقاق بينهما﴾ خلافاً بين المرء وزوجه وإتيان كلّ منهما بما يشقّ على صاحبه.

﴿فابعثوا﴾ أيّها الحكّام.

﴿حكماً من أهله وحكماً من أهلها﴾ لينظر فيما بينهما ليتبيّن الأمر، وهذا على وجه الاستحباب، فلو نصبا من الأجانب جاز.

﴿إن يريدا إصلاحاً يوفّق الله بينهما﴾ الضمير الأوّل للحكمين والثاني للزوجين.

﴿إنّ الله كان عليماً خبيراً﴾ بالظواهر والبواطن، فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق.

[٣٦] ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾ صنماً أو غيره، فإنّ العبادة لا تجوز لغير الله.

﴿وبالوالدين إحساناً﴾ وأحسنوا بهما إحساناً وبرّوهما.

﴿وبذي القربى﴾ بصاحب القرابة.

﴿واليتامى والمساكين﴾ فأعطوهم ما يحتاجون إليه.

﴿والجار ذي القربى﴾ الذي له منكم قرابة مع جواره.

﴿والجار الجنب﴾ البعيد، أو الذي لا قرابة له، وعنه ﷺ الجيران ثلاثة: فجار له ثلاثة حقوق: حقّ الجوار وحقّ القرابة وحقّ الإسلام، وجار له حقّان: حقّ الجوار وحقّ الإسلام، وجار له حقّ واحد: حقّ الجوار وهو المشرك من أهل الكتاب.

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٣٤٣، ومجمع البيان ٣ / ٧٥.

﴿والصاحب بالجنب﴾ الرفيق في أمر حسن، كتعلّم وتصرّف وصناعة وسفر، فإنّه صحبك وحصل بجنبك، وقيل: المرأة.

﴿وابن السبيل﴾ المسافر المجتاز أو الضيف.

﴿وما ملكت أيمانكم﴾ العبيد والإماء.

﴿إنّ الله لا يحبّ من كان مختالاً﴾ متكبّراً، يأنف عن أقاربه وجيرانه وأصحابه ولا يلتفت إليهم.

﴿فخوراً﴾ يتفاخر عليهم بما أنعم الله عليه.[١]

[٣٧] ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾ أي: يبخلون بما منحوا به ويأمرون بالبخل به.

﴿ويكتمون ما آتاهم الله من فضله﴾ من النعم التي يجب إظهارها.

﴿وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾ كما أهانوا النعمة، [نزلت] في طائفة من اليهود كانوا يقولون للأنصار تنص[ي]حاً، لا تنفقوا من أموالكم فإنّا نخشى عليكم الفقر، وكتموا صفة محمّد ﷺ.

[٣٨] ﴿والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس﴾ وهم مشركوا مكّة، وقيل: المنافقون.

﴿ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ الذي فيه الثواب والعقاب.

﴿ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً﴾ وعيد لهم بأن يقرن بهم الشيطان في النار.

[٣٩] ﴿وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا ممّا رزقهم الله﴾ أي: وما الذي عليهم، [أ]و أيّ تبعة تحيق بهم ب[سبب] الايمان والإنفاق.

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٣٤٤، ومجمع البيان ٣ / ٨٥.

﴿وكان الله بهم عليماً﴾ فيجازيهم [إن] خيراً فخير وإن شرّاً فشرّ.

[٤٠] ﴿إنّ الله لا يظلم مثقال ذرّة﴾ لا ينقص من الأجر ولا يزيد في العقاب، أصغر شيء كالذرّة، وهي النملة الحمراء [الصغيرة التي لا تكاد ترى].

﴿وإن تك حسنة يضاعفها﴾ يضاعف ثوابها أضعافاً كثيرة.

﴿ويؤت من لدنه﴾ ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضّل زائداً على ما وعد في مقابلة العمل.

﴿أجراً عظيماً﴾ عطاء جزيلاً، وهو ثواب الجنّة.

[٤١] ﴿فكيف إذا جئنا من كلّ أُمّة بشهيد﴾ بمن يشهد عليها بتصديقها وتكذيبها، فكيف حال الأُمم إذا شهد على كلّ أُمّة نبيّها.

﴿وجئنا بك على هؤلاء﴾ من قومك وأُمّتك.

﴿شهيداً﴾ تشهد على قصدهم وعقائدهم.

[٤٢] ﴿يومئذٍ يودّ الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوّى بهم الأرض﴾ بيان لحالهم حينئذٍ، أي: يودّ الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الأمر، [أ]و الكفرة والعصاة في ذلك الوقت أن يدفنوا فتسوى بهم الأرض كالموتى، أو لم يبعثوا ولم يخلقوا وكانوا هم [و] الأرض سواء، أو صاروا تراباً كما يفعل بالبهائم.

﴿ولا يكتمون الله حديثاً﴾ ولا يقدرون [على] كتمانه؛ لأنّ جوارحهم تشهد عليهم.[١]

[٤٣] ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتّى تعلموا ما تقولون﴾ أي: لا تقوموا إليها وأنتم سكارى، من نوم أو خمر حتّى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون في صلاتكم، روي أنّ عبد الرحمن بن عوف صنع مائدة ودعا نفراً من

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٣٤٦، ومجمع البيان ٣ / ٩٠.

الصحابة حين كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا حتّى ثملوا، وجاءت صلاة المغرب فتقدّم أحدهم ليصلّي بهم فقرأ أعبد ما تعبدون فنزلت، وقيل: لا تقربوا مكان الصلاة يعني المساجد، ونسخها تحريم الخمر.

﴿ولا جنباً إلّا عابري سبيل﴾ مجتاز طريق.

﴿حتّى تغتسلوا﴾ من الجنابة.

﴿وإن كنتم مرضى﴾ مرضاً يخاف معه استعمال الماء.

﴿أو على سفر﴾ لا تجدونه فيه.

﴿أو جاء أحد منكم من الغائط﴾ من قضاء الحاجة.

﴿أو لامستم النساء﴾ كناية عن الجماع، وبه استدلّ الشافعي على أنّ اللمس ينقض الوضوء.

﴿فلم تجدوا ماء﴾ فلم تتمكّنوا من استعماله، إذ الممنوع عنه كالمفقود.

﴿فتيمّموا صعيداً طيّباً﴾ تراباً من وجه الأرض طاهراً.

﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم﴾ ضربة للوجه وضربة لليدين، وقيل: تجزي الواحدة إذا كان بدلاً عن الوضوء.

﴿إنّ الله كان عفوّاً غفوراً﴾ فلذلك يسّر الأمر عليكم ورخّص لكم، قيل نزلت آية التيمم في السنة الرابعة أو الخامسة من الهجرة.[1]

[٤٤] ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾ حظّاً يسيراً من علم التوراة، قال ابن عبّاس: هم أحبار اليهود.

﴿يشترون الضلالة﴾ يختارونها على الهدى، [أ]و يستبدلونها به بعد تمكّنهم منه بإنكار نبوّة محمّد ﷺ، وقيل: يأخذون الرشى ويحرّفون التوراة.

---

١. مجمع البيان ٣ / ٩٦، وتفسير البيضاوي ١ / ٣٤٩.

﴿ويريدون أن تضلّوا السبيل﴾ وهو طريق الحقّ ودين الإسلام.

[٤٥] ﴿والله أعلم﴾ منكم.

﴿بأعدائكم﴾ وقد أخبركم بهم، فاحذروهم وانتهوا إلى طاعتي.

﴿وكفى بالله وليّاً﴾ يلي أمركم.

﴿وكفى بالله نصيراً﴾ فتوكّلوا عليه واكتفوا به عن غيره.

[٤٦] ﴿من الذين هادوا﴾ أي: ينصركم على الذين هادوا ويحفظكم منهم.

﴿يحرّفون الكلم عن مواضعه﴾ يبدّلون معنى التوراة ويغيّرونه عن تأويله.

﴿ويقولون سمعنا﴾ قولك.

﴿وعصينا﴾ أمرك.

﴿واسمع غير مسمع﴾ أي: واسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه.

﴿وراعنا﴾ انظرنا نكلّمك أو نفهم كلامك.

﴿ليّاً بألسنتهم﴾ فتلاً بها وصرفاً للكلام.

﴿وطعناً في الدين﴾ استهزاء به وسخرية.

﴿ولو أنّهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم﴾ أعدل[١] وأصوب عاجلاً وآجلاً.

﴿ولكنّ لعنهم الله بكفرهم﴾ ولكن خذلهم وأبعدهم عن الهدى بسبب كفرهم.

﴿فلا يؤمنون إلّا قليلاً﴾ أي: إيماناً قليلاً لا يعبأ به وهو الإيمان ببعض الآيات والرسل.[٢]

[٤٧] ﴿يا أيّها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزّلنا﴾ على محمّد من القرآن.

---

١. ن: أعدد.

٢. مجمع البيان ٣ / ١٠٠، وتفسير البيضاوي ١ / ٣٥٠.

﴿مصدقاً لما معكم﴾ من التوراة والإنجيل.

﴿من قبل أن نطمس وجوهاً فنردّها على أدبارها﴾ من قبل أن نمحو [تخطيط] صورها ونجعلها على هيئة أدبارهم يعني الأقفاء، وقيل: لا بدّ أن يطمس الله وجوهاً لليهود قبل قيام الساعة بأن يمسخها.

﴿أو نلعنهم كما لعنّا أصحاب السبت﴾ أو نخزيهم بالمسخ كما [أ]خزينا به أصحاب السبت.

﴿وكان أمر الله مفعولاً﴾ نافذاً وكافياً فيقع لا محالة ما أُوعدتم به إن لم تؤمنوا.

[٤٨] ﴿إنّ الله لا يغفر أن يشرك به﴾ لأنّه بتّ الحكم على خلود عذابه، ولأنّ ذنبه لا ينمحي عنه أثره فلا يستعد للعفو، بخلاف غيره.

﴿ويغفر ما دون ذلك﴾ أي ما دون الشرك صغيراً كان أو كبيراً.

﴿لمن يشاء﴾ تفضّلاً عليه وإحساناً.

﴿ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً﴾ ارتكب ما يستحقر دونه الآثام.

[٤٩] ﴿ألم تر إلى الذين يزكّون أنفسهم﴾ يعني أهل الكتاب، قالوا: نحن أبناء الله وأحبّاؤه.

﴿بل الله يزكّي من يشاء﴾ وأصل التزكية نفي ما يستقبح فعلاً أو قولاً.

﴿ولا يظلمون﴾ بالذمّ أو العقاب على تزكيتهم أنفسهم بغير حقّ.

﴿فتيلاً﴾ أدنى ظلم وأصغره، وهو الخيط الذي في شقّ النواة، يضرب به المثل في الحقارة.

[٥٠] ﴿انظر كيف يفترون على الله الكذب﴾ في زعمهم أنّهم أبناء الله وأزكياء عنده.

﴿وكفى به﴾ بزعمهم هذا.

﴿إثماً مبيناً﴾ ذنباً بيّناً.(١)

[٥١] ﴿ألم تر إلى الذين أُوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ نزلت في يهود، كانوا يقولون إنّ عبادة الأصنام أرضى عند الله ممّا يدعو[هم] إليه محمّد، منهم حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف في جمع من اليهود، خرجوا إلى مكّة يحالفون قريشاً على محاربة رسول الله ﷺ، فقالوا: أنتم أهل الكتاب، وأنتم أقرب إلى محمّد منكم إلينا، فلا نأمن مكركم، فاسجدوا لآلهتنا حتّى نطمئنّ إليكم ففعلوا، والجبت في الأصل اسم صنم فاستعمل في كلّ ما عبد من دون الله، والطاغوت يطلق لكلّ باطل معبود وغيره.

﴿ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً﴾ أقوم ديناً وأرشد طريقاً.

[٥٢] ﴿أُولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً﴾ يمنع العذاب عنه بشفاعة أو غيرها.

[٥٣] ﴿أم لهم نصيب من الملك﴾ إنكار وجحد لما زعمت اليهود من أنّ الملك [س]يصير إليهم.

﴿فإذاً لا يؤتون الناس نقيراً﴾ أي: لو كان لهم نصيب من الملك فإذن لا يؤتون أحداً ما يواري نقيراً، وهو الحبّة التي تكون في وسط النواة.

[٥٤] ﴿أم يحسدون الناس﴾ بل [أ]يحسدون رسول الله وأصحابه، أو العرب، [أو الناس جميعاً]؛ لأنّ من حسد على النبوّة فكأنّما حسد الناس كلّهم.

﴿على ما آتاهم الله من فضله﴾ يعني النبوّة والكتاب والنصر[ة] والإعزاز وجعل النبي الموعود منهم.

---

١. مجمع البيان ٣ / ١٠٥، وتفسير البيضاوي ١ / ٣٥٢.

﴿فقد آتينا آل إبراهيم﴾ الذين هم أسلاف محمّد وأبناء عمّه.

﴿الكتاب والحكمة﴾ الكتب المنزلة النبوّة.

﴿وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾ وهو ملك سليمان، فلا يبعد أن يؤتيه الله مثل ما آتاهم.[١]

[٥٥] ﴿فمنهم﴾ فمن اليهود.

﴿من آمن به﴾ بمحمّد، [أ]و بما ذكر من حديث آل إبراهيم.

﴿ومنهم من صدّ عنه﴾ أعرض عنه ولم يؤمن به، وقيل معناه: فمن آل إبراهيم من آمن به، ومنهم من كفر، ولم يكن في ذلك توهين أمره، فكذا لا يوهن كفر هؤلاء أمرك.

﴿وكفى بجهنّم سعيراً﴾ ناراً مسعورة يعذّبون بها، إن لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما أعدّ لهم من سعير جهنّم.

[٥٦] ﴿إنّ الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً﴾ نحرقهم بها في الآخرة.

﴿كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها﴾ بأن يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة أُخرى.

﴿ليذوقوا العذاب﴾ دائماً.

﴿إنّ الله كان عزيزاً﴾ لا يمتنع عليه ما يريده.

﴿حكيماً﴾ يعاقب على وفق حكمته.

[٥٧] ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهّرة﴾ من الحيض والنفاس.

---

١. مجمع البيان ٣ / ١٠٩، وتفسير البيضاوي ١ / ٣٥٣.

﴿وندخلهم ظلّاً ظليلاً﴾ فياً دائماً لا تنسخه الشمس.[١]

[٥٨] ﴿إنّ الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها﴾ خطاب يعمّ المكلّفين والأمانات، وإن نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار لمّا أغلق باب الكعبة وأبى أن يدفع المفتاح ليدخل فيها رسول الله، وقال: لو علمت أنّه رسول الله لم أمنعه، فلوى عليّ يده وأخذه منه وفتح، فدخل رسول الله وصلّى ركعتين[٢]، فلمّا خرج سأله العبّاس أن يعطيه المفتاح، ويجمع [له] السقاية والسدانة، [فنزلت] فأمره الله أن يردّ المفتاح إليه، فأمر عليّاً بأن يردّه إلى عثمان [و]يعتذر إليه، وصار ذلك سبباً لإسلامه، وذلك أنّه قال: لعلي أكرهت وآذيت ثمّ جئت ترفق، فقال: قد أنزل الله في شأنك قرآناً، وقرأ عليه الآية، فقال عثمان: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله، ونزل الوحي بأنّ السدانة في أولاده أبداً.

﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ أي: وأن تحكموا بالإنصاف والسوية إذا قضيتم بين من ينفذ عليه أمركم أو يرضى بحكمكم، ولأنّ الحكم وظيفة الولاة. وقيل: الخطاب لهم.

﴿إنّ الله نعمّا يعظكم به﴾ وهو المأمور به من أداء الأمانات والعدل في الحكومات.

﴿إنّ الله كان سميعاً بصيراً﴾ بأقوالكم وأحكامكم وما تفعلون في الأمانات.[٣]

[٥٩] ﴿يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم﴾ يريد بهم أُمراء الحقّ؛ لأنّ الله ورسوله بريئان من أُمراء الجور، عن أبي هريرة وابن عبّاس.

---

١. مجمع البيان ٣ / ١١٢، وتفسير البيضاوي ١ / ٣٥٤.

٢. ن: ثمان ركعتان.

٣. تفسير البيضاوي ١ / ٣٥٥، ومجمع البيان ٣ / ١١٣، وأسباب الواحدي ١٠٥.

وقال البيضاوي: يريد به أُمراء المسلمين في عهد الرسول وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وأُمراء السرية أمر الناس بطاعتهم بعد ما أمرهم بالعدل، تنبيهاً على أنّ وجوب طاعتهم ما داموا على الحقّ، وقيل: علماء الشرع لقوله تعالى: ﴿ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أُولي الأمر منهم لعلمه الذى؛ يستنبطونه منهم﴾[1].

﴿فإن تنازعتم﴾ أنتم وأُولوا الأمر منكم.

﴿في شيء﴾ من أُمور الدين، وهو يؤيّد الوجه الأوّل، إذ ليس للمقلّد أن ينازع المجتهد في حكمه، بخلاف المرؤس، إلّا أن يقال الخطاب لأُولي الأمر على طريقة الالتفات.

﴿فردّوه﴾ فراجعوه فيه.

﴿إلى الله﴾ إلى كتابه.

﴿والرسول﴾ بالسؤال عنه في زمانه، والمراجعة إلى سنته بعده، وعن الباقر والصادق عليهما السلام أنّ أُولى الأمر الأئمّة من آل محمّد، أوجب طاعتهم كما أوجب طاعته وطاعة رسوله، إذ لا يجوز أن يوجب الله سبحانه طاعة أحد إلّا من ثبتت عصمته وأمن منه الغلط، واستدلّ به منكروا القياس وقالوا: إنّه تعالى أوجب ردّ المختلف إلى الكتاب والسنّة دون القياس، وأُجيب بأنّ ردّ المختلف إلى المنصوص عليه إنّما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس، قال [البيضاوي]: يؤيّد ذلك الأمر به بعد الأمر بطاعة الله وطاعة الرسول، فإنّه يدلّ على أنّ الأحكام ثلاثة: [مثبت بالكتاب و]مثبت بالسنّة ومثبت بالردّ إليهما على وجه القياس.

﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ فإنّ الإيمان يوجب ذلك.

﴿ذلك﴾ أي: الردّ.

---

١. مجمع البيان ٣: ١١٤.

﴿خير﴾ لكم في الدنيا.

﴿وأحسن تأويلاً﴾ عاقبة في الآخرة.[١]

[٦٠] ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنّهم آمنوا بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت﴾ عن ابن عبّاس أنّ منافقاً خاصم يهودياً، فدعاه اليهودي إلى النبي ﷺ ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف ثمّ إنّهما احتكما إلى رسول الله فحكم لليهودي، فلم يرض المنافق وقال: نتحاكم إلى عمر، فقال اليهودي لعمر: قضى لي رسول الله فلم يرض بقضائه وخاصم إليك، فقال عمر للمنافق: أكذلك؟ فقال: نعم، قال: مكانكما حتّى أخرج إليكما، فدخل فأخذ بسيفه ثمّ خرج يضرب به عنق المنافق حتّى برد، وقال هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت.

﴿وقد أُمروا أن يكفروا به﴾ لقوله تعالى: ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾[٢].

﴿ويريد الشيطان أن يضلّهم ضلالاً بعيداً﴾ عن الحقّ.

[٦١] ﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدّون عنك صدوداً﴾ يعرضون ويأبون المصير إليك لتحكم بينهم.

[٦٢] ﴿فكيف﴾ يكون حالهم.

﴿إذا أصابتهم مصيبة﴾ إذا نزلت بهم نقمة من الله.

﴿بما قدّمت أيديهم﴾ من التحاكم إلى غيرك وعدم الرضى بحكمك.

﴿ثمّ جاءوك﴾ حين يصابون للاعتذار.

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٣٥٥، ومجمع البيان ٣ / ١١٤.

٢. البقرة (٢)، ٢٥٦.

﴿يحلفون بالله إن أردنا إلّا إحساناً﴾ لنخفف عنك بالتحاكم إلى غيرك.

﴿وتوفيقاً﴾ طلباً لما يوافق الحقّ.

[٦٣] ﴿أُولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم﴾ من النفاق، فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب.

﴿فأعرض عنهم﴾ أي: عن قبول معذرتهم.

﴿وعظهم﴾ بلسانك وكفّهم عمّا هم عليه.

﴿وقل لهم في أنفسهم﴾ خالياً بهم فإنّ النصح في السرّ أنجع.

﴿قولاً بليغاً﴾ يبلغ المراد منهم ويؤثّر فيهم.(١)

[٦٤] ﴿وما أرسلنا من رسول إلّا ليطاع بإذن الله﴾ بسبب إذنه في طاعته، وأمره المبعوث إليهم بأن يطيعوه.

﴿ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم﴾ بالنفاق أو التحاكم إلى الطاغوت.

﴿جاءوك﴾ تائبين عن ذلك.

﴿فاستغفروا الله﴾ بالتوبة والإخلاص.

﴿واستغفر لهم الرسول﴾ واعتذر لهم الرسول، واعتذروا إليك حتّى انتصبت لهم شفيعاً.

﴿لوجدوا الله توّاباً رحيماً﴾ لعلموه قابلاً لتوبتهم، متفضّلاً عليهم بالرحمة.

[٦٥] ﴿فلا وربّك﴾ أي: فوربّك.

﴿لا يؤمنون حتّى يحكّموك فيما شجر بينهم﴾ فيما تشاجروا فيه.

﴿ثمّ لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضيت﴾ ضيقاً ممّا حكمت.

﴿ويسلّموا تسليماً﴾ وينقادوا لك انقياداً بظاهرهم وباطنهم.

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٣٥٨.

[٦٦] ﴿ولو أنّا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم﴾ تعرّضوا بها للقتل بالجهاد، أو اقتلوها كما قتلوها بنو إسرائيل.

﴿أو اخرجوا من دياركم﴾ كخروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل.

﴿ما فعلوه إلّا قليل منهم﴾ وهم المخلصون.

﴿ولو أنّهم فعلوا ما يوعظون به﴾ من متابعة الرسول ومطاوعته طوعاً ورغبة.

﴿لكان خيراً لهم﴾ في عاجلهم وآجلهم.

﴿وأشدّ تثبيتاً﴾ في دينهم؛ لأنّه أشدّ لتحصيل العلم ونفي الشك، أو تثبيتاً لثواب أعمالهم.

[٦٧] ﴿وإذاً لآتيناهم من لدنّا أجراً عظيماً﴾ لا يقدر عليه غيره.

[٦٨] ﴿ولهديناهم صراطاً مستقيماً﴾ يصلون بسلوكه جناب القدس وتفتح عليهم أبواب الغيب، قال عليه السلام: من عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم[١].

[٦٩] ﴿ومن يطع الله والرسول فأُولئك مع الذين أنعم الله عليهم﴾ مزيد ترغيب في الطاعة، بالوعد عليها مرافقة أكرم الخلائق وأعظمهم قدراً.

﴿من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين﴾ قسّمهم أربعة أقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل، وحثّ كافّة الناس أن لا يتأخّروا عنهم.

﴿وحسن أُولئك رفيقاً﴾ روي أنّ ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله كان شديد الحبّ لرسول الله، قليل الصبر عنه، أتاه يوماً وقد تغيّر وجهه ونحل جسمه، فسأله عن حاله، فقال: ما بي من وجع غير أنّي إذا لم أراك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتّى ألقاك، ثمّ ذكرت الآخرة، فخفت أن لا أراك هناك، لأنّي عرفت أنّك ترفع مع النبيين وإن دخلت الجنّة كنت في منزلة دون منزلك وإن لم أدخل فذلك

١. تفسير البيضاوي ١: ٣٥٩، ومجمع البيان ٣ / ١٢٥.

حين لا أراك أبداً فنزلت.

[٧٠] ﴿ذلك الفضل من الله﴾ تفضّل به على من أطاعه.

﴿وكفى بالله عليماً﴾ بجزاء[١] من أطاعه، أو بمقادير الفضل واستحقاق أهله.[٢]

[٧١] ﴿يا أيّها الذين آمنوا خذوا حذركم﴾ تيقّظوا واستعدّوا للأعداء.

﴿فانفروا﴾ إلى الجهاد.

﴿ثبات﴾ جماعات متفرّقة، جمع ثبة.

﴿أو انفروا جميعاً﴾ مجتمعين كوكبة واحدة.

[٧٢] ﴿وإن منكم لمن ليبطئن﴾ عن الجهاد.

﴿فإن أصابتكم مصيبة﴾ كقتل[٣] أو هزيمة.

﴿قال﴾ أي: المبطئ.

﴿قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيداً﴾ حاضراً فيصيبني ما أصابهم.

[٧٣] ﴿ولئن أصابكم فضل من الله﴾ كفتح وغنيمة.

﴿ليقولنّ كأن لم تكن بينكم وبينه مودّة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً﴾ بأخذ حظّ وافر من الغنيمة.

[٧٤] ﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة﴾ أي: الذين يبتغونها[٤] بها.

﴿ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾ وعد له

---

١. ن: بخير.
٢. مجمع البيان ٣ / ١٢٦، وتفسير البيضاوي ١ / ٣٦١.
٣. ن: لقتل.
٤. في البيضاوي: يبيعونها.

الأجر العظيم، غَلب أو غُلب، ترغيباً في القتال، وتكذيباً لقولهم ﴿قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيداً﴾[١].

[٧٥] ﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان﴾ وهم المسلمون الذين بقوا بمكّة بصدّ المشركين لهم عن الهجرة.

﴿الذين يقولون ربّنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنّك وليّاً واجعل لنا من لدنّك نصيراً﴾ فاستجاب [الله] دعاءهم، بأن يسّر لبعضهم الخروج إلى المدينة، وجعل لمن بقى منهم خير ولي وناصر، ففتح مكّة على نبيّه، فتولّاهم ونصرهم حتّى صاروا أعزاء أهل مكّة.[٢]

[٧٦] ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله﴾ في طاعته وإعلاء كلمته.

﴿والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت﴾ فيما يبلغ بهم إلى الشيطان.

﴿فقاتلوا أولياء الشيطان﴾ يعنى جميع الكفّار ثمّ شجّعهم بقوله.

﴿إنّ كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾ بالنسبة إلى كيد الله.

[٧٧] ﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم كفّوا أيديكم﴾ عن القتال وهم بمكّة.

﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ واشتغلوا بما أُمرتم به.

﴿فلمّا كتب عليهم القتال﴾ وهم بالمدينة.

﴿إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله﴾ يخافون القتل من الناس كما يخافون الموت من الله.

﴿أو أشدّ خشية﴾ من خشية الله.

﴿وقالوا ربّنا لم كتبت علينا القتال لولا أخّرتنا إلى أجل قريب﴾ إلى أن

---

١. النساء (٤)، الآية ٧٢.

٢. مجمع البيان: ٣ / ١٣١؛ تفسير البيضاوي ١ / ٣٦٢.

نموت بآجالنا.

﴿قل متاع الدنيا قليل﴾ سريع التقضّي.

﴿والآخرة خير لمن اتّقى ولا تظلمون فتيلا﴾ ولا تنقصون أدنى شيء من ثوابكم، كالخيط[1] الذي في شقّ النواة، فلا ترغبوا عنه.

[٧٨] ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيّدة﴾ في قصور أو حصون مرتفعة.

﴿وإن تصبهم حسنة﴾ غنيمة وظفر أو خصب ومطر.

﴿يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيّئة﴾ هزيمة وشدّة.

﴿يقولوا هذه من عندك﴾ يا محمّد بسوء تدبيرك، كما قالت اليهود: منذ دخل محمّد المدينة أُنقصت ثمارها وغلت أسعارها.

﴿قل كلّ من عند الله﴾ يبسط ويقبض حسب إرادته.

﴿فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً﴾ كالبهائم، لا يفهمون القرآن ولا يتدبّرون معانيه فيعلموا أنّ الأُمور كلّها بيد الله.[2]

[٧٩] ﴿ما أصابك﴾ يا إنسان.

﴿من حسنة﴾ من نعمة.

﴿فمن الله﴾ تفضّلاً منه، قال ﷺ: لا يدخل الجنّة أحد إلّا برحمة الله، قيل: ولا أنت؟ قال: ولا أنا إلّا أن يتغمّدني الله برحمته.

﴿وما أصابك من سيّئة فمن نفسك﴾؛ لأنّها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي

---

١. ن: كاكحنا.

٢. تفسير البيضاوي ١ / ٣٦٤، ومجمع البيان ٣ / ١٣٧.

وهو لا ينافي قوله ﴿قل كلّ من عند الله﴾[١] غير أنّ الحسنة إحسان وامتنان[٢]، والسيّئة مجازاة وانتقام، قال عليه السلام: لا يصيب المؤمن خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلّا بذنب وما يغفر الله أكثر.

﴿وأرسلناك للناس رسولاً﴾ فلا ينبغي لأحد أن يخرج عن طاعتك.

﴿وكفى بالله شهيداً﴾ لك وعليك.

[٨٠] ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾؛ لأنّه في الحقيقة مبلّغ، والآمر هو الله تعالى، روي أنّه عليه السلام قال: من أحبّني فقد أحبّ الله، ومن أطاعني فقد أطاع الله، فقال المنافقون: لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه، ما يريد إلّا أن نتّخذه ربّاً كما اتّخذت النصارى عيسى [ربّاً]، فنزلت.

﴿ومن تولّى﴾ عن طاعته.

﴿فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾ تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها، إنّما عليك البلاغ وعلينا الحساب.[٣]

[٨١] ﴿ويقولون﴾ إذا أمرتهم بأمر.

﴿طاعة﴾ أي: لك طاعة فيما تأمرنا به.

﴿فإذا برزوا من عندك بيّت طائفة منهم غير الذي تقول﴾ بأن أضمروا في الليل الخلاف عليك فيما أمرتهم به ونهيتهم عنه.

﴿والله يكتب ما يبيّتون﴾ يثبت في صحائفهم للمجازاة.

﴿فأعرض عنهم﴾ إلى أن يستقرّ أمر الإسلام.

---

١. النساء (٤)، الآية ٧٨.

٢. ن: وامتحان.

٣. مجمع البيان ٣ / ١٣٨، وتفسير البيضاوي ١ / ٣٦٥.

﴿وتوكّل على الله﴾ في الأُمور كلّها سيّما في شأنهم.

﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ يكفيك معرّتهم وينتقم لك منهم.

[٨٢] ﴿أفلا يتدبّرون القرآن﴾ فيعرفوا أنّه ليس من كلام أحد من الخلق.

﴿ولو كان من عند غير الله﴾ ولو كان كلام البشر كما زعم الكفّار.

﴿لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ من تناقض المعنى وتفاوت النظم.

[٨٣] ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف﴾ ممّا يوجب الأمن أو الخوف.

﴿أذاعوا به﴾ أفشوه وتكلّموا به لعدم حزمهم.

﴿ولو ردّوه﴾ يعني ذلك الخبر الذي بلغهم.

﴿إلى الرسول وإلى أُولي الأمر منهم﴾ إلى رأيه ورأي كبار الصحابة البصراء بالأُمور أو الأُمراء.

﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ يستخرجون تدبيره بتجاربهم وأنظارهم، قيل: كانوا يسمعون أراجيف المنافقين فيذيعونها فتعود وبالاً على المسلمين.

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

﴿لاتّبعتم الشيطان﴾ بالكفر والضلال.

﴿إلّا قليلاً﴾ منكم، تفضّل الله عليه بعقل راجح اهتدى به إلى الحقّ والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان.[١]

[٨٤] ﴿فقاتل في سبيل الله﴾ إن يثبّطوك أو تركوك وحدك.

﴿لا تكلّف إلّا نفسك﴾ فتقدّم إلى الجهاد وإن لم يساعدك أحد فإنّ الله ناصرك لا الجنود، روي أنّه ﷺ دعا الناس في بدر الصغرى إلى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت، فخرج وما معه إلّا سبعون لم يلو على أحد.

---

١. مجمع البيان ٣ / ١٤٢، وتفسير البيضاوي ١ / ٣٦٦.

﴿وحرّض المؤمنين﴾ حثهم على القتال.

﴿عسى الله أن يكفّ بأس الذين كفروا﴾ يعني قريشاً، وقد فعل بأن ألقى في قلوبهم الرعب حتّى رجعوا.

﴿والله أشدّ بأساً﴾ من قريش.

﴿وأشدّ تنكيلاً﴾ تعذيباً منهم، وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه.

[٨٥] ﴿من يشفع شفاعة حسنة﴾ راعى بها حقّ مسلم ودفع بها عنه ضرراً أو جلب إليه نفعاً ابتغاءً لوجهه.

﴿يكن له نصيب منها﴾ وهو ثواب الشفاعة.

﴿ومن يشفع شفاعة سيّئة﴾ يريد بها محرماً.

﴿يكن له كفل منها﴾ نصيب من وزرها مساوٍ لها في القدر.

﴿وكان الله على كلّ شيء مقيتاً﴾ مقتدراً، واشتقاقه من القوت، فإنّه يقوي البدن ويحفظه.

[٨٦] ﴿وإذا حييتم بتحيّة فحيّوا بأحسن منها أو ردّوها﴾ الجمهور على أنّه في السلام، وهو أن يقول الرجل: السلام عليكم، فيردّ عليه ذلك، ويزيد ورحمة الله وبركاته.

﴿إنّ الله كان على كلّ شيء حسيباً﴾ [يحاسبكم على التحية] وغيرها.

[٨٧] ﴿الله لا إله إلّا هو﴾ لا معبود سواه.

﴿ليجمعنّكم إلى يوم القيامة﴾ في موقف الحساب.

﴿لا ريب فيه﴾ لا شكّ في ذلك اليوم.

﴿ومن أصدق من الله حديثاً﴾ إنكار أن يكون أحد أكثر صدقاً منه، فإنّ الكذب

في الخبر نقص، وهو على الله محال.[١]

[٨٨] ﴿فما لكم في المنافقين﴾ فما لكم تفرقتم في أمرهم.

﴿فئتين﴾ أي: فرقتين، فرقة ترى قتل المنافقين، وفرقة ترى العفو عنهم.

﴿والله أركسهم بما كسبوا﴾ ردّهم إلى حكم الكفرة، قيل: نزلت في قوم قدموا المدينة ورجعوا إلى مكّة وأشركوا، وقيل: في المتخلفين يوم أُحد.

﴿أتريدون أن تهدوا من أضلّ الله﴾ أن تجعلوا من حكم الله بضلاله من المهتدين.

﴿ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً﴾ طريقاً إلى الهدى.

[٨٩] ﴿ودّوا لو تكفرون كما كفروا﴾ تمنّوا أن تكفروا ككفرهم.

﴿فتكونون سواء﴾ في الضلال معهم.

﴿فلا تتّخذوا منهم أولياء حتّى يهاجروا في سبيل الله﴾ فلا توالوهم حتّى يؤمنوا، أو يحققوا إيمانهم بهجرة لله ولرسوله. وسبيل الله ما أمر بسلوكه.

﴿فإن تولّوا﴾ عن الإيمان الظاهر بالهجرة، أو عن إظهار الإيمان.

﴿فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم﴾ كسائر الكفرة.

﴿ولا تتّخذوا منهم وليّاً ولا نصيراً﴾ أي: جانبوهم رأساً، ولا تقبلوا منهم ولاية ونصرة.[٢]

[٩٠] ﴿إلّا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم، [أي] إلّا الذين يتصلون وينتهون إلى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم، والقوم هم خزاعة، وقيل: بنو بكر بن زيد مناة.

---

١. مجمع البيان ٣ / ١٥٠، وتفسير البيضاوي ١ / ٣٦٨.

٢. تفسير البيضاوي ١ / ٣٦٩، ومجمع البيان ٣ / ١٥٤.

﴿أو جاءوكم حصرت صدورهم﴾ ضاقت وكرهوا قتالكم.

﴿أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم﴾ فلا تتعرّضوا لهؤلاء.

﴿ولو شاء الله لسلّطهم عليكم﴾ بأن قوّى قلوبهم وبسط صدورهم وأزال الرعب عنهم.

﴿فلقاتلوكم﴾ ولم يكفّوا عنكم.

﴿فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم﴾ فإن لم يتعرّضوا لكم.

﴿وألقوا إليكم السلم﴾ الاستسلام والانقياد.

﴿فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً﴾ فما أذن لكم في أخذهم وقتلهم.

[٩١] ﴿ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم﴾ هم أسد وغطفان، وقيل: بنو عبد الدار، أتوا المدينة وأظهروا الإسلام ليأمنوا المسلمين، فلمّا رجعوا كفروا.

﴿كلّ ما ردّوا إلى الفتنة﴾ دعوا إلى الشرك، أو إلى قتال المسلمين.

﴿أُركسوا فيها﴾ عادوا إليها.

﴿فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم﴾ وينبذوا إليكم العهد.

﴿ويكفّوا أيديهم﴾ عن قتالكم.

﴿فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾ حيث تمكّنتم منهم، فإنّ مجرّد الكفّ لا يوجب نفي التعرّض.[١]

﴿وأُولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً﴾ حجّة واضحة في التعرّض لهم بالقتل والسبي، لظهور عداوتهم، ووضوح كفرهم وغدرهم.[٢]

---

١. ن: المتعرض.

٢. تفسير البيضاوي ١ / ٣٧٠، ومجمع البيان ٣ / ١٥٦.

[٩٢] ﴿وما كان لمؤمن﴾ وما صحّ له أو ليس من شأنه.

﴿أن يقتل مؤمناً﴾ بغير حقّ.

﴿إلّا خطأً﴾ على غير عمد، والخطأ ما لا يصاحبه القصد إلى الفعل، نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخي أبي جهل من الأُمّ لقي حارث بن زيد في طريق، وكان قد أسلم ولم يشعر به عياش فقتله.

﴿ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة﴾ محكوماً بإسلامها وإن كانت صغيرة، وقيل: التي آمنت وصلّت.

﴿ودية مسلّمة إلى أهله﴾ مؤدّاة إلى ورثته، يقسمونها كسائر المواريث.

﴿إلّا أن يصّدّقوا﴾ يتصدّقوا عليه بالدية.

﴿فإن كان من قوم عدوّ لكم وهو مؤمن﴾ ولم يعلم إيمانه فعلى قاتله الكفّارة وهي:

﴿فتحرير رقبة مؤمنة﴾ قيمتها دون الدية لأهله، إذ لا وراثة بينه وبينهم، ولأنّهم محاربون.

﴿وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ عهداً وذمّة من غير المسلمين.

﴿فدية مسلّمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة﴾ فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفّارة والدية.

﴿فمن لم يجد﴾ رقبة بأن لم يملكها ولا ما يتوصّل به إليها.

﴿فصيام شهرين متتابعين﴾ فالواجب عليه صيام شهرين.

﴿توبة من الله﴾ عليه إذا قبل توبته.

﴿وكان الله عليماً﴾ بحاله.

﴿حكيماً﴾ فيما أمر به.[١]

[٩٣] ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمّداً﴾ مستحلّاً قتله.

﴿فجزاؤه جهنّم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذاباً عظيماً﴾ والجمهور على أنّه مخصوص بمن لم يتب لقوله: ﴿وإنّي لغفّار لمن تاب﴾[٢] نزلت في [م]قيس بن صبابة[٣] وجد أخاه هشاماً قتيلاً في بني النجّار، ولم يظهر قاتله، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يدفعوا إليه ديته فدفعوا إليه، ثمّ حمل على مسلم فقتله ورجع إلى مكّة مرتدّاً.

[٩٤] ﴿يا أيّها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله﴾ سافرتم للغزو والجهاد.

﴿فتبيّنوا﴾ فتميّزوا [و]فرّقوا بين الكافر والمؤمن.

﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام﴾ لمن حيّاكم بتحيّة الإسلام.

﴿لست مؤمناً﴾ وإنّما فعلت ذلك متعوّذاً.

﴿تبتغون عرض الحياة الدنيا﴾ تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاد.

﴿فعند الله مغانم كثيرة﴾ تغنيكم عن قتل أمثالهم لماله.

﴿كذلك كنتم من قبل﴾ أي: أوّل ما دخلتم في الإسلام تفوّهتم بكلمتي الشهادة، فحصنتم بها دماءكم وأموالكم، من غير أن تعلم مواطأة قلوبكم ألسنتكم.

﴿فمنّ الله عليكم﴾ بالاشتهار بالإيمان والاستقامة في الدين.

﴿فتبيّنوا﴾ وافعلوا بالداخلين في الإسلام كما فعل الله بكم، فإنّ إبقاء ألف كافر أهون عند الله من قتل امرئ مسلم.

---

١. مجمع البيان ٣ / ١٥٩، وتفسير البيضاوي ١ / ٣٧٢.

٢. طه (٢٠)، الآية ٨٢.

٣. اختلف في ضبطه بينه وبين ضبابة وحبابة.

﴿إنّ الله كان بما تعملون خبيراً﴾ فلا تتهافتوا في القتل، روي أنّ سرية لرسول الله غزت أهل فدك، فهربوا وبقى مرداس ثقة بإسلامه، فلما رأى الخيل ألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد، فلمّا تلاحقوا وكبّروا كبّر ونزل وقال: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله السلام عليكم فقتله أُسامة واستاق غنمه فنزلت[1].

[٩٥] ﴿لا يستوي القاعدون﴾ عن الحرب.

﴿من المؤمنين غير أُولي الضرر﴾ عن زيد بن ثابت أنّها نزلت ولم يكن فيها غير أُولي الضرر، فقال ابن أُمّ مكتوم: فكيف وأنا أعمى، فغشى رسول الله ﷺ في مجلسه الوحي فوقعت فخذه على فخذي حتّى خشيت أنّه يرضّها، ثمّ سري عنه فقال: اكتب ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أُولي الضرر﴾.

﴿والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم﴾ أي: لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علّة.

﴿فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة﴾ أي: بدرجة الإسلام درجة، والهجرة درجة، والجهاد درجة.

﴿وكلّاً﴾ من القاعدين والمجاهدين.

﴿وعد الله الحسنى﴾ المثوبة الحسنى، وهي الجنّة لحسن عقيدتهم وخلوص نيّتهم، وإنّما التفاوت في الأماكن لأجل زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب.

﴿وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً﴾ زيادة لهم.

[٩٦] ﴿درجات منه﴾ منازل بعضها أعلى من بعض.

﴿ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً﴾ لِما عسى [أن] يفرط منهم.

---

١. مجمع البيان ٣: ١٦٣، وتفسير البيضاوي ١ / ٣٧٣.

﴿رحيماً﴾ بما وعد لهم.[١]

[٩٧] ﴿إنّ الذين توفّاهم الملائكة﴾ يحتمل الماضي والمضارع، وقرئ توفتهم وتوفّاهم.

﴿ظالمي أنفسهم﴾ بترك الهجرة وموافقة الكفرة، نزلت في ناس من مكّة أسلموا ولم يهاجروا.

﴿قالوا﴾ أي: الملائكة.

﴿فيم كنتم﴾ في أيّ شيء كنتم من أمر دينكم.

﴿قالوا كنّا مستضعفين في الأرض﴾ اعتذروا ممّا وبّخوا به بضعفهم، وعجزهم عن الهجرة، وعن إظهار الدين وإعلاء كلمته.

﴿قالوا﴾ أي: الملائكة تكذيباً لهم.

﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ إلى قطر آخر، كما فعل المهاجرون إلى المدينة والحبشة.

﴿فأُولئك مأواهم جهنّم﴾ لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفّار.

﴿وساءت مصيراً﴾ لأهلها الذين صاروا إليها.

[٩٨] ﴿إلّا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان﴾ يعني: المؤمنين الذين لم يكن لهم استطاعة الهجرة.

﴿لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً﴾ في الخلاص من مكّة، قال عكرمة: كان النبي ﷺ يدعو عقيب صلاة الظهر: اللّهمّ خلّص ضعفاء المسلمين من أيدي المشركين.

[٩٩] ﴿فأُولئك عسى الله أن يعفو عنهم﴾ لما هم عليه من الفقر.

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٣٧٤، ومجمع البيان ٣ / ١٦٨.

﴿وكان الله عفوّاً غفوراً﴾ لذنوب عباده.

[١٠٠] ﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً﴾ متحولاً وطريقاً، يراغم قومه بسلكوه، أي: يفارقهم على رغم أُنوفهم.

﴿وسعة﴾ في الرزق وإظهار الدين.

﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثمّ يدركه الموت﴾ قبل بلوغه دار الهجرة.

﴿فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً﴾ نزلت في جندب بن ضمرة، حمله بنوه على سرير متوجّهاً إلى المدينة، فلمّا بلغ ال[تّ]نعيم أشرف على الموت، فصفق [ب]يمينه على شماله، فقال: اللّهمّ هذه لك وهذه لرسولك، أُبايعك على ما بايع عليه رسولك، فمات حميداً[1].

[١٠١] ﴿وإذا ضربتم في الأرض﴾ سافرتم فيها.

﴿فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة﴾ بتنصيف ركعاتها، وقال البيضاوي: نفي الحرج فيه يدلّ على جوازه دون وجوبه، والقصر واجب عندنا، وأوجبه أبو حنيفة، لقول عمر: صلاة السفر ركعتان تام غير قصر على لسان نبيّكم، ولقول عائشة: أوّل ما فرضت الصلاة [فرضت] ركعتين ركعتين فأُقرّت في السفر وزيدت في الحضر، وأقلّ سفر يقصر فيه أربعة برد عند الشافعي، وستّة عند أبي حنيفة، وثمان فراسخ عندنا على الأشهر، وفي جامع الجامع[2]: حدّ السفر الذي يجب فيه القصر عند أبي حنيفة مسيرة ثلاثة أيّام بلياليهن سير الإبل، وعند الشافعي مسيرة يومين، وعند أهل البيت مسيرة يوم واحد، وهو ثمانية فراسخ أربعة

١. مجمع البيان ٣: ١٧١، وتفسير البيضاوي ١: ٣٧٥.
٢. جوامع الجامع للطبرسي ١ / ٤٣٦.

وعشرون ميلاً.

﴿إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إنّ الكافرين كانوا لكم عدوّاً مبيناً﴾ عن علي عليه السلام أنّ قوماً من التجّار سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: إنّا نضرب في الأرض فكيف نصلّي؟ فنزلت ﴿إذا ضربتم في الأرض﴾ الآية، ثمّ انقطع الوحي في ذلك، فلمّا كان بعد ذلك بحول غزا رسول الله فصلّى الظهر، فقال المشركون: لقد أمكنكم محمّد وأصحابه من ظهورهم، فهلّا شددتم عليهم، فقال منهم قائل: إنّ لهم مثلها في أثرها، فأنزل الله بين الصلاتين: ﴿إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ إلى قوله: ﴿إنّ الله أعدّ للكافرين عذاباً مهيناً﴾، وكان ذلك سبب إسلام خالد بن الوليد، وكان ذلك بعسفان[1].

[١٠٢] ﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة﴾ قال ابن عبّاس: فرض الله الصلاة على لسان نبيّكم في الحضر أربعاً، وفي السفر ركعتين، وفي الخوف ركعة واحدة[2]، يعني لكلّ طائفة، وللإمام ركعتين.

﴿فلتقم طائفة منهم معك﴾ إلى الصلاة وتقوم الطائفة الأُخرى تجاه العدوّ.

﴿وليأخذوا أسلحتهم﴾ أي: المصلّون.

﴿فإذا سجدوا﴾ يعني: المصلّين.

﴿فليكونوا﴾ غير المصلّين.

﴿من ورائكم﴾ يحرسونكم.

﴿ولتأت طائفة أُخرى لم يصلّوا﴾ لاشتغالهم بالحراسة.

﴿فليصلّوا معك﴾ في الركعة الثانية.

---

١. الدر المنثور ٢ / ٢٠٩ نقلاً عن الطبري.

٢. تفسير الطبري ٢ / ٧٨١، وصحيح مسلم ٢ / ١٤٣، ومسند أحمد ١ / ٢٥٤، وسنن النسائي الصغرى ٣ / ١٦٩، والكبرى ١ / ٥٩١: ١٩٢٠، وغيرها.

﴿وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم﴾ ليكونوا على حذر من عدوّهم.

﴿ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة﴾ ويستبيحون عسكركم.

﴿ولا جناح عليكم إن كان بكم أذىً من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم﴾ إذا ضعفتم عن حملها.

﴿وخذوا حذركم﴾ كيلا يهجم عليكم العدوّ.

﴿إنّ الله أعدّ للكافرين عذاباً مهيناً﴾ مذلّاً لهم.[١]

[١٠٣] ﴿فإذا قضيتم الصلاة﴾ أدّيتموها وفرغتم منها.

﴿فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم﴾ فد[ا]وموا على الذكر في جميع الأحوال.

﴿فإذا اطمأننتم﴾ سكنت قلوبكم من الخوف.

﴿فأقيموا الصلاة﴾ وأتوا بها تامّة.

﴿إنّ الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾ فرضاً محدود الأوقات، لا يجوز إخراجها عن أوقاتها.

[١٠٤] ﴿ولا تهنوا في ابتغاء القوم﴾ في طلب الكفّار بالقتال.

﴿إن تكونوا تألمون﴾ توجعون.

﴿فإنّهم يألمون كما تألمون وترجون من الله﴾ الظفر والثواب.

﴿ما لا يرجون﴾ من الحسنة والمغفرة.

﴿وكان الله عليماً﴾ بأعمالكم وضمائركم.

﴿حكيماً﴾ فيما يأمر وينهى.

---

١. مجمع البيان ٣ / ١٧٦، وتفسير البيضاوي ١ / ٣٧٧.

[١٠٥] ﴿إنّا أنزلنا إليك الكتاب﴾ القرآن.

﴿بالحقّ﴾ الذي يجب فيه.

﴿لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾ بما عرّفك الله وأوحى به إليك.

﴿ولا تكن للخائنين خصيماً﴾ نزلت في طعمة بن أُبيرق [من] بن[ي] ظفر، سرق درعاً من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق، [فجعل الدقيق] ينتثر من خرقٍ فيه، وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي، فالتمس الدرع عند طعمة فلم توجد، وحلف ما أخذها وما له بها علم، فتركوه واتّبعوا أثر الدقيق حتّى انتهى إلى منزل اليهودي فأخذوها، فقال: دفعها إليّ طعمة، وشهد له ناس من اليهود، فقالت بنو ظفر: انطلقوا بنا إلى رسول الله، فسألوه أن يجادل عن صاحبهم طعمة وقالوا: إن لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهود، فهمّ رسول الله أن يفعل، فنزلت[١].

[١٠٦] ﴿واستغفر الله﴾ ممّا هممت به.

﴿إنّ الله كان غفوراً رحيماً﴾ لمن يستغفره.

[١٠٧] ﴿ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم﴾ يخونونها فإنّ وبال خيانتهم يعود عليها، والضمير لطعمة وأمثاله.

﴿إنّ الله لا يحبّ من كان خوّاناً أثيماً﴾ روي أنّ طعمة هرب إلى مكّة وارتدّ ونقب حائطاً بها ليسرق أهله، فسقط الحائط عليه فقتله.

[١٠٨] ﴿يستخفون من الناس﴾ حياء وخوفاً منهم.

﴿ولا يستخفون من الله﴾ ولا يستحيون منه.

﴿وهو معهم﴾ لا يخفى عليه حالهم.

---

١. مجمع البيان ٣: ١٨١، وتفسير البيضاوي ١: ٣٧٩.

﴿إذ يبيّتون﴾ يدبّرون ويزوّرون.[١]

﴿ما لا يرضى من القول﴾ من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور.

﴿وكان الله بما يعملون محيطاً﴾ لا يفوت عنه شيء.

[١٠٩] ﴿ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة﴾ بين يدي الله.

﴿أم من يكون عليهم وكيلاً﴾ يقوم بأمرهم ويخاصم عنهم.

[١١٠] ﴿ومن يعمل سوءاً﴾ قبيحاً يسوء به غيره.

﴿أو يظلم نفسه﴾ بما يختصّ به ولا يتعدّاه، وقيل: المراد بالسوء ما دون الشرك، وبالظلم الشرك، وقيل: الصغيرة والكبيرة.

﴿ثمّ يستغفر الله﴾ التوبة.

﴿يجد الله غفوراً﴾ لذنوبه.

﴿رحيماً﴾ متفضّلاً عليه بالتوبة.[٢]

[١١١] ﴿ومن يكسب إثماً فإنّما يكسبه على نفسه﴾ ولا يتعدّاه وباله؛ لقوله تعالى: ﴿وإن أسأتم فلها﴾[٣].

﴿وكان الله عليماً﴾ بفعله.

﴿حكيماً﴾ في مجازاته.

[١١٢] ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثماً﴾ الخطيئة تكون في العمل وغير العمل، والإثم لا يكون إلّا في العمل.

---

١. ن: ويذرون.

٢. تفسير البيضاوي ١ / ٣٨٠، ومجمع البيان ٣ / ١٨٥.

٣. الإسراء (١٧)، الآية ٧.

﴿ثمّ يرم به بريئاً﴾ كما رمى طعمة زيداً.

﴿فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً﴾ بسبب رمي البريء وتنزيه النفس الخاطئة.

[١١٣] ﴿ولولا فضل الله عليك ورحمته﴾ بإعلام ما هممت عليه بالوحي في شأن طعمة.

﴿لهمّت طائفة منهم﴾ أي: من بني ظفر.

﴿أن يضلّوك﴾ عن القضاء بالحقّ مع علمهم بالحال.

﴿وما يضلّون إلّا أنفسهم﴾؛ لأنّه ما أزلّك عن الحقّ وعاد وباله عليهم.

﴿وما يضرّونك من شيء﴾ فإنّ الله عصمك، وما خطر ببالك كان اعتماداً على ظاهر الأمر لا ميلاً في الحكم.

﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم﴾ من خفيّات الأُمور والشرائع والأحكام.

﴿وكان فضل الله عليك عظيماً﴾؛ إذ لا فضل أعظم من النبوّة.

[١١٤] ﴿لا خير في كثير من نجواهم﴾ من متناجيهم؛ لقوله تعالى: ﴿وإذ هم نجوى﴾[١] أي: من حديثهم الذي يتناجون به.

﴿إلّا من أمر بصدقة﴾ ففي نجواه الخير.

﴿أو معروف﴾ من أبواب البرّ، كلّ ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل.

﴿أو إصلاح بين الناس﴾ بالتأليف بينهم بالمودّة.

﴿ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله﴾ لا يريد بفعله رياءً وسمعة.

﴿فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾ مثوبة عظيمة.

[١١٥] ﴿ومن يشاقق الرسول﴾ يخالفه، من الشقّ، فإنّ كلّاً من المتخالفين في

١. الإسراء (١٧)، الآية ٤٧.

شقّ غير شقّ الآخر.[١]

﴿من بعد ما تبيّن له الهدى﴾ ظهر له الحقّ بالوقوف على المعجزات.

﴿ويتّبع غير سبيل المؤمنين﴾ غير ما هم عليه من اعتقاد أو عمل.

﴿نولّه ما تولّى﴾ نجعله والياً لما تولّى من الضلال، ونخلّي بينه وبين ما اختاره.

﴿ونصله جهنّم﴾ وندخله فيها.

﴿وساءت مصيراً﴾ جهنّم، والآية تدلّ على حرمة مخالفة الإجماع؛ لأنّه تعالى رتّب الوعيد الشديد على المشاقّة واتّباع غير سبيل المؤمنين.

[١١٦] ﴿إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ كرّره للتأكيد، أو لقصّة طعمة، وقيل: جاء شيخ إلى رسول الله ﷺ وقال: إنّي شيخ منهمك في الذنوب، إلّا أنّي لم أُشرك بالله شيئاً منذ عرفته، وآمنت به ولم أتّخذ من دونه وليّاً، ولم أُوقع المعاصي جرأة، وما توهّمت طرفة عين أنّي أُعجز الله هرباً، وإنّي لنادم، فما ترى حالي عند الله؟ فنزلت.

﴿ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً﴾ عن الحقّ، فإنّ الشرك أعظم أنواع الضلالة، وأبعدها عن الصواب والاستقامة.[٢]

[١١٧] ﴿إن يدعون من دونه إلّا إناثاً﴾ يعني: اللات والعزى ومناة ونحوها، كان لكلّ حيّ صنم يعبدونه، ويسمّونه أُنثى بني فلان لتأنيث أسمائها، أو لأنّها كانت جمادات والجمادات تؤنّث.

﴿وإن يدعون﴾ وإن يعبدون.

﴿إلّا شيطاناً مريداً﴾؛ لأنّه الذي أمرهم بعبادتها.

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٣٨١، ومجمع البيان ٣ / ١٨٩.

٢. تفسير البيضاوي ١ / ٣٨٢، ومجمع البيان ٣ / ١٩٤.

[١١٨] ﴿لعنه الله وقال لأتّخذنّ من عبادك نصيباً مفروضاً﴾ مقدّراً محدوداً، فكلّ من أطاعه فإنّه من نصيبه، روي أنّه عليه السلام قال في هذه الآية: من بني آدم تسعة وتسعون في النار وواحد في الجنّة.

[١١٩] ﴿ولأُضلّنّهم﴾ عن الحقّ.

﴿ولأُمنينّهم﴾ الأماني الباطلة، كطول الحياة وأن لا بعث ولا عقاب.

﴿ولآمرنّهم فليبتكنّ آذان الأنعام﴾ يشقّونها لتحريم ما أحلّه الله، وهي عبارة عمّا كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب، على ما شرع لهم إبليس.

﴿ولآمرنّهم فليغيّرن خلق الله﴾ عن وجهه [و]صورته، أو صفته كخصي العبيد والوشم واللواط والسحق وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التي هي الإسلام، وغير ذلك.

﴿ومن يتّخذ الشيطان وليّاً من دون الله﴾ بإيثاره ما يدعوه إليه على ما أمره الله، ومجاوزته عن طاعة الله إلى طاعته.

﴿فقد خسر خسراناً مبيناً﴾ إذ ضيّع رأس ماله وبدّل مكانه من الجنّة بمكان من النار.

[١٢٠] ﴿يعدهم﴾ النصر وما لا ينجز.

﴿ويمنّيهم﴾ ما لا ينالون.

﴿وما يعدهم الشيطان إلّا غروراً﴾ وهو إظهار النفع فيما فيه الضرر، وهذا الوعد إمّا بالخواطر الفاسدة، أو بلسان أوليائه.

[١٢١] ﴿أُولئك مأواهم جهنّم ولا يجدون عنها محيصاً﴾ معدلاً ومهرباً، من حاص إذا عدل.[١]

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٣٨٣، ومجمع البيان ٣ / ١٩٦.

[١٢٢] ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً وعد الله حقّاً﴾ لا خلف فيه.

﴿ومن أصدق من الله قيلاً﴾ فيما أخبر به.

[١٢٣] ﴿ليس بأمانيّكم ولا أمانيّ أهل الكتاب﴾ أي: ليس ما وعد الله من الثواب ينال بأمانيّكم أيّها المسلمون، ولا بأمانيّ أهل الكتاب، وإنّما ينال بالإيمان والعمل الصالح، روي أنّ المسلمين وأهل الكتاب افتخروا [فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم ونحن أولى بالله منكم. وقال المسلمون: نحن أولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدّمة]، فنزلت، وقيل: الخطاب مع المشركين، ويدلّ عليه تقدّم ذكرهم.

﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾ عاجلاً [أ]و آجلاً، لما روي أنّه لمّا نزل[ت] قال أبو بكر جاءت قاصمة الظهر فمن ينجو مع هذا يا رسول الله؟ فقال ﷺ: أما تحزن أما تمرض أما تصيبك المصائب؟ قال: بلى يا رسول الله قال: هو ذاك.

﴿ولا يجد له من دون الله وليّاً ولا نصيراً﴾ يدفع عنه عذاب الله.[1]

[١٢٤] ﴿ومن يعمل من الصالحات﴾ بعضها [أ]و شيئاً منها، فإنّ كلّ أحد لا يتمكّن من كلّها، وليس مكلّفاً بها.

﴿من ذكر أو أُنثى وهو مؤمن﴾؛ لأنّ الطاعة لا تنفع من دون الإيمان.

﴿فأُولئك يدخلون الجنّة ولا يظلمون نقيراً﴾ بنقص [شيء من] الثواب، كالحبّة التي في وسط النواة.

[١٢٥] ﴿ومن أحسن ديناً ممّن أسلم وجهه لله﴾ أخلص نفسه لله لا يعرف لها ربّاً سواه، وقيل: بذل وجهه له في السجود.

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٣٨٥، ومجمع البيان ٣ / ١٩٧.

﴿وهو محسن﴾ آت بالحسنات تارك للسيّئات.

﴿واتّبع ملّة إبراهيم﴾ الموافقة لدين الإسلام المتّفق على صحّتها.

﴿حنيفاً﴾ مائلاً عن سائر الأديان.

﴿واتّخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ اصطفاه وخصّه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله؛ لأنّه لم يسأل غير الله، روي أنّ إبراهيم عليه السلام بعث إلى خليل له [بمصر] في أزمة أصابت الناس يمتار منه، فقال: لو كان إبراهيم يريد لنفسه لفعلت، ولكن يريده للأضياف وقد أص[ا]بنا [ما أصاب] الناس، فاجتاز غلمانه ببطحاء [لينة] فملأوا منها بالغرائر حياء من الناس، فلمّا أخبروا إبراهيم أساءه الخبر، فغلبته عيناه فنام، وقامت سارة إلى غرارة منها فأخرجت [حواري] واختبزت، فاستيقظ إبراهيم فاشتمّ رائحة الخبز، فقال: من أين هذا لكم؟ فقالت: من عند خليلك المصري، فقال: [بل هو] من عند خليلي الله عزّ وجلّ، فسمّاه الله خليلاً.

[١٢٦] ﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض﴾ خلقاً وملكاً يختار منهما ما يشاء.

﴿وكان الله بكلّ شيء محيطاً﴾ إحاطة علم وقدرة بأعمال عباده فيجازيهم على خيرها وشرّها.[١]

[١٢٧] ﴿ويستفتونك في النساء﴾ في ميراثهنّ، إذ سبب نزوله أنّ عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: أُخبرنا أنّك تعطي الابنة النصف، والأُخت النصف، وإنّا كنّا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة، فقال: كذلك أُمرت.

﴿قل الله يفتيكم فيهنّ﴾ يبيّن لكم حكمته فيهنّ والإفتاء تبي[ي]ن المبهم.

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٣٨٧، ومجمع البيان ٣ / ٢٠١.

﴿وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهنّ ما كتب لهنّ﴾ أي: فرض لهنّ من الميراث.

﴿وترغبون أن تنكحوهنّ﴾ طمعاً في ميراثهنّ.

﴿والمستضعفين من الولدان﴾ والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء.

﴿وأن تقوموا لليتامى بالقسط﴾ بالعدل في أنفسهم وفي مواريثهم.

﴿وما تفعلوا من خير فإنّ الله كان به عليماً﴾ وعد لمن آثر الخير في ذلك.

[١٢٨] ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً﴾ تجافياً عنها وترفّعاً عن صحبتها، كراهة لها ومنعاً لحقوقها.

﴿أو إعراضاً﴾ بأن يقلّ مجالستها ومحادثتها.

﴿فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً﴾ أن يتصالحا، بأن تحطّ له بعض المهر، أو القسم، أو تهب له شيئاً تستميله به.

﴿والصلح خير﴾ من الفرقة، [أ]و سوء العشرة، أو من الخصومة.

﴿وأُحضرت الأنفس الشحّ﴾ أي: جعلها حاضرة له مطبوعة عليه، فلا تكاد المرأة تسمح بالإعراض عنها والتقصير في حقّها، ولا الرجل يسمح أن يمسكها ويقوم بحقّها إذا كرهها أو أحبّ غيرها.

﴿وإن تحسنوا﴾ في العشرة.

﴿وتتّقوا﴾ النشوز والإعراض ونقص الحقّ.

﴿فإنّ الله كان بما تعملون﴾ من الإحسان والخصومة.

﴿خبيراً﴾ فيجازيكم عليهما.[1]

[١٢٩] ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء﴾؛ لأنّ العدل أن لا يقع ميل البتة

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٣٨٨، ومجمع البيان ٣ / ٢٠٦.

وهو متعذّر، ولذلك كان رسول الله ﷺ يقيم بين نسائه فيعدل، ويقول: هذه قسمتي فيما أملك فلا تأخذني فيما تملك ولا أملك، يعني ميل القلب.

﴿ولو حرصتم﴾ على تحرّي ذلك وبالغتم فيه.

﴿فلا تميلوا كلّ الميل﴾ بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها، فإنّ ما لا يدرك كلّه لا يترك كلّه.

﴿فتذروها كالمعلّقة﴾ التي ليست ذات بعل ولا مطلّقة، وعن النبي ﷺ: من كانت له امرأتان يميل مع إحداهما جاء يوم القيامة وأحد شقّيه مائل.

﴿وإن تصلحوا﴾ ما كنتم تفسدون من أُمورهنّ.

﴿وتتّقوا﴾ فيما يستقبل من الزمان.

﴿فإنّ الله كان غفوراً رحيماً﴾ يغفر لكم ما مضى من ميلكم.

[١٣٠] ﴿وإن يتفرّقا﴾ أي: وإن يفارق كلّ منهما صاحبه.

﴿يغن الله كلّاً﴾ منهما عن الآخر ببدل أو سلو[ة].

﴿من سعته﴾ من غناه وقدرته.

﴿وكان الله واسعاً حكيماً﴾ مقتدراً متقناً في أفعاله وأحكامه.

[١٣١] ﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض﴾ فلا يتعذّر عليه الإغناء بعد الفرقة.

﴿ولقد وصّينا الذين أُوتوا الكتاب من قبلكم﴾ من اليهود والنصارى وغيرهم.

﴿وإيّاكم﴾ وأوصيناكم أيضاً أيّها المسلمون.

﴿أن اتّقوا الله﴾ بأن اتّقوا الله.

﴿وإن تكفروا فإنّ لله ما في السماوات وما في الأرض﴾ أي: وقلنا لهم ولكم: إن تكفروا فإنّ الله مالك الملك كلّه، لا يتضرّر بكفركم ومعاصيكم، كما لا ينتفع

بشكركم وتقواكم، وإنّما وصّاكم لرحمته لا لحاجته، ثمّ قرّر ذلك بقوله:

﴿وكان الله غنيّاً﴾ عن الخلق وعبادتهم.

﴿حميداً﴾ في ذاته، حمد أو لم يحمد.[١]

[١٣٢] ﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض﴾ فجميع المخلوقات محتاجون إلى غناه.

﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ راجع إلى قوله ﴿يغنِ الله كلّاً من سعته﴾[٢]، فإنّه توكّل بكفايتهما.

[١٣٣] ﴿إن يشأ يذهبكم أيّها الناس﴾ يفنكم.

﴿ويأت بآخرين﴾ ويوجد قوماً آخرين مكانكم، أو خلقاً آخرين مكان الإنس.

﴿وكان الله على ذلك﴾ من الإعدام والإيجاد.

﴿قديراً﴾ قيل هو خطاب لمن عادى رسول الله من العرب، ومعناه معنى قوله: ﴿وإن تتولّوا يستبدل قوماً غيركم﴾[٣] لِما روي أنّه لما نزل ضرب رسول الله ﷺ يده على ظهر سلمان وقال: إنّهم قوم هذا[٤].

[١٣٤] ﴿من كان يريد ثواب الدنيا﴾ كالمجاهد الذي يجاهد للغنيمة.

﴿فعند الله ثواب الدنيا والآخرة﴾ فليطلبهما أو ليطلب الأشرف منهما.

﴿وكان الله سميعاً بصيراً﴾ عارفاً بالأغراض، فيجازي كلّاً بحسب قصده.

[١٣٥] ﴿يا أيّها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط﴾ مواظبين على العدل

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٣٨٩، ومجمع البيان ٣ / ٢١٠.
٢. النساء (٤)، الآية ١٣٠.
٣. التوبة (٩)، الآية ٣٩.
٤. تفسير البيضاوي ١: ٣٩٠، ومجمع البيان ٣ / ٢١٤.

مجتهدين في إقامته.

﴿شهداء لله﴾ بالحقّ تقيمون شهاداتكم لوجه الله.

﴿ولو على أنفسكم﴾ ولو كانت الشهادة على أنفسكم بأن تقرّوا عليها؛ لأنّ الشهادة بيان الحقّ سواء كان عليه [أ]و على غيره.

﴿أو الوالدين والأقربين﴾ ولو على والديكم وأقاربكم.

﴿إن يكن﴾ أي: المشهود عليه، أو كلّ واحد منه ومن المشهود له.

﴿غنياً أو فقيراً﴾ فلا تمتنعوا عن إقامة الشهادة على الصحّة والحقّ.

﴿فالله أولى بهما﴾ بالغني والفقير بالنظر لهما، فلو لم تكن الشهادة عليهما أو لهما صلاحاً لما شرعها.

﴿فلا تتّبعوا الهوى﴾ هوى النفس.

﴿أن تعدلوا﴾ في الشهادة عن الحقّ.

﴿وإن تلووا﴾ ألسنتكم عن شهادة الحقّ أو حكومة العدل.

﴿أو تعرضوا﴾ عن أدائها.

﴿فإنّ الله كان بما تعملون خبيراً﴾ فيجازيكم عليه.

[١٣٦] ﴿يا أيّها الذين آمَنوا﴾ خطاب للمسلمين، أو المنافقين، أو لمؤمني أهل الكتاب؛ إذ روي أنّ ابن سلام وأصحابه قالوا: يا رسول الله إنّا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه، فنزلت.

﴿آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزّل على رسوله والكتاب الذي أُنزل من قبل﴾ أي: اثبتوا على الإيمان بذلك ود[ا]وموا عليه، أو آمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بلسانكم، أو آمنوا إيماناً عامّاً يعمّ الكتب والرسل، فإنّ الإيمان بالبعض كلا[1] إيمان،

---

١. ن: فليس. وأثبتناه حسب البيضاوي.

والكتاب الأوّل القرآن والثاني الجنس.

﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر﴾ أي: ومن يكفر بشيء من ذلك.

﴿فقد ضلّ ضلالاً بعيداً﴾ عن القصد بحيث لا يكاد يعود إلى طريقه.[1]

[١٣٧] ﴿إنّ الذين آمنوا﴾ يعني اليهود آمنوا بموسى.

﴿ثمّ كفروا﴾ حين عبدوا العجل.

﴿ثمّ آمنوا﴾ بعد عوده إليهم.

﴿ثمّ كفروا﴾ بعيسى.

﴿ثمّ ازدادوا كفراً﴾ بمحمّد ﷺ، أو قوماً تكرّر منهم الارتداد ثمّ أصرّوا على الكفر وازدادوا تمادياً في الغي، وقال ابن عبّاس: دخل في هذه الآية كلّ منافق كان في عهد النبي ﷺ.

﴿لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً﴾ إذ يستبعد منهم أن يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الإيمان، فإنّ قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحقّ؛ لأنّهم لو أخلصوا الإيمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم.

[١٣٨] ﴿بشّر المنافقين بأنّ لهم عذاباً أليماً﴾ إن ماتوا على كفرهم ونفاقهم.

[١٣٩] ﴿الذين يتّخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزّة﴾ المنعة والقوّة.

﴿فإنّ العزّة لله جميعاً﴾ يعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء.

[١٤٠] ﴿وقد نزّل عليكم في الكتاب﴾ يعني القرآن.

﴿أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتّى يخوضوا

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٣٩١، ومجمع البيان ٣ / ٢١٦.

في حديث غيره﴾ وهذا نهي عن مجالسة أهل الباطل والبدع.

﴿إنّكم إذاً مثلهم﴾ في الإثم؛ لأنّكم قادرون على الإعراض عنهم والإنكار عليهم.

﴿إنّ الله جامع المنافقين والكافرين في جهنّم جميعاً﴾ كما اتّفقوا في الدنيا على عداوة المؤمنين.[١]

[١٤١] ﴿الذين يتربّصون بكم﴾ ينتظرون وقوع أمر بكم.

﴿فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم﴾ مظاهرين لكم فأسهموا لنا فيما غنمتم.

﴿وإن كان للكافرين نصيب﴾ من الحرب فإنّها سجال.

﴿قالوا ألم نستحوذ عليكم﴾ أي: قالوا للكفرة: ألم نغلبكم ونتمكّن من قتلكم، فأبقينا عليكم، والاستحواذ الاستيلاء.

﴿ونمنعكم من المؤمنين﴾ بأن خذلناهم، فأشركونا فيما أصبتم.

﴿فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾ حينئذٍ، أو في الدنيا، والمراد بالسبيل الحجّة.

[١٤٢] ﴿إنّ المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم﴾ بأن منع من دمائهم وأموالهم بما يظهرون من الإيمان، حتّى يلقوه في الآخرة كفّاراً.

﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى﴾ متثاقلين كالمكره على الفعل؛ لأنّهم يرونها غير مفروضة عليهم.

﴿يراءون الناس﴾ ليخالوهم مؤمنين.

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٣٩٢، ومجمع البيان ٣ / ٢٢٠.

﴿ولا يذكرون الله إلّا قليلاً﴾ إذ[١] المرائي لا يفعل إلّا بحضرة من يرائيه، وهو أقلّ أحواله، وقيل: المراد بالذكر الصلاة[٢].

[١٤٣] ﴿مذبذبين بين ذلك﴾ بين الإيمان والكفر.

﴿لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء﴾ فلم يكونوا مع أحد الفريقين في الحقيقة.

﴿ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً﴾ إلى الحقّ والصواب.

[١٤٤] ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تتّخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ فإنّه صنيع المنافقين ودينهم، فلا تتشبّهوا بهم.

﴿أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً﴾ حجّة بيّنة، فإنّ موالاتهم دليل على النفاق.

[١٤٥] ﴿إنّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ هي الطبقة التي في قعر جهنّم؛ لأنّهم أخبث الكفرة، إذ ضمّوا إلى الكفر استهزاء بالإسلام وخداعاً للمسلمين.

﴿ولن تجد لهم نصيراً﴾ يخرجهم منه.

[١٤٦] ﴿إلّا الذين تابوا﴾ عن النفاق.

﴿وأصلحوا﴾ ما أفسدوا من نيّاتهم.

﴿واعتصموا بالله﴾ وثقوا به، [أ]و تمسّكوا بدينه.

﴿وأخلصوا دينهم لله﴾ لا يريدون بطاعتهم إلّا وجهه.

﴿فأُولئك مع المؤمنين﴾ ومن عد[ا]دهم في الدارين.

﴿وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً﴾ فيساهمونهم فيه.

[١٤٧] ﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم﴾ أي[تـ]ـشفى به غيظاً، أو يدفع

---

١. ن: و.

٢. تفسير البيضاوي ١ / ٣٩٣، ومجمع البيان ٣ / ٢٢٣.

به ضرّاً، [أ]و يستجلب به نفعاً، وهو الغني المتعالي عن النفع والضرّ.

﴿وكان الله شاكراً﴾ مثيباً يقبل اليسير ويعطي الجزيل.

﴿عليماً﴾ بحقّ شكركم وإيمانكم.

[١٤٨] ﴿لا يحبّ الله الجهر بالسوء من القول إلّا من ظلم﴾ إلّا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلّم منه، روي أنّ رجلاً ضاف قوماً فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه، فنزلت.

﴿وكان الله سميعاً﴾ لكلام المظلوم.

﴿عليماً﴾ بالظالم.(١)

[١٤٩] ﴿إن تبدوا خيراً﴾ طاعة وبرّاً.

﴿أو تخفوه﴾ أو تفعلوه سرّاً.

﴿أو تعفوا عن سوء﴾ لكم المؤاخذة عليه.

﴿فإنّ الله كان عفوّاً قديراً﴾ أي: يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام، فأنتم أولى بذلك.

[١٥٠] ﴿إنّ الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرّقوا بين الله ورسله﴾ بأن يؤمنوا بالله ويكفروا برسله.

﴿ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض﴾ كما فعلت اليهود، صدّقوا بموسى ومن تقدّمه من الأنبياء، وكذّبوا بعيسى ومحمّد صلى الله عليه وآله.

﴿ويريدون أن يتّخذوا بين ذلك سبيلاً﴾ طريقاً وسطاً بين الإيمان والكفر.

[١٥١] ﴿أُولئك هم الكافرون حقّاً﴾ أي يقيناً محقّقاً فاستيق[ن]وا ذلك.

﴿وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾ يهينهم ويذلّهم.

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٣٩٥، ومجمع البيان ٣ / ٢٢٦.

[١٥٢] ﴿والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرّقوا بين أحد منهم﴾ بل آمنوا بجميعهم.

﴿أُولئك سوف يؤتيهم أُجورهم﴾ الموعودة لهم، وتصديره بسوف لتأكيد الوعد والدلالة على أنّه كائن لا محالة وإن تأخّر.

﴿وكان الله غفوراً﴾ لما فرط منهم.

﴿رحيماً﴾ عليهم بتضعيف حسناتهم.

[١٥٣] ﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزّل عليهم كتاباً من السماء﴾ نزلت في أحبار اليهود قالوا: إن كنت صادقاً فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى.

﴿فقد سألوا موسى أكبر من ذلك﴾ فلا يعظمن عليك، وهذا السؤال وإن كان من آبائهم أُسند إليهم؛ لأنّهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهديهم، والمعنى: أنّ عرقهم راسخ في ذلك، وأنّ ما اقترحوه عليك ليس بأُولى جهالاتهم.

﴿فقالوا أرنا الله جهرة﴾ عياناً أو مجاهرين معاينين له.

﴿فأخذتهم الصاعقة﴾ نار جاءت من السماء فأهلكتهم.

﴿بظلمهم﴾ بسبب ظلمهم وسؤالهم المحال.

﴿ثمّ اتّخذوا العجل﴾ إلهاً وعبدوه.

﴿من بعد ما جاءتهم البيّنات﴾ المعجزات الباهرة.

﴿فعفونا عن ذلك﴾ مع عظم جرمهم وجنايتهم.

﴿وآتينا موسى سلطاناً مبيناً﴾ تسلّطاً ظاهراً عليهم، حين أمرهم أن يقتلوا أنفسهم توبة عن اتّخاذهم.(١)

[١٥٤] ﴿ورفعنا فوقهم الطور﴾ حتّى بقي بين رؤوسهم وبين السماء، لمّا

---

١. مجمع البيان ٣ / ٢٢٨، وتفسير البيضاوي ١ / ٣٩٦.

امتنعوا من قبول ما في التوراة.

﴿بميثاقهم﴾ بما أعطوا الله سبحانه من العهد ليعملن بما في التوراة.

﴿وقلنا لهم﴾ على لسان موسى والطور مظلّ عليهم.

﴿ادخلوا الباب سجّداً﴾ يعني باب حطّة.

﴿وقلنا لهم لا تعدوا في السبت﴾ في تلك الساعة، وقيل: في زمان داود.

﴿وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً﴾ على ذلك وهو قولهم سمعنا وأطعنا.[1]

[١٥٥] ﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾ أي: فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا.

﴿وكفرهم بآيات الله﴾ بالقرآن أو بما في كتابهم.

﴿وقتلهم الأنبياء بغير حقّ﴾ يوجب ذلك.

﴿وقولهم قلوبنا غلف﴾ أوعية للعلوم، أو في أكنّة ممّا تدعونا إليه.

﴿بل طبع الله عليها بكفرهم﴾ فجعلها محجوبة عن العلم.

﴿فلا يؤمنون إلّا قليلاً﴾ منهم، كعبد الله بن سلام، أو إيماناً قليلاً لا عبرة به لنقصانه.

[١٥٦] ﴿وبكفرهم﴾ بعيسى.

﴿وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً﴾ وهو رميهم إيّاها بالفاحشة.

[١٥٧] ﴿وقولهم إنّا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله﴾ أي: بزعمهم، ويحتمل أنّهم قالوا استهزاء.

﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم﴾ روي: أنّ رهطاً من اليهود سبّوه وأُمّه، فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير، فاجتمعت اليهود على قتله، فأخبره الله بأنّه يرفعه إلى السماء، فقال لأصحابه: أيّكم يرضى أن يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٣٩٧، ومجمع البيان ٣ / ٢٣٠.

يدخل الجنّة، فقام رجل منهم فألقى الله عليه شبهه، فقتل وصلب، وفيه روايات.

﴿وإنّ الذين اختلفوا فيه﴾ في شأن عيسى، فإنّه لمّا وقعت تلك الواقعة اختلف الناس، فقال بعض اليهود: إنّه كان كاذباً فقتلناه حقّاً، وتردّد آخرون، فقال بعضهم: إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا، وقال بعضهم: الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا، وقال من سمع منه أنّ الله يرفعني إلى السماء: إنّه رفع، وقال قوم: صلب الناسوت وصعد اللاهوت.

﴿لفي شكّ منه﴾ لفي تردّد، والشكّ كما يطلق على ما لا يترجّح أحد طرفيه يطلق على مطلق التردّد، وعلى ما يقابل العلم، ولذلك أكّده بقوله:

﴿ما لهم به من علم إلّا اتّباع الظنّ﴾ أي: ولكنّهم يتّبعون الظنّ.

﴿وما قتلوه يقيناً﴾ كما زعموه بقولهم إنّا قتلنا المسيح.[١]

[١٥٨] ﴿بل رفعه الله إليه﴾ ردّ وإنكار لقتله وإثبات لرفعه.

﴿وكان الله عزيزاً﴾ لا يُغلب على ما يريده.

﴿حكيماً﴾ فيما دبّر لعيسى عليه السلام.

[١٥٩] ﴿وإن من أهل الكتاب إلّا ليؤمننّ به قبل موته﴾ أي: ما من اليهود والنصارى أحد إلّا [لـ]ـيؤمننّ بأنّ عيسى عبد الله ورسوله قبل أن يموت، ولو حين تزهق روحه ولا ينفعه إيمانه، وقيل: الضميران لعيسى والمعنى: أنّه إذا نزل من السماء آمن به أهل الملل جميعاً، روي: أنّه ينزل من السماء حين يخرج الدجّال فيهلكه، فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلّا يؤمن به حتّى تكون الملّة واحدة، وهي ملّة الإسلام، وتقع الأمنة، حتّى ترتع الأُسود مع الإبل، والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيّات، ويلبث في الأرض أربعين سنة، ثمّ يتوفّى ويصلّي

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٣٩٨، ومجمع البيان ٣ / ٢٣٢.

عليه المسلمون ويدفنونه قيل مع نبيّنا عليهما السلام.

﴿ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾ فيشهد على اليهود بالتكذيب، وعلى النصارى بأنّهم دعوه ابن الله.[١]

[١٦٠] ﴿فبظلم من الذين هادوا﴾ أي: فبأيّ ظلم منهم.

﴿حرّمنا عليهم طيّبات أُحلّت لهم﴾ يعني: ما ذكره في قوله ﴿وعلى الذين هادوا حرّمنا﴾[٢].

﴿وبصدّهم عن سبيل الله كثيراً﴾ ناساً كثيراً، أو صدّاً كثيراً.

[١٦١] ﴿وأخذهم الربا وقد نهوا عنه﴾ كان الربا محرّماً عليهم كما هو محرّم علينا.

﴿وأكلهم أموال الناس بالباطل﴾ بالرشوة، وسائر الوجوه المحرّمة.

﴿وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً﴾ دون من تاب وآمن.

[١٦٢] ﴿لكن الراسخون في العلم منهم﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه.

﴿والمؤمنون﴾ من المهاجرين والأنصار.

﴿يؤمنون بما أُنزل إليك﴾ من القرآن.

﴿وما أُنزل من قبلك﴾ من الكتب المنزلة على الأنبياء.

﴿والمقيمين الصلاة﴾ في أوقاتها.

﴿والمؤتون الزكاة﴾ من أموالهم عند محلّها.

﴿والمؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ الذي فيه البعث والحساب.

﴿أُولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً﴾ على جمعهم بين الإيمان الصحيح

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٣٩٩، ومجمع البيان ٣ / ٢٣٤.

٢. الأنعام (٦)، الآية ١٤٦.

والعمل الصالح.

[١٦٣] ﴿**إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده**﴾ جواب لأهل الكتاب على اقتراحهم أن ينزّل عليهم كتاباً من السماء، واحتجاج عليهم بأنّ أمره في الوحي كسائر الأنبياء.

﴿**وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيّوب ويونس وهارون وسليمان**﴾ خصّهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيماً لهم، فإنّ إبراهيم أوّل أُولي العزم منهم، وعيسى آخرهم، والباقون أشرف الأنبياء ومشاه[ي]رهم.

﴿**وآتينا داوود زبوراً**﴾ جمع زبر بمعنى مزبور.

[١٦٤] ﴿**ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل**﴾ أي: من قبل هذه السورة في سورة الأنعام، وهي قبل هذه؛ لأنّها مكّية وهذه مدنية.

﴿**ورسلاً لم نقصصهم عليك**﴾ وإنّما قصّ بعضهم بفضيلتهم.

﴿**وكلّم الله موسى تكليماً**﴾ وهو منتهى مراتب الوحي خصّ به موسى عليه السلام من بينهم، وقد فضّل الله محمّداً صلى الله عليه وآله بأن أعطاه مثل ما أعطى كلّ واحد منهم.

[١٦٥] ﴿**رسلاً مبشّرين**﴾ بالجنّة والثواب لمن آمن وأطاع.

﴿**ومنذرين**﴾ بالنار لمن كفر وعصى.

﴿**لئلّا يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل**﴾ فيقولوا: لولا أرسلت إلينا رسولاً فينبّهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم.

﴿**وكان الله عزيزاً**﴾ لا يغلب فيما يريده.

﴿**حكيماً**﴾ فيما دبّر من أمر النبوّة، وخصّ كلّ نبي بنوع من الوحي والإعجاز.[1]

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٤٠١، ومجمع البيان ٣ / ٢٣٧.

[١٦٦] ﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك﴾ من القرآن المعجز الدالّ على نبوّتك، روي أنّه لمّا نزل ﴿إنّا أوحينا إليك﴾[1] قالوا: ما نشهد لك، فنزلت.

﴿أنزله بعلمه﴾ بأنّك موضع لإنزاله عليك.

﴿والملائكة يشهدون﴾ أيضاً بنبوّتك.

﴿وكفى بالله شهيداً﴾ أي: وكفى بما أقام من الحجج على صحّة نبوّتك عن الاستشهاد بغيره.

[١٦٧] ﴿إنّ الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله قد ضلّوا ضلالاً بعيداً﴾؛ لأنّهم قد جمعوا بين الضلال والإضلال.

[١٦٨ و١٦٩] ﴿إنّ الذين كفروا وظلموا﴾ محمّداً بإنكار نبوّته، أو الناس بصدّهم عمّا فيه صلاحهم وخلاصهم.

﴿لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً إلّا طريق جهنم خالدين فيها أبداً﴾ لجري حكمه السابق ووعده المحتوم، على أنّ من مات على كفره فهو خالد في النار.

﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾ لا يصعب عليه ولا يستعظمه.

[١٧٠] ﴿يا أيّها الناس قد جاءكم الرسول بالحقّ من ربّكم﴾ أي: بالحقّ الذي ارتضاه لعباده.

﴿فآمنوا خيراً لكم﴾ ممّا أنتم عليه.

﴿وإن تكفروا فإنّ لله ما في السماوات والأرض﴾ فلا ينقص كفركم شيئاً من ملكه.

﴿وكان الله عليماً﴾ بما أنتم صائرون إليه.

---

١. الآية المتقدّمة قبل آيتين.

﴿حكيماً﴾ في أمره ونهيه.[1]

[١٧١] ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾ غلت النصارى في عيسى حتّى اتّخذوه إلهاً.

﴿ولا تقولوا على الله إلّا الحقّ﴾ يعني: تنزيهه عن الصاحبة والولد.

﴿إنّما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم﴾ أوصلها إليها وحصّلها فيها.

﴿وروح منه﴾ وذو روح صدر منه لا بتوسّط ما يجري مجرى الأصل والمادّة له.

﴿فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة﴾ الأب والابن وروح القدس.

﴿انتهوا﴾ عن التثليث.

﴿خيراً لكم﴾ من هذه المقالة الشنيعة.

﴿إنّما الله إله واحد﴾ لم يتّخذ صاحبة ولا ولداً ولم يكن له شريك في الملك وليس كمثله شيء.

﴿سبحانه أن يكون له ولد﴾ فإنّه يكون لمن يعادله مثل ويتطرّق إليه فناء.

﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾ ملكاً وخلقاً لا يماثله شيء من ذلك فيتّخذه ولداً.

﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ تنبيه على غناه عن الولد، فإنّ الحاجة إليه ليكون وكيلاً لأبيه، والله سبحانه قائم بحفظ الأشياء، كاف في ذلك، مستغنٍ عمّن يخلفه أو يعينه.[2]

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٤٠٢، ومجمع البيان ٣ / ٢٤٠.

٢. تفسير البيضاوي ١ / ٤٠٤، ومجمع البيان ٣ / ٢٤٣.

[١٧٢] ﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله﴾ لن يأنف ولم يمتنع من ذلك، فإنّ عبوديته شرف يباهي به، وإنّما المذلّة والاستنكاف في عبودية غيره، روي أنّ وفد نجران قالوا لرسول الله ﷺ: لم تعيب صاحبنا عيسى؟ قال: وأيّ شيء أقول؟ قالوا: تقول: إنّه عبد الله، قال: إنّه [ليس] بعار أن يكون عبد الله، قالوا: بلى، فنزلت.

﴿ولا الملائكة المقرّبون﴾ ولا من هو أعلى منه قدراً وأعظم منه خطراً، وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش، كجبرئيل وميكائيل وإسرافيل، ومن في طبقتهم، أي: ولا تستنكف الملائكة المقرّبون أن يكونوا عبيداً [لله]، واحتجّ به من فضّل الملائكة على الأنبياء.

﴿ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر﴾ يترفّع عنها، والاستكبار دون الاستنكاف.

﴿فسيحشرهم إليه جميعاً﴾ فيجازيهم.

[١٧٣] ﴿فأمّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله﴾ على ما كان وعدهم به من الجزاء.

﴿وأمّا الذين استنكفوا واستكبروا فيعذّبهم عذاباً أليماً﴾ مؤلماً موجعاً.

﴿ولا يجدون لهم من دون الله وليّاً ولا نصيراً﴾ ينقذهم من عقابه.

[١٧٤] ﴿يا أيّها الناس قد جاءكم برهان من ربّكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ عنى بالبرهان المعجزات، وبالنور القرآن، أي: جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل، ولم يبق لكم عذر ولا علّة.

[١٧٥] ﴿فأمّا الذين آمنوا بالله واعتصموا به﴾ وتمسّكوا بالقرآن.

﴿فسيدخلهم في رحمة منه﴾ [في] ثواب قدره بإزاء إيمانه وعمله رحمة منه، لا قضاء لحقّ واجب.

﴿وفضل﴾ وإحسان زائد عليه.

﴿ويهديهم إليه﴾ إلى الموعود به.

﴿صراطاً مستقيماً﴾ هو الإسلام والطاعة في الدنيا، وطريق الجنّة في الآخرة.

[١٧٦] ﴿يستفتونك﴾ أي: في الكلالة، حذف لدلالة الجواب عليه، روي أنّ جابر بن عبد الله كان مريضاً فعاده رسول الله ﷺ، فقال: إنّي كلالة فكيف أصنع في مالي، فنزلت[١] وهي آخر ما نزل في الأحكام.

﴿قل الله يفتيكم في الكلالة﴾ وهي قرابة ليست من جهة الولد والوالدين[٢].

﴿إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أُخت فلها نصف ما ترك﴾ من الميراث والمراد بالأُخت الأُخت من الأبوين أو الأب.

﴿وهو يرثها﴾ أي: المرء يرث أُخته إن كان الأمر بالعكس.

﴿إن لم يكن لها ولد﴾ ذكراً كان أو أُنثى.

﴿فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان ممّا ترك﴾ الأخ أو الأُخت.

﴿وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظّ الأُنثيين﴾ إذا كانوا مجتمعين من الأب والأُمّ فللذكر نصيب بنتين.

﴿يبيّن الله لكم﴾ مواريثكم.

﴿أن تضلّوا﴾ أي: كراهة أن تضلّوا أنّ الحقّ والصواب في قسمتها.

﴿والله بكلّ شيء عليم﴾ فهو عالم بمصالح العباد في الحياة والممات.[٣]

---

١. تفسير البيضاوي ١: ٤٠٥، ومجمع البيان ٣ / ٢٤٦.

٢. ن: والولدان.

٣. تفسير البيضاوي ١ / ٤٠٥، ومجمع البيان ٣ / ٢٥٠.

[٥]

سورة المائدة

مئة وثلاث وعشرون آية مدنية كلّها إلّا قوله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ فإنّه نزل والنبي ﷺ واقف على راحلة في حجّة الوداع.

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿يا أيّها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ الوفاء هو القيام بمقتضى العهد، قال ابن عبّاس: إنّها عقود الله التي أوجبها على العباد في الحلال والحرام والفرائض والحدود.

﴿أُحلّت لكم بهيمة الأنعام﴾ أي: البهيمة من الأنعام، وهي الأزواج الثمانية، وأُلحق بها الظباء وبقر الوحش.

﴿إلّا ما يتلى عليكم﴾ تحريمه كالميتة والدم ولحم الخنزير.

﴿غير محلّي الصيد﴾ حال من الضمير في لكم.

﴿وأنتم حرم﴾ أي: محرمون فلا يحلّ لكم.

﴿إنّ الله يحكم ما يريد﴾ من تحليل وتحريم.[١]

[٢] ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تحلّوا شعائر الله﴾ يعني مناسك الحجّ، جمع شعيرة وهي اسم ما أُشعر، أي: جعل شعاراً، سمّي به أعمال الحجّ ومواقفه؛ لأنّها علامات

١. مجمع البيان ٣ / ٢٦٠، وتفسير البيضاوي ١ / ٤٠٨.

الحاجّ وأعلام النسك، وقيل: فرائضه التي حدّها لعباده.

﴿ولا الشهر الحرام﴾ بالقتال فيه، وهو رجب، وكانت مضر تحرّم فيه القتال.

﴿ولا الهدي﴾ ما أُهدي إلى الكعبة، أو لله من بعير أو بقرة أو شاة.

﴿ولا القلائد﴾ أي: ذوات القلائد من الهدي، جمع قلادة، وهو ما قلّد به الهدي من نعل أو غيره.

﴿ولا آمّين البيت الحرام﴾ قاصدين لزيارته.

﴿يبتغون فضلاً من ربّهم ورضواناً﴾ أن يثيبهم ويرضى عنهم، وقيل: معناه يبتغون من الله رزقاً بالتجارة ورضواناً بزعمهم؛ إذ روي أنّ الآية نزلت عام القضية في حجّاج اليمامة لمّا همّ المسلمون أن يتعرّضوا لهم بسبب أنّه كان فيهم شريح بن ضبيعة الكندي وكان قد استاق سرح المدينة، وعلى هذا فالآية منسوخة.

﴿وإذا حللتم﴾ من إحرامكم.

﴿فاصطادوا﴾ إن شئتم.

﴿ولا يجرمنّكم﴾ لا يحملنكم.

﴿شنآن قوم﴾ شدّة بغضهم وعداوتهم.

﴿أن صدّوكم عن المسجد الحرام﴾ عام الحديبية.

﴿أن تعتدوا﴾ بالانتقام.

﴿وتعاونوا على البرّ والتقوى﴾ على العفو والإغضاء، ومتابعة الأمر.

﴿ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ للتشفّي والانتقام.

﴿واتّقوا الله إنّ الله شديد العقاب﴾ فانتقامه أشدّ.[1]

[٣] ﴿حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾ وكان أهل الجاهلية لا

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٤٠٨، ومجمع البيان ٣ / ٢٦٣.

يحرّمون ذلك.

﴿وما أهلّ لغير الله به﴾ أي: رفع الصوت لغير الله به، كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه.

﴿والمنخنقة﴾ التي ماتت بالخنق.

﴿والموقوذة﴾ المضروبة بنحو خشب أو حجر حتّى تموت. من وقذته إذا ضربته.

﴿والمتردّية﴾ التي تردّت من علوّ أو في بئر فماتت.

﴿والنطيحة﴾ التي نطحتها أُخرى فماتت.

﴿وما أكل السبع﴾ وما أكل منه السبع فمات.

﴿إلّا ما ذكّيتم﴾ إلّا ما أدركتم ذكاته وفيه حياة مستقرّة.

﴿وما ذبح على النصب﴾ وهي أحجار كانت منصوبة حول البيت، يذبحون عليها ويعدّون ذلك قربة، وقيل: هي الأصنام.

﴿وأن تستقسموا بالأزلام﴾ أي: وحرّم عليكم الاستقسام بالأقداح، وذلك أنّهم كانوا إذا قصدوا فعلاً ضربوا ثلاثة أقداح، مكتوب على أحدها أمرني ربّي، وعلى الآخر نهاني ربّي، والثالث غفل، فإن خرج أمر مضوا على ذلك، وإن خرج الناهي تجنبوا عنه، وإن خرج الغفل أجالوها ثانياً.

﴿ذلكم فسق﴾ هذه الأُمور المذكورة كلّها خروج عن طاعة الله.

﴿اليوم يئس الذين كفروا من دينكم﴾ أي: من إبطاله ورجوعكم عنه.

﴿فلا تخشوهم﴾ أن يظهروا عليكم.

﴿واخشون﴾ وأخلصوا الخشية لي.

﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ بالنصر والإظهار على الأديان كلّها، قال ابن عبّاس

وغيره: معناه أكملت لكم فرائضي وحدودي وحلالي وحرامي، بتنزيل ما أنزلت وبيان ما بيّنت، فلا زيادة في ذلك ولا نقصان منه بالنسخ بعد هذا اليوم، قال أبو علي في مجمع البيان: وكان ذلك يوم عرفة عام حجّة الوداع، ذكر أنّ النبي ﷺ كان قارناً، وعلّم الناس مناسك الحجّ، وخطب بعرفة خطبة بيّن فيها الأحكام، ووعظهم ووصّاهم وعظ مودّع ووصيّة مودّع.

﴿وأتممت عليكم نعمتي﴾ بالهداية والتوفيق أو بإكمال الدين.

﴿ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ من بين الأديان، فالزموه ولا تفارقوه.

﴿فمن اضطرّ في مخمصة﴾ في مجاعة.

﴿غير متجانف لإثم﴾ غير مائل له ومنحرف إليه.

﴿فإنّ الله غفور رحيم﴾ لا يؤاخذه بأكله.[1]

[٤] ﴿يسألونك ماذا أُحلّ لهم﴾ من المطاعم.

﴿قل أُحلّ لكم الطيّبات﴾ الحلال الذي أذن لكم ربّكم في أكله.

﴿وما علّمتم من الجوارح﴾ من السباع ذوات الأربع والطير.

﴿مكلّبين﴾ معلّمين إيّاه الصيد.

﴿تعلّمونهنّ ممّا علّمكم الله﴾ من الحيل وطرق التأديب، فإنّ العلم به إلهام من الله.

﴿فكلوا ممّا أمسكن عليكم﴾ وهو ما لم تأكل منه، لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم: وإن أكل منه فلا تأكل إنّما أمسك على نفسه. وإليه ذهب أكثر الفقهاء.

﴿واذكروا اسم الله عليه﴾ الضمير لما علّمتم، والمعنى: سمّوا عليه عند إرساله.

﴿واتّقوا الله﴾ في محرّماته.

---

١. مجمع البيان ٣ / ٢٧٤، وتفسير البيضاوي ١ / ٤١٠.

﴿إنّ الله سريع الحساب﴾ فيؤاخذكم بما جلّ ودقّ.

[٥] ﴿اليوم أُحلّ لكم الطيّبات﴾ من الأطعمة إلّا ما قام الدليل على تحريمه.

﴿وطعام الذين أُوتوا الكتاب حلّ لكم﴾ يتناول الذبائح وغيرها، وقيل: غيرها، ويعمّ الذين أُوتوا الكتاب اليهود والنصارى، واستثنى علي عليه السلام نصارى بني تغلب [و]قال: ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها إلّا شرب الخمر. ولا يلحق بهم المجوس في أكل الذبائح، وإن اُلحق بهم في التقرير على الجزية، لقوله عليه السلام: سنّوا بهم سنّة أهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم.

﴿وطعامكم حلّ لهم﴾ فلا عليكم أن تطعموهم منه وتبيعوه منهم، ولو حرم عليهم لم يجز ذلك.

﴿والمحصنات من المؤمنات﴾ الحرائر العفائف منهنّ أُحلّ لكم العقد عليهنّ.

﴿والمحصنات من الذين أُوتوا الكتاب من قبلكم﴾ إن كنّ حربيات، وقال ابن عبّاس: لا تحلّ الحربيات، وقيل: إنّها منسوخة بقوله: ﴿ولا تنكحوا المشركات حتّى يؤمنّ﴾[1].

﴿إذا آتيتموهنّ أُجورهنّ﴾ مهورهنّ وهو عوض الاستمتاع، عن ابن عبّاس وغيره.

﴿محصنين غير مسافحين﴾ عفائف غير زانين متجاهرين به.

﴿ولا متّخذي أخدان﴾ مسرّين به، والخدن الصديق يقع على الذكر والأُنثى.

﴿ومن يكفر بالإيمان﴾ فيجحد بمحمّد صلى الله عليه وآله وما جاء به من شرائع الإسلام.

﴿فقد حبط عمله﴾ الذي عمله واعتقده قربة إلى الله.

---

١. البقرة (٢)، الآية ٢٢٢.

﴿وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ أي: من الهالكين.[١]

[٦] ﴿يا أيّها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة﴾ أي: إذا أردتم القيام إليها، وظاهر الآية يوجب الوضوء على كلّ قائم إلى الصلاة، وإن لم يكن محدثاً، والإجماع على خلافه، لما روي أنّه عليه السلام صلّى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح، فقال عمر: صنعت شيئاً لم تكن تصنعه؟ فقال: عمداً فعلته. والمعنى: إذا قمتم إلى الصلاة وأنتم على غير طهر.

﴿فاغسلوا وجوهكم﴾ أمرّوا الماء عليه، ولا حاجة إلى الدلك خلافاً لمالك.

﴿وأيديكم إلى المرافق﴾ الجمهور على دخول المرفقين في المغسول، ولذلك قيل: (إلى) بمعنى (مع) كقوله تعالى: ﴿ويزدكم قوّة إلى قوّتكم﴾[٢].

﴿وامسحوا برءوسكم﴾ الباء مزيدة، وقيل: للتبعيض، واختلف العلماء في قدر الواجب، فأوجب أصحابنا والشافعي أقلّ ما يقع عليه الاسم أخذاً باليقين، وأبو حنيفة ربع الرأس، لأنّه عليه السلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع، ومالك مسح كلّه أخذاً بالاحتياط.

﴿وأرجلكم إلى الكعبين﴾ نصبه نافع وابن عامر وحفص ـ عن عاصم ـ والكسائي ويعقوب عطفاً على وجوهكم، وجرّه الباقون على الجوار، وقال ناصر الحقّ من الزيدية: يجب الجمع بين المسح والغسل؛ لأنّه ليس شيء من بني آدم أقرب إلى خبثه من قدميه فاغسلوا بواطنهما وظهورهما، وقال علي عليه السلام: لولا أنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يمسح ظاهر قدميه لظننت أنّ باطنهما أولى بالمسح من ظاهرها، وقال الحسن البصري: بالتخيير بين المسح والغسل، وإليه ذهب الطبري

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٤١٢، ومجمع البيان ٣ / ٢٨٣.

٢. هود (١١)، الآية ٥٢.

والجبائي، وأجمعت الإمامية على المسح عملاً بظاهر الآية والرواية.

﴿وإن كنتم جنباً فاطّهروا﴾ فاغتسلوا.

﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمّموا صعيداً طيّباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾ سبق تفسيره، ولعلّ تكريره ليتصل الكلام في بيان أنواع الطهارة.

﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج﴾ أي: ما يريد الأمر بالطهارة للصلاة، أو الأمر بالتيمم تضييقاً عليكم.

﴿ولكن يريد ليطهّركم﴾ لينظّفكم، أو ليطهّركم عن الذنوب، لقوله عليه السلام: الوضوء يكفّر ما قبله، أو ليطهّركم بالتراب إذا أعوزكم التطهير بالماء.

﴿وليتمّ نعمته عليكم﴾ ليتمّ بشرعه ما هو مطهرة لأبدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين.

﴿لعلّكم تشكرون﴾ نعمته.[١]

[٧] ﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾ بالإسلام ليذكّركم المنعم ويرغّبكم في شكره.

﴿وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا﴾ يعني: الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله على السمع والطاعة في العسر واليسر والضعف والقوّة، أو ميثاق ليلة العقبة، أو بيعة الرضوان، وقيل: ميثاقه في عالم الذرّ؛ إذ قال: ﴿ألست بربّكم قالوا بلى﴾[٢].

﴿واتّقوا الله﴾ في إنساء نعمته ونقض ميثاقه.

﴿إنّ الله عليم بذات الصدور﴾ بخفيّاتها فيجازيكم عليها فضلاً عن جليات أعمالكم.

---

١. مجمع البيان ٣ / ٢٨٤، وتفسير البيضاوي ١ / ٤١٤.
٢. الأعراف (٧)، الآية ١٧٢.

[٨] ﴿يا أيّها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنّكم شنآن قوم على ألّا تعدلوا﴾ أي: لا يحملنكم شدّة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحلّ كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد، تشفّياً ممّا في قلوبكم.

﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ أي: العدل هو أقرب للتقوى، صرّح لهم الأمر بالعدل، وبيّن أنّه بمكان من التقوى بعدما نهاهم عن الجور، وبيّن أنّه مقتضى الهوى، وإذا كان هذا للعدل مع الكافرين فما ظنّك بالعدل مع المؤمنين.

﴿واتّقوا الله إنّ الله خبير بما تعملون﴾ فيجازيكم به، وتكرير هذا الحكم إمّا لاختلاف السبب، كما قيل: إنّ الأُولى نزلت في المشركين وهذه نزلت في اليهود، أو لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في إطفاء نائرة الغيظ.

[٩] ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم﴾ وعدهم هذا القول في الآخرة.

[١٠] ﴿والذين كفروا وكذّبوا بآياتنا أُولئك أصحاب الجحيم﴾ هذا من عادته تعالى أن يتبع حال أحد الفريقين حال الآخر، وفاء بحقّ الدعوة.(١)

[١١] ﴿يا أيّها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم﴾ روي أنّ المشركين رأوا رسول الله ﷺ وأصحابه بعسفان قاموا إلى الظهر معاً، فلمّا صلّوا ندموا ألّا كانوا أكبّوا عليهم، وهمّوا أن يوقعوا بهم إذ[ا] قاموا إلى العصر، فردّ الله كيدهم بأن أنزل صلاة الخوف، وروي أنّه كان ذلك لمّا أتى قريظة وأرادوا الغدر به فأخبره جبرئيل.

﴿إذ همّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم﴾ بالقتل والإهلاك.

﴿فكفّ أيديهم عنكم﴾ منعها أن تمدّ إليكم وردّ مضرّتها عنكم.

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٤١٥، ومجمع البيان ٣ / ٢٩٣.

﴿واتّقوا الله وعلى الله فليتوكّل المؤمنون﴾ فإنّه الكافي لإيصال الخير ودفع الشرّ.

[١٢] ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً﴾ روي أنّ بني إسرائيل لمّا فرغوا من فرعون واستقرّوا بمصر أمرهم الله بالمسير إلى أريحا أرض الشام، وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون، وقال: إنّي كتبتها لكم داراً وقراراً، فاخرجوا إليها وجاهدوا فيها فإنّي ناصركم، وأمر موسى أن يأخذ من كلّ سبط كفيلاً عليهم بالوفاء بما أُمروا به، فأخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم، فلمّا دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون الأخبار، ونهاهم أن يحدّثوا قومهم، فرأوا بأساً شديداً فرجعوا وحدّثوا قومهم، إلّا كالب بن يوفنا سبط يهوذا ويوشع بن نون بن إفراييم[١] بن يوسف.

﴿وقال الله إنّي معكم﴾ بالنصرة.

﴿لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزّرتموهم﴾ أن نصرتموهم وقويتموهم.

﴿وأقرضتم الله قرضاً حسناً﴾ بالإنفاق في سبيل الخير عن طيبة نفس.

﴿لأكفرنّ عنكم سيّئاتكم﴾ بعفوي عنها.

﴿ولأُدخلنّكم جنّات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك﴾ الميثاق المؤكّد المعلّق به الوعد العظيم.

﴿منكم فقد ضلّ سواء السبيل﴾ ضلالاً لا شبهة فيه ولا عذر معه، بخلاف من كفر قبل ذلك، إذ يمكن أن يكون له شبهة، ويتوهّم أن له معذرة.[٢]

---

١. في البيضاوي: من سبط افراييم.

٢. تفسير البيضاوي ١ / ٤١٦، ومجمع البيان ٣ / ٢٩٤.

[١٣] ﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم﴾ طردناهم من رحمتنا، أو مسخناهم، أو ضربنا عليهم الجزية.

﴿وجعلنا قلوبهم قاسية﴾ غليظة صلبة ردية فاسدة، لا تعقل الآيات والنذر.

﴿يحرّفون الكلم عن مواضعه﴾ استئناف لبيان قسوة قلوبهم، فإنّه لا قسوة أشدّ من تغيير كلام الله والافتراء عليه.

﴿ونسوا حظّاً ممّا ذكّروا به﴾ وتركوا نصيباً وافياً من التوراة، أو من اتّباع محمّد، والمعنى: أنّهم حرّفوا التوراة وتركوا حظّهم بما أنزل عليهم فلم ينالوه، قال ابن مسعود: قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية.

﴿ولا تزال تطّلع على خائنة منهم﴾؛ لأنّ الخيانة والغدر من عادتهم وعادة أسلافهم، لا تزال ترى ذلك منهم.

﴿إلّا قليلاً منهم﴾ لم يحرّفوا، وهم الذين آمنوا منهم.

﴿فاعف عنهم واصفح﴾ إن تابوا وآمنوا، أو عاهدوا والتزموا الجزية، وقيل: مطلق نُسخ بآية السيف.

﴿إنّ الله يحبّ المحسنين﴾ تعليل للأمر بالصفح وحثّ عليه، وتنبيه على أنّ العفو عن الكافر والخائن إحسان فضلاً عن العفو عن غيره.[١]

[١٤] ﴿ومن الذين قالوا إنّا نصارى أخذنا ميثاقهم﴾ كما أخذنا ممّن قبلهم.

﴿فنسوا حظّاً ممّا ذكّروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة﴾ فألزمناها بين فرق النصارى، وهم نسطورية يقولون: إنّ عيسى ابن الله، ويعقوبية يقولون: إنّ الله هو المسيح بن مريم، وملكانية يقولون: إنّ الله ثالث ثلاثة الله وعيسى ومريم، وكلّ فرقة تكفّر الأُخرى.

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٤١٧، ومجمع البيان ٣ / ٢٩٥.

﴿وسوف ينبّئهم الله بما كانوا يصنعون﴾ بالجزاء والعقاب.

[١٥] ﴿يا أهل الكتاب﴾ يعني اليهود والنصارى، وحّد الكتاب؛ لأنّه للجنس.

﴿قد جاءكم رسولنا﴾ محمّد ﷺ.

﴿يبيّن لكم كثيراً ممّا كنتم تخفون من الكتاب﴾ كنعت محمّد، وآية الرجم في التوراة، وبشارة عيسى بأحمد في الإنجيل.

﴿ويعفو عن كثير﴾ ممّا تخفونه لا يخبر به، إذ[ا] لم يضطرّ إليه أمر ديني، أو عن كثير منكم فلا يؤاخذه.

﴿قد جاءكم من الله نور﴾ في التوراة والإنجيل.

﴿وكتاب مبين﴾ يعني القرآن، فإنّه الكاشف لظلمات الشكّ والضلال، والكتاب الواضح.

[١٦] ﴿يهدي به الله﴾ وحّد الضمير؛ لأنّ المراد بهما واحد، أو لأنّهما كواحد في الحكم.

﴿من اتّبع رضوانه﴾ من اتّبع رضاه بالإيمان منهم.

﴿سبل السلام﴾ طرق السلامة من العذاب [أ]و سبيل الله.

﴿ويخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ من أنواع الكفر إلى الإسلام.

﴿بإذنه﴾ بإرادته أو بتوفيقه.

﴿ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ إلى طريق هو أقرب الطرق إلى الله ومؤدّ إليه لا محالة.[1]

[١٧] ﴿لقد كفر الذين قالوا إنّ الله هو المسيح ابن مريم﴾ هم الذين قالوا بالاتّحاد منهم.

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٤١٨، ومجمع البيان ٣ / ٢٩٨.

﴿قل فمن يملك من الله شيئاً﴾ فمن يمنع من قدرته وإرادته شيئاً.

﴿إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأُمَّه ومن في الأرض جميعاً﴾ احتجّ بذلك على فساد قولهم، وتقريره أنّ المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات، ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الأُلوهية.

﴿ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما﴾ فلا ثاني له.

﴿يخلق ما يشاء﴾ من أصل ليس من جنسه كآدم وكثير من الحيوانات، ومن أصل يجانسه إمّا من ذكر وحده كحواء، أو من أُنثى وحدها كعيسى، أو منهما كسائر الناس.

﴿والله على كلّ شيء قدير﴾ قادر على الإطلاق، يخلق من أصل ومن غير أصل.

[١٨] ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ أشياع ابنيه عزير والمسيح، فإن غضب علينا فكغضب الرجل على ولده.

﴿قل فلم يعذّبكم بذنوبكم﴾ أي: إن كان الأمر كما زعمتم فلم عذّبكم في الدنيا بالقتل والأسر والمسخ، واعترفتم أنّه سيعذّبكم بالنار أيّاماً معدودة.

﴿بل أنتم بشر ممّن خلق﴾ ممّن خلقه الله، ليس الأمر على ما قلتم.

﴿يغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء﴾ على وجه الحكمة.

﴿ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما﴾ كلّها سواء في كونها خلقاً وملكاً له.

﴿وإليه المصير﴾ فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.[١]

[١٩] ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا﴾ محمّد ﷺ.

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٤١٩، ومجمع البيان ٣ / ٢٠٣.

﴿يبيّن لكم﴾ الدين.

﴿على فترة من الرسل﴾ على حين فتور من الإرسال وانقطاع من الوحي، وكانت الفترة من رفع المسيح إلى مولد النبي العربي محمّد ﷺ، خمسمئة وخمساً وأربعين سنة.

﴿أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير﴾ كراهة أن تقولوا ذلك وتعتذروا به.

﴿فقد جاءكم بشير ونذير﴾ وهو محمّد ﷺ فلا تعتذروا.

﴿والله على كلّ شيء قدير﴾ فيقدر على الإرسال تترى، كما فعل بين موسى وعيسى، إذ كان بينهما ألف وسبعمئة سنة وألف نبي، وعلى الإرسال على فترة، كما فعل بين عيسى ومحمّد ﷺ، وكان بينهما ما تقدّم من السنين، وأربعة أنبياء، ثلاثة من بني إسرائيل، وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي.

[٢٠] ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء﴾ فأرشدكم وشرّفكم بهم، ولم يبعث في أُمّة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء.

﴿وجعلكم ملوكاً﴾ أي: وجعل منكم أو فيكم، وقد تكاثر فيهم الملوك، تكاثر الأنبياء بعد فرعون حتّى قتلوا يحيى وغيره وهمّوا بقتل عيسى.

﴿وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين﴾ من فلق البحر، وتظليل الغمام، وإنزال المنّ والسلوى، ونحوها ممّا آتاهم.[1]

[٢١] ﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدّسة﴾ أرض بيت المقدس، سمّيت بذلك؛ لأنّها كانت قرار الأنبياء ومسكن المؤمنين، وقيل: الطور وما حوله، وقيل: دمشق وفلسطين وبعض الأُردن، وقيل: الشام.

---

١. تفسير البيضاوي ١ / ٤٢٠، ومجمع البيان ٣ / ٢٠٦.

﴿التي كتب الله لكم﴾ قسمها لكم، أو كتب في اللوح أنّها تكون مسكناً لكم، ولكن إن آمنتم وأطعتم؛ لقوله لهم بعدما عصوا: ﴿فإنّها محرّمة عليهم﴾.

﴿ولا ترتدّوا على أدباركم﴾ خوفاً من الجبابرة، أو لا ترتدّوا في دينكم، بالعصيان وعدم الوثوق على الله.

﴿فتنقلبوا خاسرين﴾ ثواب الدارين.

[٢٢] ﴿قالوا يا موسى إنّ فيها قوماً جبّارين﴾ قهّارين لسائر الأُمم.

﴿وإنّا لن ندخلها حتّى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنّا داخلون﴾؛ إذ لا طاقة لنا بهم.

[٢٣] ﴿قال رجلان﴾ هما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا.

﴿من الذين يخافون﴾ الله ويتّقونه.

﴿أنعم الله عليهما﴾ بالإيمان والتثب[ي]ت.

﴿ادخلوا عليهم الباب﴾ باب قريتهم.

﴿فإذا دخلتموه فإنّكم غالبون﴾ لتعسّر الكرّ عليهم في المضايق من عظم أجسامهم، أو لأنّهم أجسام لا قلوب فيها.

﴿وعلى الله فتوكّلوا إن كنتم مؤمنين﴾ بالله ومصدّقين لوعده.

[٢٤] ﴿قالوا يا موسى إنّا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها﴾ خافوا من الجبّارين لعظم أجسامهم وشدّة بطشهم، وكان من جملتهم عوج بن عناق، قيل: إنّه ابن بنت آدم وعاش أربعة آلاف وخمسمئة سنة إلى أن قتله موسى في التيه.

﴿فاذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون﴾ قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما، وقيل: تقديره اذهب أنت وربّك يعينك[١].

---

١. تفسير البيضاوي ١: ٤٢٢، ومجمع البيان ٣: ٣١٠.

[٢٥] ﴿قال ربّ إنّي لا أملك إلّا نفسي وأخي﴾ قاله شكوى بثّه وحزنه إلى الله لما خالفه قومه وأيس منهم، ولم يبق معه موافق يثق به غير هارون عليه السلام والرجلان المذكوران يوشع وكالب، وإن كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلوّن قومه.

﴿فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ الخارجين عن طاعتك وخلّصنا من صحبتهم.

[٢٦] ﴿قال فإنّها محرّمة عليهم﴾ يعني الأرض المقدّسة لا يدخلونها، ولا يملكونها بسبب عصيانهم.

﴿أربعين سنة يتيهون في الأرض﴾ يتردّدون فيها، وكان قدر موضع التيه ستة فراسخ، يسيرون كلّ يوم جادّين ليخرجوا منها، فإذا هم في الدار التي ارتحلوا منها، وفي التيه توفّي هارون وموسى عليهما السلام، ثمّ خرج بهم يوشع بن نون، ونزل على أريحا قرية الجبّارين، وصوّت عليها بالقرون فانهدّت أسوارها، وأخذها بالسيف، ثمّ سار إلى نابلس، إلى الموضع الذي بيع فيه يوسف، ودفن عظامه هناك أو عند جدّه إبراهيم الخليل.[١]

﴿فلا تأس على القوم الفاسقين﴾ خاطب به موسى لمّا ندم على الدعاء عليهم، وبيّن أنّهم أحقّاء بذلك لفسقهم.

[٢٧] ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم﴾ قابيل وهابيل.

﴿بالحقّ﴾ بالصدق موافقاً لما في كتب الأوّلين.

﴿إذ قرّبا قرباناً﴾ قيل: أوحى الله إلى آدم أن يزوّج كلّ منهما توأمة الآخر، فسخط منه قابيل؛ لأنّ توأم[تـ]ـه كانت أجمل، واسمها اقليما، فقال لهما آدم: قرّبا قرباناً فمن أيّكما قبل تزوّجها، فقبل قربان هابيل، بأن نزلت نار بلا دخان على

---

١. لم أعرف بعد مصدر المصنف في هذا الموضع، وهكذا بعض ما يأتي بعد أسطر.

صورة عنقاء لها جناحان أخضران فأكلته، فازداد قابيل سخطاً، وفعل ما فعل من قتل أخيه وعصيان ربّه وأبيه.

﴿فتقبّل من أحدهما ولم يتقبّل من الآخر قال لأقتلنّك﴾ حسده؛ لأنّه سخط حكم الله، ولم يخلص النيّة في قربانه ولذلك.

﴿قال إنّما يتقبّل الله من المتّقين﴾ الخائفين لله.

[٢٨] ﴿لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إنّي أخاف الله ربّ العالمين﴾ قيل: إنّ القتل على المدافعة لم يكن مباحاً في ذلك الوقت، وكان الصبر عليه هو المأمور به.

[٢٩] ﴿إنّي أُريد أن تبوء بإثمي وإثمك﴾ أن تحمل إثمي لو بسطت إليك يدي، وإثمك ببسطك يدك إليّ، وقيل: معنى (بإثمي) بإثم قتلي و(إثمك) الذي لم يقبل من أجله قربانك[١].

﴿فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء [الظالمين]﴾

[١١٥] [﴿قال الله إنّي منزلّها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإنّي أُعذّبه عذاباً لا أُعذّبه أحداً من العالمين﴾ أي: من عالمي زمانهم، أو العالمين مطلقاً فإنهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذّب بمثل ذلك غيرهم، روي أنّها نزلت سفرة حمراء بين][٢] غمامتين وهم ينظرون إليها حتّى سقطت بين أيديهم، فبكى عيسى عليه السلام، وقال: اللّهمّ اجعلني من الشاكرين، اللّهمّ اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة، ثمّ قام فتوضأ وصلّى وبكى، ثمّ كشف المنديل، وقال: بسم الله خير الرازقين، فإذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسماً، وعند رأسها ملح، وعند ذنبها خلّ، وحولها ألوان

---

١. مجمع البيان ٣: ٣١٧، وتفسير البيضاوي ١ / ٤٢٣.

٢. من تفسير البيضاوي لاستدراك بعض النقص الحاصل من سقوط عدّة أوراق من النسخة.

البقول ما خلا الكرّاث، وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون، وعلى الثاني عسل، وعلى الثالث سمن، وعلى الرابع جبن أو تمر، وعلى الخامس قديد أو رمّان، فقال شمعون: يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة. قال: ليس منهما ولكن اخترعه الله تعالى بقدرته، كلوا ما سألتم، واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله، فقالوا: يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أُخرى، فقال: يا سمكة احيي بإذن الله فاضطربت، ثمّ قال لها: عودي كما كنت فعادت مشوية، فأكل منها خلق كثير ولم تنقص، ولم يأكل منها ذو عاهة إلّا برئ، ولا فقير إلّا استغنى، وكانت تنزل يوماً وتغيب يوماً أربعين ليلة، ثمّ طارت المائدة ثمّ عصوا بعدها فمسخوا، قيل: مسخ منهم ثلاثة وثمانون رجلاً[1].

[١١٦] ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتّخذوني وأُمّي إلهين من دون الله﴾ يريد به توبيخاً وتهديداً لمن ادّعى ذلك من النصارى.

﴿قال سبحانك﴾ أُنزّهك تنزيهاً أن يكون لك شريك.

﴿ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحقّ﴾ ما ينبغي أن أقول قولاً لا يحقّ لي أن أقوله، فآمر الناس بعبادتي وأنا عبد مثلهم.

﴿إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ تعلم ما أخفيته في نفسي كما تعلم ما أعلنته، ولا أعلم ما تخفيه من معلوماتك.

﴿إنّك أنت علّام الغيوب﴾ وأنا ليس لي ذلك.

[١١٧] ﴿ما قلت لهم إلّا ما أمرتني به﴾ تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدلّ عليه.

﴿أن اعبدوا الله ربّي وربّكم﴾ ولا يشركوا معك غيرك في العبادة.

---

١. مجمع البيان ٣: ٤٥٦، وتفسير البيضاوي ذيل الآية ١١٥.

﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم﴾ أي: رقيباً عليهم أمنعهم أن يقولوا ذلك ويعتقدوه.

﴿فلمّا توفّيتني﴾ بالرفع إلى السماء؛ لقوله ﴿إنّي متوفّيك ورافعك﴾[1] والتوفّي أخذ الشيء وافياً والموت نوع منه، قال تعالى: ﴿الله يتوفّى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾[2].

﴿كنت أنت الرقيب عليهم﴾ المراقب لأحوالهم فتمنع من أردت عصمته من القول به، بالإرشاد إلى الدلائل والتنبيه عليها، بإرسال الرسل وإنزال الآيات.

﴿وأنت على كلّ شيء شهيد﴾ مطّلع عليه مراقب له.

[١١٨] ﴿إن تعذّبهم فإنّهم عبادك﴾ ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه؛ لأنّهم عبادك و[قد] عبدوا غيرك.

﴿وإن تغفر لهم فإنّك أنت العزيز الحكيم﴾ فلا عجز ولا استقباح، فإنّك القادر القوي على الثواب والعقاب، الذي لا يثيب ولا يعاقب إلّا عن حكمة وصواب، فإنّ المغفرة مستحسنة لكلّ مجرم، فإن عذّبت فعدل وإن غفرت ففضل، وعدم غفران الشرك يقتضي الوعيد، فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق بإن.

[١١٩] ﴿قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾ يعني: ما صدقوا فيه في دار التكليف.

﴿لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً﴾ أي: دائمين في نعيم مقيم.

﴿رضي الله عنهم﴾ بما فعلوا.

---

١. آل عمران (٣)، الآية ٥٥.

٢. الزمر (٣٩)، الآية ٤٢.

﴿ورضوا عنه﴾ بما أعطاهم من الجزاء والثواب.

﴿ذلك الفوز العظيم﴾ فازوا بالجنّة ونجوا من النار.

[١٢٠] ﴿لله ملك السماوات والأرض وما فيهنّ وهو على كلّ شيء قدير﴾ تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم في المسيح وأُمّه.[١]

١. مجمع البيان ٣ / ٤٦٠، وتفسير البيضاوي ذيل الآيات ١١٥ ـ ١٢٠، من سورة المائدة.

[٦]
سورة الأنعام

[هي مكّية غير ست آيات][1] من قوله تعالى ﴿وما قدروا الله حقّ قدره﴾[2] إلى [آخر ثلاث آيات]، ﴿قل تعالوا أتل ما حرّم ربّكم عليكم﴾[3] [إلى آخر ثلاث آيات].

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض﴾ أخبر بأنّه تعالى حقيق بالحمد، ونبّه على أنّه المستحقّ له على هذه النعم الجسام حمداً وإن لم يحمد، ليكون حجّة على الذين هم بربّهم يعدلون.

﴿وجعل الظلمات والنور﴾ أنشأهما؛ لأنّهما لا يقومان بأنفسهما كما زعمت الثنوية.

﴿ثمّ الذين كفروا بربّهم يعدلون﴾ فيكفرون نعمته.

[٢] ﴿هو الذي خلقكم من طين﴾ أي: ابـ[ـتـ]ـدأ خلقكم منه، فإنّه المادّة الأُولى، وإنّ آدم الذي هو أصل البشر خلق منه.

﴿ثمّ قضى أجلاً﴾ أجل الموت.

---

١. من مجمع البيان، وفي النسخة بياض بما يقرب من سطر.
٢. الآية ٩١ من هذه السورة.
٣. الآية ١٥١ من هذه السورة، وما بعدها من مجمع البيان.

﴿وأجل مسمّى عنده﴾ أجل القيامة، مذكور عنده في اللوح المحفوظ، وقيل: الأوّل ما بين الخلق والموت، والثاني ما بين الموت والبعث، وقيل: الأوّل لمن مضى، والثاني لمن بقي ولمن يأتي.

﴿ثمّ أنتم تمترون﴾ تشكّون.

[٣] ﴿وهو الله في السماوات وفي الأرض﴾ أي: هو المستحقّ للعبادة فيهما لا غير، كقوله ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾[١].

﴿يعلم سرّكم وجهركم﴾ فلا يخفى عليه منكم خافية.

﴿ويعلم ما تكسبون﴾ من خير [أ]و شرّ، فيثيب عليه ويعاقب.

[٤] ﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربّهم﴾ دالّة على توحيد الله ونبوّة محمّد صلّى الله عليه وآله.

﴿إلّا كانوا عنها معرضين﴾ تاركين للنظر فيها غير ملتفتين إليه.

[٥] ﴿فقد كذّبوا بالحقّ لمّا جاءهم﴾ يعني القرآن الذي أتاهم به محمّد وسائر أُمور الدين.

﴿فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون﴾ وعيد من الله لهم بعذاب رأوه يوم بدر، قتلوا بالسيوف.[٢]

[٦] ﴿ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن﴾ أي: من أهل زمان، والقرن مدّة أغلب أعمار الناس، وهي سبعون سنة، وقيل: ثمانون، وقيل: القرن أهل عصر فيه نبي.

﴿مكّنّاهم في الأرض﴾ جعلنا لهم فيها مكاناً وقررناهم فيها، وأعطيناهم من القوى والآلات ما تمكّنوا بها من أنواع التصرّف فيها.

١. الزخرف (٤٣)، الآية ٨٤.
٢. تفسير البيضاوي ٢ / ٥، ومجمع البيان ٤ / ٢٥.

﴿ما لم نمكّن لكم﴾ ما لم نجعل لكم في السعة وطول المقام يا أهل مكّة.

﴿وأرسلنا السماء عليهم﴾ أي: المطر فإنّ مبدأه منها.

﴿مدراراً﴾ بالغيث والبركة.

﴿وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم﴾ فعاشوا في الخصب والريف بين الأنـهار والثمار.

﴿فأهلكناهم بذنوبهم﴾ أي: لم يغن ذلك عنهم شيئاً.

﴿وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين﴾ بدلاً منهم.

[٧] ﴿ولو نزّلنا عليك كتاباً في قرطاس﴾ مكتوباً في ورق.

﴿فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلّا سحر مبين﴾ تعنّتاً وعناداً.

[٨] ﴿وقالوا لولا أُنزل عليه ملك﴾ هلّا أنزل معه ملك، يكلّمنا أنّه نبي، كقوله: ﴿لولا أُنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً﴾[١].

﴿ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر﴾ لجاءهم العذاب عاجلاً ولم يؤخّروا كما فعله بمن سأل الآيات ولم يؤمن بها إذ جاءته، فإنّ سنّة الله جرت بذلك فيمن قبلهم.

﴿ثمّ لا ينظرون﴾ بعد نزوله طرفة عين.

[٩] ﴿ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً﴾ كما مثل جبرئيل في صورة دحية، فإنّ القوّة البشرية لا تقوى على رؤية الملك في صورته.

﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ ما يشبّهون على أنفسهم، فيقولون ما هذا إلّا بشر مثلكم.

[١٠] ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك﴾ تسلية لرسول الله ﷺ على ما يرى من قومه.

---

١. الفرقان (٢٥)، الآية ٧.

﴿فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون﴾ فـ[أ]حاط بهم ما كان من وعيد أنبيائهم، بعاجل العقاب في الدنيا، والحيق لا يستعمل إلّا في الشرّ.

[١١] ﴿قل سيروا في الأرض ثمّ انظروا كيف كان عاقبة المكذّبين﴾ من الأُمم السالفة كيف أهلكهم الله بعذاب الاستئصال، كي تعتبروا.[١]

[١٢] ﴿قل لمن ما في السماوات والأرض﴾ لله الذي خلقها أم لأصنامكم.

﴿قل لله﴾ تقرير لهم، وتنبيه على أنّه المتعيّن بالجواب بالاتّفاق، بحيث لا يمكنهم أن يذكروا غيره.

﴿كتب على نفسه الرحمة﴾ التزمها تفضّلاً وإحساناً، بأن يقبل التوبة ويعفو عن السيّئات.

﴿ليجمعنّكم إلى يوم القيامة﴾ أي: ليجمعنّكم في القبور مبعوثين إلى يوم النشور، فيجازيكم على شرككم.

﴿لا ريب فيه﴾ لا شكّ في اليوم أو الجمع.

﴿الذين خسروا أنفسهم﴾ بتضييع رأس مالهم، وهو الفطرة الأُصلية والعقل السليم.

﴿فهم لا يؤمنون﴾ بالبعث ولا يصدّقون به.

[١٣] ﴿وله ما سكن في الليل والنهار﴾ ولا شيء من خلق الله إلّا وهو ساكن فيهما.

﴿وهو السميع﴾ لكلّ مسموع.

﴿العليم﴾ بكلّ معلوم فلا يخفى عليه شيء.

[١٤] ﴿قل أغير الله أتّخذ وليّاً﴾ والمراد بالولي المعبود؛ لأنّه ردّ لمن دعاه إلى الشرك.

---

١. مجمع البيان ٤ / ٢٨، وتفسير البيضاوي ٢ / ٦.

﴿فاطر السماوات والأرض﴾ مبدعهما، وعن ابن عبّاس: ما عرفت ما معنى الفاطر حتّى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي: ابتدأتها.

﴿وهو يطعم ولا يطعم﴾ يرزق ولا يرزق.

﴿قل إنّي أُمرت أن أكون أوّل من أسلم﴾؛ لأنّ النبي سابق أُمّته في الدين.

﴿ولا تكوننّ من المشركين﴾ وقيل لي: لا تكوننّ.(١)

[١٥] ﴿قل إنّي أخاف إن عصيت ربّي عذاب يوم عظيم﴾ مبالغة أُخرى في قطع أطماعهم.

[١٦] ﴿من يصرف عنه يومئذٍ﴾ أي: يصرف العذاب عنه.

﴿فقد رحمه﴾ نجاه وأنعم عليه.

﴿وذلك الفوز المبين﴾ أي: الصرف أو الرحم.

[١٧] ﴿وإن يمسسك الله بضرّ فلا كاشف له إلّا هو وإن يمسسك بخير﴾ بنعمة كصحّة وغنى.

﴿فهو على كلّ شيء قدير﴾ فكان قادراً على حفظه وإدامته، فلا يقدر غيره على دفعه لقوله ﴿فلا رادّ لفضله﴾(٢).

[١٨] ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ تصوير لقهره وعلوّه بالغلبة والقدرة.

﴿وهو الحكيم﴾ في أمره وتدبيره.

﴿الخبير﴾ بالعباد وخفايا أحوالهم.(٣)

---

١. تفسير البيضاوي ٢ / ٨، ومجمع البيان ٤ / ٣٠.

٢. يونس (١٠)، الآية ١٠٧.

٣. تفسير البيضاوي ٢ / ٩، ومجمع البيان ٤ / ٣٣.

[١٩] ﴿قل أيّ شيء أكبر شهادة﴾ نزل حين قال قريش: يا محمّد، لقد سألنا عنك اليهود والنصارى، فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة، فأرنا من يشهد لك أنّك رسول الله.

﴿قل الله﴾ أي: الله أكبر شهادة.

﴿شهيد بيني وبينكم﴾ يشهد لي بالرسالة والنبوّة.

﴿وأُوحي إليّ هذا القرآن﴾ حجّة لي وشهادة على صدقي.

﴿لأُنذركم به﴾ لأُخوّفكم بالقرآن من عذاب الله.

﴿ومن بلغ﴾ أي: لأُنذركم به يا أهل مكّة وسائر من بلغه القرآن إلى يوم القيامة من جميع الثقلين.

﴿أئنّكم لتشهدون أنّ مع الله آلهة أُخرى﴾ تقرير لهم مع إنكار واستبعاد.

﴿قل لا أشهد﴾ بما تشهدون.

﴿قل إنّما هو إله واحد﴾ أي: بل أشهد أن لا إله إلّا هو.

﴿وإنّني بريء ممّا تشركون﴾ يعني: الأصنام.

[٢٠] ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه﴾ يعرفون رسول الله بحليته المذكورة في التوراة والإنجيل.

﴿كما يعرفون أبناءهم﴾ بحلاهم.

﴿الذين خسروا أنفسهم﴾ من أهل الكتاب والمشركين.

﴿فهم لا يؤمنون﴾ لتضييعهم ما به يكتسب الإيمان.

[٢١] ﴿ومن أظلم ممّن افترى على الله كذباً﴾ كقولهم: الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله.

﴿أو كذّب بآياته﴾ كأن كذّبوا القرآن والمعجزات، وسمّوها سحراً.

﴿إنّه لا يفلح الظالمون﴾ الكافرون بالقرآن وبمن جاءه.

[٢٢] ﴿ويوم نحشرهم جميعاً﴾ من قبورهم إلى موضع الحساب.

﴿ثمّ نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم﴾ أي: آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله.

﴿الذين كنتم تزعمون﴾ أي: تزعمونهم شركاء، والمراد من الاستفهام التوبيخ.

[٢٣] ﴿ثمّ لم تكن فتنتهم﴾ أي: كفرهم، وقيل: معذرتهم.

﴿إلّا أن قالوا والله ربّنا ما كنّا مشركين﴾ يكذبون ويحلفون عليه، مع علمهم بأنّه لا ينفع، من فرط الحيرة والدهشة، كما يقولون ربّنا أخرجنا منها وقد أيقنوا بالخلود.

[٢٤] ﴿انظر كيف كذبوا على أنفسهم﴾ أي: بنفي الشرك عنها.

﴿وضلّ عنهم ما كانوا يفترون﴾ من الشركاء.[1]

[٢٥] ﴿ومنهم من يستمع إليك﴾ حين تتلو القرآن، والمراد أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وأبو جهل وأضرابهم، اجتمعوا فسمعوا رسول الله يقرأ [القرآن]، فقالوا للنضر: ما يقول؟ فقال: والذي جعلها بيته ما أدري ما يقول، إلّا أنّه يحرك لسانه ويقول أساطير الأوّلين، مثل ما حدّثتكم [عن القرون الماضية].

﴿وجعلنا على قلوبهم أكنّة﴾ أغطية جمع كنان، وهو ما يستر الشيء.

﴿أن يفقهوه﴾ كراهة أن يفقهوه.

﴿وفي آذانهم وقراً﴾ ثقلاً يمنع من استماعه.

﴿وإن يروا كلّ آية لا يؤمنوا بها﴾ لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم.

﴿حتّى إذا جاءوك يجادلونك﴾ أي: بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنّهم جاؤوك يجادلونك.

---

١. تفسير البيضاوي ٢ / ١٠، ومجمع البيان ٤ / ٣٥.

﴿يقول الذين كفروا إن هذا إلّا أساطير الأوّلين﴾ فإنّ[1] جعل أصدق الحديث خرافات الأوّلين غاية التكذيب، والأساطير الأباطيل.

[٢٦] ﴿وهم ينهون عنه﴾ أي: ينهون الناس عن القرآن، أو الرسول والإيمان به.

﴿وينأون عنه﴾ ويبعدون عنه بأنفسهم، وقيل: ينهون عن التعرّض لرسول الله ﷺ، وينأون عنه فلا يؤمنون به في أوّل الأمر، كأبي طالب[2] والعبّاس وغيرهما من بني هاشم، كافرهم يحامي لقرابته من رسول الله ﷺ، ومؤمنهم يريد بذلك ثواب الله[3]، غير أبي لهب فإنّ الكفر عليه غلب.

﴿وإن يهلكون إلّا أنفسهم وما يشعرون﴾ أنّ ضرره لا يتعدّاهم إلى غيرهم.[4]

[٢٧] ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار﴾ أي: لو تراهم حين يوقفون على النار حتّى يعاينوها فيعرفون مقدار عذابها لرأيت أمراً شنيعاً.

﴿فقالوا يا ليتنا﴾ تمنّياً للرجوع إلى الدنيا.

---

١. ن: بأن.

٢. هذا المثال أخذه المصنف من تفسير البيضاوي، ومثله في عدّة مصادر، قال الطبرسي رحمه الله في مجمع البيان بعد ذكره: وهذا لا يصح لأنّ الآية معطوفة على ما تقدمها، وما تأخر عنها معطوف عليها، وكلّها في ذم الكفار المعاندين للنبي ﷺ، هذا وقد ثبت إجماع أهل البيت عليهم السلام على إيمان أبي طالب. ثم ذكر بعض الشواهد والأشعار الدالة على إيمانه ثم قال: في أمثال هذه الأبيات ممّا هو موجود في قصائده المشهورة، ووصاياه وخطبه يطول بها الكتاب، على أنّ أبا طالب لم ينأ عن النبي ﷺ قط، بل كان يقرب منه ويخالطه ويقوم بنصرته.

٣. اقتباس من كتاب علي عليه السلام إلى معاوية يعدّد فيها فضائل بني هاشم ورجحانهم على بني أُمية.

٤. تفسير البيضاوي ٢ / ١٢، ومجمع البيان ٤ / ٤٠.

﴿نردّ ولا نكذّب بآيات ربّنا ونكون من المؤمنين﴾ بآيات الله.

[٢٨] ﴿بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل﴾ من نفاقهم وقبائح أعمالهم.

﴿ولو ردّوا﴾ إلى الدنيا بعد الوقوف والظهور.

﴿لعادوا لما نهوا عنه﴾ عن الكفر والمعاصي.

﴿وإنّهم لكاذبون﴾ فيما وعدوا [به] من أنفسهم.

[٢٩] ﴿وقالوا﴾ في الدنيا.

﴿إن هي إلّا حياتنا الدنيا﴾ الضمير للحياة.

﴿وما نحن بمبعوثين﴾ بعد الموت.

[٣٠] ﴿ولو ترى إذ وقفوا على ربّهم﴾ أي: وقفوا على قضاء ربّهم.

﴿قال﴾ أي: يقول الله تعالى لهم.

﴿أليس هذا بالحقّ﴾ يعني: البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب.

﴿قالوا بلى وربّنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ بسبب كفركم أو بدله.[1]

[٣١] ﴿قد خسر الذين كذّبوا بلقاء الله﴾؛ إذ فاتهم النعيم، واستوجبوا العذاب المقيم، ولقاء الله البعث وما يتبعه.

﴿حتّى إذا جاءتهم الساعة﴾ أي: القيامة.

﴿بغتة﴾ فجأة، ونصبها على الحال.

﴿قالوا يا حسرتنا﴾ أي: تعالي فهذا أوانك.

﴿على ما فرّطنا﴾ قصّرنا.

﴿فيها﴾ في الحياة الدنيا، أُضمرت وإن لم يجر ذكرها للعلم بها، أو في الساعة،

١. تفسير البيضاوي ٢ / ١٣، ومجمع البيان ٤ / ٤٣.

يعني: شأنها والإيمان بها.

﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم﴾ تمثيل لاستحقاقهم أوزار الآثام، [وهو] جمع [الوزر][١] وهو الدرن.

﴿ألا ساء ما يزرون﴾ بئس شيئاً يزرونه.

[٣٢] ﴿وما الحياة الدنيا إلّا لعب ولهو﴾ أي: وما أعمالهم إلّا لعب ولهو، يلهي الناس ويشغلهم عمّا يعقب منفعة دائمة ولذّة حقيق[يّ]ة.

﴿وللدار الآخرة خير للذين يتّقون﴾ لدوامها وخلوص منافعها ولذّاتها.

﴿أفلا تعقلون﴾ أيّ الأمرين خير.

[٣٣] ﴿قد نعلم إنّه ليحزنك الذي يقولون﴾ إنّك شاعر أو مجنون.

﴿فإنّهم لا يكذّبونك﴾ في الحقيقة.

﴿ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ ويكذبونه، روي أنّ أبا جهل كان يقول: لا نكذّبك وإنّك عندنا لصادق، ولكن نكذّب ما جئتنا به، فنزلت[٢].

[٣٤] ﴿ولقد كذّبت رسل من قبلك﴾ تسلية لرسول الله.

﴿فصبروا على ما كذّبوا وأُوذوا﴾ على تكذيبهم، فتأسّ بهم واصبر.

﴿حتّى أتاهم نصرنا ولا مبدّل لكلمات الله﴾ لمواعيده، من قوله: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾[٣] الآيات.

﴿ولقد جاءك من نبأ المرسلين﴾ أي: من قصصهم وما كابدوا من قومهم.

---

١. زيادة منا لتتميم الكلام، وما ذكره هو معنى الوضر لا الوزر، وفي تفسير البيضاوي: آصار الآثام.

٢. تفسير البيضاوي ٢: ١٤، ومجمع البيان ٤ / ٤٥.

٣. الصافات (٣٧)، الآية ١٧١.

[٣٥] ﴿وإن كان كبر عليك﴾ عظم وشقّ.

﴿إعراضهم﴾ عنك وعن الإيمان بما جئت به.

﴿فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض﴾ منفذاً تنفذ فيه إلى جوفها.

﴿أو سلّماً في السماء﴾ مصعداً تصعد به إليها.

﴿فتأتيهم بآية﴾ أفضل ممّا آتيناهم به فافعل.

﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى﴾ بتوفيقهم للإيمان حتّى يؤمنوا، ولكن لم تتعلّق به مشيئته، فلا تتهالك عليه.

﴿فلا تكوننّ من الجاهلين﴾ بالحرص على ما لا يكون، والجزع في مواطن الصبر، فإنّ ذلك من دأب الجهلة.

[٣٦] ﴿إنّما يستجيب الذين يسمعون﴾ بفهم وتأمّل، وهؤلاء كالموتى لا يسمعون.

﴿والموتى يبعثهم الله﴾ فيعلمهم حين لا ينفعهم الإيمان.

﴿ثمّ إليه يرجعون﴾ للجزاء.

[٣٧] ﴿وقالوا لولا نزّل عليه آية من ربّه﴾ أي: آية ممّا اقترحوه، أو آية أُخرى سوى ما أُنزل من الآيات المتكاثرة؛ لعدم اعتدادهم بها عناداً.

﴿قل إنّ الله قادر على أن ينزل آية﴾ ممّا اقترحوه، أو آية تضطرّهم إلى الإيمان، كنتق الجبل، أو آية إن جحدوها هلكوا كعصا موسى، وناقة ثمود.

﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أنّ الله قادر على إنزالها، وأنّ إنزالها يستجلب عليهم البلاء، وأنّ لهم فيما أُنزل مندوحة عن غيره.[1]

[٣٨] ﴿وما من دابّة في الأرض﴾ تدبّ على وجهها.

---

١. تفسير البيضاوي ٢ / ١٥، ومجمع البيان ٤ / ٤٧.

﴿ولا طائر يطير بجناحيه﴾ في الهواء.

﴿إلّا أُمم أمثالكم﴾ محف[و]ظة أحوالها[١]، مقدّرة أرزاقها وآجالها، والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره، ليكون كالدليل على أنّه قادر [على] أن ينزل آية، وجمع الأمم للحمل على المعنى.

﴿ما فرّطنا في الكتاب من شيء﴾ يعني اللوح المحفوظ، فإنّه مشتمل على ما يجري في العالم من جليل ودقيق، لم يهمل فيه أمر حيوان ولا جماد، أو القرآن فإنّه قد دوّن فيه ما يحتاج إليه من أمر الدين مفصّلاً أو مجملاً.

﴿ثمّ إلى ربّهم يحشرون﴾ يعني الأُمم كلّها، فينصف بعضها من بعض، كما روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: يحشر الله الخلق يوم القيامة: البهائم والدواب والطير وكلّ شيء، فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجمّاء من القرناء، ثمّ يقول: كوني تراباً. فلذلك يقول الكافر يا ليتني كنت تراباً، وقال ابن عبّاس: موت البهائم حشرها[٢].

[٣٩] ﴿والذين كذّبوا بآياتنا صمّ﴾ لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالّة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعاً تتأثّر به نفوسهم.

﴿وبكم﴾ لا ينطقون بالحقّ.

﴿في الظلمات﴾ أي: خابطون في ظلمات: ظلمة الكفر وظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد.

﴿من يشأ الله يضلله﴾ بأن يخذله ويمنعه ألطافه وفوائده.

﴿ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم﴾ بأن يرشده إلى الهدى ويحمله عليه.

[٤٠] ﴿قل أرأيتكم﴾ استفهام وتعجّب، تقديره أرأيتكم آلهتكم تنفعكم إذ تدعونها.

---

١. ن: أمثالها. وكأنّه سبق قلم.

٢. تفسير البيضاوي ٢: ١٦، ومجمع البيان ٤ / ٤٩.

﴿إن أتاكم عذاب الله﴾ في الدنيا كما أتى من قبلكم من الأُمم مثل عاد وثمود.

﴿أو أتتكم الساعة﴾ وهولها دليل عليه.

﴿أغير الله تدعون﴾ في صرف العذاب عنكم، وهو تكذيب لهم.

﴿إن كنتم صادقين﴾ أنّ الأصنام آلهة فادعوهم.

[٤١] ﴿بل إيّاه تدعون﴾ بل تخصّونه بالدعاء ولا تدعون غيره.

﴿فيكشف ما تدعون إليه﴾ ما تدعونه إلى كشفه.

﴿إن شاء﴾ أن يتفضّل عليهم، ولا يشاء.

﴿وتنسون ما تشركون﴾ وتتركون آلهتكم في ذلك الوقت، لما ركز في القلوب أنّه القادر على كشف الضرّ دون غيره، أو تنسونه من شدّة الأمر وهوله.

[٤٢] ﴿ولقد أرسلنا إلى أُمم من قبلك﴾ رسلاً فخالفوهم.

﴿فأخذناهم﴾ لمّا كذّبوا الرسل.

﴿بالبأساء﴾ بالشدّة والفقر.

﴿والضرّاء﴾ بالآفات والعلل.

﴿لعلّهم يتضرّعون﴾ يتذللون لنا، ويتوبون عن ذنوبهم.

[٤٣] ﴿فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا﴾ متى تضرّعهم في ذلك الوقت ينفعهم مع قيام ما يدعوهم إليه.

﴿ولكن قست قلوبهم﴾ لمّا قاموا على كفرهم.

﴿وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾ من أعمالهم القبيحة بالوسوسة والإغراء.

[٤٤] ﴿فلمّا نسوا ما ذكّروا به﴾ من البأساء والضرّاء ولم يتّعظوا به.

﴿فتحنا عليهم أبواب كلّ شيء﴾ من أنواع النعم مكراً بهم، لما روي أنّه عليه السلام قال:

مكر بالقوم وربّ الكعبة.

﴿حتّى إذا فرحوا﴾ أعجبوا.

﴿بما أُوتوا﴾ من النعم.

﴿أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون﴾ متحسّرون آيسون.(١)

[٤٥] ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا﴾ أي: آخرهم بحيث لم يبق منهم أحد، ودابر القوم: الذي يسايرهم ويأتي في آخرهم.

﴿والحمد لله ربّ العالمين﴾ على هلاكهم، فإنّ هلاك الكافرين والعصاة من حيث أنّه تخليص لأهل الأرض من شؤم عقائدهم وأعمالهم نعمة جليلة يحقّ أن يحمد عليها.

[٤٦] ﴿قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم﴾ أصمكم وأعماكم.

﴿وختم على قلوبكم﴾ بأن يغطي عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم.

﴿من إله غير الله يأتيكم به﴾ أي: بما أخذ وختم فيه فمن يردّها عليكم.

﴿انظر كيف نصرّف الآيات﴾ نكرّرها تارة من جهة المقدّمات العقلية، وتارة من جهة الترغيب والترهيب، وتارة بالتنبيه والتذكير بأحوال المتقدّمين.

﴿ثمّ هم يصدفون﴾ يعرضون عنها، وثمّ لاستبعاد الإعراض بعد تصريف الآيات وظهورها.

[٤٧] ﴿قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة﴾ من غير مقدّمة.

﴿أو جهرة﴾ بتقدّمها، وقيل: ليلاً ونهاراً.

﴿هل يهلك﴾ بهذا العذاب.

---

١. تفسير البيضاوي ٢ / ١٧، ومجمع البيان ٤ / ٥٠.

﴿إلّا القوم الظالمون﴾ أي: الكافرون.[١]

[٤٨] ﴿وما نرسل المرسلين إلّا مبشّرين﴾ المؤمنين بالجنّة.

﴿ومنذرين﴾ الكافرين بالنار، ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم.

﴿فمن آمن﴾ بالله.

﴿وأصلح﴾ العمل في الدنيا.

﴿فلا خوف عليهم﴾ من العذاب.

﴿ولا هم يحزنون﴾ بفوت الثواب.

[٤٩] ﴿والذين كذّبوا بآياتنا﴾ بالقرآن والمعجزات.

﴿يمسّهم العذاب﴾ يباشرهم.

﴿بما كانوا يفسقون﴾ بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة.

[٥٠] ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله﴾ مقدوراته، أو خزائن رزقه.

﴿ولا أعلم الغيب﴾ ما لم يوح إليّ.

﴿ولا أقول لكم إنّي ملك﴾ من جنس الملائكة، أو أقدر على ما يقدرون عليه.

﴿إن أتبع إلّا ما يوحى إليّ﴾ تبرأً عن دعوى الأُلوهية أو الملائكة، وادّعى النبوّة التي هي منتهى كمالات البشر ردّاً لاستبعادهم دعواه، وجزمهم على فساد مدّعاه.

﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير﴾ مثل للضالّ والمهتدي، أو مدّعي الأُلوهية ومدّعي النبوّة.

﴿أفلا تتفكّرون﴾ فتميّزوا بين ادّعاء الحقّ والباطل.

[٥١] ﴿وأنذر به﴾ أي: خوّف بالقرآن.

﴿الذين يخافون أن يحشروا إلى ربّهم﴾ هم المؤمنون المفرّطون في العمل.

---

١. تفسير البيضاوي ٢ / ١٨، ومجمع البيان ٤ / ٥٢.

﴿**ليس لهم من دونه**﴾ أي: من دون الله.

﴿**وليّ ولا شفيع لعلّهم يتّقون**﴾ الله ويحسنوا العمل.

[٥٢] ﴿**ولا تطرد الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشي**﴾ بعد ما أمره بإنذار غير المتّقين ليتّقوا، أمره بإكرام هؤلاء، وأن لا يطردهم ترضية لقريش، روي أنّهم قالوا: لو طردت هؤلاء الأعبد، يعنون فقراء المساكين كعمّار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا إليك وحادثناك، فقال: ما أنا بطارد المؤمنين، قالوا: فأقمهم عنّا إذا جئناك، قال: نعم، فنزلت.

﴿**يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء**﴾ أي: ليس عليك حساب إيمانهم فلعلّ إيمانهم عند الله أعظم من إيمان من تطردهم بسؤالهم طمعاً في إيمانهم لو آمنوا.

﴿**فتطردهم فتكون من الظالمين**﴾ لهم بطردهم.[١]

[٥٣] ﴿**وكذلك فتنّا بعضهم ببعض**﴾ ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف أحوال الناس في أُمور الدنيا، فتنّا أي: ابتلينا بعضهم ببعض في أمر الدين، فقدّمنا هؤلاء الضعفاء على أشراف قريش بالسبق إلى الإيمان.

﴿**ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا**﴾ بالهداية والتوفيق استهزاء بهم.

﴿**أليس الله بأعلم بالشاكرين**﴾ بمن يقع منه الإيمان والشكر فيوفّقه، ومن لا يقع منه فيخذله.

[٥٤] ﴿**وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربّكم على نفسه الرحمة**﴾ أمره بأن يبدأهم بالتسليم، ويبشّرهم بسعة رحمة الله وفضله بعد النهي عن طردهم، وقيل: إنّ قوماً جاؤا إلى النبي ﷺ فقالوا: إنّا أصبنا ذنوباً عظاماً

---

١. تفسير البيضاوي ٢ / ١٩، ومجمع البيان ٤ / ٦٠.

فلم يرد عليهم شيئاً فانصرفوا فنزلت.

﴿أنّه من عمل منكم سوءً بجهالة﴾ أي: من عمل جاهلاً بحقيقة ما يتبعه من المضارّ والمفاسد.

﴿ثمّ تاب من بعده﴾ من بعد العمل والسوء.

﴿وأصلح﴾ بالتدارك والعزم على أن لا يعود إليه.

﴿فإنّه غفور رحيم﴾ فيغفر له ويرحمه.[1]

[٥٥] ﴿وكذلك﴾ ومثل ذلك التفصيل الواضح.

﴿نفصّل الآيات﴾ آيات القرآن في صفة المطيعين والمجرمين، والمصرّين منهم والأوّابين.

﴿ولتستبين سبيل المجرمين﴾ أي: ولتستوضح يا محمّد، سبيلهم فتعامل كلّاً منهم بما يحقّ له.

[٥٦] ﴿قل إنّي نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله﴾ يعني الأصنام التي تعبدونها.

﴿قل لا أتّبع أهواءكم﴾ في عبادتها.

﴿قد ضللت إذاً﴾ إن فعلت ذلك.

﴿وما أنا من المهتدين﴾ أي: في شيء من الهدى حتّى أكون من عدادهم.

[٥٧] ﴿قل إنّي على بيّنة من ربّي﴾ على بيان وبرهان من أنّه لا معبود سواه.

﴿وكذّبتم به﴾ من حيث أشركتم به غيره.

﴿ما عندي ما تستعجلون به﴾ يعني قولهم: ﴿فأمطر علينا حجارة من السماء أو

---

١. مجمع البيان ٤ / ٦٥، وتفسير البيضاوي ٢ / ٢٢.

ائتنا بعذاب أليم﴾[١].

﴿إن الحكم إلّا لله﴾ في تعجيل العذاب وتأخيره.

﴿يقصّ الحقّ﴾ يفصّل الحق من الباطل.

﴿وهو خير الفاصلين﴾ القاضين.

[٥٨] ﴿قل لو أنّ عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم﴾ لأهلكتكم عاجلاً غضباً لربّي، وانقطع ما بيني وبينكم.

﴿والله أعلم بالظالمين﴾ وبوقت عذابهم وما يصلحهم.[٢]

[٥٩] ﴿وعنده مفاتح الغيب﴾ خزائنه، جمع مَفتح، قال ابن عبّاس: هنّ خمس، يجمعها قوله عزّ وجلّ: ﴿إنّ الله عنده علم الساعة وينزّل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأيّ أرض تموت إنّ الله عليم خبير﴾[٣] وهذه العلوم.

﴿لا يعلمها﴾ بالحقيقة.

﴿إلّا هو﴾ أي: الله عزّ وجلّ، فيعلم أوقاتها وما في تعجيلها وتأخيرها من الحكم، فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلّقت به مشيّته.

﴿ويعلم ما في البرّ والبحر﴾ من حيوان وغيره.

﴿وما تسقط من ورقة إلّا يعلمها﴾ ساقطة وثابتة.

﴿ولا حبّة في ظلمات الأرض﴾ تحت الصخرة في أسفل الأرضين السبع.

﴿ولا رطب ولا يابس﴾ ما ينبت وما لا ينبت.

---

١. الأنفال (٨)، الآية ٣٢.

٢. مجمع البيان ٤ / ٧٠، وتفسير البيضاوي ٢ / ٢٣.

٣. لقمان (٣١)، الآية ٣٤.

﴿إلّا في كتاب مبين﴾ في اللوح المحفوظ مبالغة في إحاطة علمه بالجزئيات.[1]

[٦٠] ﴿وهو الذي يتوفّاكم بالليل﴾ يم[ي]تكم[2] فيه ويراقبكم في منامكم.

﴿ويعلم ما جرحتم بالنهار﴾ ما كسبتم فيه من الإثم.

﴿ثمّ يبعثكم فيه﴾ يوقظكم في النهار.

﴿ليقضى أجل مسمّى﴾ ليبلغ المتيقّظ آخر أجله المسمّى له في الدنيا.

﴿ثمّ إليه مرجعكم﴾ بالموت.

﴿ثمّ ينبّئكم بما كنتم تعملون﴾ بالمجازاة عليه.

[٦١] ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ العالم العالي فوقهم.

﴿ويرسل عليكم حفظة﴾ ملائكة تحفظ أعمالكم، وهم الكرام الكاتبون.

﴿حتّى إذا جاء أحدكم الموت توفّته رسلنا﴾ ملك الموت وأعوانه.

﴿وهم لا يفرطون﴾ بالتواني والتأخير.

[٦٢] ﴿ثمّ ردّوا إلى الله﴾ إلى حكمه وجزائه.

﴿مولاهم﴾ الذي يتولّى أمرهم.

﴿الحقّ﴾ العدل الذي لا يحكم إلّا بالحقّ.

﴿ألا له الحكم﴾ يومئذ لا حكم لغيره فيه.

﴿وهو أسرع الحاسبين﴾ يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة، لا يشغله حساب عن حساب.

[٦٣] ﴿قل من ينجيكم من ظلمات البرّ والبحر﴾ من شدائدهما.

﴿تدعونه تضرّعاً وخفية﴾ معلنين ومسرّين.

---

١. مجمع البيان ٤ / ٧١، وتفسير البيضاوي ٢ / ٢٤.

٢. في البيضاوي: ينيمكم.

﴿لئن أنجانا من هذه﴾ الظلمات.

﴿لنكوننّ من الشاكرين﴾ لإنعامك علينا.

[٦٤] ﴿قل الله ينجيكم منها ومن كلّ كرب﴾ غمّ سواها.

﴿ثمّ أنتم تشركون﴾ تعودون إلى الشرك ولا توفون بالعهد.

[٦٥] ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم﴾ كما فعل بقوم نوح ولوط وأصحاب الفيل.

﴿أو من تحت أرجلكم﴾ كما أغرق فرعون وخسف بقارون.

﴿أو يلبسكم﴾ يخلطكم.

﴿شيعاً﴾ فرقاً متحزّبين على أهواء شتّى فينشب القتال بينكم.

﴿ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ يقاتل بعضكم بعضاً.

﴿انظر كيف نصرّف الآيات﴾ بالوعد والوعيد.

﴿لعلهم يفقهون﴾ ما بيّن لهم.

[٦٦] ﴿وكذّب به قومك﴾ أي: بالعذاب أو بالقرآن.

﴿وهو الحقّ﴾ الواقع لا محالة أو الصدق.

﴿قل لست عليكم بوكيل﴾ بحفيظ فأمنعكم من التكذيب، إنّما أنا منذر والله الحفيظ.

[٦٧] ﴿لكلّ نبإ مستقرّ﴾ لكلّ خبر وقت لاستقرار وقوعه.

﴿وسوف تعلمون﴾ عند وقوعه في الدنيا أو في الآخرة.[١]

[٦٨] ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا﴾ بالتكذيب والاستهزاء بها والط[ع]ن فيها.

---

١. مجمع البيان ٤ / ٧٥، وتفسير البيضاوي ٢ / ٢٥.

﴿فأعرض عنهم﴾ ولا تجالسهم وقم عنهم.

﴿حتّى يخوضوا في حديث غيره﴾ حتّى يأخذوا في حديث غير الاستهزاء بالقرآن.

﴿وإمّا ينسينّك الشيطان﴾ بأن يشغلك بوسوسة حتّى تنسى النهي.

﴿فلا تقعد بعد الذكرى﴾ بعد ذكرك نهينا.

﴿مع القوم الظالمين﴾ في مجالسهم، روي أنّ المسلمين قالوا: لئن كنّا نقوم كلّما استهزؤا بالقرآن لم نستطع أن نجلس في المسجد ونطوف، فأنزل الله[1].

[٦٩] ﴿وما على الذين يتّقون من حسابهم من شيء﴾ ممّا يحاسبون عليه.

﴿ولكن ذكرى﴾ ولكن عليهم أن يذكّروهم ذكراً ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها.

﴿لعلّهم يتّقون﴾ الخوض حياء لقيامكم عنهم.

[٧٠] ﴿وذر الذين اتّخذوا دينهم لعباً ولهواً﴾ أي: بنوا أمر دينهم على التشهّي، وتديّنوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلاً وآجلاً، كعبادة الصنم وتحريم البحائر والسوائب، والمعنى: أعرض عنهم ولا تبال بأفعالهم وأقوالهم، ونسخت بآية السيف.

﴿وغرّتهم الحياة الدنيا﴾ حتّى أنكروا البعث.

﴿وذكّر به﴾ أي: بالقرآن.

﴿أن تبسل نفس بما كسبت﴾ من ذنوبها وكفرها، والبسل: المنع.

﴿ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع﴾ يدفع عنها العذاب.

﴿وإن تعدل كلّ عدل﴾ وإن تفدِ كلّ فداء، والعدل الفدية، لأنّها تعادل المفدى.

﴿لا يؤخذ منها﴾ لا يقبل منها.

---

١. مجمع البيان ٤ / ٧٨، وتفسير البيضاوي ٢ / ٢٦.

﴿أُولئك الذين أبسلوا بما كسبوا﴾ أي: أسلموا إلى العذاب بسبب أعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة.

﴿لهم شراب من حميم﴾ ماء حار يشتعل نار[اً] في بطونهم.

﴿وعذاب أليم بما كانوا يكفرون﴾ بسبب كفرهم.

[٧١] ﴿قل أندعو من دون الله﴾ أنعبد من دونه.

﴿ما لا ينفعنا ولا يضرّنا﴾ ما لا يقدر على نفعنا وضررنا.

﴿ونردّ على أعقابنا﴾ ونرجع القهقرى إلى الشرك.

﴿بعد إذ هدانا الله﴾ فأنقذنا منه ورزقنا الإسلام.

﴿كالذي استهوته الشياطين﴾ كالذي ذهبت به مردة الجنّ.

﴿في الأرض حيران﴾ متحيّراً ضالاًّ عن الطريق.

﴿له أصحاب﴾ لهذا المستهوي رفقة.

﴿يدعونه إلى الهدى﴾ يهدوه إلى الطريق المستقيم.

﴿ائتنا﴾ يقولون له إلينا.

﴿قل إنّ هدى الله﴾ الذي هو الإسلام.

﴿هو الهدى﴾ وحده وما عداه ضلال.

﴿وأُمرنا لنسلم لربّ العالمين﴾ ونتوكّل عليه، روي أنّ عبد الرحمن بن أبي بكر دعا أباه إلى عبادة الأوثان فنزلت[1].

[٧٢] ﴿وأن أقيموا الصلاة واتّقوه وهو الذي إليه تحشرون﴾ يوم القيامة فيجازيكم.

[٧٣] ﴿وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحقّ﴾ قائماً بالحقّ والحكمة.

---

١. تفسير البيضاوي ٢ / ٢٧، ومجمع البيان ٤ / ٨١.

﴿ويوم يقول﴾ لكلّ ما فنى من خلقه.

﴿كن فيكون﴾ عد فيعود.

﴿قوله الحقّ﴾ نافذ في الكائنات.

﴿وله الملك يوم ينفخ في الصور﴾ كقوله: ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهّار﴾[1].

﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أي: يعلم ما يشاهده الخلق وما لا يشاهدوه.

﴿وهو الحكيم﴾ في أفعاله.

﴿الخبير﴾ بعباده وأفعالهم.

[٧٤] ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر﴾ وفي كتب التواريخ أنّ اسمه تارخ، فقيل: هما علمان له كإسرائيل ويعقوب، وقيل: العلم تارخ، وآزر وصف، معناه الشيخ أو المعوج، وقيل: اسم صنم يعبده فلقّب به، وقيل: اسم جدّه لأُمّه أو عمّه لِما روي عن النبي ﷺ أنّه قال: لم يزل ينقلني من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات، حتّى أخرجني في عالمكم هذا لم يدنسني بدنس من الجاهلية، وهو يقتضي أنّ آباء النبي ﷺ إلى آدم كلّهم كانوا موحدين، والله أعلم.

﴿أتّتخذ أصناماً آلهة﴾ استفهام إنكاري، أي: لا تفعل ذلك.

﴿إنّي أراك وقومك في ضلال﴾ عن الحقّ.

﴿مبين﴾ ظاهر الضلالة.

[٧٥] ﴿وكذلك نري إبراهيم﴾ نبصره دلائل الربوبية.

﴿ملكوت السماوات والأرض﴾ ربوبيتها وملكها، وقيل: عجائبها وبدائعها، والملكوت أعظم الملك والتاء فيه للمبالغة.

---

١. غافر (٤٠)، الآية ١٦.

﴿وليكون من الموقنين﴾ بأنّ الله خالق ذلك.[١]

[٧٦] ﴿فلمّا جنّ عليه الليل﴾ ستره بظلامه.

﴿رأى كوكباً﴾ الزهرة أو المشتري.

﴿قال هذا ربّي﴾ على سبيل الوضع والإنكار.

﴿فلمّا أفل﴾ أي: غاب.

﴿قال لا أحبّ الآفلين﴾ فضلاً عن عبادتهم، فإنّ الانتفال والاحتجاب بالأستار يقتضي الإمكان والحدوث وتنافيه الأُلوهية.

[٧٧] ﴿فلمّا رأى القمر بازغاً﴾ مبتدئاً في الطلوع.

﴿قال هذا ربّي فلمّا أفل قال لئن لم يهدني ربّي﴾ إلى إصابة الحقّ.

﴿لأكوننّ من القوم الضالّين﴾ بعبادة هذه الحوادث.

[٧٨] ﴿فلمّا رأى الشمس بازغة﴾ أي: طالعة قد ملأت الدنيا نوراً.

﴿قال هذا ربّي﴾ ذكر اسم الإشارة لتذكير الخبر، وصيانة للربّ عن شبهة التأنيث.

﴿هذا أكبر﴾ استدلالاً، من الكوكب والقمر.

﴿فلمّا أفلت قال يا قوم إنّي بريء ممّا تشركون﴾ من الأجرام المحدثة المحتاجة إلى محدث يحدثها ومخصص يخصّصها بما تختصّ به، ثمّ تبرّأ عنها وتوجّه إلى موجدها ومبدعها الذي دلّت هذه الممكنات عليه، فقال:

[٧٩] ﴿إنّي وجّهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾ قال عليه السلام: أوّل العلم معرفة الجبّار وآخر العلم تسليم الأمر إليه[٢]، وإنّما

---

١. تفسير البيضاوي ٢ / ٢٨، ومجمع البيان ٤ / ٩٠.

٢. لم أجده في المصادر المتقدّمة.

احتجّ بالأُفول دون البزوغ؛ لأنّه رأى الكوكب الذي يعبدونه في وسط السماء حين حاول الاستدلال.[١]

[٨٠] ﴿وحاجّه قومه﴾ وخاصموه في التوحيد.

﴿قال أتحاجّوني في الله﴾ في وحدانيته.

﴿وقد هدان﴾ إلى توحيده.

﴿ولا أخاف ما تشركون به﴾ أي: لا أخاف معبوداتكم في وقت؛ لأنّها لا تضرّ بنفسها ولا تنفع.

﴿إلّا أن يشاء ربّي شيئاً﴾ أن يصيبني بمكروه من جهتها، ولعلّه جواب لتخويفهم إيّاه عن آلهتهم وتهديد لها[م] بعذاب الله.

﴿وسع ربّي كلّ شيء علماً﴾ فلا يبعد أن يكون في علمه أن يحيق بي مكروه من جهتها.

﴿أفلا تتذكّرون﴾ فتميّزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز.

[٨١] ﴿وكيف أخاف ما أشركتم﴾ ولا يتعلّق به ضرّ.

﴿ولا تخافون أنّكم أشركتم بالله﴾ وهو حقيق بأن يخاف منه كلّ الخوف؛ لأنّه إشراك للمصنوع بالصانع، وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الضارّ النافع.

﴿ما لم ينزّل به عليكم سلطاناً﴾ ما لم ينزّل بإشراكه كتاباً أو ينصب عليه دليلاً.

﴿فأيّ الفريقين أحقّ بالأمن﴾ أي: الموحّدون أو المشركون، وإنّما لم يقل أيّنا أنا أم أنتم، احترازاً من تزكية نفسه.

﴿إن كنتم تعلمون﴾ ما يحقّ أن يخاف منه.

[٨٢] ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ بشرك، فأمّا الذنوب فليس يبرأ

---

١. مجمع البيان ٤ / ٩٥، وتفسير البيضاوي ٢ / ٢٩.

منها أحد.

﴿أُولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ روي أنّ الآية لمّا نزلت شقّ ذلك على الصحابة، قالوا: أيّنا لم يظلم نفسه، فقال ﷺ: ليس ما تظنون إنّما هو ما قال لقمان لابنه: ﴿يا بني لا تشرك بالله إنّ الشرك لظلم عظيم﴾[١].

[٨٣] ﴿وتلك حجّتنا آتيناها إبراهيم﴾ أرشدناه إليها وعلّمناه إيّاها.

﴿على قومه﴾ أي: حجّة على قومه.

﴿نرفع درجات من نشاء﴾ في العلم والحكمة.

﴿إنّ ربّك حكيم﴾ في رفعه وخفضه.

﴿عليم﴾ بحال من يرفعه واستعداده له.[٢]

[٨٤] ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلّاً هدينا﴾ أي: كلّاً منهما فضّلنا بالنبوّة.

﴿ونوحاً هدينا من قبل﴾ من قبل إبراهيم، عدّ هداه نعمة على إبراهيم، من حيث إنّه أبوه، وشرف الوالد يتعدّى إلى الولد.

﴿ومن ذرّيّته﴾ الضمير لإبراهيم؛ إذ الكلام فيه، وقيل: لنوح؛ لأنّه أقرب، ولأنّ يونس ولوطاً ليسا من ذرّيّة إبراهيم، فلو كان لإبراهيم اختصّ البيان بالمعدودين في تلك الآية والتي بعدها، والمذكورون في الآية الثالثة عطف على نوح.

﴿داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين﴾ مثل ما جزينا إبراهيم برفع درجاته وكثرة أولاده والنبوّة فيهم.[٣]

[٨٥] ﴿وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كلّ من الصالحين﴾ الكاملين في

---

١. لقمان (٣١)، الآية ١٣.

٢. مجمع البيان ٤ / ١٠٠، وتفسير البيضاوي ٢ / ٣٠.

٣. مجمع البيان ٤ / ١٠٤، وتفسير البيضاوي ٢ / ٣١.

الصلاح، وهو الإتيان بما ينبغي، والتحرّز عمّا لا ينبغي.

[٨٦] ﴿وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلّاً فضّلنا على العالمين﴾ بالنبوّة، وفيه دليل على فضلهم على من عداهم من الخلق.

[٨٧] ﴿ومن آبائهم وذرّيّاتهم وإخوانهم﴾ عطفاً على كلّاً أو نوحاً، أي: فضلنا كلّاً منهم، أو هدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرّيّاتهم وإخوانهم فإنّ منهم من لم يكن نبيّاً ولا مهدياً.

﴿واجتبيناهم﴾ اخترناهم.

﴿وهديناهم إلى صراط مستقيم﴾ إلى طريق بيّن لا اعوجاج فيه، وهو الدين الحقّ.

[٨٨] ﴿ذلك هدى الله﴾ إشارة إلى ما دانوا به.

﴿يهدي به من يشاء من عباده﴾ دليل على أنّه متفضّل [عليهم] بالهداية.

﴿ولو أشركوا﴾ أي: لو أشركوا هؤلاء الأنبياء مع فضلهم وعلوّ شأنهم.

﴿لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾ لكانوا كغيرهم في حبوط أعمالهم بسقوط ثوابها.

[٨٩] ﴿أُولئك الذين آتيناهم الكتاب﴾ يريد به الجنس.

﴿والحكم﴾ الحكمة أو فصل الأمر على ما يقتضيه الحقّ.

﴿والنبوّة﴾ والرسالة.

﴿فإن يكفر بها﴾ أي: بهذه الثلاثة.

﴿هؤلاء﴾ يعني قريشاً.

﴿فقد وكّلنا بها﴾ أي: بمراعاتها.

﴿قوماً ليسوا بها بكافرين﴾ وهم الأنبياء المذكورون ومتابعوهم، وقيل: الأنصار وأصحاب النبي، وقيل: الملائكة، والأوّل أولى بدليل:

[٩٠] ﴿أُولئك الذين هدى الله﴾ يريد الأنبياء المتقدّم ذكرهم.

﴿فبهداهم اقتده﴾ فاتّبع طريقتهم بالاقتداء، والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد وأُصول الدين، دون الفروع المختلف فيها، فإنّها ليست هدى مضافاً إلى الكلّ، ولا يمكن التأسّي بهم جميعاً، فليس فيه دليل على أنّه عليه السلام متعبّد بشرع من قبله.

﴿قل لا أسألكم عليه﴾ أي: على التبليغ أو القرآن.

﴿أجراً﴾ جعلاً من جهتكم كما لم يسأله من قبلي من النبيين، وهذا من جملة ما أُمر بالاقتداء بهم فيه.

﴿إن هو﴾ أي: التبليغ أو القرآن، أو الغرض.

﴿إلّا ذكرى للعالمين﴾ تذكيراً وموعظة لهم.[1]

[٩١] ﴿وما قدروا الله حقّ قدره﴾ وما عرفوه حقّ معرفته في الرحمة والإنعام على العباد.

﴿إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء﴾ حين أنكروا الوحي وبعثة الرسل، وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته، والقائلون هم اليهود، قالوا ذلك مبالغة في إنكار إنزال القرآن، بدليل نقض كلامهم وإلزامهم بقوله:

﴿قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس﴾ وقرأه الجمهور.

﴿تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً﴾ توبيخ لليهود على تحريف التوراة، وقيل: للمشركين وإلزامهم بإنزال التوراة؛ لأنّه [كان من] المشهورات الذايعة عندهم.

---

١. تفسير البيضاوي ٢ / ٣٢، ومجمع البيان ٤ / ١٠٦.

﴿وعلّمتم﴾ على لسان محمّد.

﴿ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم﴾ زيادة على ما في التوراة وبياناً لما التبس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا أعلم منكم، ونظيره ﴿إنّ هذا القرآن يقصّ على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون﴾[١]، وقيل: الخطاب لمن آمن من قريش.

﴿قل الله﴾ أي: أنزله الله.

﴿ثمّ ذرهم في خوضهم﴾ في أباطيلهم، فلا عليك بعد التبليغ وإلزام الحجّة.

﴿يلعبون﴾ وعيد من الله لهم.[٢]

[٩٢] ﴿وهذا كتاب﴾ يعني: القرآن.

﴿أنزلناه مبارك﴾ كثير الفائدة والنفع.

﴿مصدّق الذي بين يديه﴾ ما تقدّمه من كتب الله.

﴿ولتنذر أُمّ القرى﴾ أي: أهل مكّة، وإنّما سمّيت بذلك؛ لأنّها قبلة أهل القرى ومحجّتهم، وقيل: لأنّ الأرض دحيت من تحتها.

﴿ومن حولها﴾ أهل الأرض كلّهم.

﴿والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به﴾ بالقرآن والنبي، والضمير يحتملهما.

﴿وهم على صلاتهم يحافظون﴾ يراعونها في وقتها بجميع أركانها.[٣]

[٩٣] ﴿ومن أظلم ممّن افترى على الله كذباً﴾ فزعم أنّه بعثه نبيّاً، كمسلمة والأسود العنسي.

﴿أو قال أُوحي إليّ ولم يوح إليه شيء﴾ كعبد الله بن سعد بن أبي سرح أخو

---

١. النحل (٢٧)، الآية ٧٦.

٢. تفسير البيضاوي ٢ / ٣٣، ومجمع البيان ٤ / ١٠٨.

٣. تفسير البيضاوي ٢ / ٣٥، ومجمع البيان ٤ / ١١١.

عثمان من الرضاعة، قيل: كان يكتب لرسول الله فلمّا أُنزلت: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ فلمّا بلغ قوله ﴿ثمّ أنشأناه خلقاً آخر﴾ قال عبد الله: تبارك الله أحسن الخالقين تعجّباً من تفضيل خلق الانسان، فقال عليه السلام: اكتبها فكذلك أُنزلت، فشكّ عبد الله وقال: لئن كان محمّد صادقاً لقد أُوحي إليّ كما أُوحي إليه، ولئن كان كاذباً لقد قلت كما قال، وارتدّ فأتى به عثمان يوم الفتح، وسأل رسول الله صلى الله عليه وآله فيه فسكت طويلاً، ثمّ آمنه فأسلم، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: إنّما صمت ليقوم له واحد فيقتله، فقالوا: هلّا أشرت إلينا، فقال: إنّ الأنبياء لا تكون لهم خائنة الأعين.

﴿ومن قال سأُنزل مثل ما أنزل الله﴾ كالذين قالوا: ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾[1].

﴿ولو ترى إذ الظالمون﴾ العادلون بربّهم كاليهود.

﴿في غمرات الموت﴾ في شدائده وسكراته.

﴿والملائكة باسطوا أيديهم﴾ بقبض أرواحهم أو بالعذاب.

﴿أخرجوا أنفسكم﴾ أي: يقولون لهم، أخرجوها لنا من أجسادكم تغليظاً وتخويفاً عليهم، أو أخرجوها من العذاب وخلّصوها من أيدينا.

﴿اليوم تجزون عذاب الهون﴾ عذاب الذلّ والهوان.

﴿بما كنتم تقولون على الله غير الحقّ﴾ كادّعاء الولد والشريك له، ودعوى النبوّة والوحي كاذباً.

﴿وكنتم عن آياته تستكبرون﴾ لا تتأمّلون فيها ولا تؤمنون بها.

[٩٤] ﴿ولقد جئتمونا﴾ للحساب والجزاء.

﴿فرادى﴾ منفردين عن الأموال والأولاد، وسائر ما آثرتموه من الدنيا، أو عن الأعوان والأوثان التي زعمتم أنّها شفعاؤكم.

---

١. الأنفال (٨)، الآية ٣١.

﴿كما خلقناكم أوّل مرّة﴾ على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد، عراة حفاة.

﴿وتركتم ما خوّلناكم﴾ ما تفضّلنا به عليكم في الدنيا، فشغلتم به عن الآخرة.

﴿وراء ظهوركم﴾ في الدنيا، ولم تحملوا منه نقيراً.

﴿وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنّهم فيكم شركاء﴾ أي: شركاء الله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم.

﴿لقد تقطّع بينكم﴾ أي: تقطّع وصلكم وتشتّت جمعكم.

﴿وضلّ عنكم ما كنتم تزعمون﴾ أنّها شفعاؤكم.

[٩٥] ﴿إنّ الله فالق الحبّ والنوى﴾ بالنبات والشجر، وقيل: المراد به الشقاق الذي في الحنطة والنواة.

﴿يخرج الحيّ من الميّت﴾ يخرج النامي من النبات من الحبّة الميّتة، والحيوان من النطفة.

﴿ومخرج الميّت من الحيّ﴾ ومخرج الحبّة من النامي، والنطفة الميّتة من الحيّ.

﴿ذلكم الله﴾ أي: ذلكم المحيي المميت هو الله الذي تحقّ له العبادة.

﴿فأنّى تؤفكون﴾ تصرفون عنه إلى غيره.[١]

[٩٦] ﴿فالق الإصباح﴾ شاقّ عمود الصبح عن ظلمة الليل.

﴿وجاعل الليل سكناً﴾ يسكن إليه كلّ متحرّك بالنهار، ويهدء فيستقرّ في مكانه ومأواه.

﴿والشمس والقمر حسباناً﴾ أي: يجريان بحساب في أفلاكهما، فإذا كملت أيّامهما فذلك آخر الدهر وأوّل الفزع الأكبر.

﴿ذلك﴾ أي: ذلك التسيير بالحساب المعلوم.

---

١. تفسير البيضاوي ٢ / ٣٦، ومجمع البيان ٤ / ١٢٠.

﴿تقدير العزيز﴾ الذي قهرهما وسيّرهما على الوجه المخصوص.

﴿العليم﴾ بتدبيرهما والأنفع[١] من التداوير الممكنة لهما.

[٩٧] ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم﴾ خلقها لكم.

﴿لتهتدوا بها في ظلمات البرّ والبحر﴾ إذا أظلم الليل وضللتم الطريق.

﴿قد فصّلنا الآيات﴾ بيّناها فصلاً فصلاً.

﴿لقوم يعلمون﴾ فإنّهم المنتفعون.

[٩٨] ﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة﴾ من آدم عليه السلام.

﴿فمستقرّ ومستودع﴾ أي فلكم استقرار في الأصلاب، أو فوق الأرض واستيداع في الأرحام، أو تحت الأرض.

﴿قد فصّلنا الآيات لقوم يفقهون﴾ ذكر مع ذكر النجوم ﴿يعلمون﴾ لأنّ أمرها ظاهر، وهنا ﴿يفقهون﴾ لأنّه أمر غامض يحتاج إلى استعمال فطنة وتدقيق نظر.[٢]

[٩٩] ﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء﴾ من السحاب ومن جانب السماء.

﴿فأخرجنا به﴾ بالماء.

﴿نبات كلّ شيء﴾ من جميع أنواع النبات.

﴿فأخرجنا منه﴾ من النبات أو الماء.

﴿خضراً﴾ شيئاً أخضراً وهو الرطب من الزرع.

﴿نخرج منه﴾ من الخضر.

﴿حبّاً متراكباً﴾ وهو السنبل.

﴿ومن النخل من طلعها قنوان﴾ وهو الأغداق.

---

١. ن: أو ما يقع.

٢. تفسير البيضاوي ٢ / ٣٧، ومجمع البيان ٤ / ١٢٣.

﴿دانية﴾ قريبة من المتناول، أو ملتفة قريبة بعضها من بعض.

﴿وجنّات من أعناب﴾ بساتين من الكرم.

﴿والزيتون والرمّان مشتبهاً﴾ في الهيئة والقدر.

﴿وغير متشابه﴾ في اللون والطعم.

﴿انظروا إلى ثمره﴾ إلى ثمر كلّ واحد من ذلك.

﴿إذا أثمر﴾ إذا أخرج ثمره كيف يثمر أصفر لا يكاد ينتفع به.

﴿وينعه﴾ وإلى حال نضجه كيف يعود ضخيماً ذا نفع ولذّة.

﴿إنّ في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون﴾ يستدلّون بها على وجود القادر الحكيم وتوحيده.

[١٠٠] ﴿وجعلوا لله شركاء الجنّ﴾ أي: الملائكة بأن عبدوهم، وقالوا: هم بنات الله، وسمّاهم جنّاً لاستتارهم عن الأعين تحقيراً لشأنهم، أو الشياطين لأنّهم أطاعوهم كما يطاع الله، وقالوا الله خالق الخير وكلّ نافع، والشيطان خالق الشرّ وكلّ ضارّ، كما رأى الثنوية.

﴿وخلقهم﴾ وقد علموا أنّ ا لله خالقهم دون الجنّ، وليس من يخلق كمن لا يخلق.

﴿وخرقوا له﴾ افتعلوا وافتروا له.

﴿بنين وبنات﴾ فقالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقالت العرب: الملائكة بنات الله.

﴿بغير علم﴾ من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوا أو يروا عليه دليلاً.

﴿سبحانه وتعالى عمّا يصفون﴾ أن يكون له ولد أو شريك تعالى عن ذلك.[١]

---

١. تفسير البيضاوي ٢ / ٣٨، ومجمع البيان ٤ / ١٢٧.

[١٠١] ﴿بديع السماوات والأرض﴾ مبتدعهما ومنشئهما جملة ابتداء على غير مثال.

﴿أنّى يكون له ولد﴾ من أين يكون له ولد.

﴿ولم تكن له صاحبة﴾ يكون منها الولد.

﴿وخلق كلّ شيء﴾ فكيف يتعزّز بالولد.

﴿وهو بكلّ شيء عليم﴾ لا يخفى عليه خافية.

[١٠٢] ﴿ذلكم الله ربّكم﴾ الذي خلق هذه الأشياء لكم.

﴿لا إله إلّا هو خالق كلّ شيء﴾ كلّ مخلوق من الأجسام والأعراض.

﴿فاعبدوه﴾ فإنّه المستحقّ للعبادة.

﴿وهو على كلّ شيء وكيل﴾ رقيب على أعمالكم فيجازيكم عليها.

[١٠٣] ﴿لا تدركه الأبصار﴾ لا تحيط به الأبصار.

﴿وهو يدرك الأبصار﴾ يحيط علمه بها.

﴿وهو اللطيف﴾ بعباده بسبوغ الإنعام.

﴿الخبير﴾ بمصالحهم وأعمالهم فيجازيهم عليها.

[١٠٤] ﴿قد جاءكم بصائر من ربّكم﴾ ما تبصرون بها الهدى.

﴿فمن أبصر﴾ أي: أبصر الحقّ وآمن به.

﴿فلنفسه﴾ أبصر؛ لأنّ نفعه لها.

﴿ومن عمي﴾ عن الحقّ وضلّ.

﴿فعليها﴾ وباله.

﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ إنّما أنا منذر، والله هو الحفيظ عليكم يحفظ أعمالكم، ويجازيكم عليها، وهذا كلام ورد على لسان الرسول عليه السلام.

[١٠٥] ﴿وكذلك نصرّف الآيات﴾ ننقلها من حال.[١]

﴿وليقولوا درست﴾ أي: دارست أهل الكتاب وذاكرتهم.

﴿ولنبيّنه﴾ يعني: القرآن وآياته.

﴿لقوم يعلمون﴾ لأهل العلم فإنّهم المنتفعون به.

[١٠٦] ﴿اتّبع ما أُوحي إليك من ربّك﴾ بالتديّن به.

﴿لا إله إلّا هو﴾ منفرداً في الإلوهية.

﴿وأعرض عن المشركين﴾ ولا تحتفل بأقوالهم ولا تلتفت إلى [آ]رائهم، ومن جعله منسوخاً بآية السيف حمل الإعراض على ما يعمّ الكفّ عنهم.

[١٠٧] ﴿ولو شاء الله﴾ توحيدهم وعدم إشراكهم.

﴿ما أشركوا﴾ وهو دليل على أنّه تعالى لا يريد إيمان كافر بالجبر عليه.

﴿وما جعلناك عليهم حفيظاً وما أنت عليهم بوكيل﴾ بقيّم تقوم بأُمورهم.

[١٠٨] ﴿ولا تسبّوا الذين يدعون من دون الله﴾ أي: لا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح.

﴿فيسبّوا الله عدواً﴾ ظلماً وجهلاً وتجاوزاً عن الحقّ إلى الباطل.

﴿بغير علم﴾ على جهالة بالله، قال ابن عبّاس: لمّا نزلت ﴿إنّكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنّم﴾[٢] قال المشركون: يا محمّد، لتنتهينّ عن سبّ آلهتنا أو لنهجونّ ربّك فنزلت، وقيل: كان المسلمون يسبّونها فنهوا لئلّا يكون سبّهم [سبباً] لسبّ الله، وفيه دليل على أنّ الطاعة إذا أدّت إلى معصية راجحة وجب تركها، فإنّ ما يؤدّي إلى الشرّ شرّ.

---

١. مجمع البيان ٤ / ١٣٠، وتفسير البيضاوي ٢ / ٣٩.

٢. الأنبياء (٢١)، الآية ٩٨.

﴿كذلك زيّنا لكلّ أُمّة عملهم﴾ بميل الطباع إليه توفيقاً وتخذيلاً، ولكن قد عرّفناهم الحقّ ليأتوه ويجتنبوا الباطل.

﴿ثمّ إلى ربّهم مرجعهم فينبّئهم بما كانوا يعملون﴾ من الخير والشرّ بالمحاسبة والمجازاة عليه.(١)

[١٠٩] ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ والداعي لهم إلى هذا القسم والتأكيد فيه، التحكم على الرسول في طلب الآيات واستحقار ما رأوا منها.

﴿لئن جاءتهم آية﴾ من مقترحاتهم.

﴿ليؤمننّ بها قل إنّما الآيات عند الله﴾ هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء، وليس شيء منها بقدرتي وإرادتي.

﴿وما يشعركم﴾ وما يدريكم، استفهام إنكار.

﴿أنّها﴾ أنّ الآية المقترحة.

﴿إذا جاءت لا يؤمنون﴾ قيل: سأل كفّار قريش رسول الله أن يجعل لهم الصفا ذهباً ويؤمنون به أجمعون، فاستحلفهم على ذلك وقام ليدعوا، فأتاه جبرئيل وقال له: ما شئت أصبح ذهباً فإن لم يصدّقوا أتاهم العذاب، وإن شئت تركتهم حتّى يتوب تائبهم، فقال له: بل يتوب تائبهم.(٢)

[١١٠] ﴿ونقلّب أفئدتهم﴾ عن الحقّ فلا يفقهونه.

﴿وأبصارهم﴾ فلا يبصرونه ولم يؤمنوا بالآية.

﴿كما لم يؤمنوا به﴾ أي: بما أنزل من الآيات.

﴿أوّل مرّة ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ يتردّدون متحيّرين لا نهديهم هداية

---

١. مجمع البيان ٤ / ١٣٢، وتفسير البيضاوي ٢ / ٤٠.

٢. مجمع البيان ٤ / ١٣٥، وتفسير البيضاوي ٢ / ٤٤.

المؤمنين.

[١١١] ﴿ولو أنّنا نزّلنا إليهم الملائكة﴾ حتّى يروهم عياناً.

﴿وكلّمهم الموتى﴾ بالتوحيد وشهدوا لمحمّد بالرسالة.

﴿وحشرنا عليهم كلّ شيء قبلاً﴾ جمع قبيلة بمعنى جماعات، كقولهم: ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً﴾[١].

﴿ما كانوا ليؤمنوا﴾ لما سبق عليهم من القضاء بالكفر.

﴿إلّا أن يشاء الله﴾ أن يجبرهم على الإيمان.

﴿ولكن أكثرهم يجهلون﴾ أنّ الله قادر على ذلك.

[١١٢] ﴿وكذلك جعلنا لكلّ نبي عدوّاً﴾ بأن خلّينا بينهم وبين اختيارهم.

﴿شياطين الإنس والجنّ﴾ مردة الفريقين.

﴿يوحي بعضهم إلى بعض﴾ يوسوس شياطين الجنّ إلى شياطين الإنس، أو بعض الجنّ إلى بعض، وبعض الإنس إلى بعض.

﴿زخرف القول﴾ المزيّن بالباطل، من زخرفته إذا زيّنته.

﴿غروراً﴾ خداعاً وصدّاً عن الصواب.

﴿ولو شاء ربّك ما فعلوه﴾ أي: ما فعلوا معاداة الأنبياء.

﴿فذرهم وما يفترون﴾ فأنا أجازيهم وأُعاقبهم.

[١١٣] ﴿ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ أي: ولتميل إلى هذا الوحي المزخرف قلوب منكري البعث.

﴿وليرضوه﴾ لأنفسهم.

﴿وليقترفوا﴾ وليكتسبوا.

---

١. الإسراء (١٧)، الآية ٩٢.

﴿ما هم مقترفون﴾ من الآثام.[١]

[١١٤] ﴿أفغير الله أبتغي حكماً﴾ أي: قل لهم يا محمّد، أفغير الله أطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحقّ منّا من المبطل.

﴿وهو الذي أنزل إليكم الكتاب﴾ القرآن المعجز.

﴿مفصّلاً﴾ مبيّناً فيه الحقّ والباطل.

﴿والذين آتيناهم الكتاب﴾ وهم مؤمنوا أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه وأصحاب بدر.

﴿يعلمون أنّه﴾ أي: القرآن.

﴿منزل من ربّك بالحقّ﴾ أي: ببيان الحقّ.

﴿فلا تكوننّ من الممترين﴾ من الشاكّين في أنّهم يعلمون ذلك، والخطاب للنبي والمراد اُمّته.

[١١٥] ﴿وتمّت كلمة ربّك﴾ بلغت الغاية أخباره وأحكامه ومواعيده.

﴿صدقاً﴾ في الإخبار والمواعيد.

﴿وعدلاً﴾ في الأقضية والأحكام.

﴿لا مبدّل لكلماته﴾ لا مغيّر لأحكامه ولا أحد يقدر أن يحرّفها، كقوله: ﴿وإنّا له لحافظون﴾[٢] أو لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها.

﴿وهو السميع﴾ لما يقولون.

﴿العليم﴾ بما يضمرون فلا يهملهم.[٣]

---

١. مجمع البيان ٤ / ١٣٨، وتفسير البيضاوي ٢ / ٤٥.

٢. الحجر (١٥)، الآية ٩.

٣. ن: يمهلهم.

[١١٦] ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض﴾ أي: أكثر الناس، يريد الكفّار أو الجهّال أو أتباع الهوى، وقيل: الأرض مكّة.

﴿يضلّوك عن سبيل الله﴾ عن الطريق الموصل إليه، فإنّ الضالّ في غالب الأمر لا يأمر إلّا بما فيه ضلال.

﴿إن يتّبعون إلّا الظنّ﴾ وهو ظنّهم أنّ آباءهم كانوا على الحقّ، أو جهالاتهم وآراءهم الفاسدة، فإنّ الظنّ يطلق على ما يقابل العلم.

﴿وإن هم إلّا يخرصون﴾ يكذبون على الله فيما ينسبون إليه، كاتّخاذ الولد، وجعل عبادة الأوثان وصلة إليه، وتحليل الميتة، وتحريم البحائر.

[١١٧] ﴿إنّ ربّك هو أعلم من يضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ أي: أعلم بالفريقين.[١]

[١١٨] ﴿فكلوا ممّا ذكر اسم الله عليه﴾ عند ذبحه.

﴿إن كنتم بآياته مؤمنين﴾ فإنّ الإيمان به يقتضي استباحة ما أحلّه الله واجتناب ما حرّمه.

[١١٩] ﴿وما لكم ألّا تأكلوا ممّا ذكر اسم الله عليه﴾ وأيّ غرض لكم في أن تتحرّجوا عن أكله وما يمنعكم عنه.

﴿وقد فصّل لكم ما حرّم عليكم﴾ ممّا لم يحرم بقوله: ﴿حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾[٢].

﴿إلّا ما اضطررتم إليه﴾ ممّا حرّم عليكم فإنّه أيضاً حلال حال الضرورة.

﴿وإنّ كثيراً ليضلّون﴾ بتحليل الحرام وتحريم الحلال.

---

١. مجمع البيان ٤ / ١٤٣، وتفسير البيضاوي ٢ / ٤٦.

٢. البقرة (٢)، الآية ١٧٣.

﴿بأهوائهم بغير علم﴾ بتشهيهم من غير تعلّق بدليل يفيد العلم.

﴿إنّ ربّك هو أعلم بالمعتدين﴾ المتجاوزين الحـقّ إلى البـاطل والحـلال إلى الحرام.

[١٢٠] ﴿وذروا ظاهر الإثم وباطنه﴾ اتركوا سرّه وعلانيته.

﴿إنّ الذين يكسبون الإثم﴾ بعمل المعاصي والقبائح.

﴿سيجزون بما كانوا يقترفون﴾ بما كانوا يكـ[ـتـ]ـسبون.

[١٢١] ﴿ولا تأكلوا ممّا لم يذكر اسم الله عليه﴾ عند الذبح.

﴿وإنّه لفسق﴾ لمعصية وخروج عن طاعة الله.

﴿وإنّ الشياطين ليوحون﴾ ليوسوسون.

﴿إلى أوليائهم﴾ من الكفّار.

﴿ليجادلوكم﴾ بقولهم: تأكلون ما قتلتم أنتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله.

﴿وإن أطعتموهم﴾ في استحلال ما حرّم.

﴿إنّكم لمشركون﴾ فإنّ من ترك طاعة الله وأطاع غيره فقد أشرك.[١]

[١٢٢] ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس﴾ مثّل به من هداه الله وأنقذه من الضلال، وجعل له نور الحجج والآيات يتأمّل بها، فيميّز بها بين الحقّ والباطل والمحقّ والمبطل.

﴿كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾ وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال.

﴿كذلك﴾ كما زيّن للمؤمنين إيمانهم.

﴿زيّن للكافرين ما كانوا يعملون﴾ والآية نزلت في عمر وأبي جهل على ما في

---

١. تفسير البيضاوي ٢ / ٤٧، ومجمع البيان ٤ / ١٤٧.

مجمع البيان، وقيل: في حمزة وأبي جهل، وذلك أنّ رسول الله ﷺ كان يوماً بالصفا فمرّ به أبو جهل فشتمه فلم يرد عليه، وكان حمزة في الصيد وكان أعزّ فتى في قريش وأشدّهم شكيمة، فلمّا عاد بلغه فغضب وجاء إلى أبي جهل فضربه بالقوس فشجّه، وقال: أتشتم محمّداً أنا على دينه، [و]تمّ [حمزة] على إسلامه وكان على دين قومه[1].

[١٢٣] ﴿وكذلك جعلنا في كلّ قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها﴾ بغرور من الباطل، أو بباطل من الفعل، والمكر الخديعة والاحتيال.

﴿وما يمكرون إلّا بأنفسهم﴾ كقوله: ﴿ولا يحيق المكر السيء إلّا بأهله﴾[2].

﴿وما يشعرون﴾ ذلك.

[١٢٤] ﴿وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتّى نؤتى مثل ما أُوتي رسل الله﴾ يعني كفّار قريش، لما روي أنّ أبا جهل قال: زاحمنا بني عبد مناف حتّى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا: منّا نبي يوحى إليه، والله لا نرضى به إلّا أن يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت.

﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ استئناف للردّ عليهم بأنّ النبوّة ليست بالنسب والمال، وإنّما هي بفضائل نفسانية يخصّ بها الله من يشاء من عباده، فيجتبي لرسالته من علم أنّه يصلح لها وهو أعلم بالمكان الذي فيه يضعها.

﴿سيصيب الذين أجرموا صغار﴾ ذلّ وحق[ا]ر[ة] بعد كبرهم وعظمهم.

﴿عند الله﴾ يوم القيامة، وقيل: تقديره من عند الله.

---

١. مجمع البيان ٤: ١٥١، وتفسير البيضاوي ٢ / ٤٧، وقصة حمزة تجدها أيضاً في الكامل لابن الأثير ٢ / ٨٣ ولعله مصدر المؤلف، وتاريخ الطبري ٢ / ٣، وسيرة ابن هشام ١ / ١٨٩.
٢. فاطر (٣٥)، الآية ٤٣.

﴿وعذاب شديد بما كانوا يمكرون﴾ بسبب مكرهم، أو جزاء على مكرهم.

[١٢٥] ﴿فمن يرد الله أن يهديه﴾ إلى الإيمان وطريق الحقّ.

﴿يشرح صدره للإسلام﴾ فيتّسع[١] [له] ويقذف فيه نوراً ينفسح به مجاله، وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحقّ مهيأة لحلوله فيها، مصفاة عمّا يمنعه وينافيه، وإليه أشار عليه السلام حين سئل عنه فقال: نور يقذفه الله في قلب المؤمن، فينشرح له وينفسح، قالوا: هل لذلك أمارة يعرف بها؟ فقال: نعم الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله.

﴿ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيّقاً حرجاً﴾ بحيث يتباعد عن قبول الحقّ فلا يدخله الإيمان، والحرج أشدّ الضيق.

﴿كأنّما يصّعد في السماء﴾ شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يحاول ما لا يقدر عليه.

﴿كذلك﴾ أي: كما يضيق صدره بمن يحاول ويبعد قلبه عن الحقّ.

﴿يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾ يجعل العذاب أو الخذلان عليهم.[٢]

[١٢٦] ﴿وهذا﴾ إشارة إلى البيان الذي جاء به القرآن، أو إلى الإسلام، أو إلى ما سبق من التوفيق والخذلان.

﴿صراط ربّك﴾ الطريق الذي ارتضاه.

﴿مستقيماً﴾ لا عوج فيه.

﴿قد فصّلنا الآيات لقوم يذكّرون﴾ فيعلمون أنّ القادر هو الله، وأنّ كلّ ما يحدث

---

١. ن: يفسخ. وأثبتناه حسب البيضاوي.

٢. مجمع البيان ٤ / ١٥٨، وتفسير البيضاوي ٢ / ٤٩.

فهو بقضاء وقدر، وأنّه عالم بأحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم.

[١٢٧] ﴿لهم دار السلام﴾ دار الله، والسلام اسم من أسمائه، كما قال: ﴿هو الله﴾ إلى قوله: ﴿السلام المؤمن﴾[1] أضاف الجنّة إلى نفسه تعظيماً لها، أو دار السلامة من المكاره.

﴿عند ربّهم﴾ في ضمانه، أو ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره.

﴿وهو وليّهم﴾ مولاهم أو ناصرهم.

﴿بما كانوا يعملون﴾ من طاعة الله.

[١٢٨] ﴿ويوم يحشرهم جميعاً﴾ جميع الخلق من الثقلين.

﴿يا معشر الجنّ﴾ يعني: الشياطين.

﴿قد استكثرتم من الإنس﴾ أي: من إغوائهم وإضلالهم، [أو منهم] بأن جعلتموهم أتباعكم.

﴿وقال أولياؤهم من الإنس﴾ الذين أطاعوهم.

﴿ربّنا استمتع بعضنا ببعض﴾ أي: انتفع الإنس بالجنّ، بأن دلّوهم على الشهوات وما يتوصّل به إليه[ا]، والجنّ بالإنس بأن أطاعوهم وحصلوا مرادهم.

﴿وبلغنا أجلنا الذي أجّلت لنا﴾ أي: البعث، وهو اعتراف بما فعلوه من طاعة الشيطان واتّباع الهوى، وتحسّر على حالهم.

﴿قال النار مثواكم خالدين فيها﴾ باقين فيها.

﴿إلّا ما شاء الله﴾ إلّا الأوقات التي ينقلون فيها من النار إلى الزمهرير.

﴿إنّ ربّك حكيم﴾ في أفعاله.

﴿عليم﴾ بأعمال الثقلين وأحوالهم.

---

١. الحشر (٥٩)، الآية ٢٣.

[١٢٩] ﴿وكذلك نولّي بعض الظالمين بعضاً﴾ نكل بعضهم إلى بعض.

﴿بما كانوا يكسبون﴾ من الكفر والمعاصي.

[١٣٠] ﴿يا معشر الجنّ والإنس ألم يأتكم رسل منكم﴾ الرسل من الإنس خاصّة، لكن [لمّا] جمعوا مع الجنّ في الخطاب [صحّ ذلك]، ونظيره ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾[١] [والمرجان] يخرج من الملح دون العذب، وقيل: الرسل من الجنّ رسل الرسل إليهم، لقوله: ﴿ولّوا إلى قومهم منذرين﴾[٢].

﴿يقصّون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾ يعني: يوم القيامة.

﴿قالوا شهدنا على أنفسنا﴾ بالجرم والعصيان، وهو اعتراف بالكفر واستحقاق العذاب.

﴿وغرّتهم الحياة الدنيا﴾ بلذّاتها حتّى أعرضوا عن الآخرة بالكلّية.

﴿وشهدوا على أنفسهم أنّهم كانوا كافرين﴾ في الدنيا.[٣]

[١٣١] ﴿ذلك﴾ إشارة إلى إرسال الرسل.

﴿أن لم يكن ربّك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون﴾ لم ينبهوا برسول.

[١٣٢] ﴿ولكلّ﴾ من المكلّفين.

﴿درجات﴾ مراتب.

﴿ممّا عملوا﴾ من أعمالهم.

﴿وما ربّك بغافل عمّا يعملون﴾ فيخفى عليه عمل، أو قدر ما يستحقّ به من ثواب أو عقاب.

---

١. الرحمان (٥٥)، الآية ٢٢.

٢. الأحقاف (٤٦)، الآية ٢٩.

٣. تفسير البيضاوي ٢ / ٥١، ومجمع البيان ٤ / ١٦١.

[١٣٣] ﴿وربّك الغني﴾ عن العباد والعبادة.

﴿ذو الرحمة﴾ يترحّم عليهم بالتكليف تكميلاً لهم ويمهلهم على المعاصي.

﴿إن يشأ يذهبكم﴾ أي: ما به إليكم حاجة أيّها العصاة.

﴿ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرّيّة قوم آخرين﴾ أي: قرناً بعد قرن، لكنّه أبقاكم ترحّماً عليكم.

[١٣٤] ﴿إنّ ما توعدون﴾ من البعث وأحواله.

﴿لآت﴾ لكائن لا محال.

﴿وما أنتم بمعجزين﴾ طالبكم به.

[١٣٥] ﴿قل يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ على غاية تمكّنكم واستطاعتكم، وهو أمر تهديد، كقوله ﴿اعملوا ما شئتم﴾[١].

﴿إنّي عامل فسوف تعلمون﴾ عند حلول نقم الله.

﴿من تكون له عاقبة الدار﴾ عند الله المحقّ أم المبطل.

﴿إنّه لا يفلح الظالمون﴾ لا يظفروا بمطلوبهم.[٢]

[١٣٦] ﴿وجعلوا﴾ أي: مشركوا العرب.

﴿لله ممّا ذرأ﴾ ممّا خلق.

﴿من الحرث﴾ من الزروع.

﴿والأنعام﴾ من الإبل والبقر والغنم.

﴿نصيباً﴾ قسماً وجزء.

﴿فقالوا هذا لله بزعمهم﴾ بغير حجّة.

---

١. فصلت (٤١)، الآية ٤٠.

٢. تفسير البيضاوي ٢ / ٥٣، ومجمع البيان ٤ / ١٦٥.

﴿وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم﴾ روي أنّهم كانوا يعيّنون شيئاً من حرث ونتاج لله، ويصرفونه إلى الضيفان والمساكين، وشيئاً منهما لآلهتهم وينفقونه على سدنتها ويذبحون[ه] عندها، ثمّ إن رأوا ما عيّنوه لله أزكى بدّلوه بما لآلهتهم، وإن رأوا ما لآلهتهم أزكى تركوه لها حبّاً لآلهتهم.

﴿ساء ما يحكمون﴾ حكمهم هذا، إذ أخذوا من نصيب الله ولم يأخذوا من نصيب شركائهم.

[١٣٧] ﴿وكذلك﴾ ومثل ذلك التزيين في قسمة القربان.

﴿زيّن لكثير من المشركين قتل أولادهم﴾ بالوأد ونحرهم لآلهتهم.

﴿شركاؤهم﴾ من الجنّ أو من السدنة.

﴿ليُرْدوهم﴾ ليهلكوهم بالإغواء.

﴿وليلبسوا عليهم دينهم﴾ وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين إسماعيل، أو ما وجب عليهم أن يدينوا به.

﴿ولو شاء الله ما فعلوه﴾ ما فعل المشركون ما زيّن لهم، أو الشركاء التزيين، أو الفريقان جميع ذلك.

﴿فذرهم وما يفترون﴾ من الإفك.

[١٣٨] ﴿وقالوا هذه﴾ إشارة إلى ما جعلوا لآلهتهم.

﴿أنعام وحرث حجر﴾ حرام، من قوله: ﴿حجراً محجوراً﴾[١].

﴿لا يطعمها إلّا من نشاء﴾ يعنون خدم الأوثان والرجال، دون النساء.

﴿بزعمهم﴾ من غير حجّة.

---

١. الفرقان (٢٥)، الآية ٢٢.

﴿**وأنعام حرّمت ظهورها**﴾ يعني البحائر والسوائب والحوامي.

﴿**وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها**﴾ في الذبح وإنّما يذكرون أسماء الأصنام، وقيل: لا يحجّون على ظهورها.

﴿**افتراء عليه**﴾ كذباً على الله.

﴿**سيجزيهم بما كانوا يفترون**﴾ بسببه أو بدله.[١]

[١٣٩] ﴿**وقالوا ما في بطون هذه الأنعام**﴾ يعنون أجنّة البحائر والسوائب.

﴿**خالصة لذكورنا ومحرّم على أزواجنا**﴾ حلال للذكور خاصّة دون الإناث إن ولد حيّاً، لقوله:

﴿**وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء**﴾ فالذكور والإناث فيه سواء.

﴿**سيجزيهم وصفهم**﴾ أي: جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم والتحليل، من قوله: ﴿**وتصف ألسنتهم الكذب**﴾[٢].

﴿**إنّه حكيم**﴾ فيما يفعل بهم.

﴿**عليم**﴾ بما يفعلونه.

[١٤٠] ﴿**قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً**﴾ يريد به العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر.

﴿**بغير علم**﴾ لخفّة عقولهم وجهلهم بأنّ الله رازق أولادهم لا هم.

﴿**وحرّموا ما رزقهم الله**﴾ من البحائر ونحوها.

﴿**افتراء على الله**﴾ يحتمل الوجوه المذكورة في مثله.

---

١. تفسير البيضاوي ٢ / ٥٤، وتفسير مجمع البيان ٤ / ١٧٠.

٢. النحل (١٦)، الآية ٦٢.

﴿قد ضلّوا وما كانوا مهتدين﴾ إلى الحقّ والصواب.[١]

[١٤١] ﴿وهو الذي أنشأ جنّات﴾ من الكروم.

﴿معروشات﴾ مرفوعات على ما يحملها.

﴿وغير معروشات﴾ ملقيات على وجه الأرض، وقيل: المعروشات ما غرسه الناس فعرّشوه وغير معروشات ما نبت في البراري والجبال[٢].

﴿والنخل والزرع مختلفاً أُكله﴾ ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية.

﴿والزيتون والرمّان متشابهاً وغير متشابه﴾ يتشابه بعض أفرادهما[٣] في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها.

﴿كلوا من ثمره﴾ من ثمر كلّ واحد من ذلك.

﴿إذا أثمر﴾ وإن لم يدرك ولم يينع[٤] بعد، وقيل: فائدته رخصة المالك في الأكل منه قبل أداء حقّ الله.

﴿وآتوا حقّه يوم حصاده﴾ يريد به ما كان يتصدّق به يوم الحصاد، لا الزكاة المقدّرة، فإنّها فرضت بالمدينة والآية مكّية؛ ولأنّ الزكاة لا تؤخذ إلّا بعد التصفية.

﴿ولا تسرفوا﴾ في التصدّق كقوله: ﴿ولا تبسطها كلّ البسط﴾[٥].

﴿إنّه لا يحبّ المسرفين﴾ لا يرتضي[٦] فعلهم.

[١٤٢] ﴿ومن الأنعام حمولة﴾ ما يحمل الأثقال من الإبل.

---

١. مجمع البيان ٤ / ١٧٧، وتفسير البيضاوي ٢ / ٥٦.

٢. مجمع البيان ٤: ١٧٧.

٣. ن: بعضه أو أفرادهما.

٤. ن: ينفع.

٥. ٢٩: الإسراء (١٧).

٦. ن: ترضى.

﴿وفرشاً﴾ المنسوج من الصوف والشعر والوبر.

﴿كلوا ممّا رزقكم الله﴾ كلوا ما حلّ لكم منه.

﴿ولا تتّبعوا خطوات الشيطان﴾ سنّة في التحليل والتحريم من عند أنفسكم، كما اتّبعها أهل البحائر والسوائب.

﴿إنّه لكم عدوّ مبين﴾ ظاهر العداوة.[١]

[١٤٣] ﴿ثمانية أزواج﴾ والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه.

﴿من الضأن اثنين﴾ زوجين اثنين، الكبش والنعجة.

﴿ومن المعز اثنين﴾ التيس والعنز.

﴿قل آلذكرين﴾ ذكر الضأن وذكر المعز.

﴿حرّم أم الأُنثيين﴾ أم انثييهما.

﴿أمّا اشتملت عليه أرحام الأُنثيين﴾ أو ما حملت إناث الجنسين ذكراً كان أو أُنثى.

﴿نبّئوني بعلم﴾ بأمر معلوم يدلّ على أنّ الله حرّم شيئاً من ذلك.

﴿إن كنتم صادقين﴾ في دعوى التحريم عليه.

[١٤٤] ﴿ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرّم أم الأُنثيين أمّا اشتملت عليه أرحام الأُنثيين﴾ كما سبق، والمعنى إنكار أنّ الله حرّم [شيئاً] من الأجناس الأربعة، ذكراً [كان] أو أُنثى، أو ما تحمل إناثها، ردّاً عليهم بأنّهم كانوا يحرّمون ذكور الأنعام تارة، وإناثها تارة، وأولادها كيف كانت تارة، زاعمين أنّ الله حرّمها.

﴿أم كنتم شهداء إذ وصّاكم الله بهذا﴾ حين وصّاكم بهذا التحريم، إذا أنتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم إلى معرفة أمثال ذلك إلّا المشاهدة والسماع.

---

١. مجمع البيان ٤ / ١٧٧، وتفسير البيضاوي ٢ / ٥٨.

﴿فمن أظلم ممّن افترى على الله كذباً﴾ فينسب إليه تحريم ما لم يحرّم.

﴿ليضلّ الناس بغير علم﴾ ويدعوهم إلى ما لا يثق بصحّته.

﴿إنّ الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ إلى الصواب.[1]

[١٤٥] ﴿قل لا أجد في ما أوحي إليّ﴾ في القرآن والإلهام.

﴿محرّماً﴾ طعاماً محرّماً.

﴿على طاعم يطعمه إلّا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً﴾ مهروقاً لا ما خالط اللحم.

﴿أو لحم خنزير فإنّه رجس﴾ فإنّ الخنزير أو لحمه قذر، لتعوّده على أكل النجاسة، أو خبيث يخبث[2].

﴿أو فسقاً أُهلّ لغير الله به﴾ أي: ذكر عليه عند ذبحه اسم الأصنام ولم يذكر اسم الله.

﴿فمن اضطرّ﴾ فمن دعته الضرورة إلى تناول شيء من ذلك.

﴿غير باغ﴾ على مضطرّ مثله أو قاطع سبيل.

﴿ولا عاد﴾ بالمعصية بل قدر الضرورة.

﴿فإنّ ربّك غفور رحيم﴾ لا يؤاخذه.

[١٤٦] ﴿وعلى الذين هادوا حرّمنا كلّ ذي ظفر﴾ كلّ ما له إصبع كالإبل والسباع والطيور.

﴿ومن البقر والغنم حرّمنا عليهم شحومهما﴾ الشروب وشحوم الكلى.

﴿إلّا ما حملت ظهورهما﴾ إلّا ما علقت بظهورهما.

---

١. مجمع البيان ٤ / ١٨٠، وتفسير البيضاوي ٢ / ٥٩.

٢. في البيضاوي: محنث.

﴿أو الحوايا﴾ أو ما اشتمل على الأمعاء، جمع حاوية.

﴿أو ما اختلط بعظم﴾ هو شحم الإلية لاتّصالها بالعصعص.

﴿ذلك﴾ التحريم أو الجزاء.

﴿جزيناهم ببغيهم﴾ بسبب ظلمهم، أو قولهم: إنّ إسرائيل حرّم ذلك على نفسه.

﴿وإنّا لصادقون﴾ في الإخبار، أو الوعد والوعيد.

[١٤٧] ﴿فإن كذّبوك فقل ربّكم ذو رحمة واسعة﴾ يمهلكم على التكذيب، فلا تغترّوا بإمهاله فإنّه لا يهمل.

﴿ولا يردّ بأسه﴾ لا يدفع عذابه.

﴿عن القوم المجرمين﴾ المكذّبين إذا جاء وقته.[١]

[١٤٨] ﴿سيقول الذين أشركوا﴾ إخبار عن مستقبل، ووقوع مخبره يدلّ على إعجازه.

﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرّمنا من شيء﴾ أي: لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء ـ لقوله: ﴿فلو شاء لهداكم أجمعين﴾[٢] ـ لما فعلنا نحن ولا آباؤنا، أرادوا بذلك أنّهم على الحقّ المشروع المرضي عند الله، لا الاعتذار من ارتكاب هذه القبائح بإرادة الله إيّا[ها منـ]هم، حتّى ينهض ذمّهم به دليلاً للمعتزلة، ويؤيّد ذلك قوله:

﴿كذلك كذّب الذين من قبلهم﴾ أي: مثل هذا التكذيب لك في أنّ الله منع من الشرك ولم يحرّم ما حرّموه، كذّب الذين من قبلهم الرسل.

﴿حتّى ذاقوا بأسنا﴾ الذي أنزلنا عليهم بتكذيبهم.

﴿قل هل عندكم من علم﴾ من أمر معلوم يصحّ الاحتجاج به على ما زعمتم.

---

١. تفسير البيضاوي ٢ / ٦٠، ومجمع البيان ٤ / ١٨٥.

٢. كما في الآية التالية وغيرها.

﴿فتخرجوه لنا﴾ نتيقّن به أنّ ربّكم رضي الشرك منكم وتحريم ذلك.

﴿إن تتّبعون إلّا الظنّ﴾ ما تتبعون في ذلك إلّا الظنّ.

﴿وإن أنتم إلّا تخرصون﴾ تكذبون على الله.

[١٤٩] ﴿قل فلله الحجّة البالغة﴾ المثبتة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوّة على الإثبات، أو بلغ بها صاحبها صحّة دعواه.

﴿فلو شاء لهداكم أجمعين﴾ بالتوفيق لها والحمل عليها.

[١٥٠] ﴿قل هلمّ شهداءكم﴾ أحضروا شهداءكم.

﴿الذين يشهدون أنّ الله حرّم هذا﴾ لتثبت الحجّة.

﴿فإن شهدوا فلا تشهد معهم﴾ فلا تصدّقهم فيه وبيّن لهم فساده، فإنّ تسليمهم موافقة لهم في الشهادة الباطلة.

﴿ولا تتّبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا﴾ لأنّ مكذّب الآيات يتّبع الهوى لا غير، وأنّ متّبع الحجّة لا يكون إلّا مصدّقاً لها.

﴿والذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ كعبدة الأوثان.

﴿وهم بربّهم يعدلون﴾ يجعلون له عديلاً.[1]

[١٥١] ﴿قل تعالوا﴾ أمر من التعالي، أي: أقبلوا.

﴿أتل ما حرّم ربّكم عليكم﴾ أقرأ عليكم النهي.

﴿ألّا تشركوا به شيئاً﴾ من الأصنام وغيرها.

﴿وبالوالدين إحساناً﴾ أي: وأحسنوا بهم إحساناً، وضعه موضع النهي عن الإساءة إليهما، للمبالغة والدلالة على أنّ ترك الإساءة في شأنهما غير كاف، بخلاف غيرهما.

---

١. مجمع البيان ٤ / ١٨٩، وتفسير البيضاوي ٢ / ٦١.

﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق﴾ من أجل فقر ومن خشية إملاق.

﴿نحن نرزقكم وإيّاهم﴾ فإنّ رزقكم ورزقهم جميعاً علينا.

﴿ولا تقربوا الفواحش﴾ كبائر الذنوب أو الزنا.

﴿ما ظهر منها وما بطن﴾ لأنّهم كانوا في الجاهلية يبيحون الزنا الخفي ويحرّمون الظاهر، وهو مثل قوله: ﴿ذروا ظاهر الإثم وباطنه﴾[1].

﴿ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلّا بالحقّ﴾ كالقود وقتل المرتدّ ورجم المحصن.

﴿ذلكم﴾ إشارة إلى ما ذكر مفصّلاً.

﴿وصّاكم به﴾ أمركم بحفظه.

﴿لعلّكم تعقلون﴾ ترشدون، فإنّ كمال العقل هو الرشد.[2]

[١٥٢] ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلّا بالتي هي أحسن﴾ إلّا بالفعلة التي هي أحسن ما يفعل بماله، كحفظه وتثميره.

﴿حتّى يبلغ أشدّه﴾ حتّى يصير بالغاً وتكتب عليه الحسنات والسيّئات.

﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط﴾ بالعدل والسوية.

﴿لا نكلّف نفساً إلّا وسعها﴾ إلّا ما يسعها ولا يعسر عليها.

﴿وإذا قلتم﴾ في الحكومة ونحوها.

﴿فاعدلوا﴾ فيه.

﴿ولو كان ذا قربى﴾ ولو كان المقول عليه ذوي القربى.

---

١. الأنعام (٦)، الآية ١٢٠.

٢. تفسير البيضاوي ٢ / ٦١، ومجمع البيان ٤ / ١٩٣.

﴿وبعهد الله أوفوا﴾ يعني: ما عهد[1] إليكم من ملازمة العدل وتأدية أحكام الشرع.

﴿ذلكم وصّاكم به لعلّكم تذكّرون﴾ تتعظون[2] به.

[١٥٣] ﴿وأنّ هذا صراطي مستقيماً﴾ الإشارة فيه إلى ما ذكر في السورة، فإنّها بأسرها في إثبات التوحيد والنبوّة وبيان الشريعة.

﴿فاتّبعوه ولا تتّبعوا السبل﴾ الأديان المختلفة التي ليست لله بسبيل.

﴿فتفرّق بكم عن سبيله﴾ الذي هو اتّباع الوحي واقتفاء البرهان.

﴿ذلكم﴾ الاتّباع.

﴿وصّاكم به لعلّكم تتّقون﴾ الضلال والتفرّق عن الحقّ.

[١٥٤] ﴿ثمّ آتينا موسى الكتاب﴾ قبل القرآن، كأنّه قال: ذلكم وصّاكم به قديماً وحديثاً، ثمّ أعظم من ذلك أنّا آتينا موسى الكتاب.

﴿تماماً﴾ للكرامة والنعمة.

﴿على الذي أحسن﴾ تبليغه وهو موسى.

﴿وتفصيلاً لكلّ شيء﴾ وبياناً مفصّلاً لكلّ ما يحتاج إليه في الدين.

﴿وهدى ورحمة لعلّهم﴾ لعلّ بني إسرائيل.

﴿بلقاء ربّهم يؤمنون﴾ أي: بلقاء جزائه.

[١٥٥] ﴿وهذا كتاب﴾ يعني: القرآن.

﴿أنزلناه مبارك﴾ كثير النفع.

﴿فاتّبعوه﴾ فاعملوا به.

---

١. ن: عاهد.

٢. ن: تنطقون.

﴿واتّقوا﴾ مخالفته.

﴿لعلّكم ترحمون﴾ في الآخرة.[١]

[١٥٦] ﴿أن تقولوا﴾ كراهة أن تقولوا، علّة لأنزلناه.

﴿إنّما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا﴾ اليهود والنصارى.

﴿وإن كنّا عن دراستهم﴾ عن قراءتهم.

﴿لغافلين﴾ لا ندري ما هي، فتتخذوا ذلك حجّة.

[١٥٧] ﴿أو تقولوا لو أنّا أنزل علينا الكتاب لكنّا أهدى منهم﴾ في المبادرة إلى قبوله والتمسّك به، لحدّة أذهاننا وثقابة أفهامنا.

﴿فقد جاءكم بيّنة من ربّكم﴾ حجّة واضحة تعرفونها.

﴿وهدى ورحمة﴾ لمن تأمّل فيه وعمل به.

﴿فمن أظلم ممّن كذّب بآيات الله﴾ بعد أن عرف صحّتها، أو تمكّن من معرفتها.

﴿وصدف عنها﴾ أعرض أو صدّ عنها، فضلّ وأضلّ.

﴿سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب﴾ شدّته.

﴿بما كانوا يصدفون﴾ بإعراضهم أو صدّهم.[٢]

[١٥٨] ﴿هل ينظرون﴾ أي: ما ينتظرون، يعني: أهل مكّة.

﴿إلّا أن تأتيهم الملائكة﴾ ملائكة الموت أو العذاب.

﴿أو يأتي ربّك﴾ أي: أمره بالعذاب، أو كلّ آية، يعني: آيات القيامة والهلاك الكلّي.

﴿أو يأتي بعض آيات ربّك﴾ يعني: أشراط الساعة، وعن حذيفة والبراء بن

١. تفسير البيضاوي ٢ / ٦٢، ومجمع البيان ٤ / ١٩٧.

٢. تفسير البيضاوي ٢ / ٦٣، ومجمع البيان ٤ / ٢٠٠.

عازب: كنّا نتذاكر الساعة إذ أشرف [علينا] رسول الله ﷺ، فقال: ما تذ[ا]كرون؟ فقلنا: نتذاكر الساعة، قال: إنّها لا تقوم حتّى تروا قبلها عشر آيات: الدخان، ودابّة الأرض، وخسفاً بالمشرق، وخسفاً بالمغرب، وخسفاً بجزيرة العرب، والدجّال، وطلوع الشمس من مغربها، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى عليه السلام، ونار[اً] تخرج من عدن.

﴿يوم يأتي بعض آيات ربّك لا ينفع نفساً إيمانها﴾ كالمحتضر إذا صار الأمر عياناً والإيمان برهاناً.

﴿لم تكن آمنت من قبل﴾ ذلك اليوم.

﴿أو كسبت في إيمانها خيراً﴾ طاعة وبرّاً، أي: لا ينفع حينئذٍ إيمان من آمن من الكفار، ولا طاعة من أطاع من المؤمنين.

﴿قل انتظروا إنّا منتظرون﴾ وعيد لهم، أي: انتظروا إتيان أحد الثلاثة فإنّا منتظرون له، وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل.

[١٥٩] ﴿إنّ الذين فرّقوا دينهم﴾ بدّدوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، [أ]و اف[ت]رقوا [فيه]، قال عليه السلام: افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلّها في الهاوية إلّا واحدة، وافترقت النصارى على اثن[ت]ين وسبعين فرقة كلّها في الهاوية إلّا واحدة وتفترق اُمّتي على ثلاث وسبعين فرقة كلّها في الهاوية إلّا واحدة. وهم الذين أدّوا فرائض الله، وأخذوا بسنن رسول الله ﷺ، وتورّعوا عن محارم الله، وزهدوا في عاجل الدنيا، ورغبوا فيما عند الله، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

﴿وكانوا شيعاً﴾ فرقاً يشيع كلّ فرقة إماماً.

﴿لست منهم في شيء﴾ أي: من السؤال عنهم وعن تفرّقهم، أو من عقابهم، أو أنت برئ منهم، وقيل: هو نهي عن التعرّض لهم، وهو منسوخ بآية السيف.

﴿إنّما أمرهم إلى الله﴾ يتولّى جزاءهم.
﴿ثمّ ينبّئهم بما كانوا يفعلون﴾ بالعقاب.[1]

[١٦٠] ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ أي: عشر حسنات أمثالها فضلاً من الله، وهذا أقلّ ما وعد من الأضعاف، وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمئة وبغير حساب، ولذلك قيل: المراد بالعشرة الكثرة دون العدد.
﴿ومن جاء بالسيّئة فلا يجزى إلّا مثلها﴾ قضية للعدل.
﴿وهم لا يظلمون﴾ بنقص الثواب وزيادة العقاب.

[١٦١] ﴿قل إنّني هداني ربّي إلى صراط مستقيم﴾ بالوحي والإرشاد إلى ما نصب من الحجج.
﴿ديناً قيماً﴾ ثابتاً دائماً لا ينسخ.
﴿ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ وصف دين النبي بأنّه ملّة إبراهيم، ترغيباً فيه للعرب ولكلّ أهل الأديان، لجلالة إبراهيم في نفوسهم، واتّفاقهم أنّه كان على الحقّ.

[١٦٢] ﴿قل إنّ صلاتي ونسكي﴾ عبادتي كلّها، أو قرباتي، أو حجّي، وقيل: جمع بين الصلاة والذبح كما في قوله: ﴿فصلّ لربّك وانحر﴾[2].
﴿ومحياي ومماتي﴾ وما أنا عليه في حياتي وأموت عليه من الإيمان والطاعة.
﴿لله ربّ العالمين﴾ خالصة له لا أشرك فيها غيره.

[١٦٣] ﴿لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا أوّل المسلمين﴾ أوّل من أذعن

١. تفسير البيضاوي ٢ / ٦٤، ومجمع البيان ٤ / ٢٠٥.
٢. الكوثر (١٠٨)، الآية ٢.

وأخلص وخضع من هذه الأُمّة لربّه.[١]

[١٦٤] ﴿قل أغير الله أبغي ربّاً﴾ فأُشركه في عبادتي، وهو جواب عن دعائهم له إلى عبادة آلهتهم.

﴿وهو ربّ كلّ شيء﴾ وخالقه ومدبّره، وكلّ ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية.

﴿ولا تكسب كلّ نفس إلّا عليها﴾ فلا ينفعني في ابتغاء ربّ غيره ما أنتم عليه من ذلك.

﴿ولا تزر وازرة وزر أُخرى﴾ لا يحمل أحد ذنب غيره، جواب عن قولهم ﴿اتّبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم﴾[٢].

﴿ثمّ إلى ربّكم مرجعكم﴾ يوم القيامة.

﴿فينبّئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ بتبي[ي]ن الرشد من الغي، وتمي[ي]ز المحقّ من المبطل.

[١٦٥] ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾ يخلف بعضكم بعضاً، أو خلفاء الله في أرضه تتصرّفون فيها على أنّ الخطاب عامّ، أو خلفاء الأُمم السابقة على أنّ الخطاب للمؤمنين.

﴿ورفع بعضكم فوق بعض درجات﴾ في الشرف والغنى.

﴿ليبلوكم في ما آتاكم﴾ من الجاه والمال.

﴿إنّ ربّك سريع العقاب﴾ لمن أسخطه، لأنّ ما هو آت قريب، أو لأنّه يسرع إذا أراده.

---

١. مجمع البيان ٤ / ٢٠٧، وتفسير البيضاوي ٢ / ٦٤.
٢. العنكبوت (٢٩)، الآية ١٢.

﴿وإنّه لغفور رحيم﴾ لمن أطاعه، قال عليه السلام: أُنزلت عليّ سورة الأنعام جملة واحدة، وشيّعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد، فمن قرأ الأنعام صلّى عليه واستغفر له أُولئك السبعون ألف ملك، بعدد كلّ آية من سورة الأنعام يوماً وليلة[1].

١. تفسير البيضاوي ٢: ٦٥، ومجمع البيان ٤ / ٢٠٩.

[٧]
سورة الأعراف

مئتان وستّ آية، [مكية غير ثمان آيات] من قوله: ﴿واسألهم عن القرية﴾ إلى قوله: ﴿إذ نتقنا الجبل﴾[١] محكمة كلّها إلّا قوله: ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿المص﴾ سبق الكلام في مثله.

[٢] ﴿كتاب﴾ أي: هذا القرآن كتاب.

﴿أُنزل إليك﴾ يا محمّد، بأمر الله.

﴿فلا يكن في صدرك حرج منه﴾ أي: شكّ، أو ضيق قلب من تبليغه مخافة أن تكذّب فيه.

﴿لتنذر به﴾ لتخوّف به المشركين.

﴿وذكرى للمؤمنين﴾ لأنّهم المنتفعون به.

[٣] ﴿اتّبعوا ما أُنزل إليكم من ربّكم﴾ يعمّ القرآن والسنّة، لقوله: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى﴾[٢].

﴿ولا تتّبعوا من دونه أولياء﴾ يضلّونكم من الجنّ والإنس.

---

١. الأعراف (٧)، الآية ١٦٣ ـ ١٧١.

٢. النجم (٥٣)، الآية ٤.

﴿قليلاً ما تذكّرون﴾ أي: تذكّراً قليلاً، أو زماناً قليلاً تذكرون، حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره.[١]

[٤] ﴿وكم من قرية﴾ وكثيراً من القرى.

﴿أهلكناها﴾ بالخذلان.

﴿فجاءها بأسنا بياتاً﴾ بايتين، كقوم لوط.

﴿أو هم قائلون﴾ نصف النهار، كقوم شعيب.

[٥] ﴿فما كان دعواهم﴾ أي: دعاؤهم واستغاثتهم.

﴿إذ جاءهم بأسنا إلّا أن قالوا إنّا كنّا ظالمين﴾ إلّا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه، تحسّراً عليه.

[٦] ﴿فلنسألن الذين أُرسل إليهم﴾ عن قبول الرسالة وإجابتهم الرسل.

﴿ولنسألنّ المرسلين﴾ عمّا أُجيبوا به، والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم، والمنفي في قوله: ﴿ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون﴾[٢] سؤال الاستعلام، أو الأوّل في موقف الحساب، وهذا عند حصولهم على العقاب.

[٧] ﴿فلنقصنّ عليهم﴾ على الرسل حين يقولون لا علم لنا إنّك أنت علّام الغيوب، أو على الرسل والمرسل إليهم ما كانوا عليه.

﴿بعلم﴾ عالمين بظواهرهم وبواطنهم، أو بمعلومنا منهم.

﴿وما كنّا غائبين﴾ عنهم فيخفى علينا شيء من أحوالهم.[٣]

[٨] ﴿والوزن﴾ أي: القضاء، أو وزن الأعمال وهو مقابلتها بالجزاء، والجمهور

---

١. تفسير البيضاوي ٢ / ٦٧، ومجمع البيان ٤ / ٢١٥.

٢. القصص (٢٨)، الآية ٧٨.

٣. تفسير البيضاوي ٢ / ٦٨، ومجمع البيان ٤ / ٢١٩.

على أنّ صحائف الأعمال توزن بميزان له لسان وكفّتان، ينظر إليه الخلائق، إظهاراً للمعدلة وقطعاً للمعذرة، كما يسألهم عن أعمالهم فتعترف بها ألسنتهم وتشهد بها جوارحهم.

﴿يومئذ الحقّ﴾ العدل، يؤخذ من حسنات الظالم فتردّ على المظلوم.

﴿فمن ثقلت موازينه﴾ حسناته بلا إله إلّا الله.

﴿فأُولئك هم المفلحون﴾ الفائزون بالنجاة والثواب.

[٩] ﴿ومن خفّت موازينه﴾ بجحد آيات الله وعظمت ذنوبه.

﴿فأُولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت عليها، واقتراف ما عرّضها للعذاب.

﴿بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾ فيكذبون بدل التصديق.

[١٠] ﴿ولقد مكّنّاكم في الأرض﴾ من سكناها وزرعها والتصرّف فيها.

﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾ أسباباً تعيشون بها.

﴿قليلاً ما تشكرون﴾ لنعم الله عليكم، كقوله: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾[١].

[١١] ﴿ولقد خلقناكم ثمّ صوّرناكم﴾ أي: خلقنا أباكم آدم طيناً غير مصوّر [ثمّ] صوّرناه، ونزّل خلقه وتصويره منزلة خلقهم وتصويرهم، وقيل: خلقناكم في أصلاب آبائكم، ثمّ صوّرنا في أرحام النساء.

﴿ثمّ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ بعد الفراغ من خلقه وإخراج ذرّيّته من صلبه في عالم الذرّ.

﴿فسجدوا إلّا إبليس لم يكن من الساجدين﴾ ممّن سجد لآدم.[٢]

---

١. سبأ (٣٤)، الآية ١٣.

٢. مجمع البيان ٤ / ٢٢٣، وتفسير البيضاوي ٢ / ٦٩.

[١٢] ﴿قال ما منعك ألّا تسجد﴾ أي: ما دعاك إلى أن لا تسجد.

﴿إذ أمرتك﴾ بالسجود لآدم.

﴿قال أنا خير منه﴾ ولا يحسن للفاضل أن يسجد للمفضول.

﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ تعليل لفضله عليه، وقد غلط في ذلك بأن رأى الفضل كلّه باعتبار العنصر، وغفل عمّا يكون باعتبار الفاعل، كما أشار إليه بقوله: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾[1] أي: بغير واسطة، وباعتبار الصورة كما نبّه عليه بقوله: ﴿ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾[2].

[١٣] ﴿قال فاهبط منها﴾ من السماء، أو الجنّة فإنّها مكان الخاشع المطيع.

﴿فما يكون لك أن تتكبّر فيها﴾ عن أمر الله، وفيه تنبيه على أنّ التكبّر لا يليق بأهل الجنّة، وأنّه تعالى إنّما طرده وأهبطه لت‍كبره لا لمجرّد عصيانه.

﴿فاخرج إنّك من الصاغرين﴾ ممّن أهانه الله لت‍كبره، قال عليه السلام: من تواضع لله رفعه الله ومن تكبّر وضعه الله.

[١٤] ﴿قال أنظرني إلى يوم يبعثون﴾ أمهلني إلى يوم القيامة.

[١٥] ﴿قال إنّك من المنظرين﴾ إلى النفخة الأُولى.

[١٦] ﴿قال فبما أغويتني﴾ أي: بعد أن أمهلتني لأجتهدنّ في إغوائهم بأي طريق يمكنني.

﴿لأقعدنّ لهم﴾ ترصّداً بهم كما يقعد القطّاع للسابلة.

﴿صراطك المستقيم﴾ طريق الإسلام.

[١٧] ﴿ثمّ لآتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم﴾

---

١. ص (٣٧)، الآية ٧٥.

٢. الحجر (١٥)، الآية ٢٩.

أي: من جميع الجهات الأربع، ولم يقل من فوقهم لأنّ رحمة الله تنزل على عباده من فوقهم.

﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ مطيعين، وإنّما قاله ظنّاً، لقوله: ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنّه﴾[١] لمّا رأى فيهم مبدء الشرّ متعدّداً ومبدء الخير واحداً، وقيل: سمعه من الملائكة[٢].

[١٨] ﴿قال اخرج منها مذؤوماً مدحوراً﴾ ملعوناً مطروداً.

﴿لمن تبعك منهم﴾ لمن أطاعك من بني آدم.

﴿لأملأنّ جهنّم منكم أجمعين﴾ أي: منك ومنهم.

[١٩] ﴿ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنّة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة﴾ بالأكل منها، وهي السنبلة أو الكرم.

﴿فتكونا من الظالمين﴾ الباخسين نفوسهم الثواب، المعرضين لها للعقاب.

[٢٠] ﴿فوسوس لهما الشيطان﴾ أي: فعل الوسوسة لأجلهما، وهو في الأصل الصوت الخفي.

﴿ليبدي لهما﴾ ليظهر لهما.

﴿ما ووري عنهما من سوآتهما﴾ ما غطّي عنهما من عوراتهما، وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر.

﴿وقال ما نهاكما ربّكما عن هذه الشجرة إلّا أن تكونا ملكين﴾ من الملائكة.

﴿أو تكونا من الخالدين﴾ الذين لا يموتون، أو يخلدون في الجنّة، واستدلّ به على فضل الملائكة على الأنبياء، وهو ضعيف.

---

١. سبأ (٣٦)، الآية ٢٠.

٢. تفسير البيضاوي ٢: ٧١، ومجمع البيان ٤ / ٢٢٨.

[٢١] ﴿وقاسمهما﴾ حلف لهما.

﴿إنّي لكما لمن الناصحين﴾ المخلصين النصيحة.[١]

[٢٢] ﴿فدلّاهما بغرور﴾ فخدعهما بكلام مزخرف بالباطل.

﴿فلمّا ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما﴾ أي: فلمّا وجدا طعمها آخذين في الأكل منها أخذتهما العقوبة وشؤم المعصية، فتهافت عنهما لباسهما وظهرت عوراتهما، وكان لباسهما نوراً، [أ]و حلية[٢]، أو ظفراً.

﴿وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنّة﴾ أخذا يرقعان ويلزقان عليهما ورقة فوق ورقة من ورق التين.

﴿وناداهما ربّهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إنّ الشيطان لكما عدوّ مبين﴾ عتاب على مخالفة النهي، وتوبيخ على الاغترار بقول العدوّ.

[٢٣] ﴿قالا ربّنا ظلمنا أنفسنا﴾ أضررناها بالمعصية والتعريض للإخراج عن الجنّة.

﴿وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين﴾ قيل: هذه الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه.

[٢٤] ﴿قال اهبطوا﴾ الخطاب لآدم وحوّاء[٣] وذرّيّتهما، أو لهما ولإبليس.

﴿بعضكم لبعض عدوّ﴾ أي: متعادين، أو يعاديهما إبليس.

﴿ولكم في الأرض مستقرّ ومتاع إلى حين﴾ إلى تقضّي آجالكم.

[٢٥] ﴿قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ للبعث والجزاء.

---

١. تفسير البيضاوي ٢ / ٧٢، ومجمع البيان ٤ / ٢٣٠.

٢. في البيضاوي: حلة.

٣. ن: حوى.

[٢٦] ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً﴾ أي: خلقناه لكم بتدبيرات سماوية وأسباب نازلة.

﴿يواري سوآتكم﴾ يستر عوراتكم، روي أنّ العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون: لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها، فنزلت.

﴿وريشاً﴾ ولباساً تتجمّلون به، والريش الجمال.

﴿ولباس التقوى﴾ خشية الله، وقيل: الإيمان، وقيل: لباس الحرب.

﴿ذلك خير﴾ أي: ولباس التقوى خير.

﴿ذلك من آيات الله﴾ الدالّة على فضله ورحمته.

﴿لعلّهم يذكّرون﴾ فيعرفون نعمته.[١]

[٢٧] ﴿يا بني آدم لا يفتنّنكم الشيطان﴾ لا يخدعنّكم بأن يمنعكم من دخول الجنّة بإغوائكم.

﴿كما أخرج أبويكم من الجنّة﴾ كما محن أبويكم بأن أخرجهما منها.

﴿ينزع عنهما لباسهما﴾ ممّا كان عليهما من ثياب الجنّة.

﴿ليريهما سوآتهما﴾ بتسبّبه.

﴿إنّه يراكم هو وقبيله﴾ هو وجنوده وأتباعه من الجنّ والشياطين.

﴿من حيث لا ترونهم﴾ لأنّهم يجرون من بني آدم مجرى الدم في العروق.

﴿إنّا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ بما أوجدنا بينهم من التناسب.

[٢٨] ﴿وإذا فعلوا فاحشة﴾ فعلة متناهية في القبح، كعبادة الصنم، وكشف العورة في الطواف.

﴿قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها﴾ اعتذروا واحتجّوا بأمرين: تقليد

---

١. تفسير البيضاوي ٢ / ٧٤، ومجمع البيان ٤ / ٢٣٢.

الآباء، وا[لـ]افتراء على الله، فأعرض عن الأوّل لظهور فساده، وردّ الثاني بقوله:

﴿قل إنّ الله لا يأمر بالفحشاء﴾ لأنّ عادته جرت على الأمر بمحاسن الأفعال والحثّ على مكارم الخصال.

﴿أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ إنكار يتضمّن النهي عن الإفتراء على الله.

[٢٩] ﴿قل أمر ربّي بالقسط﴾ بالعدل، وهو الوسط من كلّ أمر، المتجافي عن طرفي الإفراط والتفريط.

﴿وأقيموا وجوهكم﴾ نحو القبلة.

﴿عند كلّ مسجد﴾ في كلّ وقت سجود، أو مكانه وهو الصلاة.

﴿وادعوه﴾ واعبدوه.

﴿مخلصين له الدين﴾ أي: الطاعة، فإنّ إليه مصيركم.

﴿كما بدأكم﴾ كما أنشأكم ابتداء.

﴿تعودون﴾ بإعادته، فيجازيكم على أعمالكم، قيل: كما بدأكم من التراب تعودون إليه، وقيل: كما بدأكم حفاة عراة تعودون إليه، وقيل: كما بدأكم مؤمناً وكافراً يعيدكم[١].

[٣٠] ﴿فريقاً هدى﴾ بأن وفّقهم للإيمان.

﴿وفريقاً حقّ عليهم الضلالة﴾ بأن خذلهم بمقتضى القضاء السابق.

﴿إنّهم اتّخذوا الشياطين أولياء من دون الله﴾ بطاعتهم لهم فيما دعوهم إليه.

﴿ويحسبون أنّهم مهتدون﴾ يظنّون أنّهم على حقّ.

[٣١] ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم﴾ ثيابكم الموارية عورتكم.

﴿عند كلّ مسجد﴾ لطواف أو صلاة، روي أنّ الحسن عليه السلام كان إذا قام إلى الصلاة

١. تفسير البيضاوي ٢: ٧٥، ومجمع البيان ٤ / ٢٤٠.

يلبس أجود ثيابه ويقول: الله جميل يحبّ الجمال فأتجمّل لربّي.

﴿وكلوا واشربوا﴾ ما طاب لكم، روي أنّ بني عامر في أيّام حجّهم كانوا لا يأكلون الطعام إلّا قوتاً، ولا يأكلون دسماً، يعظّمون بذلك حجّهم، فهمّ المسلمون بذلك فنزلت.

﴿ولا تسرفوا﴾ بتحريم الحلال، أو بالتعدّي إلى الحرام، أو بإفراط الطعام والشره عليه، قال علي بن الحسين بن واقد: جمع الله الطبّ في نصف آية فقال: ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾.

﴿إنّه لا يحبّ المسرفين﴾ أي: لا يرتضي فعلهم.(١)

[٣٢] ﴿قل من حرّم زينة الله﴾ من الثياب وسائر ما يتجمّل به.

﴿التي أخرج لعباده﴾ من النبات كالقطن والكتّان، ومن الحيوان كالحرير والصوف، والمعادن كالدروع.

﴿والطيّبات من الرزق﴾ المستلذّات من المآكل والمشارب.

﴿قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ بالأصالة، والكفرة وإن شاركوهم فيها فتبع.

﴿خالصة يوم القيامة﴾ لا يشاركهم فيها غيرهم(٢).

﴿كذلك نفصّل الآيات لقوم يعلمون﴾ أي: كتفصيلنا هذا الحكم نفصّل سائر الأحكام لهم.

[٣٣] ﴿قل إنّما حرّم ربّي الفواحش﴾ ما تزايد قبحه، وقيل: ما يتعلّق بالفروج.

﴿ما ظهر منها وما بطن﴾ جهرها وسرّها.

---

١. تفسير البيضاوي ٢ / ٧٦، ومجمع البيان ٤ / ٢٥٠.

٢. ن: غيركم.

﴿والإثم﴾ ما يوجب الإثم، تعميم بعد تخصيص، وقيل: شرب الخمر.

﴿والبغي﴾ الظلم [أ]و الكبر، أفرده بالذكر للمبالغة.

﴿بغير الحقّ﴾ بالباطل.

﴿وأن تشركوا بالله ما لم ينزّل به سلطاناً﴾ تهكّم بالمشركين، وتنبيه على تحريم اتّباع ما لم يدلّ عليه برهان.

﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ بالإلحاد في صفاته والافتراء عليه، كقولهم: ﴿الله أمرنا بها﴾[1].

[٣٤] ﴿ولكلّ أُمّة أجل﴾ مدّة أو وقت لنزول العذاب بهم، وهو وعيد لأهل مكّة.

﴿فإذا جاء أجلهم﴾ انقرضت مدّتهم أو حان وقتهم.

﴿لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ أقصر وقت، أو لا يطلبون التأخير والتقدّم، لشدّة الهول.[2]

[٣٥] ﴿يا بني آدم إمّا يأتينّكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتي فمن اتّقى﴾ إنكار الرسل والآيات.

﴿وأصلح﴾ عمله منكم.

﴿فلا خوف عليهم﴾ في الدنيا.

﴿ولا هم يحزنون﴾ في الآخرة.

[٣٦] ﴿والذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها﴾ عن قبولها.

﴿أُولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ باقون على وجه الدوام في التأبيد.

---

١. الأعراف (٧)، الآية ٢٨.

٢. تفسير البيضاوي ٢ / ٧٦، ومجمع البيان ٤ / ٢٥٢.

[٣٧] ﴿فمن أظلم ممّن افترى على الله كذباً أو كذّب بآياته﴾ ممّن تقوّل على الله ما لم يقله، وكذّب ما قاله.

﴿أُولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب﴾ ممّا كتب لهم من الأرزاق والآجال في اللوح.

﴿حتّى إذا جاءتهم رسلنا يتوفّونهم﴾ أي: يتوفّون أرواحهم.

﴿قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله﴾ من الأصنام والأوثان.

﴿قالوا ضلّوا عنّا﴾ غابوا عنّا.

﴿وشهدوا على أنفسهم أنّهم كانوا كافرين﴾ اعترفوا بأنّهم كانوا ضالّين فيما كانوا عليه.

[٣٨] ﴿قال ادخلوا في أُمم قد خلت من قبلكم من الجنّ والإنس﴾ يعني: كفّار الأُمم الماضية من النوعين.

﴿في النار كلّما دخلت أُمّة لعنت أُختها﴾ التي ضلّت بالاقتداء بها.

﴿حتّى إذا ادّاركوا فيها جميعاً﴾ أي: تداركوا وتلاحقوا في النار.

﴿قالت أُخراهم﴾ دخولاً، أو منزلة وهم الأتباع.

﴿لأُولاهم﴾ وهم القادة والرؤساء.

﴿ربّنا هؤلاء أضلّونا﴾ عن سبيلك دعونا إلى عبادة غيرك.

﴿فآتهم عذاباً ضعفاً من النار﴾ مضاعفاً؛ لأنّهم ضلّوا وأضلّونا.

﴿قال لكلّ ضعف﴾ أمّا القادة فبكفرهم وتضليلهم، وأمّا الأتباع فبكفرهم وتقليدهم.

﴿ولكن لا تعلمون﴾ ما لكم أو لكلّ فريق.[1]

---

١. تفسير البيضاوي ٢ / ٧٧، ومجمع البيان ٤ / ٢٥٤.

[٣٩] ﴿وقالت أُولاهم لأُخراهم فما كان لكم علينا من فضل﴾ قد ضللتم كما ضللنا، وحُذِّرتم كما حُذِّرنا.

﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾ من الكفر والمعاصي.

[٤٠] ﴿إنّ الذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها﴾ أي: عن الإيمان بها.

﴿لا تفتّح لهم أبواب السماء﴾ لأدعيتهم وأعمالهم، أو لأرواحهم كما تفتّح لأعمال المؤمنين وأرواحهم، لتتصل بالملائكة.

﴿ولا يدخلون الجنّة حتّى يلج الجمل في سمّ الخياط﴾ وهو ثقب الإبرة، وهذا لا يكون، كما أنّ ذلك لا يكون.

﴿وكذلك﴾ أي: ومثل ذلك الجزاء الفظيع.

﴿نجزي المجرمين﴾ المكذّبين بآيات الله.

[٤١] ﴿لهم من جهنّم مهاد﴾ فراش.

﴿ومن فوقهم غواش﴾ أغطية.

﴿وكذلك نجزي الظالمين﴾ المشركين بالله.

[٤٢] ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلّف نفساً إلّا وسعها أُولئك أصحاب الجنّة هم فيها خالدون﴾ جرت عادته سبحانه وتعالى في أن يشفع الوعيد بالوعد.[١]

[٤٣] ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلّ﴾ أي: نخرج من قلوبهم أسباب الغلّ، أو نطهرها منه[٢]، حتّى لا يكون بينهم إلّا التوادد.

﴿تجري من تحتهم الأنهار﴾ زيادة في لذّتهم وسرورهم.

---

١. تفسير البيضاوي ٢ / ٧٨، ومجمع البيان ٤ / ٢٥٦. وفي النسخة: الوعد بالوعيد.

٢. ن: نظهرها منهم.

﴿وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا﴾ وفّقنا لما جزاؤه هذا.

﴿وما كنّا لنهتدي﴾ إلى هذا النعيم المقيم والثواب العظيم.

﴿لولا أن هدانا الله﴾ لولا هداية الله وتوفيقه.

﴿لقد جاءت رسل ربّنا بالحقّ﴾ فاهتدينا بإرشادهم.

﴿ونودوا أنّ تلكم الجنة﴾ التي كانت الرسل تخبركم عنها.

﴿أُورثتموها﴾ صارت إليكم كما يصير الميراث لأهله، قال عليه السلام: ما من أحد إلّا وله منزل في الجنّة ومنزل في النار، فأمّا الكافر فيرث من المؤمن منزله من النار، والمؤمن يرث من الكافر منزله من الجنّة.

﴿بما كنتم تعملون﴾ من طاعة الله.[١]

[٤٤] ﴿ونادى أصحاب الجنّة أصحاب النار﴾ بعد استقرارهم في الدارين.

﴿أن قد وجدنا ما وعدنا ربّنا﴾ من الثواب.

﴿حقّاً فهل وجدتم ما وعد ربّكم﴾ من العقاب.

﴿حقّاً قالوا نعم﴾ حقّاً وصدقاً، إنّما قالوا تبجّحاً بحالهم، وشماتة بأصحاب النار.

﴿فأذّن مؤذّن﴾ قيل هو صاحب الصور.

﴿بينهم﴾ بين الفريقين.

﴿أن لعنة الله على الظالمين﴾ أي: غضب الله وأليم عقابه على الكافرين.

[٤٥] ﴿الذين يصدّون عن سبيل الله﴾ عن دين الله الذي هو طريق الجنّة.

﴿ويبغونها عوجاً﴾ زيغاً وميلاً عمّا هو عليه.

﴿وهم بالآخرة كافرون﴾ جاحدون القيامة.

---

١. مجمع البيان ٤ / ٢٥٧، وتفسير البيضاوي ٢ / ٨٠.

[٤٦] ﴿وبينهما حجاب﴾ أي: بين الفريقين، كقوله: ﴿فضرب بينهم بسور﴾[١] أو بين الجنّة والنار حاجز، وهو السور، ليمنع وصول أثر أحدهما إلى الآخر.

﴿وعلى الأعراف﴾ وعلى أعراف الحجاب، أي: أعاليه، وهو السور المضروب بينهما، جمع عرف، مستعار من عرف الفرس، وقيل: الأعراف كثبان بين الجنّة والنار يوقف عليها كلّ نبي وكلّ خليفة مع المذنبين من أهل زمانه، كما يقف صاحب الجيش مع الضعفاء، وقد سيق المحسنون إلى الجنّة، فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه: انظروا إلى إخوانكم المحسنين قد سبقوا إلى الجنّة، فيسلّم عليهم المذنبون، وذلك قوله: ﴿سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون﴾ أن يدخلهم الله إيّاها بشفاعة النبي أو الإمام.

﴿رجال﴾ طائفة من الموحّدين قصرت بهم ذنوبهم عن الجنّة، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، فيحبسون بين الجنّة والنار حتّى يقضي الله فيهم ما يشاء، وقيل: قوم علت درجاتهم كالأنبياء والشهداء والصالحين، أو ملائكة يرون في صورة الرجال.

﴿يعرفون كلاًّ﴾ من أهل الجنّة والنار.

﴿بسيماهم﴾ بعلامتهم التي أعلمهم الله بها، كبياض الوجه وسواده، وزرقة العيون، وإنّما يعرفون ذلك بالإلهام، أو بتعليم الملائكة.

﴿ونادوا أصحاب الجنّة أن سلام عليكم﴾ أي: إذا نظروا إليهم سلّموا عليهم.

﴿لم يدخلوها وهم يطمعون﴾ في دخولها بالشفاعة.[٢]

[٤٧] ﴿وإذا صرفت أبصارهم﴾ يعني: أصحاب الأعراف.

---

١. الحديد (٥٧)، الآية ١٣.

٢. تفسير البيضاوي ٢ / ٨١، ومجمع البيان ٤ / ٢٦١.

﴿تلقاء أصحاب النار﴾ أي: إلى جهنّم فنظروا إليهم.

﴿قالوا﴾ تعوّذاً.

﴿ربّنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين﴾ أي: في النار.

[٤٨] ﴿ونادى أصحاب الأعراف رجالاً﴾ من أهل النار.

﴿يعرفونهم بسيماهم﴾ بصفاتهم من رؤساء الكفرة.

﴿قالوا ما أغنى عنكم جمعكم﴾ كثرتكم، أو جمعكم المال.

﴿وما كنتم تستكبرون﴾ عن الحقّ، أو على الخلق.

[٤٩] ﴿أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة﴾ من تتمّة قولهم للرجال، الإشارة إلى ضعفاء أهل الجنّة الذين كانت الكفرة يحقّرونهم في الدنيا، ويحلفون أنّ الله لا يدخلهم الجنّة.

﴿ادخلوا الجنّة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾ أي: لا خائفين ولا محزونين.

[٥٠] ﴿ونادى أصحاب النار﴾ وهم المخلّدون فيها.

﴿أصحاب الجنّة أن أفيضوا علينا من الماء أو ممّا رزقكم الله﴾ من سائر الأشربة والأطعمة، أي: صبّوه علينا، وهو دليل [على] أنّ الجنّة فوق [النار].

﴿قالوا إنّ الله حرّمهما على الكافرين﴾ منعهما عنهم، منع المجرم عن[1] المكلف.

[٥١] ﴿الذين اتّخذوا دينهم لهواً ولعباً﴾ كتحريم البحيرة، والتصدية حول البيت.

﴿وغرّتهم الحياة الدنيا﴾ فاغترّوا بها.

﴿فاليوم ننساهم﴾ نفعل بهم فعل الناسين، فنتركهم في النار.

١. البيضاوي: المحرم من.

﴿كما نسوا لقاء يومهم هذا﴾ فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له.

﴿وما كانوا بآياتنا يجحدون﴾ كما كانوا منكرين أنّها من عند الله.

[٥٢] ﴿ولقد جئناهم بكتاب فصّلناه﴾ يعني: القرآن بيّنّا معانيه من العقائد والأحكام والمواعظ مفصّلة.

﴿على علم﴾ عالمين بوجه تفصيله، حتّى جاء حكيماً على سائر الكتب.

﴿هدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ يرشدهم إلى الحقّ.[١]

[٥٣] ﴿هل ينظرون﴾ هل ينتظرون.

﴿إلّا تأويله﴾ إلّا ما يؤول إليه أمره، من تبيّن صدقه، بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد.

﴿يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل﴾ تركوا العمل به ترك الناسي له.

﴿قد جاءت رسل ربّنا بالحقّ﴾ أي: قد تبيّن أنّهم جاؤا بالحقّ.

﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا﴾ اليوم.

﴿أو نردّ﴾ إلى الدنيا.

﴿فنعمل غير الذي كنّا نعمل﴾ من الشرك والمعصية.

﴿قد خسروا أنفسهم﴾ بصرف أعمارهم في الكفر.

﴿وضلّ عنهم ما كانوا يفترون﴾ بطل عنهم فلم ينفعهم.

[٥٤] ﴿إنّ ربّكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستّة أيّام﴾ أي: في ستّة أوقات، أو في مقدار ستّة أيّام، فإنّ المتعارف باليوم زمان[٢] طلوع الشمس إلى غروبها ولم يكن حينئذٍ.

---

١. تفسير البيضاوي ٢ / ٨٢، ومجمع البيان ٤ / ٢٦٦.

٢. ن: فإن اليوم المتعارف وهو زمان. وأثبتناه حسب البيضاوي.

﴿ثمّ استوى على العرش﴾ استوى أمره، [أ]و استولى على العرش بلا كيف، منزّهاً عن الاستقرار والتمكّن. والعرش الجسم المحيط بسائر الأجسام، سمّي به لارتفاعه.

﴿يغشي الليل النهار﴾ يغطيه به.

﴿يطلبه حثيثاً﴾ يعقبه سريعاً، كالطالب له لا يفصل بينهما شيء.

﴿والشمس والقمر والنجوم مسخّرات بأمره﴾ بقضائه وتصريفه.

﴿ألا له الخلق والأمر﴾ فإنّه الموجد والمتصرّف.

﴿تبارك الله ربّ العالمين﴾ تعالى بالوحدانية في الإلوهية، وتعظّم بالتفرّد في الربوبية.

[٥٥] ﴿ادعوا ربّكم تضرّعاً وخفية﴾ تذلّلاً وخشوعاً مسرّين، كقوله: ﴿إذ نادى ربّه نداء خفيّاً﴾[١].

﴿إنّه لا يحبّ المعتدين﴾ المجاوزين ما أُمروا به في الدعاء وغيره، نبّه به على أنّ الداعي لا ينبغي أن يطلب ما لا يليق به، كرتبة الأنبياء والصعود إلى السماء.[٢]

[٥٦] ﴿ولا تفسدوا في الأرض﴾ بالكفر والمعاصي.

﴿بعد إصلاحها﴾ ببعث الأنبياء وشرع الأحكام.

﴿وادعوه خوفاً﴾ من عقابه.

﴿وطمعاً﴾ في ثوابه.

﴿إنّ رحمة الله قريب من المحسنين﴾ أي: ثوابه قريب من المطيعين.[٣]

---

١. مريم (١٩)، الآية ٣.

٢. تفسير البيضاوي ٢ / ٨٣، ومجمع البيان ٤ / ٢٧١.

٣. تفسير البيضاوي ٢ / ٨٥، ومجمع البيان ٤ / ٢٧٥.

[٥٧] ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشراً﴾ جمع بشير، وقرئ نشراً بمعنى ناشر.

﴿بين يدي رحمته﴾ قدّام رحمته، يعني: المطر، فإنّ الصبا تثير السحاب، والشمال تجمعه، والجنوب تذروه، والدبور تفرّقه.

﴿حتّى إذا أقلّت﴾ أي: حملت.

﴿سحاباً ثقالاً﴾ بالماء.

﴿سقناه﴾ أي: السحاب.

﴿لبلد ميت﴾ قد أجدب أهله.

﴿فأنزلنا به الماء﴾ بالبلد أو بالريح.

﴿فأخرجنا به﴾ بالماء.

﴿من كلّ الثمرات﴾ من كلّ أنواعها.

﴿كذلك نخرج الموتى﴾ من الأجداث، ونحييها بردّ النفوس إلى أبدانها، قيل: إذا مات الناس في النفخة الأُولى أمطر عليهم من ماءٍ تحت العرش يسمّى ماء الحيوان أربعين سنة، أو أربعين يوماً، فينبتون كما ينبت الزرع، حتّى إذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح ،ثمّ يلقى عليهم نومة فينامون في قبورهم، فإذا نفخ في الصور النفخة الثانية قاموا وهم يقولون: يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا هذا، فيناديهم المنادي هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون[1].

﴿لعلّكم تذكّرون﴾ فتعلمون أنّ من قدر على ذلك قدر على هذا.

[٥٨] ﴿والبلد الطيّب﴾ الأرض الكريمة التربة.

﴿يخرج نباته بإذن ربّه﴾ بمشيئته وتيسيره.

﴿والذي خبث﴾ أي: كالحرّة والسبخة.

١. جامع البيان الطبري ٨: ٢٧٤.

﴿لا يخرج إلّا نكداً﴾ قليلاً عديم النفع.

﴿كذلك نصرّف الآيات﴾ نردّها ونكررها.

﴿لقوم يشكرون﴾ نعمة الله فيتفكّرون فيها ويعتبرون.

[٥٩] ﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ بالرسالة، وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن إدريس، ونوح عاشر أب إلى آدم، وُلد قبل موت آدم في ذلك العام في الألف الأُولى، وبعث في الألف الثانية وهو ابن خمسين سنة أو أربعين، وقال ابن عبّاس: بعث وهو ابن مئتي وخمسين سنة.

﴿فقال يا قوم اعبدوا الله﴾ أي: وحّدوه لقوله:

﴿ما لكم من إله غيره﴾ لا معبود سواه.

﴿إنّي أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ إن لم تؤمنوا، وهو وعيد وبيان للداعي إلى عبادته، واليوم يوم القيامة، أو يوم نزول الطوفان.[١]

[٦٠] ﴿قال الملأ من قومه﴾ أي: الأشراف، فإنّهم يملأون العيون.

﴿إنّا لنراك في ضلال مبين﴾ في زوال عن الحقّ بيّن.

[٦١] ﴿قال يا قوم ليس بي ضلالة﴾ أي: شيء من الضلال.

﴿ولكنّي رسول من ربّ العالمين﴾ الذي يملك كلّ شيء.

[٦٢] ﴿أُبلغكم رسالات ربّي﴾ ما حمّلني منها.

﴿وأنصح لكم﴾ في تبليغ الرسالة على وجهها.

﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ من صفات الله وتوحيده وعدله وحكمته.

[٦٣] ﴿أو عجبتم﴾ الهمزة للإنكار، أي: أكذبتم وعجبتم.

﴿أن جاءكم ذكر من ربّكم﴾ تذكير وموعظة.

---

١. مجمع البيان ٤ / ٢٧٩، وتفسير البيضاوي ٢ / ٨٦.

﴿على رجل منكم﴾ على لسان رجل من جملتكم، أو من جنسكم، فإنّهم كانوا يقولون: ﴿لو شاء الله لأنزل ملائكة﴾[١].

﴿لينذركم﴾ عاقبة الكفر والمعاصي.

﴿ولتتّقوا﴾ منهما بسبب الإنذار.

﴿ولعلّكم ترحمون﴾ بالتقوى، وفائدة حرف الترجّي [التنبيه] على أنّ التقوى غير موجب، والترحّم من الله تفضل، وأنّ المتّقي ينبغي أن لا يعتمد على تقواه، ولا يأمن من عذاب الله.

[٦٤] ﴿فكذّبوه فأنجيناه والذين معه﴾ وهم من آمن به، وكانوا أربعين رجلاً وأربعين امرأة، وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث [و]ستّة ممّن آمن به نساؤهم[٢] كلّهم من ولد شيث، وأدخل معهم من أمره الله تعالى من الحيوان، وتخلّف عنه ابنه يام أو كنعان وكان كافراً.

﴿في الفلك﴾ في السفينة.

﴿وأغرقنا الذين كذّبوا بآياتنا﴾ بالطوفان، بأن علا الماء على رؤوس الجبال خمسة عشر ذراعاً، ستة أشهر وعشر ليال، من غرّة رجب إلى يوم عاشوراء.

﴿إنّهم كانوا قوماً عمين﴾ عمي القلوب غير مستبصرين.[٣]

[٦٥] ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً﴾ أي: الواحد منهم، كقولهم: يا أخا العرب، فإنّه هود بن عبد الله [بن] رباح بن الخلود بن العاد بن عوض بن إرم بن سام بن نوح،

---

١. المؤمنون (٢٣)، الآية ٢٤.

٢. في النسخة: بشاؤهم، وفي بعض المصادر أن الله أرسل نوحاً إلى ولد قابيل ومن تابعهم من ولد شيث. ولم أهتد إلى مصدر المصنف في هذا الموضع. وانظر تاريخ الطبري ١ / ١٢٦، وتفسيره ١٢ / ١٤٨، والكامل في التاريخ ١ / ٧٠.

٣. تفسير البيضاوي ٢ / ٨٧، ومجمع البيان ٤ / ٢٨٢.

وقيل: هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام، ابن عمّ أبي عاد.

﴿قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتّقون﴾ عذاب الله.[١]

[٦٦] ﴿قال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ إذ كان من أشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد.

﴿إنّا لنراك في سفاهة﴾ متمكّناً في خفّة عقل راسخاً فيها، حيث فارقت دين قومك.

﴿وإنّا لنظنّك من الكاذبين﴾ كذّبوه ظانّين به لا متيقنين.

[٦٧ ـ ٦٩] ﴿قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكنّي رسول من ربّ العالمين أُبلّغكم رسالات ربّي وأنا لكم ناصح أمين أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربّكم على رجل منكم لينذركم﴾ سبق تفسيره.

﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح﴾ أي: في مساكنهم، أو في الأرض بأن جعلكم ملوكاً، فإنّ شداد بن عاد ممّن ملك معمورة الأرض، من رمل عالج إلى بحر عمان، خوّفهم هود بما مرّ من آيات الله وذكّرهم بإنعامه.

﴿وزادكم في الخلق بسطة﴾ طولاً وعظماً وقوّة.

﴿فاذكروا آلاء الله﴾ أي: نعم الله وهو تعميم بعد تخصيص.

﴿لعلّكم تفلحون﴾ لكي تفوزون بنعيم الدنيا والآخرة.

[٧٠] ﴿قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا﴾ استبعدوا اختصاص الله بالعبادة، والإعراض عمّا أشرك به آباؤهم، انهماكاً في التقليد وحبّاً لما ألفوه.

﴿فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾ فيه، أو أنّك رسول الله إلينا.

---

١. تفسير البيضاوي ٢ / ٨٨، ومجمع البيان ٤ / ٢٨٥.

[٧١] ﴿قال قد وقع عليكم﴾ قد وجب أو حقّ عليكم وحلّ بكم لا محالة.

﴿من ربكم رجس﴾ عذاب من الارتجاس، وهو الاضطراب.

﴿وغضب﴾ إرادة انتقام.

﴿أتجادلونني في أسماء سمّيتموها﴾ آلهة وليس فيها معنى الإلهية.

﴿أنتم وآباؤكم ما نزّل الله بها من سلطان﴾ من حجّة تعتذرون بها.

﴿فانتظروا﴾ عذاب الله فإنّه نازل بكم.

﴿إنّي معكم من المنتظرين﴾ حكم الله فيّ وفيكم.[١]

[٧٢] ﴿فأنجيناه والذين معه﴾ في الدين.

﴿برحمة منّا﴾ عليهم.

﴿وقطعنا دابر الذين كذّبوا بآياتنا﴾ أي: استأصلناهم.

﴿وماكانوا مؤمنين﴾ تعريض بمن آمن منهم، وتنبيه على أنّ الفارق بين من نجا ومن هلك هو الإيمان.

روي أنّهم كانوا يعبدون الأصنام، فبعث الله إليهم هوداً فكذّبوه وازدادوا عتوّاً، فأمسك الله القطر عنهم ثلاث سنين حتّى جهدهم، فكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم إذا نزل بهم بلاء توجّهوا إلى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج، فجهزوا إليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين من أعيانهم، وكان إذ ذاك بمكّة العمالقة أولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيّدهم معاوية بن بكر، فلمّا قدموا عليه وهو بظاهر مكّة أنزلهم وأكرمهم، وكانوا أخواله وأصهاره، فلبثوا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له، فلمّا رأى ذهولهم باللهو عمّا بعثوا له أهمّه ذلك، واستحى أن يكلّمهم فيه مخافة أن يظنّوا به ثقل مقامهم، فعلم القينتين:

١. تفسير البيضاوي ٢ / ٨٩، ومجمع البيان ٤ / ٢٨٧.

ألا يا قيل ويحك قم فهينم لعلّ الله يصبحنا غماما
فيسقي أرض عادٍ إنّ عاداً قد أمسوا ما يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس يرجو به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وإنّ الوحش يأتيهم جهاراً ولا يخشى لعادي سهاما
وأنتم هاهنا فيما اشتهيتم نهاركم وليلكم التماما

من أبيات حتّى غنّتا به، فأزعجهم ذلك، فقال مرثد: والله لا تسقون بدعائكم، ولكن إن أطعتم نبيّكم وتبتم إلى الله سقيتم، فقالوا لمعاوية: احبسه عنّا لا يقدمن معنا مكّة، فقال قيل: اللّهمّ اسق عاداً ما كنت تسقيهم، فأنشأ الله سحابات ثلاثاً، بيضاء وحمراء وسوداء، ثمّ ناداه مناد من السماء: يا قيل، اختر لنفسك ولقومك، قال: اخترت السوداء فإنّها أكثرهنّ ماء، فخرجت على عاد من وادي المغيث، فاستبشروا بها وقالوا: هذا عارض ممطرنا، فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم، قيل: أوّل من عرف أنّها ريح امرأة من عاد، يقال لها مهرة، فصاحت بهم ثمّ صعقت، فلمّا أفاقت قالوا لها: ما رأيت؟ قالت: ريحاً كشهاب النار أمامها رجال يقودونها، فسخّرها الله عليهم سبع ليالي وثمانية أيّام حسوماً، فلم تدع من عاد أحداً، وإنّها لتمرّ من عاد بالطعن من السماء والأرض وتشدخهم بالحجارة، واعتزل هود ومن معه في حظيرة، ما يصيبهم منه إلّا ما يلين منها[1] جلودهم، ثمّ أتوا مكّة وعبدوا الله فيها حتّى ماتوا، وفي ذلك يقول سهل بن الخليل[2]:

لو أنّ عاداً سمعت من هود ما أصبحت غابر الحدود
ضامرة الأحشاء بالوصيد صرعى على الانوق والخدود

١. في النسخة هنا زيادة: الايلين.
٢. لم أجد له ترجمة، ولم أعرف مصدر المصنف في هذا الموضع، ولم أجد الأبيات في مصدر آخر.

ماذا جزا الوفد من الوفود احدوثة للأبد الأبيد[١]

[٧٣ و٧٤] ﴿وإلى ثمود﴾ قبيلة أُخرى من العرب، سمّوا باسم أبيهم الأكبر، ثمود بن عابر بن إرم بن سام، وكانت مساكنهم الحجر، بين الحجاز والشام إلى وادي القرى.

﴿أخاهم صالحاً﴾ صالح بن عبيد بن [آسف بن ماسح بن عبيد بن] جاذر[٢] بن ثمود.

﴿قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بيّنة من ربّكم﴾ معجزة ظاهرة الدلالة على صحّة نبوّتي، وهي قوله:

﴿هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسّوها بسوء﴾ بشيء من أنواع الأذى.

﴿فيأخذكم عذاب أليم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوّأكم في الأرض﴾ مكّنكم من أرض الحجر.

﴿تتّخذون من سهولها قصوراً﴾ تبنون في سهولها القصور.

﴿وتنحتون الجبال بيوتاً﴾ تنقبونها في الصخر.

﴿فاذكروا آلاء الله﴾ أي: نعم الله.

﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ والعثو تجاوز الحدّ في الفساد.

[٧٥] ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه﴾ عن الإيمان.

﴿للذين استضعفوا﴾ من أهل المسكنة من أتباع صالح.

﴿لمن آمن منهم أتعلمون أنّ صالحاً مرسل من ربّه﴾ قالوه على الاستهزاء.

---

١. مجمع البيان ٤ / ٢٨٩، وتفسير البيضاوي ٢ / ٩٠.

٢. البيضاوي: حاذر.

﴿قالوا إنّا بما أرسل به مؤمنون﴾ عدلوا به عن الجواب السويّ الذي هو نعم، تنبيهاً على أنّ إرساله أظهر من أن يشكّ فيه عاقل ويخفى على ذي رأي.

[٧٦ و٧٧] ﴿قال الذين استكبروا إنّا بالذي آمنتم به كافرون فعقروا الناقة﴾ فنحروها أُسند إلى جميعهم، لأنّه كان برضاهم، وإن لم يعقرها إلّا نذار بن سالف ومصدع بن هرج ومعهما سبعة من غواة ثمود.

﴿وعتوا عن أمر ربّهم﴾ واستكبروا عن امتثاله، وهو ما بلّغهم صالح بقوله: ﴿فذروها﴾.

﴿وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا﴾ من العذاب على قتل الناقة فقد قتلناها.

﴿إن كنت من المرسلين﴾ من عند الله إلينا.[١]

[٧٨] ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ أي: الصيحة التي تزلزلت لها الأرض.

﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ خامدين ميتين، روي أنّهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمّروا أعماراً طوالاً لا تفي بها الأبنية، فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة، فعتوا وأفسدوا في الأرض، وعبدوا الأصنام، فبعث الله إليهم صالحاً من أشرافهم، فسألوه آية فقال: أيّة [آية] تريدون؟ قالوا: اخرج معنا إلى عيدنا فتدعو إلهك وندعو آلهتنا، فمن استجيب له اتبع، فخرج معهم فدعوا أصنامهم فلم تجبهم، ثمّ أشار سيّدهم جندع بن عمرو إلى صخرة يقال لها الكاتبة، وقال له أخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء، فإن فعلت صدّقناك، فأخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن؟ فقالوا: نعم، فصلّى ودعا ربّه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها، فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون، ثمّ نتجت ولداً مثلها في العظم، فآمن به جندع في جماعة،

---

١. تفسير البيضاوي ٢ / ٩٢، ومجمع البيان ٤ / ٢٩٢.

ومنع الباقين من الإيمان ذؤاب بن عمرو والحباب، صاحب أوثانهم، ورباب بن صغم كاهنهم، فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غباً فما ترفع رأسها من البئر حتّى تشرب كلّ ما فيها، ثمّ تنفحج فيحلبون ما شاءوا حتّى تمتلئ أوانيهم فيشربون ويدخرون، وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها أنعامهم إلى بطنه، وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم إلى ظهره، فشقّ ذلك عليهم وزيّنت عقرها لهم عنيزة أُمّ الغنم، وصدق[ة] بنت المختار، فعقرها مصدع وقدار برضا القوم واقتسموا...[١]

[٨٨] ﴿[قال الملأ الذين] استكبروا من قومه﴾ أي: رفعوا أنفسهم فوق مقدارها.

﴿لنخرجنّك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودنّ في ملّتنا﴾ أي: ليكونن أحد الأمرين: إمّا إخراجكم من القرية، أو عودكم في الكفر، وشعيب لم يكن في ملّتهم قطّ؛ لأن الأنبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقاً، لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم، وعلى ذلك أجرى الجواب في قوله:

﴿قال أو لو كنّا كارهين﴾ أي: كيف نعود فيها ونحن كارهون لها، أو أتعيدوننا في حال كراهتنا.[٢]

[٨٩] ﴿قد افترينا على الله كذباً﴾ أي: قد اختلفنا عليه.

﴿إن عدنا في ملّتكم﴾ بأن نحلّ ما تحلّونه ونحرّم ما تحرّمونه.

﴿بعد إذ نجّانا الله منها﴾ وأوضح الحقّ لنا.

﴿وما يكون لنا﴾ وما يصحّ لنا.

---

١. وبعده بمقدار سطر لم يف به التصوير، ثم بعده الصفحة ١١٨ / ب، فالظاهر أن نسخة الأُم كانت ناقصة حيث لم يرد بمقدار تفسير عشرة آيات.

٢. تفسير البيضاوي ٢ / ٩٣، ومجمع البيان ٤ / ٢٩٥.

﴿أن نعود فيها إلّا أن يشاء الله ربّنا﴾ خذلاننا وارتدادنا، قيل: أراد به قطع طمعهم في العود بالتعل[ي]ق على ما لا يكون.

﴿وسع ربّنا كلّ شيء علماً﴾ أي: أحاط علمه بكلّ شيء ممّا كان وما يكون منّا ومنكم.

﴿على الله توكّلنا﴾ في أن يثبّتنا على الإيمان، ويخلّصنا من الأشرار.

﴿ربّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحقّ﴾ احكم بيننا وبينهم، وميّز المحقّ من المبطل.

﴿وأنت خير الفاتحين﴾ الحاكمين الفاصلين.

[٩٠] ﴿وقال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ لجماعة الكفّار من قوم شعيب:

﴿لئن اتّبعتم شعيباً﴾ وتركتم دينكم.

﴿إنّكم إذاً لخاسرون﴾ لاستبدالكم ضلالته بهداكم على زعمهم.

[٩١] ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ الزلزلة، وفي سورة الحجر ﴿فأخذتهم الصيحة﴾[١] ولعلّها كانت من مباديها، روي أنّ الله أوحى إلى شعيب أنّي معذّب من قومك مئة ألف، أربعين ألفاً من أشرارهم وستّين ألفاً من أخيارهم، فقال: يا ربّ، هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار، فأوحى إليه أنّهم داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي[٢].

﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ أي: في مدينتهم ميتين، قال ابن عبّاس وغيره: أرسل الله عليهم حرّاً شديداً سبعة أيّام، حتّى غلت أنهارهم، فأخذ بأنفاسهم فدخلوا

١. الحجر (١٥)، الآية ٨٣.

٢. الكافي ٥: ٥٦، باب الأمر بالمعروف ح ١، ومشكاة الأنوار ١٠٤، وتهذيب الأحكام ٦ / ١٨١: ٣٧٢، وقصص الأنبياء للراوندي ٢٤٤ وفيه شعيا بدل شعيب.
وورد نحوه في يوشع: تفسير الثعلبي ٤ / ٨٧، وتفسير الفخر الرازي ٢٢ / ١٠٥.

أجواف البيوت فلم ينفعهم ظلّ ولا ماء، فأنضجهم الحرّ، فبعث الله تعالى سحابة فيها ريح طيّبة، فتنادوا عليكم بها، فخرجوا إلى البرية، فلمّا اجتمعوا تحت السحابة ألهبها الله عليهم ناراً ورجفت بهم الأرض فاحترقوا كما يحترق الجراد، وهو عذاب يوم الظلّة.

[٩٢] ﴿الذين كذّبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها﴾ كأن لم يقيموا بالمنزل.

﴿الذين كذّبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين﴾ ديناً ودنيا، لا الذين صدّقوه واتّبعوه كما زعموا.

[٩٣] ﴿فتولّى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربّي ونصحت لكم﴾ قاله تأسّفاً بهم عليهم، ثمّ أنكر على نفسه، فقال:

﴿فكيف آسى على قوم كافرين﴾ ليسوا أهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم، أو قاله اعتذاراً عن عدم شدّة حزنه عليهم، والمعنى لقد بالغت في الإبلاغ والإنذار، وبذلت وسعي في النصح والإشفاق، فلم تصدّقوا قولي فكيف آسى عليكم.

[٩٤] ﴿وما أرسلنا في قرية من نبي إلّا أخذنا أهلها بالبأساء والضرّاء﴾ بضيق المعيشة والأسقام وسوء الحال.

﴿لعلّهم يضّرّعون﴾ كي يتضرّعوا إلى ربّهم ويتذللوا له.

[٩٥] ﴿ثمّ بدّلنا مكان السيّئة الحسنة﴾ أي: أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدّة، السلامة والسعة، ابتلاء [لهم] بالأمرين.

﴿حتّى عفوا﴾ كثروا عَدداً وعُدداً.

﴿وقالوا قد مسّ آباءنا الضرّاء والسرّاء﴾ كفراناً لنعمة الله.[١]

---

١. نهاية النسخة، ولعل النقص من نسخة الأُم وأن المصنف لم يفرغ من تمام التفسير، فالصفحة هنا لم تنته، أو لعلّ الكاتب توقف عن الاستنساخ دون ذكر سبب ذلك، ولاحظ تفسير البيضاوي ومجمع البيان ذيل هذه الآية لاستكمال بحثها.

الفهرس التفصيلي

الفريدة العزيزة

التفسير الوجيز